هل مات معاوية على دين الإسلام؟

دراسة موسعة لحديث : يموت معاوية على غير ملتي

المؤلف

حسن بن فرحان المالكي

حسن بن فرحان المالكي

هل مات معاوية على دين الإسلام؟

دراسة موسعة لحديث (يموت معاوية على غير ملتي)

من حيث استعراض طرقه وأسانيده من مصادر أهل السنة والحديث

وترجمة رجاله وبيان الأسباب السياسية والمذهبية التي أدت إلى جهل الناس بهذا الحديث

مع استعراض أقوال من صححه أو ضعفه من أهل الحديث.

الطبعة الأولى

محتويات الكتاب

الحديث الأول: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. .

الطريق الأولى : طريق طاوس بن كيسان عن عبد الله بن عمرو بن العاص

- متابعة أصلية: ليث عن طاووس بن كيسان به.
- شريك عن ليث به. . (متابعة فرعية)
- جرير بن عبد الحميد عن ليث به. . (متابعة فرعية)
- نوح بن دراج عن ليث به. . (متابعة فرعية)
- من فقه الحديث : الجمع بين لفظَي (ملتي و سنتي) .

الطريق الثانية: عبد الله بن الحارث الزبيدي عن عبد الله بن عمرو بن العاص

- التعليق على أسلوب الإخفاء عند أهل الحديث.
- إضاءة: أثر العهد المتوكلي في أسلوب الإخفاء والبتر عند أهل الحديث.
- عمل العقيلي والمروذي في إخفاء بقية الحديث. .
- الكلام على الإسناد.

الطريق الثالثة: مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص (أو ابن عمر) .

الطريق الرابعة: أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

- تصحيح البوصيري وتعليقه
- التعليق على التعليق

- علة خفيفة في متن الحديث

- تحريف النواصب والسلفية لهذا الحديث

- واقعة التحريف

- احتمالات أخرى لكيفية حدوث هذا التحريف

- القرينة على أن المراد هنا معاوية وليس الحكم بن أبي العاص.

- مناسبة لعن الحكم غير مناسبة لعن معاوية.

الحديث الثاني: حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب.

- الحكم الإسناد

- الراوي عبد الله بن عمر أم عبد الله بن عمرو؟

الحديث الثالث : حديث جابر بن عبد الله الأنصاري.

- الحكم على الإسناد

الحديث الرابع : حديث عبد الله بن الزبير.

- الكلام على الإسناد

- ملحق (2) فائدة القرائن والمتابعات والشواهد بعد صحة الإسناد.

المبحث الثاني: المصححون للحديث

- تصحيح أحمد بن حنبل أحد طرق الحديث (محل بحث) .
- تصحيح المحدث المسند يحيى بن عبد الحميد الحماني.
- تصحيحات الهيثمي في مجمع الزوائد .
- تصحيح الشيخ المحدث محمد مكي بن عزوز الأدريسي.
- تصحيح الشيخ المحدث أحمد بن الصديق الغماري.
- تصحيح الشيخ محمد بن عقيل الشافعي.
- تصحيح الدكتور جاسم المشهداني.

المبحث الثالث: شيء من فقه الحديث وفوائده

- من فقه هذا الحديث (1) : دلالة الحديث.
- من فقه هذا الحديث (2): اللفظ الأقوى (ملتي) أم (سنتي) ؟
- من فقه الحديث (3) : استحضار الشواهد والظروف المانعة.
- من فقه الحديث (4): الواجب على المسلم. . أضعف الإيمان.

المبحث الرابع: هل تحقق الحديث في الخارج؟ وكيف؟ .

- الاحتمال الأول: بقاء معاوية على الوثنية وعلاقته بالأصنام والروايات في ذلك.
- الاحتمال الثاني: اعتناقه النصرانية قبل الموت والروايات فيه.
- الاحتمال الثالث: النفاق

المبحث الخامس: الحواضن القرآنية والشواهد الحديثية

أولاً: الحواضن القرآنية

- أبو سفيان ومعاوية في القرآن الكريم.
- الآية الأولى : من سورة الأنفال، الآثار في تفسيرها والتعليق على الآثار.
- الآية الثانية: من سورة البقرة
- الآية الثالثة : من سورة آل عمران
- الآية الرابعة: من سورة آل عمران أيضاً .
- الآية الخامسة : من سورة آل عمران أيضاً .
- الآية السادسة: من سورة النساء .
- الآية السابعة: من سورة الأنفال.

المبحث السادس: الممانعة الناصبية والسلفية:

- معاوية أول المانعين للأحاديث الصحيحة.
- نماذج من تعامله مع الأحاديث التي لا تعجبه.
- عمله على إفساد هذا الحديث خاصة.
- استصناعه لعروة بن الزبير !
- النموذج الأول : العبث بمتن الحديث !
- نقل الحديث من معاوية إلى علي بن أبي طالب !

- نقل الحديث من معاوية إلى الحكم بن أبي العاص.
- النموذج الثاني : عبثهم بإسناد الحديث! (إدخالهم فرخاش) !
- النموذج الثالث: عبثهم بمقام النبوة! وزعمهم مزاحمة معاوية للنبي (ص)
- رواية مظفر بن مرجي الشامي (تحريف النار إلى جنة)
- رواية عبد العزيز بن بحر البصري ثم البغدادي (تحريف النار إلى جنة)
- استطراد: في زعمهم مزاحمة معاوية للنبي (ص) والحط من مقام النبوة!
- رواية الخبائري (تحريف النار إلى جنة) !
- رواية عيسى بن عبد الله الأموي (تحريف النار إلى جنة) !
- رواية محمد بن مروان الأموي (تحريف النار إلى جنة) !
- رواية عمرو بن يحيى السعدي الأموي (تحريف النار إلى جنة) !
- والخلاصة فيها سؤال: لماذا يبطل هذا الحديث ويصح ذاك؟
- دفاع السلفية المحدثة عن معاوية وعلاقته بالأصنام ... والجواب عليه.

المبحث السابع: الحاضنة الكبرى لأحاديث دولة معاوية

وهي حاضنة العبث بالمثالب والمناقب

مراسيم معاوية وأثرها على الجرح والتعديل ثم الحديث

مراسيم معاوية الأربعة التي كتبها إلى الأمصار وآثارها على الناس والحديث والفكر الديني، مع ذكر اكتشاف الحافظ ابن حجر لآثار هذه المراسيم على الجرح والتعديل، وتعليق العلامة ابن عقيل.

أولاً: نص مراسيم معاوية الأربعة وع التعليق عليها

ثانياً: شواهد المراسيم الأربعة من حيث الإطلاق وليس التفصيل.

- الرواية الأولى
- الرواية الثانية
- الرواية الثالثة
- الرواية الرابعة

ثالثاً: أثر مراسيم معاوية في الجرح والتعديل

رابعاً: نص اكتشاف ابن حجر لآثار المراسيم في الجرح والتعديل.

- من آثارها: توثيقهم الناصبي غالباً (وتعليل الحافظ والجواب عليه مختصراً)
- من آثارها: تضعيفهم الشيعي مطلقاً (وتعليل الحافظ والجواب عليه مختصراً)

خامساً: جواب ابن عقيل على ابن حجر مطولاً (وفيه عشر مسائل) .

- اختيار ابن عقيل للرد على ابن حجر لأنه أعقل القوم. . والتعليق عليه
- الجواب على تعليل ابن حجر لتوثيقهم الناصبي غالباً .
- استطراد ابن عقيل واختصارنا له
- الجواب على تعليل ابن حجر لجرحهم الشيعي مطلقاً .
- الجواب على علة نصرته النبي (ص) .
- الجواب على مسألة الطبع البشري.
- الجواب على مسألة أثر الدنيا في البغض.

- الجواب على مشاركة الأنصار في فضيلة علي.
- وجوب التفريق بين الإمام علي والجمادات!
- مسألة الاعتذار عن النواصب لتمكن عقيدتهم منهم.
- نقد عام على جواب العلامة ابن عقيل مع خلاصة مختصرة.

سادساً: أثر مراسيم معاوية على هذا الحديث (يموت على غير ملتي)

وقراءة موقف السلفية العقائدية من الحديثين (الحديث الأصل والمعارض له).

- تغييبها الحديث الأصل ذي الإسناد الصحيح في عقائدها .
- إشهارها الحديث الموضوع المعارض له في عقائدها (الآجري واللالكائي نموذجاً).
- شراستها على الحديث الأصل في كتب الحديث.
- تراخيها مع الحديث الموضوع المعارض له (ومحاولات تكثير الطرق والأسانيد)!
- نقلهم للحديث من معاوية إلى علي والعباس.
- الأمل في فجر الحرية (كلمة في الثورة المصرية).

الملاحق والتفصيلات:

ملحق (1): ملحق الرواة والأسانيد

- رجال الحديث الأول:
- رجال الحديث الأول: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

أولاً: رجال الإسناد الأول: إسناد عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو.

- ترجمة البلاذري (موسعة).
- ترجمة بكر بن الهيثم (شيخ البلاذري) موسعة.
- ترجمة إسحاق بن إبي إسرائيل (شيخ البلاذري الثاني) موسعة.
- ترجمة عبد الرزاق الصنعاني مختصرة (لشهرته)
- ترجمة معمر بن راشد (مختصرة لشهرته).
- ترجمة عبد الله بن طاوس بن كيسان (موسعة)
- ترجمة طاوس بن كيسان (مختصرة لشهرته)
- ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص (مختصرة لشهرته).

ثانياً: رجال المتابعة (1) ليث عن طاوس: شريك عن ليث عن طاوس.

- البلاذري (سبق)
- ترجمة عبد الله بن صالح (شيخ البلاذري) مختصرة لشهرته.
- ترجمة يحيى بن آدم (مختصرة لشهرته)
- ترجمة شريك بن عبد الله النخعي (مختصرة لأنها متابعة)
- ترجمة ليث بن أبي سليم (موسعة)
- طاوس بن كيسان (سبق)
- عبد الله بن عمرو بن العاص (سبق).

ثالثاً: رجال المتابعة (2) عن ليث: نوح بن دراج عن ليث عن طاوس.

- ترجمة محمد بن سليمان الكوفي (موسعة نسبياً)
- ترجمة إسحاق بن محمد القاضي (موسعة نسبياً)

- ترجمة عباد بن يعقوب الرواجني (مختصرة لشهرته)
- ترجمة نوح بن دراج الكوفي (ترجمة موسعة)
- ليث بن أبي سليم (سبق)
- طاوس بن كيسان (سبق)
- عبد الله بن عمرو بن العاص (سبق)

رابعاً: رجال المتابعة (3) عن ليث: جرير عن ليث عن طاوس.

- ترجمة أحمد (بندار) بن إسحاق
- ترجمة عبد الرحمن بن محمد الجرواءاني
- ترجمة محمد بن حميد الرازي.
- ترجمة جرير بن عبد الحميد (مختصرة لشهرته)
- ليث بن أبي سليم (سبق)
- طاوس بن كيسان (سبق)
- عبد الله بن عمرو بن العاص (سبق)

خامساً: رجال الإسناد الثاني: عبد الله بن الحارث الزبيدي عن عبد الله بن عمرو.

- شيء من ترجمة العقيلي
- الحسن بن علي بن خالد (شيخ العقيلي) لم يترجم وقد توبع.
- ترجمة أبي بكر المروذي (شيخ العقيلي).
- ترجمة سعيد بن عفير (ترجمة مختصرة لشهرته).
- ترجمة ابن لهيعة : (مختصرة وسيأتي موسعاً في إسناد ابن الزبير)

- ترجمة الحارث بن يزيد الحضرمي (مختصرة لشهرته)
- ترجمة عكرمة بن أسد الحضرمي (موسعة، وفيها توثيقه)
- ترجمة عبد الله بن الحارث الزبيدي (وله صحبة)
- عبد الله بن عمرو بن العاص (سبق)
- رجال الإسناد الثالث: أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عمرو.
- أحمد بن حنبل وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم من الرواة عن ابن نمير (سبقوا في الأصل)
- ترجمة عبد الله بن نمير (موسعة)
- ترجمة عثمان بن حكيم (موسعة)
- ترجمة أبي أمامة بن سهل بن حنيف (موسعة)
- عبد الله بن عمرو بن العاص (سبق)
- رجال الطريق الثاني : حديث جابر بن عبد الله.
- ترجمة نصر بن مزاحم (ترجمة موسعة)
- ترجمة جعفر بن زياد الأحمر (ترجمة موسعة)
- ترجمة محارب بن دثار (ترجمة موسعة)
- جابر بن عبد الله الأنصاري (توسعنا في ترجمته قليلاً رغم شهرته) .
- رجال الطريق الثالث: حديث عبد الله بن عمر:
- نصر بن مزاحم (سبق)
- جعفر بن زياد الأحمر (سبق)
- ليث بن أبي سليم (سبق)
- ترجمة مجاهد (مختصرة لشهرته)

- ترجمة عبد الله بن عمر (مختصرة وسيأتي التوسع فيها لسبب)
- رجال الطريق الرابع: حديث عبد الله بن الزبير.
- عبد الله بن لهيعة (موسعة قليلاً)
- عبد الله بن الزبير (مختصرة لشهرته)

ملحق (2) التحريفات المكتشفة:

- تحريفات أحمد بن حنبل
- مثال أول
- مثال ثان
- مثال ثالث
- مثال رابع
- عبد الله بن عمرو بن العاص كيف روى الحديث وهو مع معاوية؟
- عبد الله بن عمر بن الخطاب كيف روى الحديث وهو من المبايعين ليزيد بن معاوية؟
- الخاتمة . . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذي جعل من أهداف تفصيل الكتاب استبانة سبيل المجرمين في قوله تعالى (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55) [الأنعام] .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله الطاهرين وأصحابه من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فاستبانة سبيل المجرمين هو في الأهمية يوازي استبانة سبيل الأنبياء وأتباعهم، فلا تصالح بين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ولا يجوز الخلط بين السبيلين، فإن هذا عمىً في الرؤية وتردد في المسار وضياع في تيه المجهول، وعلى هذا فلا يقال كلهم قدوتنا وكلهم رضي الله عنهم جميعاً ! لابد من معرفة دعاة الجنة ودعاة النار، وأن يتبع هذه المعرفة عقيدة وعمل جاد لاتباع سبيل المؤمنين وتجنب سبيل المجرمين، ولن نستطيع اجتناب سبيل المجرمين مادام أننا لا نعرفهم، (إن استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين، وذلك كالخط الفاصل يرسم عند مفرق الطريق، إن هذا المنهج هو المنهج الذي قرره اللّه – سبحانه – ليتعامل مع النفوس البشرية، ذلك أن اللّه سبحانه يعلم أن إنشاء اليقين الاعتقادي بالحق والخير يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر والتأكد من أن هذا باطل محض وشر خالص وأن ذلك حق محض وخير خالص، كما أن قوة الاندفاع بالحق لا تنشأ فقط من شعور صاحب الحق أنه على الحق ولكن كذلك من شعوره بأن الذي يحاده ويحاربه إنما هو على الباطل، وأنه يسلك سبيل المجرمين الذين يذكر اللّه في آية أخرى أنه جعل لكل نبي عدوا منهم «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ»، ليستقر في نفس النبي ونفوس المؤمنين، أن الذين يعادونهم إنما هم المجرمون عن ثقة، وفي وضوح، وعن يقين، إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح، واستبانة سبيل المجرمين هدف من

أهداف التفصيل الرباني للآيات، ذلك أن أي غبش أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غبشاً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم، فهما صفحتان متقابلتان، وطريقان مفترقتان، ولا بد من وضوح الألوان والخطوط، . . بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوانان، ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين. .الخ)[1].

وكل المجددين الإسلاميين الذين لا يبدؤون من عهد معاوية على الأقل فلن يجعل الله بركة في تجديدهم، وإنما قلت على الأقل لأن هناك أخطاء سابقة حدثت في عهد الخلفاء السابقين إلا أنها طفيفة قياساً بالانقلاب الكلي على الإسلام الذي حدث في عهد معاوية، وبطريقة سلسة لا ينتبه لها المغفلون ولا الحمقى – ومعظم علماء المسلمين ودعاتهم حمقى- ولذلك يختلط عليهم سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، لضعفهم العقلي والعلمي والضميري والسلوكي، ولذلك تراهم يحبون الجميع ويترضون عن الجميع، من أتباع السبيلين، . .الخ، من هنا يبدأ التجديد، من نشوء الدولة الأموية وليس من سقوط الدولة العثمانية.

إن انشغال جمهرة علماء المسلمين بالردود على الفرق المخالفة لهم كالشيعة والمعتزلة والقدرية والجهمية؛ – وكلهم معارضون لسبيل معاوية- قد سمح لمعاوية بن أبي سفيان أن يدخل في غفلة من العلم والضمير في عموم الصحابة، محتمياً بالنصوص التي نزلت فيهم وهم يقاتلونه وأباه وقومه، فاستفاد من الآيات النازلة في أهل بدر والرضوان بأثر رجعي من النواصب والسلفية المحدثة التي هي نسخة معدّلة ومطوّرة ومموّهة ومهذّبة ومشذّبة ومعلّبة من الفكر الناصبي القديم، بعد أن كان السلف العتيق من أهل العلم والضمير من أهل بدر والرضوان وصالحي التابعين يحذرون من هذا الرجل، وينقلون النصوص الشرعية المصرحة ببغيه وظلمه وفتنته وملكه العضوض، إلى أوامر

---

[1] في ظلال القرآن (2 / 1105) وقد استطرد سيد قطب في الوضع المعاصر، ونسي أن الخلط بين السبيلين قد حدث مبكراً جداً، ذلك الخلط القديم قد دخل في الحركات الإسلامية قبل دخوله في الحركة القومية، وأظن الشيخ سيد قطب يدرك بعض هذا، كما في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام، وقد جابهته السلفية المحدثة في مجتمعنا السعودي بحملة سياسية تستبطن بالمذهب، وحملة مذهبية تتدثر بالسياسة، ولو كان النقد لله لشكرنا هذا النوع، أما أن تتهم الوهابية سيد قطب بالكفير! فهذه طرفة باردة.

أخرى في الحذر منه ومن أمثاله من أئمة السوء، وأثرهم على جوهر الإسلام وواقع المسلمين، وهذا من تنفيذ النبي (ص) لأمر ربه تعالى في الإغلاظ على المنافقين، ذلك الإغلاظ الذي قضمته السياسة من السنة النبوية العتيقة.

النبوة وأسرارها:

ألا يلحظ المسلم أن الأنبياء ما يتبعهم إلا قليل؟ ألا يقرءون: (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) [سبأ: 20] / وأمثالها كثير من الآيات، هل يضمن المسلم من أي مذهب كان أنه من تلك الأقلية المؤمنة؟ ولماذا لم يجعل الله الهدى للأكثرية؟ لماذا لا يضل أقل الناس وليس أكثر الناس؟ هل هذا الضلال للأكثرية على ندار التاريخ الإنساني هو نتيجة نقص في البراهين والأدلة؟ أم نتيجة زيادة في تلبس الإنسان بالظلم والجهل والكبر والحسد؟ الذي يحتج بالأكثريات لم يفهم أسرار النبوة، النبوة لم تأتِ تسأل (أو تشحذ) الناس الهداية، فالله غني عن العالمين، إنما أتت لإبلاغ الحجة والبرهان التي تسهم في علاج النفس من أدوائها ،والدنيا دار غرور، والموعد قريب، فلا تغنكم الحياة الدنيا وما فيها من زينة الكثرة والقوة الزائفة والثناء الرطب من المحيطين والأباعد.. كل هذا زيف وغرور وهروب من الوقفة الصادقة مع النفس، وجموح عن أسرار النبوة..

ومن هنا يجب أن يعرف المسلم أن النبي (ص) لم يكن يخشى على أمته من لاشيء، أو يحذر مما لا يعلم، فهو يعلم حقيقة هذا الإنسان – أي إنسان- وخلق هذا الإنسان وضعفه وظلمه وجهله واغتراره بالكثرة والسيف والقوة – وهي ليست معايير للحق- وتقليده للأقوى، وسهولة تشكله وفق ما يحيط به من ظروف وآراء وعقائد، وقبوله للتناقض، ومعاداته لما يجهله.. الخ

كان علم النبي (ص) علماً كاملاً أو الأقرب إلى الكمال بهذا الإنسان وتخلقاته وصراعاته مع الخير والشر، ومع نفسه ومع الآخرين، هذا العلم النبوي الأقرب للكمال هو علم منحه الله له لأنه نبي وكفى.. وليس دارساً لعلم النفس وأدوائها ولا طرق علاجها ولا التنبؤات بمستقبلها، وإنما هو علم من وحي الله وفضله على نبيه الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وعلى صالحي المؤمنين.

وعندما يحذر أمته من ولاة السوء ويحذر الذين يصدقونهم بكذبهم ويعينهم على ظلمهم[2] فيجب أن نأخذ تحذيره على محمل الجد، وألا نسخر منه لأجل السلطة والمذهب والإعجاب بثناء المحيطين ممن لا عقل لهم ولا منطق ولا بحث ولا هم علمي ولا ضمير إنساني. . كل هذا غرور وزيف يوصل صاحبه إلى حب الظالمين والأقوياء والجماهير والمصالح القريبة . .الخ.

ولكن أكثر الناس من الصحابة فضلاً عن غيرهم، لا يستطيعون معرفة ذلك السر النبوي في النبي (ص) نفسه، نعم لا يعرفون لغز الوحي، وقد لا يرى كثير منهم في تحذير النبي (ص) من شخص أو فكرة أو خلق ما يستحق من احتياط وتيقظ واستعداد وبحث عن أدوات المواجهة، فلذلك ذهب الكثير من تحذيرات النبي (ص) أدراج الرياح، ولم تقدر حق قدرها، ولو قدرها الصحابة – فضلاً عمن بعدهم- حق قدرها؛ لأمكن تجنب الأضرار التي لحقت بدين الإسلام وبواقع المسلمين في عصر الصحابة أنفسهم، من صراع وقتال وافتراق عقائدي وطبقي بقيت آثاره إلى اليوم، نعم من حقنا أن نطرح أسئلة على الجيل الأول، بل إن الجيل الأول هو المسئول الأول عما

---

2 والتحذير النبوي في هذا الموضوع متواتر معنى، مثل حديث: (اسمعوا إنه سيكون عليكم أمراء فلا تعينوهم على ظلمهم ولا تصدقوهم بكذبهم فإنه من أعانهم على ظلمهم وصدقهم على كذبهم فلن يرد على الحوض (أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والطبرانى، والحاكم، والضياء عن عبد الله بن خباب عن أبيه) أخرجه أحمد (111/5، رقم 21111)، وابن حبان من طريق أبى يعلى (518/1، رقم 284)، والطبرانى (59/4، رقم 3627) وقال الهيثمى (248/5) : رجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن خباب، وهو ثقة . والحاكم (151/1،) وقال : صحيح على شرط مسلم . وفي لفظ (اسمعوا هل سمعتم إنه سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ على ظُلْمِهِمْ فليس مِنّي ولست منه وليس بوَارِدٍ عليَّ الحوضَ ومن لم يدخل عليهم ولم يُعِنْهُمْ على ظلمهم ولم يُصَدّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فهو مِنّي وأنا منه وهو وارد عليَّ الحوضَ) وهذا عند النسائى، والترمذى – حسن صحيح غريب – وابن حبان عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ) وغير هذا كثير جداً، وإن لم يكن معاوية من أولئك فمن؟ . . إلى متى نؤخر هؤلاء؟ بل لو ظن أحد إن من زمن هؤلاء هو بعد النبي (ص) مباشرة، لخشينا أن يكون هذا حقاً فكيف بمعاوية؟ فالتغير بدأ قديماً إلا أننا نتجنب الخوض في المشتبهات إلا بعد بحث يجلب اليقين.

جرى من تبدل الأحوال والأحكام، ولا أقول باتهام الجميع وإنما الكثير من أولئك ومع نسب مختلفة أيضاً، تلك الأضرار لم تقتصر على زمنهم، بل امتدت إلى الأضرار الفكرية والسلوكية التي مازلنا ندفع ثمنها إلى يومنا هذا، ولربما نواجه تلك الأضرار بشيء منها، فالفتنة عامة، والنجاح نسبي، والبلاء أوسع وأعمق من أن نأتيه من أطرافه، أو نسيطر على تسربه في الأضداد .

ومع هذا فالنجاة متاحة لمن طلب النور صادقاً وسار فيه جاداً، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، اعرفوا سر النبوة، فالنبوات لا يتبعها إلا قليل، أما الأكثريات فغالباً ما تكون في سكرة التقليد واتباع الآباء وألفة السائد .

التغير الكبير على لسان الإمام علي:

وكم أعجبني كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عندما قال : (وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ[3]، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ! وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ! وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ! وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ، لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ

---

[3] هو زمان معاوية، فهذا القول كله تحقق في زمن معاوية، ومعظم البلاء الثقافي متفرع عن عهد معاوية، فقد تم تأسيس العلوم في عهده بما يجافي الكتاب والسنة، وعندي الإثباتات على كل لفظة لفي كلمة الإمام علي. . ولعل الله ييسر ذلك في المستقبل، وقد شرعت في مقدمة أسميتها (المقدمة السياسية) .

السَّيِّئَةِ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ)[4] اهـ

فعل ترون ملجأً أو منجى بعد هذه الفتن الفكرية المبكرة جداً التي نشأت من أواسط القرن الأول على الأقل؟ إذن فإن هذا أصل البلاء، فمتى يستطيع المسلمون أن يجددوا دينهم انطلاقاً من هذه النظرة الثاقبة التي هي أبلغ توصيف للواقع الفكري والسياسي لما جرى بعد الإمام علي بن أبي طالب (أي في العهد الأموي، وما تبعه متفرع عنه)، وبدون هذا الارتقاء الزمني، سنبقى في معالجة الفساد بفساد، وكل أهل الفكر معرضون للابتلاء، فمن أراد أن يتجاوز الابتلاء بنجاح فليكن حيث يريد الله، وليس حيث يريد معاوية ولا مذاهبه.

هل يختلف المسلمون عن بقية الأمم السابقة؟

الجواب، من حيث قبول الدليل أو رده لا أرى فرقاً . .

بمعنى أعطوني دليلاً واحداً على أن هذه الأمة ستختلف عن بقية الأمم؟ نعم قد تتخلف عن بقية الأمم المعاصرة، لكن أنا أقصد أمم الأنبياء الذين نتفكه بالضحك منهم كلما قرأنا قصصهم مع أنبيائهم، ولعلنا لا نختلف عنهم في شيء إلا أننا أخفى كذباً وأجهل بأنفسنا، وسأعطيكم ما هو أصح منه وأصرح وألصق بالواقع مما يدل على أن هذه الأمة سلكت طريق الأمم السابقة حذو النعل بالنعل، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه[5]، ومع ذلك فقد ينجو القليل جداً – ولا يختص هذا القليل بمذهب، لأن الأمر ليس معلومة بقدر ما هو منهج- ولا تزال طائفة من الناس حجة على من سواهم بقول كلمة الحق وإسماعها، فواجب الشيعي

---

[4] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (1 / 2530) .

[5] بل هذا قد أتى في الحديث من عجة طرق صحيحة الأسانيد ونصه : (جامع الأحاديث - (ج 17 / ص 331): لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟ (أخرجه الطيالسى، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وابن ماجه، وابن حبان عن أبى سعيد / والطبرانى عن سهل بن سعد / و الحاكم عن أبى هريرة) .

نقد الغلو الشيعي، وواجب السني نقد الغلو السني. . وكل ما سوى ذلك من التراشق عن بعد فهو جاهلية البسوس، لأن المذاهب كلها مثقلة بمخالفة النص والعقل، سواء المذاهب الأليفة أو المعارضة، على تفاوت، والمذهب السني بفروعه له النصيب الأوفر من الاستبداد العلمي والسلطاني، ولن يغلب الصالحون على الأمة في وقت ما، ولا عارفو أسرار النبوات، كلا . .فهؤلاء أقلية حتى في عهد النبوة نفسها، فلا تغركم الأكثريات، لا أكثرية الصحابة ولا أكثرية من بعدهم، فالمحقون لا تصلح أن تكون طائفتهم أغلبية في زمن من الأزمان حتى لا تبطل علة الابتلاء والتمحيص، وكنت أظن أن أهل الحق أغلبية في آخر العهد النبوي ثم تبين لي أن النبي (ص) كان في قلة من الأصفياء[6]، أما الأكثرية فغلبوا العصبية واقرءوا سورة براءة بتمعن شديد وهي من آخر السور نزولاً.

مع وجود النص لا قيمة لرأي الصحابة:

---

[6] ولتتذكر السلفية المحدثة توقف النبي (ص) عن بناء الكعبة على بناء إبراهيم عليه السلام، - والقصة في صحيح البخاري- ما السبب الذي تذكرونه؟ أليس خشية من انقلاب قريش؟ هل يجرؤ الطلقاء الذين نجوا بجلودهم من القتل يوم فتح مكة على منع النبي (ص) من إعادة بناء الكعبة؟ أم أنهم سيجدون لهم أنصاراً يعينونهم على النبي (ص) بهذا الفعل؟ وربما يتخذون هذه وسيلة للردة بدعوى أن النبي (ص) يهدم دين إبراهيم وأنه تخلى عن الحنيفية السمحة وتبين لأنه ليس نبياً . .الخ، ألم يستطيلون عمره وينازعونه رداءه في آخر عمره ولا يستطيع دفعهم عن نفسه؟ ألم يمنعوه من كتابة كتاب لا يضلون بعده أبداً؟ ألم يعصوه علانية في التخلف عن جيش أسامة ولبث يدعوهم إلى إنفاذ الجيش 17 يوماً وهم يعصون؟ ألم يقل لهم (ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض إليكم من الشق الآخر)؟ أي أغلبية معه وهو لا يستطيع بناء بيت ولا كتابة وصية ولا منع رداء ولا إنفاذ جيش؟. . إذن فافهموا أسرار النبوة، ولا تصدقوا معاوية ووعاظه بأن النبي (ص) كان مسيطراً وأن كل ما جرى كان برضاه وإرشاده، وأن أصحابه ساروا على نهجه، فهذا غش للنبي (ص)، فقد كان مضطهداً، سواء كان المضطهدون مجتهدين أو عامدين، فالبعض قد يظن أن التخلف عن جيش أسامة كان اجتهاداً، ولكن من آمن بهذا فهذا حقه لكن لن يقنع مخالفيه بذلك، ولا سيما وأن مسألة (الاجتهاد) برمتها اختراع بشري، للالتفاف على النصوص الشرعية، وإنما جهل وعلم، اتباع وعناد، طاعة ومعصية، والحديث طويل.

وعلى هذا فلا حجة لمن يرد النصوص في معاوية بحجة أنه قد ولاه عمر رضي الله عنه، فالنص مقدم على اجتهاد الصحابي، بل على رأي الصحابة كلهم، وسأعطيكم دليلاً بأن أكثرية الصحابة قد تخطيء، فقد يثقون ويوثقون المنافق، وقد يتهمون البريء، فلا يعد اجتماع جمهورهم على أمر معياراً على الحق، فقد تكون هناك أكثرية صحابية أو تابعية على صحة إسلام شخص أو الثناء عليه، ويكون في الواقع أو النصوص غير ذلك، والعكس صحيح.

خذوا مثالاً:

في صحيح البخاري – (7 / 9) بسنده من حديث سَهْلِ بن سعد الأنصاري: (قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قال ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينِ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا اهـ

التعليق:

هذا رسول الله (ص) يعلمنا بأن ما ظهر للناس من فضل فلان أو سوء فلان ليس بالضرورة أن تكون حقيقته عند الله موافقة لما ظهر عند الناس، ولو كان ذلك الشخص من الصحابة الذين لم يظهر نفاقهم ولا سوء سيرتهم، فكيف بمن ظهرت فيه دلائل النفاق وتحققت فيه سوء السيرة؟ فالنبي (ص) هنا يعطينا علماً مختلفاً عن علم الصحابة، وهو دليل أيضاً على أنه ليس كل ما تعارف عليه الصحابة وألفوه يكون حقاً بالضرورة، بل قد يكون الحق فيما هو غريب على جمهورهم، وهذه نقطة مركزية يجب ألا ننساها عند تقييم الشخص أو الحدث، وعلى هذا فلا تقولوا : لم يسبقك إلى تصحيح هذا الحديث إلا قلة، أو لا يوافقك على هذا الرأي إلا قلة من الناس، لأن أكثرية الصحابة أخطؤوا في الرأي – كما في الحديث السابق– وعلى هذا فليس كل من رآه الصحابة فاضلاً يكون فاضلاً في الواقع، فكيف بمن اتهمه كثير من السابقين؟ لا سيما مع وفرة النصوص، ويتبع هذا بالضرورة أنه ليس كل من عدله

الصحابة يكون عدلاً في الواقع، ولا كل من جرحوه يكون مجروحاً . . الخ، فافهموا هذا التعليم النبوي حتى يفيدكم في اختيار النص إذا تعارض مع أكثرية الناس حتى لو كانوا صحابة.

لا قيمة لرأي التابعين إذا خالف النص:

ونرتب على هذا خلاصة تقول: من باب أولى أن نعقل أنه ربما يكون الشخص عدلاً عند التابعين وأهل الحديث ثم يكون واقعه عند الله غير ذلك. . مع أن معاوية ليس كذلك، ولكن بعضهم قد افترى له فضائل على ألسنة التابعين والعلماء فأحببنا قطع الحجة من أصلها، لأننا نرى هنا بكل وضوح – أعني في الحديث السابق– أن الصحابة أخطئوا في تقييم الرجلين (وكان حكم الرجلين عند الله عكس ما رآه الصحابة) فلماذا إذن نظن أن بعض التابعين أو مذهباً من المذاهب الأليفة أو المعارضة سيكون مصيباً في تقييم الأشخاص والأحداث؟

فالقضية هي القضية، والله ورسوله يضربان لنا الأمثال حتى نعقل، ولكننا نأبى إلا أن نقلد من لم يأمرنا الله ورسوله بتقليده، ومن هنا ضرورة البحث الجاد عن النص الشرعي إن وجد، أو تلمس ما يشبه النص الشرعي عند من لا تأخذهم في الله لومة لائم، وخاصة أولئك المستضعفين من الصحابة والتابعين وأهل العلم، فالحق عندهم أكثر من الحق الموجود عند الجمهور وأهل العلو في الأرض، لأن الابتلاء يقوم على أساس مقاومة القلة المؤمنة والعاقلة للأكثرية المستبدة أو الجاهلة أو الغافلة، هذه سنة الله في خلقه، وتتبعوا كتاب الله وانظروا هل هذه من سنن الله في تمحيص الناس أم لا؟ فهذا سر من أسرار سنن الله رغم إعلانه في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو متفق مع العقل والواقع، إلا أن الذهول والسكرة المذهبية الطويلة تحول دون رؤية الشمس، وهل تظنون أن آيات بني إسرائيل التي كفروا بها كانت خفية أو مشتبهة؟ فلماذا عبدوا العجل بعد آية اجتياز البحر؟ اسألوا أنفسكم. . لماذا؟ والجواب الصحيح على السؤال سيساعدكم في فهم كثير من الأمور وإعادة تقييم كثير من الأشخاص والأحداث.

معرفة حقيقة معاوية صعبة:

ومعرفة حقيقة معاوية هي عملية صعبة جداً، لأن الناس لم يفهموا حتى الآن هذه المقدمات الأساسية، كبطلان الاحتجاج بالكثرة أو الاحتجاج بما ورثه أكثر التابعين عن كثير من الصحابة، أو الاحتجاج بما اتبع فيه الخلف

سلفهم، أو طاعة الرأي العام، أو الألفة بما تداوله الآباء عن الأجداد . .الخ، فاستبعاد هذه العوائق صعب على النفس البشرية، وبسبب هذه الصعوبة نجد أن الله قد كرر هذا المعنى في القرآن الكريم، - أعني النهي عن الاحتجاج بفعل الآباء والأجداد- ولعل الله كرره حتى يزول تكون الحجة على الجميع، وهذه طبيعة الوحي، فهو يكرر الأمور التي لها أثر مستقبلي، أو لا يستغني عنها الناس ولا ينفكون عنها ، ولا يكرر الله شيئاً ثم يبطل بالتقادم، لم يذكر الله لنا قصص بني إسرائيل من باب المتعة الروائية، ولا قصص الأنبياء مع أقوامهم حتى نسخر منهم، كلا . . فأكثر الساخرين منهم إنما يسخرون من أنفسهم ولكن لا يشعرون، فهم يسخرون ممن ساروا على نهجهم فما الفرق؟ الفرق أنهم ظنوا أن الكلمة أو الطقوس تخرجهم من العموم! إنهم كالذي كان يعبد عشرين صنماً فيتخلى عن عبادة عشرة أصنام ويبقي على عشرة ويظن أنه قد اهتدى هداية كبيرة! ويسخر ممن بقي على عبادة العشرين [7].

ربما ساخر منهم هو ساخر نفسه، وكأنهم يرون أن ثلاثة وعشرين سنة فقط تحتاج إلى هذه القصص عن الأنبياء وأقوامهم، أما من بعدهم فلا يحتاجون؟ كلا كلا . . هذا من فتنة السلطة وعلمائها ، والنفس وأهوائها ، ومن آثار الإعراض عن تدبر كتاب الله والصدوف عنه .

إذا ضاعت المقدمات فلن تبقى التفاصيل:

[7] أنا هنا لا أكفر مسلماً سواء كان صادق الإسلام أو منافقاً ، وإنما هذا إطلاق مجازي، والأصنام المعبودة ليست خاصة بالمجسمات، فعبادة المذهب والرأي العام لا تقل خطورة عن عبادة المجسمات، لأن النتيجة واحدة، وهو الظلم للآخرين والتزكية للنفس، وتشريع سفك الدماء المعصومة، ولا أظن قريشاً سفكت من الدماء المعصومة كالذي سفكه المتمذهبون، هذه ترجمة للحديث (لتتبعن سنن من كان قبلكم) فكثير من الناس يغريه تزكيته لنفسه ومذهبه بهجاء الناس ووصمهم بالشرك، وهو في هذا الاتهام – وبمنهجه- يكون مشركاً ، لأنه مثلما الآخر عبد غير الله بالذبح، فهذا عبد غير الله بالشهادة للمذهب لا لله، وعندما مشى على ما وجد عليه الآباء والأجداد من ظلم الآخرين وتزكية النفس والتشريع لظلم الناس وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق الذي قرره القرآن نفسه؛ وليس الحق الذي قرره المعبودون من السلف الصالح والطالح .

وبضياع المقدمات العاصمة من الأخطاء الكبيرة، لا بد أن يكون لها ذيولها الطويلة، ومن أعرض عن ذكر الله تقحم في الضنك والعنت، لأنه اختار أن يرضي الله كاذباً ويرضي الناس صادقاً، وعلى هذا ستضيع منارات الهدى، والحق ثقيل، والشذوذ عن الرأي العام متعب، فهو طريق لا يسلكه إلا الأنبياء – أعظم الناس بلاءً – ثم الأمثل فالأمثل، لأن نصرة الحقيقة الغريبة والنفور عن أعدائها – وهم أكثر الناس وأشرافهم– أقسى على النفس البشرية من الرضا بالقليل وتمني على الله الأماني (أحسب الناس أن يدخلوا الجنة) ببلاء دون بلاء أنبيائهم؟ هل هم أكرم عند الله من الأنبياء ؟

وذلك ستجدون أن الوهم يتكرر في تصحيح الضعيف لأن الناس يحبون هذا الضعيف، وتضعيف الصحيح لأن الناس لا يحبون هذا الصحيح، فليس هناك معيار علمي في التصحيح والتضعيف وإنما هو الأنس الرأي العام ونصرته، فهو أقنع للنفس وأيسر في المؤونة وأنشر للثناء وأحصن للنفس والمال والأهل .

تفنن بعض العلماء في تعطيل النص الشرعي:

قال تعالى عن سلف المسلمين – بني إسرائيل– (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) [البقرة]، هؤلاء السلف هم السلف لجميع المسلمين بدليل (لتتبعن من كان قبلكم) . . والصفات في هذه الآية لأولئك نراها بأم أعيننا في أكثر العلماء قديماً وحديثاً، وصدق رسول الله، وهذا الحديث في اتباع سنن من كان قبلنا هو سنة الله في خلقه، إذ لا يتبع الأنبياء إلا القليل من أقوامهم وأممهم، أما الأكثرية فمدّعون ومنتحلون صفة .

وقد تفنن العلماء في تحييد النص الشرعي كما فعل بنو إسرائيل ووضعوا القواعد المعيقة له، وكفوا أتباعهم مؤونة تجشم الإيمان بهذا النص الشرعي أو ذاك؛ إذا كان النص مزعجاً لواقعهم وعوائدهم الفكرية، فالمهم هو نصرة الواقع والألفة المعتادة وليس نصرة الحقيقة الغريبة، فلذلك قد يتركون شطر القرآن بتعليل شيخ أو تحسين حديث أو خصومة فقيه، والنفس تواقة إلى الراحة والدعة، وكأن بعض الناس يفهم من الدين أن الله خلقنا لنسبحه ونحمده فقط ! مع أن هذه يفعلها الحيوان والجماد (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) فما الفرق

إذن؟ هل المطلوب من الإنسان هو ما يفعله الجماد والحيوان؟ إذن فلماذا لم يخلق الله الإنسان جماداً أو حيواناً؟ لماذا خُصّ بالعقل والقلب؟ وأرسلت له الرسل؟[8] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد : 25] هذه هي الوظيفة التي غيبها فقهاء السلطة عن المسلمين، لأن العدل أصعب من التسبيح والانفراد العبادي الذي يفعله الحيوان والجماد، نعم العدل في القول والعمل والحكم والرأي. .الخ، صعب جداً، ولذلك فقد أراح فقهاء معاوية المسلمين ونقلوهم من التدين الإيجابي المنتج للعدالة إلى التدين السلبي المنتج للظلم، وهذا أبدع ما توصل إليه إبليس وأشياعه.

النص الشرعي لا يكفي للوصول إلى القناعة:

النص الشرعي وحده لا يكفي للوصول إلى الاقتناع، لأنه لا بد له من مستقبل يحسن الاستقبال، فإن عذرناهم في النص قطعي الثبوت ظني الدلالة (سورة الكافرون مثلاً)، أو في النص قطعي الدلالة (كحديث: يموت معاوية على غير الملة) لأنه ليس قطعي الثبوت، فماذا نفعل معهم في النص إذا كان قطعي الثبوت والدلالة (كحديث الفئة الباغية)؟ هنا نجد أمراض النفوس من التعصب والهوى والتقليد عوائق أمام هذا النص الشرعي قطعي الدلالة والثبوت، فيتم اختراع دعاوى ظنية الثبوت أو دعاوى ظنية الدلالة وكأن النبي (ص) ليس أفصح من نطق بالضاد! فلا يظن أحد أن الخلاف هو في الأدلة فقط، كلا. .

إصلاح النفوس والعقول قبل النص الشرعي:

---

8 هذه أسئلة لم تطرح من قبل؛ إلا عند خاصة الخاصة، فهي أسئلة غريبة على الثقافة الشعبية وإجاباتها عند الناس أغرب منها! وأكثر الناس يجيبون قبل السؤال! وقد يأخذون إجابة لفظها صحيح ومعناها غائب، والمقلدون لا يحبون طرح هذه الأسئلة أصلاً، لأن الشيطان يوحي إلى أوليائه ويعلمهم قطع الطرق المؤدية إلى اكتشاف أنفسهم واكتشاف جرائمهم في حق الله ورسوله وكتابه وخلقه.

الخلاف في النفوس والعقول والأهواء أيضاً . . ولذلك نجد بعض النواصب من السلفية المحدثة يجعلون من لعن النبي (ص) لمعاوية فضيلة لمعاوية . . فالنص الشرعي لم يجلب لهم هنا فائدة، لأن جهاز الاستقبال معطل، فأنت أمام قلب أعمى وعقل معطل ولست أمام دليل ملتبس أو يشكك خصمك في ثبوته أو دلالته .

انظر إلى قوله تعالى (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) [البقرة]

إذن فليست المشكلة عند هؤلاء هو أنهم لا يثقون في دليل المخالف لهم أو أن عقولهم تضيق عن فهمه، وإنما هم يعقلون الدليل ويعلمون أنه حق لكن مشكلتهم في النفس أو الهوى أو العصبية . . وأنا أتعجب من كثرة نسيان هذه العوائق عند من يكتب في الأدلة ودلالتها وكأن مشكلة الدليل كامنة فيه مطلقاً ، وكأنه ليس للمستقبل لهذا الدليل أمراضه وأهواؤه ؟ كأن الدليل هو المشكلة دائماً لعدم ثبوته أو وضوحه، نعم بعض الأدلة ضعيفة الثبوت أو الدلالة ولكن ليس كل الأدلة .

لا بد من مراقبة النفس قبل كمراقبة صحة الدليل من عدمه، وهذا الكلام للخاصة فقط . . فهم الذين يوجهون العامة و العامة أمانة في أعناق الخاصة، فلا يجوز أن يخفوا عليهم المعلومات، وخاصة الدينية أو المؤثرة فيها .

فأما المعلومات الدينية فواضح في تحريم كتمان ما أنزل الله، وأما في المعلومات المؤثرة على الدين فمثل معلومات التاريخ .

خطورة تحسين صورة الظالمين:

خطورة تحسين الظالمين أسوأ من خطورة ذم الصالحين، لأن من يخطيء في ذم صالح سيجد صالحاً آخر يتأسى به، أما من حسن صورة ظالم فسيصاحبه هذا التحسين ويبطل عليه كل تأسي بالصالحين، لأن المسألة هنا تكون وسطاً بين الظلم والعدل على أقل تقدير، فعندما نخفي مظالم أحد الظالمين ونبث المفتريات في فضله، نكون قد جملناه في أعين العامة، وكذلم عندما نضعف الأحاديث الصحيحة في ذمه والإغلاظ عليه، فهذا يعني أنك تجعله قدوة يؤخذ منه الفقه والحديث والعقائد ، فتزكيه وتزكي من أحاطوا ببلاطه وانتشروا عن رأيه وتدبيره، ويكون هو

ومنهجه محل تزكية ورضا وعلم وفقه وصلاح. .الخ، والعامي لا يعرف إلا أن الصالح محل قدوة والظالم عكس ذلك، ولا يعرف أن النص الشرعي وحده هو الواجب الاتباع.

ومن هذا الباب يقع المسلمون بسنتهم وشيعتهم في خلل كبير، وهو تركيزهم على محاسن من يحبون وإغفالهم مساويء من يكرهون، وأهل السنة يكثرون من تزكية الظالمين من باب المعاندة للشيعة، والشيعة يكثرون من الغلو في الصالحين والتشكيك في بعض الرموز من باب معاندة السنة، لكن قلما أن تجد الشيعة يثنون على ظالم، نعم قد يظلمون بعض الصالحين إلا أن الثناء على الظالم في مذهبهم قليل، فلذلك يبقى القليل ممن يقتدون بهم صالحين، وهذا القليل المستبقى كاف في رفع سقف القدوة، بينما نحن أهل السنة نكثر من الثناء على السلاطين وحاشيتهم وولاتهم وعلمائهم ووعاظهم وقصاصهم وقضاتهم فيكثر عندنا الثناء على جملة وافرة من الظالمين وربما المنافقين من باب التوسع في الرد على الشيعة، فيتحول التاريخ السني ورموزه إلى دين، يؤخذ منه القدوة والشرع والسلوك، ويصبح للسني الحق والحرية المطلقة أن يتبع رسول الله (ص) أو معاوية، فكلاهما من أولياء الله الصالحين! وهنا مقتل المذهب السني وضعفه، وقد يكون ما أقوله هنا أخص بالمذهب السلفي، فالثناء على الظالمين فيه أكثر بكثير من بقية مذاهب السنة.

وقد رأينا في ثورة مصر الأخيرة كيف أن شيوخ السلفية المحدثة ودعاتها كانوا مع الظالم ثم إذا انتصرت الثورة ركبوها وباركوها وكأنهم مصابون بـ (زهايمر جماعي) ! ينسون جرائمهم ويضخمون أخطاء الآخرين، وهم هكذا على مر التاريخ، عند الحقيقة هم أخفى من دبيب النمل، وعند الدعوى هم أظهر من زحف الدبابات، وهكذا عاشوا بين الأمة أسياداً، لهم الكرسي الثاني، مجرحين ومعدلين، مفتين في دماء الناس وأموالهم وحقوقهم، والأمة لا تحاسب منافقاً ولا كاذباً ولا متلوناً وإنما يتاح لهؤلاء الملوّنين فيما بعد محاسبة الصادقين والمظلومين.

خدعة سلفية شائعة:

هناك وهم كبير يقع فيه كثير من الشباب من طلبة العلم.. فشيوخهم يوهمونهم أنهم بهذا التورع عن نقد مثل الحجاج أو معاوية أو يزيد بن معاوية أو أمثالهم من كبار الظالمين إنما يفعلون هذا لأن الله غفور رحيم! ولأنهم لا

يعرفون بماذا ختم الله لهم! وأنهم متأولون مجتهدون يريدون وجه الله! ولكن الاجتهاد يخطيء ويصيب! وأن المسلم مأمور بحسن الظن. .الخ، وهذا كله خداع. . فهؤلاء المتورعون عن الظالمين هم من أظلم الناس للصالحين وأشدهم تكفيراً للمسلمين وأسفكهم للدماء وأكثرهم شرعنة لظلم السلاطين. .الخ

فأين حسن الظن؟ وأين التورع عندما نراهم يحكمون على نيات الناس بأنهم يريدون محاربة الله ورسوله؟ أين هذا الورع عندما نراهم يحكمون على أبي حنيفة بالكفر والفسق والزندقة؟[9] وأين هذا التورع في الحكم على بعض أهل بدر بالنفاق (كإجماعهم على اتهام معتب بن قشير الأنصاري بالنفاق مع أنه بدري! في كثير من أهل بدر والرضوان ذموهم وتسالموا على ذمهم وتضعيفهم)، فهؤلاء المتورعون عن ذم الظالمين هم من أوقع الناس في

---

[9] فهذا عبد الله بن أحمد بن حنبل يسوق في كتابه (السنة 1/184– 210)! ومعنى السنة عندهم يعني العقيدة التي يجب أن تعتقدها أنت أيها المسلم في الإمام أبي حنيفة أنه (كافر، زنديق، مات جهمياً، ينقض الإسلام عروة عروة، ما ولد في الإسلام أشأم ولا أضر على الأمة منه،، وأنه يكيد الدين!! وأنه نبطي غير عربي!!، وأن الخمارين خير من أتباع أبي حنيفة!!، وأن الحنفية أشد على المسلمين من اللصوص!!، وأن أصحاب أبي حنيفة مثل الذين يكشفون عوراتهم في المساجد!! وأن أباحنيفة سيكبه الله في النار!!، وأنه أبو جيفة!! وأن المسلم يؤجر على بغض أبي حنيفة وأصحابه، وأنه لا يسكن البلد الذي يذكر فيه أبو حنيفة؟!، وأن استقضاء الحنفية على بلد أشد على الأمة من ظهور الدجال، ويرى السيف على الأمة، ولو كان خطؤه موزعاً على الأمة لوسعهم خطأً، وأنه يترك الحديث إلى الرأي، وأن مذهب الحنفية هو رد أحاديث الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنه يجب اعتزاله كالأجرب المعدي بجربه، وأنه ترك الدين، وأن أبا حنيفة وأصحابه شر الطوائف جميعاً، وأنه لم يؤت الرفق في دينه، وأنه ما أصاب قط! وأنه استتيب من الكفر مرتين أو ثلاثاً، واستتيب من كلام الزنادقة مراراً، وأن بعض فتاواه تشبه فتاوى اليهود، وأنه ما ولد أضر على الإسلام من أبي حنيفة، وأن الله ضرب على قبر أبي حنيفة طاقاً من النار، وأن بعض العلماء حمدوا الله عندما سمعوا بوفاة أبي حنيفة!)، وأنه يرى إباحة شرب المسكر وأكل لحم الخنزير،، وأن كثيراً من العلماء على جواز لعن أبي حنيفة، وأنه كان أجرأ الناس على دين الله، وأن أبا حنيفة يرى أن إيمان إبليس وإيمان أبي بكر الصديق واحد، وأن بعضهم كان يقول: إني لأرجو أن يدخل الله أبا حنيفة نار جهنم!!) اهـ مختصراً! فهؤلاء الذين يقولون هذا الكلام – في الإمام الفقيه الورع أبو حنيفة – هم الذين يتورعون عن ذم معاوية والحجاج وأمثالهم! فلا ينخدعون لشيوخكم مثلما هم انخدعوا لمثل هؤلاء المتورعين!

الصالحين، فإما أن يكون ورع هؤلاء عاماً في الصالح والظالم، في الناصبي والشيعي، في المجسم والجهمي، أما إن سمحوا لسلفهم بالطعن في أهل بدر فلا أقل من أن يفسحوا لنا المجال لاتهام دعاة النار.

أوقفوا الغلو في الظالمين أولاً . .

هؤلاء اشغلونا بالنهي عن الغلو في الصالحين، مع حملهم راية الغلو في الظالمين، ونقول لهم: أوقفوا الغلو في الظالمين حتى نشارككم في النهي عن الغلو في الصالحين، فهؤلاء المتورعون عن نقد معاوية وأمثاله ممن سفكوا دماء أهل بدر والرضوان في طلب الملك لا نجد هذا الورع في الاعتذار عن آخرين لم يسفكوا دماً حراماً ولم يبخسوا الناس أشياءهم كرؤوس المعتزلة مثلاً فقد كانوا من أعبد الناس وبضاعتهم اللسان فقط في نصرهم العدل والتوحيد وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وفق رؤيتهم.

والسلفية المحدثة يحكمون على بقية فرق المسلمين بالنار خالدين فيها، الصالح منهم والفاسد، الفقيه والعامي. . بينما إن وجدوا من يحكم على الحجاج بالنار لظلمه وجرائمه هرعوا ليقولوا: لا تتألَّ على الله! فلعله قال (رب اغفر لي خطيئي يوم الدين)! وكأن الجهمية والشيعة والمعتزلة والإباضية والزيدية وأبو حنيفة لا يقولون ذلك! كأنه لا يستطيع أن يستغفر الله إلا من كان ناصبياً وسافكاً للدم الحرام! وهؤلاء المتورعون من نواصب السلفية المحدثة لا نرى ورعهم تشتد زرقته ويعلو صهيله إلا إذا اقترب الوعيد من الظالمين! أما الصالحون فإلى جهنم وبئس المصير، بل يرفضون مجرد احتمال نجاتهم في المعاد! فنكتشف آخر الأمر أن هذا الورع الكاذب لا يستفيد منه إلا المجرمون، ونكتشف أنه ورع خبيث يدور على المذهب لا على الدين والإسلام، له وجه نبي ولغة ولي وقلب شيطان، فاحذروا هؤلاء المتورعين عن ذم الظالمين، فإن احتجوا بشيء فاذكروا لهم المعتزلة مثلاً واسألوهم هل هم عند سلفكم من أهل الجنة أم من أهل النار!

فتوى نادرة لقاضٍ يعرف عدل الله:

زعموا أن رجلاً حلف بالطلاق إن لم يكن الحجاج في النار! ثم أتاه هؤلاء المتورعون وشككوه بأن زوجته طلقت منه! فذهب إلى قاضٍ مستفتياً - وكان القاضي حصيفاً واعياً -

فقال القاضي:

أمسك عليك زوجك. . فإن لم يدخل الحجاج النار على ما فعله فلن يضرك الزنا ! اهـ

بهذا الوعي والاطراد نريد أن يكون هؤلاء المتورعون، نريد من يعرف أن الله عدل، لا يظلم الناس شيئًا، وأم ميزانه واحد، فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية سواء كان من مذهبنا الأليف[10] أم من المذاهب المعارضة التي نسميها هالكة! ومن خفت موازينه فأمه هاوية، سواء كان سلفياً أم شيعياً، ولو أن بائع خضروات كان عنده ميزانان لاتهمناه بالظلم، بينما يزعم هؤلاء أن لله أكثر من ميزان، ميزان ذهب للسلفية المحدثة، وميزان حديد صلب لبقية المذاهب! وما قدروا الله حق قدره.

كل شر يتفرع من الجهل بالله

وكل خير يتفرع من العلم بالله.

الحرية مطلب لذم الشياطين وللثناء عليهم!

نحن مع حرية التعبير ولا نمنع أحداً أو نفتي بمنعه من أن يحسن الظن حتى بالشيطان الرجيم، ولكن ليتركوا لنا فرصة ذم الشيطان وأولياءه فقط، أما أن نجد المكتبات عقيمة من ولادة أي كتاب في ذم أولياء الشيطان، مع كونها حبلى بالتوائم بعد ولادتها مئات الكتب في تكفير الصالحين من الأمة واستحلال دمائهم، فهذا الخلل الكبير بين الدين والمذهب هو الذي أدخل المسلمين في هذا النفق المظلم منذ أن غادر النبي (ص) هذه الدنيا (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ [الحجرات])، فما مات النبي (ص) أتى العنت شيئًا فشيئاً، ونحن لا نحب أن نخوض في الأخطاء التي حدثت في عهد الخلفاء من قبل، فلا نتوسع في بحث شرعية قتال مانعي

[10] السلطان الظالم له مجموعة من المذاهب الألفية التي رباها السلطان وحضنها ونصرها على خصومها ونشأت في كنفه، فهي كالحيوانات الأليفة التي تتعلم الوفاء لسيدها حتى وإن ركبها وأجاعها وأكل لحمها وحرمها الرعي في حمى كليب، أما الحيوانات الوحشية فهي للصيد فقط! بلا رعاية للحياة الفطرية، وأكثرها انقرض لكثرة الصيد في المواسم المختلفة، فلكل موسم فرائس وطرائد، وغالباً لا يصيد السلطان الحيوانات الوحشية إلا باستخدام الحيوانات الأليفة كالخيل والصقور والكلاب.

الزكاة وحقيقة هذا المنع هل هو للزكاة نفسها أم لامتناعهم عن سلطة يشكون في شرعيتها ؟ وهل جرت بعضها لردة فعلاً أم لأن القائد العسكري للخليفة تجاوز كما فعل في بني جذيمة؟ وهل كانت ردة كندة ردة حقاً ؟ أم كانت بسبب أخذ كرائم أموالهم؟ إلى غير ذلك من النقائص البشرية التي لحقت بعض صالحي الخلفاء .

العلم بسبيل المجرمين من أوكد العلوم !

نحن لا يهمنا الفصل في المشتبهات، إنما مهمتنا أن نطرق الواضحات، وذلك عندما تُستحلُّ الحرمةُ وتُهدمُ الكعبة وتُستباحُ المدينة ويُذبح أسباط الأنبياء وتُنصب رؤوس أهل بدر على أسنة الرماح، ويُلْعَنُ أهلُ البيت على المنابر ويُنبش قبور شهداء النبوة. .الخ، هذه هي الحقائق التي يجب أن نتعامل معها ونبني عليها تقييم المواقف والأحداث والأشخاص، وهي التي يتورع هؤلاء عن كشفها ويمنعوننا من كشفها ليحموا سلفاً مستتراً تحت السلف المنتحَل، ولو كشفنا هذا السلف المستتر لاستبانت سبيل المجرمين وأمكن اجتنابها ، ولتوسعت العدالة وارتقى الناس في مسائل حرية التعبير وحقوق الإنسان والإقبال على معرفة دين الله بحيث يتم رفعه عن الاستخدام السلطاني والابتذال المذهبي ويعود الظالم مسئولاً عن ظلمه في الدنيا قبل الآخرة، هذه هي قضيتنا ، وهؤلاء هم من يريدون منعنا من إيضاحها ، ربما بحسن نية وتقليد ، وربما بسوء نية ليبقى الشرع والدين من جملة الخدم والأتباع، نعوذ بالله من هذه العبادة للظالمين .

وكما قلنا في البحوث الأخرى (في دراسة الدبيلة ونحوه) نؤمن بأن النبي (ص) لم يترك أمته هملاً، وأن من واجبات النبي – أي نبي– ألا يفارق الدنيا حتى يترك أصحابه على المحجة البيضاء، وأنه سيحذرهم من المضرين بدينه وسلطان أمته، تحذيراً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، وأنه إن حصل هذا الغموض فليس منه، وإنما من الناس، ولا نشك أن التحذير ممن غيروا دينه حتى أصبح خادماً للظالمين نافراً من العقل مستهيناً بالحقوق أولى بكثير من التحذير من كل دجال محتمل وكل متنبيء كذاب. . هذا واجب فطري وعقلي على كل نبي، فإذا لم تجدوا هذا التحذير والبيان صريحاً فاعلموا أن النبوة بريئة من هذا الخلل، وان الناس هم المسئولون عن ذلك، سواء كانوا أهل علم أو أهل سلطة أو هما معاً .

النبي (ص) يكشف الأسرار !

وسنختار ما رواه النواصب من أهل الشام كقبيصة بن ذريب عن حذيفة ومما رواه أحد الحنابلة ليكون أبلغ في الحجة، مع أنه ليس أقوى ما روي عن حذيفة، ففي سنن أبي داود – (4 / 151): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِس حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا ابْنُ فَرُّوخَ أَخْبَرَنِى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَخْبَرَنِى ابْنٌ لِقَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ عن أبيه قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : (وَاللَّهِ مَا أَدْرِى أَنَسِىَ أَصْحَابِى أَمْ تَنَاسَوْا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِىَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاَثَمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ) اهـ[11].

---

[11] وهذا وإن كان فيه ضعف، إلا أن الأحاديث عن حذيفة في هذا المعنى متواترة، وكثيرة جداً، وهذه جملة منها، ففي جامع الأصول من أحاديث الرسول – (ج 1 / ص 8989): (خ م د) حذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما – قال: « قامَ فينا رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– مَقَاما، فما تَرَكَ شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيامِ الساعةِ إلا حدّثه، حَفِظَه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه ». أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود/ وفي المسند الجامع – (ج 11 / ص 269)، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ , أَبِي وَائِلٍ , عَنْ حُذَيْفَةَ , قَالَ:قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَقَامًا , مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ , إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ , إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ , حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ , وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلاَءِ , وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ , فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ , كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ , إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ/ وفي رواية : لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ , فَرَآهُ فَعَرَفَهُ، أخرجه أحمد 385/5(23663) و401/5(23797) قال : حدَّثنا وَكيع، عن سُفْيان، وفي 389/5(23698) قال : حدَّثنا عَبْد الرَّزَّاق، أنبأنا سُفْيان، و"البُخَاري" 154/8(6604) قال : حدَّثنا مُوسَى بن مَسْعُود، حدَّثنا سُفْيان، و"مسلم" 172/8(7366) قال : حدَّثنا عُثْمان بن أَبي شَيْبَة، وإِسْحَاق بن إبراهيم. قال عُثْمان : حدَّثنا، وقال إِسْحَاق :

وهذا لا يعني أن النبي (ص) أخبرهم بالآلاف من قادة الفتن، وإنما يعني برؤوسهم المتبوعين إلى انقضاء الدنيا، فمعاوية مثلاً هو قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا، وكل فتن يزيد بن معاوية وزياد ابن زياد ومروان وبني مروان ثم النواصب والسلفية المحدثة برموزها والوهابية . . الخ، كل هؤلاء قائدهم معاوية، فعندما يذكره فإنه كاف عن ذكر رؤوس الفتن التابعة لفتنته، فلا يظن أحد أن النبي (ص) جلس يسرد أسماء قادة الفتن إلى يوم القيامة فهذا غير معقول، وإنما يذكر الرؤوس الأولى الذين تتفرع عنهم فتن ولهم أتباع يمتدون إلى يوم القيامة، نعم قد يشرح فتنة هذا الرأس وكيفيتها وثقافتها . .الخ وهذا ما نراه واضحاً في أحاديث الفتن، وهذا ابتلاء يبتلي الله عباده بهؤلاء، هل يخضعون لهم فيسقطون في الابتلاء، أم يقاومونهم ويعزلونهم فينجحون، فلا بد من الاستجابة الكاملة لله ورسوله، حتى تبقى الحيلة في الأمة والناس (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25) [الأنفال : 24، 25])، فإذا أمر النبي (ص) بقتل معاوية إن رقى المنبر مثلاً . . فهذا ابتلاء، إن تم تنفيذ الأمر أتت حياتهم، حياة قلوبهم ودينهم ودنياهم، وإذا عجزوا وفشلوا وخشوا حماته وأحلافه خابوا وخسروا وأصابتهم الفتنة.

كشف الأسرار لتحقق معنى الابتلاء:

وقد ذكرنا في أبحاث سابقة أن التمحيص والابتلاء والاختبار من غايات الله الكبرى في خلق الإنسان، فالله لا يريد من الإنسان جسده، وإنما قلبه وعقله وحسه المرتبط بهما، أما الجسد فهو منفّذ للعقل والقلب والحس، الجسد موجود في الفيل والجبل والشجر والحجر، ليس مراد الله من الإنسان أن يبقى عابداً بجسده دون قلبه وعقله، كلا . . الله يمحص الإنسان فيما يختلف فيه عن غيره وليس فيما يتفق فيه مع سائر المخلوقات، وهذا المعنى

أخبرنا جَرِير، وفي (7367) قال : حدَّثناه أبو بَكْر بن أَبي شَيْبَة، حدَّثنا وَكِيع، عن سُفْيان. و"أبو داود" 4240 قال : حدَّثنا عُثْمان بن أَبي شَيْبَة، حدَّثنا جَرِير، كلاهما (سُفْيان، وجَرِير) عن الأَعْمَش، عن شَقِيق، فذكره.

عملت ثقافة معاوية وأتباعه على إهماله تماماً حتى لا ينتبه الإنسان لهذه السنة الإلهية في خلقه، وإلا فأين ذهبت معاني الآيات فيه وهي آيات تبين عظمة هذه الغاية تأملوا قوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، [هود : 7]

فهل تظنون أن الابتلاء هو في الإعاقة البدنية والفقر؟ . . اسمعوا الآية الأخرى ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ[12] /فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ/ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) [المائدة])

والآن اسأل نفسك ما هو أعظم شيء أعطاه الله للإنسان؟ وميزه عن سائر المخلوقات؟ لا ريب أنكم تجمعون أن أعظم ما أعطاه الله للإنسان العقل والقلب والحواس، حتى حواس الحيوانات ليس كحواس الإنسان لارتباطها بالغريزة وليس بالعقل والضمير (القلب)، إذن فإذا كان هذا أعظم من المال والمنصب والسمعة فاعلم أن الابتلاء

---

[12] السمع والبصر والعقل والقلب (الضمير)، هي مواطن الابتلاء الأولى وهي في الغني والفقير، الشريف والضعيف،، ويأتي في الدرجة الثانية المال والمكانة والدنيا بزينتها والصحة . . .الخ، فلا يعقل أن يكون الابتلاء في مسائل الدرجة الثانية دون الأولى، وكل ما آتاك الله فهو محل للابتلاء، ويكون النجاح في اجتياز الابتلاء هو معرفة وظيفة هذه النعم أولاً، ثم تفعيلها، فوظيفة السمع أن يسمع والبصر أن يبصر والعقل أن يعقل والقلب أن يحيا (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23) وشكرها تفعيلها لتؤدي وظيفتها، وكذلك وظيفة المال أن يعطى منه للمستحق (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [الذاريات)، والسلطة أن تعدل والمكانة أن توظف في نصرة الحق والخير. .الخ، وهذا مبثوث في كتاب الله، وهذا عزاء من نقصه شيء من هذه النعم، كمن فقد السمع أو البصر أو العقل، لأنه بهذا يكون الله قد كفاه تلقائياً أمر الابتلاء فيما فقده، وتصبح نتيجته خيراً له، قال تعالى : (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) [الحديد]، فعلى عدد النعم يتعدد الابتلاء، وعلى قدر النعم يعظم الابتلاء .

سيكون فيه أعظم من غيره. كما في الآية السابقة (ليبلوكم فيما آتاكم)، كل ما آتاك الله سيبتليك فيه ويمحصك فيه ليعلم هل تجعله لله أم للرأي العام والناس والمذهب . .الخ

إنه معنى دقيق جداً فتدبروه. . ولكن هذا المقطع من هذه الآية أول اختبار وتمحيص، فجربوا أن تعطون لله من عقلكم وضميركم وسمعتكم ومنصبكم وجاهكم. .الخ، وتذكروا بأن الله ابتلى الصحابة في المواطن كلها في مكة وبدر وأحد والأحزاب وحنين وتبوك بل حتى أثناء حجهم لن يتركهم وابتلاهم بالصيد (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [المائدة : 94])

تصوروا أهمية الابتلاء والتمحيص. . إن الله لم يترك الصحابة للابتلاءات السابقة بل أخبرهم بابتلاء في آخر عهد النبوة،كما ابتلى أصحاب موسى عليه السلام بعد شق البحر لهم وظنهم أنهم قد نجوا من فتنة فرعون! مما يدل على أن الابتلاء يصاحب المسلم ولا يظن أنه إن نجح في ابتلاء فإن الله لن يبتليه مرة أخرى. . كلا،

ثم انظروا إلى علة هذا الابتلاء (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ! هذا هو سر الابتلاء، يريد الله منك قلبك. . قبل جسد، لا يريد منك أن تنتقل من عبادة الصنم إلى عبادة الشخص أو الرأي العام، فالمشركون يعبدون رأياً عاماً أيضاً. . اعبده وحده، وخالف فيه القريب والبعيد والمصلحة. . الخ، ولكن احذر لا تتكبر، فإن الكبر عاصم من الهداية، ثم انظر إلى شدة العقوبة على مقتل أرنب أو غزال (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) !

عجيب؟ هل يعقل لو أن صحابياً بعد كل الجهاد في السنوات السابقة أنه إذا رسب في هذا الابتلاء اليسير الذي لا يزيد قتل غزال ونحوه، هل يعقل أن هذا يستوجب العقوبة من الله؟

الجواب: نعم، ليس لأن المقتول غزالاً، ولكن لأن الله قد أخبرهم بهذا الابتلاء وطلب منهم الاستعداد وهدد المخالف بالوعيد .. ثم لا يخاف الله من أحد لا من صحابي ولا من نبي ولا من ملك، وهؤلاء الغلاة كأنهم يريدون إقناعنا بأن الله يخاف من الصحابة! أعوذ بالله من هذه السواكن[13]..

إبليس نفسه كان أفضل وقد عبد الله أكثر من عبادتهم لكنه سقط في آخر الابتلاءات فلم يحفظ الله له سابقته ولا عبادته، لأن الله عظيم وأمره عظيم، وخاصة ذلك الأمر المباشر، فيستحق عاصيه العذاب لأن الله عظيم، وخاصة إذا كان العصيان نابعاً من كبر وعصبية فيها مشاركة لله في جبروته.

الابتلاء بحمر الوحش والابتلاء بأهل البيت!

---

[13] أعني الأمور التي تسكن في النفوس، قد نحس بها، وقد لا نكتشفها لقلة تدبرنا لكتاب الله، وأنا اعرف نفسي أيام الوهابية الأولى، كان التأليه لابن تيمية وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري ومحمد بن عبد الوهاب هو من السواكن في القلوب دون أن ننطق أو نعبر عنها، وهناك قصص لا أريد استعراضها، لكن الخلاصة أن المغالي إذا لم يتفقد نفسه، قد يظن أو يعتقد ما هو أقرب إلى الشرك أو ما هو شرك فعلاً، وقد يظن هذا وهو يريد نصرة العقيدة فلا يشعر بذلك لانشغاله بالآخر والدعوة وإخراج الناس من العقائد الباطلة ..الخ، فينسى المسكين نفسه، ينسى بأنه يعبد المذهب وشيوخه مثلما يظن بأن المبتدع يعبد المذهب وشيوخه، فشغلته اللغة الظاهرة عن تفقد قلبه وشهادته لله ونقده لذاته ولمذهبه، وكيف أنه قد يعظم شيوخ مذهبه ويظنهم في مرتبة قريبة من الله، أو أن الله يخاف منهم ولابد أن يتابعهم على معتقداتهم! وهذه أمور دقيقة تحتاج إلى قراءة كتاب الله وكيف يعاتب رسله وقد يكون العتاب شديداً وقوياً، كأن الله يريد أن يعلم الخلق جميعاً أن الفرق كبير بين الخالق والمخلوق، استغفر الله، بل لا مقارنة بين الخالق والمخلوق، حتى لو كان المخلوق نبياً، أما الغلاة فقد يرون أنه لم يبق بين أبي بكر والله إلا درجتان، ولا بين أحمد بن حنبل والله إلا ثلاث ..هذا لا يقولون به، هذا شعور، أنا أتحدث عن شعور سيء يدخل قلب المغالي، وأتحدث عن المغالي السلفي بالتحديد، لأنني عشت هذه النفسية دون أن أستطيع أن أترجمها، ولا أدري عن النفسيات الأخرى، وأظن كل مغالٍ عنده الشعور نفسه من أي مذهب كان، من الشيعة والسنة والخوارج وغيرهم، فانتبهوا وعظموا الله، واقدروه حق قدره، وهذا سر بكاء الأنبياء والصالحين، لأنهم يعرفون الله، يعرفون عظمته، ومن كان بالله أعرف كان منه أخشى، وصغر في عينيه كل مخلوق، فلا إله إلا الله، وسبحان الله عما يعتقدون.

ثم إذا كان الله سيعذب من يخالفه في الابتلاء بالصيد، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94) [المائدة]، إذا علمنا هذا، مع ما سبق لهم من الجهاد وال،فاق والهجرة والنصرة، فياترى إذا ابتلى الله أمته بأهل بيت نبيه (ص) على لسان رسوله: (أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِى أَهْلِ بَيْتِى أذكركم الله في بيتي) ثم خالفوا فهل يستحقون العذاب[14]؟

إذا علمنا من آية الابتلاء بالصيد أنهم يستحقون العذاب في أرنب أو غزال أو حمار الوحش وبلا كبر منهم ولا عصبية، ألا يستحقونها في قتل ذرية رسول الله وبداعي الكبر والعصبية؟ وهل أهلك الأمم إلا قولهم (أبعث الله بشراً رسولاً) ؟[15] أهم يشترطون على الله؟ هل الله هو المطيع لهم أم هم المطيعون؟ أيريدون أن يكون الله عبداً لهم أم هم عبيده؟ قتل الإنسان ما أكفره!

إذن فلا يظن السلفي البسيط أن الله ورسوله يخشيان معاوية، وأن النبي (ص) لا يمكن أن يحذر من فتنته ولا أن يسميه أو يأمر بقتله أو يخبر عن فئته بأنها باغية أو يخبر بأنه أول من يغير سنته أو يخبر أن قاتل عمار في النار أو يخبر بأنه يموت على غير ملته . . الخ

معاوية أبقاه الله فتنة لتمحيص الصحابة، وهو أيضاً قائد فتنة عظيمة، وفتنته أعظم من فتنة الدجال، ولابد أن يكون له حضور كبير في التحذير النبوي، هذا هو العقل والمنطق ولا يمانع الدين في هذا، فالأنبياء يبشرون وينذرون، لحاضرهم ومستقبلهم، وإذا عرفنا يقيناً أن معاوية أحدث في الإسلام تغييراً هائلاً، ففرغه من محتواه وأبقى على شكله الظاهري، فلابد أن يكون التحذير منه كبيراً .

---

14 الحديث في صحيح مسلم . - (7 / 122)، ونعني هنا هل يعذب من تعمد ظلمهم مع علمه بما قاله النبي (ص) فيهم؟ ولا نعني كل من اختلف معهم فأخطأ في قضاء أو موقف عن حسن نية، فهؤلاء لهم بحث آخر . . فلا أظن رجلاً كمعاوية كان يجهل حرمة لعن الإمام علي وسم الحسن.

15 (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) [الإسراء : 94].

هذا الكتاب . . ليس في دراسة حديث:

من يقرأ هذا الكتاب – وكذلك بعض كتبي وخاصة الأخيرة منها– لا يجد الكتاب في الحديث فقط، وإنما سيجد أن الكتاب شامل، للحديث والمؤثرات فيه، وتجديد الجرح والتعديل، والوعي التاريخي، فأنا أظن إن شاء الله أن طالب العلم الباحث سيجد في الكتاب فوائد أكثر من مسألة صحة الحديث من عدمه، فالكتاب يجعل الحديث المدروس نموذجاً لدراسة ما أحاط به من ظروف سياسية وفكرية ومذهبية واجتماعية لا تكاد تجدها إلا في كتب منفصلة تتحدث عن هذه الموضوعات منفردة، فالكتاب ليس كتاباً في موضوع واحد، وإنما في موضوعات عدة تضيء على كيفية وصول الدين إلينا، وكيف اختلط بالسياسات الظالمة والمذاهب المتعصبة، فلم يخلص لنا منه إلا مثخناً بالجراح، مشوهاً، ما ذهب منه خير مما بقي إلا القرآن الكريم، وقليل من السنة، أما الإسلام الإلهي فقد توارى أمام الإسلام التاريخي المدعوم من السلطان ووعاظها، والإسلام التاريخي هو الذي يأكل حقوقنا ويجلد أبشارنا ويمنع آراءنا وينهب أموالنا، والخلاصة أنه الإسلام الذي يوالي الظالمين، فوجب لفت نظر الباحثين إلى أهمية البحث عن الإسلام الإلهي الذي يعادي الظالمين، وبيننا وبينه عوائق السيف والقلم، ولمن الأجر مع التواصي بالحق والصبر في البحث عنه، وما سوى ذلك فهو خسران مبين.

شيء من منهجي في التصحيح والتضعيف:

ليعلم طالب العلم أن ما يسمى بـ (منهج الجرح والتعديل) أو (منهج أهل الحديث) هو منهج فئوي، لفئة واحدة من المسلمين، وليس منهجاً معيارياً علمياً يتفق عليه المسلمون فضلاً عن غيرهم، وقد غصت في هذا المنهج على مدى عشرين سنة أو أكثر، حتى عرفته من داخله، وهو منهج فيه المحاسن والعيوب، وقد سرى إلى بقية المسلمين فتلقفه أهل الرأي وبه تحول أهل الرأي والفقه حتى أصبحوا أهل حديث، كلهم يقول (هذا سنده صحيح، وهذا سنده ضعيف) ! وستجدون أنني أتبنى هذا المنهج من حيث البحث عن ثقة الرواة، لكنني لا ألتزم بمذهبيته، فكل الناس يريدون أخبار الثقات، إلا أنه ليس كل الناس يريدون تثبيت العقائد المذهبية، وليس كل من وثقه أهل

الحديث ثقة، ولا كل من ضعفوه ضعيف، ومعيار أهل الحديث معيار مذهبي، يستبعد القرآن والعقل والقرائن، هذا من حيث الجملة، ولذلك أحاول أن أوظف هذه الحواضن الكبرى.

ثم أفارق منهج أهل الحديث في قصة أخرى، وهي أنني عندما أقول (الإسناد صحيح) لا يعني هذا يقيني بصحة المتن، وإنما يعني ترجيحه، أو الظن الراجح، وقد يتنقل القلب بين اليقين والترجيح، وهذا الراجح لا بد من إعماله في التاريخ والتراجم، لا سيما إذا حُفَّ بالقرائن، ودعمته الشواهد، وأحاطت به الحواضن، وصدقته السيرة، ولحقته الخاتمة، وانبثقت بعده الآثار. . فلولا الأخذ بالراجح ما صح حديث ولا حدث، ولا اكتملت لنا ترجمة ولا ترابطت في تاريخنا ملحمة.

لذلك من المستحسن أن أشرح منهجي في التصحيح والتضعيف ولو مختصراً، حتى يعلم الجميع أن منهجي في التصحيح والتضعيف، في قبول الخبر أو رده، أو اليقين به أو الشك فيه أو ترجيحه، منهج خاص، يأخذ من الواسع الإنساني عقله، ومن الخاص الإسلامي دليله، ومن نادر المذاهب ما أنصفوا فيه، متجنباً تلك الكمائن المذهبية، والعيون السلطانية، فهو منهج يأخذ ما يقتنع به ويقدر مدى قوة قرائنه وشواهده وجريه في سنن الله.

فلا بد أن يعرف قاريء هذا الكتاب وغيره من كتبي؛ أنني لست على هذا القطع المذهبي، لا الشيعي ولا السني ولا المعتزلي، فعندي منهجي الخاص في التصحيح والتضعيف، والتصديق عندي له مراتب كما أن التكذيب له مراتب، فقد أرى أن صحة الحديث بنسبة معينة (70% مثلاً) كمثل هذه الأحاديث، وقد يترجح عندي ضعف حديث آخر بنسبة مختلفة وهكذا. . أما التصديق 100% فلا تتوفر إلا في أحاديث قليلة متواترة كحديث المنزلة وحديث الفئة الباغية وحديث الغدير وحديث خيبر وحديث من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . . الخ كما أننا قد نتيقن من بطلان الحديث 100% كالحديث الذي يقول (يموت علي والعباس على غير ملتي) فهذا حديث أتى به معاوية وحزبه ليشتت مثالبه ويركّبها على ظهور خصومه الصالحين ومنافسيه السياسيين.

كانت هذه الالتفاتة المنهجية خاصة ببعض من أظن أنه يقدر بحثي وعلمي من خواص طلبة العلم، ليعرف منهجي فقط، ولا أجبره عليه، فله أن يعتقد بأن هذا الحديث الذي أضعفه صحيح يقيناً دون ظن، والعكس في الحديث

الذي أصححه، ولكني أخبره عن منهجي وطريقة تعاملي العلمي والعقلي والقلبي الخاص بي مع الأحاديث والمرويات وأعرض تلك الحجج أمامه ليأخذ بها أو يدعها، فنحن -كما كررنا- نشجع الفردية والخصوصية لكل باحث وكل طالب علم، ولا نرى العلم الجماعي إلا مدمراً للعقل والقلب وبهما يتدمر كل شيء.

منهج الكتاب وأبحاثه من الناحية الفنية:

قسمت الكتاب إلى مقدمة وأبحاث وملاحق

و إن كان للحديث طرقاً وأسانيد كثيرة فإن التقسيم على النحو التالي:

الحديث له عدة طرق (طريق عبد الله بن عمرو بن العاص، طريق ابن عمر . .)

وللطريق إلى الصحابي عدة أسانيد

وللإسناد متابعات . .

وللمتابعات الأصلية متابعات فرعية . . الخ.

المبحث الأول: الأحاديث في موت معاوية على غير الإسلام

الإجمال في هذه الأحاديث

روى هذا الحديث أربعة من الصحابة بألفاظ متقاربة، (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي، - وفي لفظ (يموت على غير سنتي)- فطلع معاوية، فقال النبي (ص) : هو هذا،، وفي لفظ (يطلع عليكم من هذا الفج رجل لعين- وفي لفظ : رجل من أهل النار-) فدخل (فلان) وفي لفظ (فطلع غيره) ! وهكذا . . وهو معاوية لأن مخرج الحديث واحد ومناسبته واحدة، لكن بعض الرواة يخفون اسم (معاوية)، وقد يروي بعض الرواة شطراً من الرواية ويسكت عن بعضها، وكل هذا من باب الرواية بالمعنى أو من باب النسيان أو الخوف أو التعصب لمعاوية ولحمايته من النبي (ص) . .الخ.

والغريب أن أصح طرق هذا الحديث أتى من صحابي كان مقرباً من معاوية فترة من الزمن، ولكنه تاب في آخر عمره، إلا وهو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فالإسناد إليه صحيح، بل بعض طرق أسانيد الحديث عنه صحيح على شرط مسلم –كما سيأتي مفصلاً–

وقد روي الحديث عن عدد آخر من الصحابة ولكن بأسانيد أقل قوة، كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن الزبير، وللحديث شواهد وقرائن.

التفصيل في الأحاديث الأربعة:

الحديث الأول : حديث عبد الله بن عمرو بن العاص:

روي عنه من ثلاثة أسانيد، من طريق طاوس بن كيسان (ثقة) عنه، ومن طريق عبد الله بن الحارث الزبيدي (صحابي) عنه، ومن طريق أبي أمامة بن سهل بن حنيف عنه..

أما الطريق الأول : وهو طريق طاوس بن كيسان فقد روي عنه من طريقين:

من طريق ابنه عبد الله بن طاوس (وهو ثقة) عنه به.. وسنده صحيح

وطريق ليث بن أبي سليم (وهو صدوق) عن طاوس به.. وهذه متابعة قوية

أما طريق عبد الله بن طاووس:

فرواها البلاذري[16] بسند صحيح في أنساب الأشراف - (ج 2 / ص 120)[17] قال: حدثني إسحاق وبكر بن الهيثم (ثقتان)[18] قالا حدثنا عبد الرزاق بن همام (ثقة مشهور) أنبأنا معمر (ثقة مشهور) عن ابن طاوس (ثقة)[19]

---

16 البلاذري (نحو 190هـ- 279هـ) من ثقات مؤرخي أهل السنة، وهو من القلائل الذين توثقهم السلفية المحدثة (انظر محمد صامل السلمي في رسالته للدكتوراه: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى)، وكان البلاذري واسمه أحمد بن يحيى بن جابر من أهل بغداد – وفيهم ميل لمعاوية– وكان أيضاً نديماً للمتوكل العباسي الخليفة المشهور بالنصب ومعاداة آل محمد، ومع ذلك لم تؤثر فيه بغداديته ولا مصاحبته للمتوكل، وكان منصفاً في كتابيه المشهورين فتوح البلدان وأنساب الأشراف، إلا أنه لا بد أن يرضي عامة بغداد بذكر بعض الروايات والأحاديث التي تتفق مع عقائدهم رغم ضعفها، ولكنه صادق النقل على كل حال،

وهو في طبقة أصحاب السنن من، إلا أن سماعه أقدم منهم جميعاً، فسماعه قديم، من عام 211هـ ولا يوازيه في قدم السماع من طبقته أحد فيما أعلم، فهو من حيث السماع في طبقة البخاري.

17 في طبعة إحسان عباس، انظر: البلاذري – أنساب الأشراف بنو عبد شمس- تحقيق إحسان عباس- ص126، وأما في طبعة سهيل زكار – حسب المكتبة الإلكترونية- ففي أنساب الأشراف على ما أثبتناه في الأصل (2/ 120) . . .

18 أما إسحاق بن أبي إسرائيل فثقة عندهم، وأما بكر بن الهيثم فليس معروفاً عندهم وهو عندي ثقة ولي فيه بحث خاص.

19 عبد الله بن طاووس بن كيسان: ثقة فاضل عابد – هكذا قال الحافظ في التقريب- وتوفي سنة 132هـ/ ولا بأس في التوسع في ترجمته هنا، فقد ذكر الطوسي – على ما نقله ابن حجر- أنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك فطعن فيه الشيعة لصلته وعمله للحكام النواصب، وكونه يروي هذا في معاوية مع عمله لبني أمية فهو أبلغ،، وذكر الحافظ أيضاً عن الطوسي أن ابن طاووس هذا كان كثير الحمل على أهل البيت! فإن صح هذا فالحديث هذا في الذم الشديد لمعاوية أتى من ثقات فيهم انحراف ولو يسير عن أهل البيت، وقد وجدت النص عن الطوسي، وهو ليس من كلامه بل قاله سفيان بن عيينة ونصه في الخلاف للطوسي (67/4): (قال سفيان : أراه – يعني حديث في المواريث- من قبل ابنه عبد الله بن طاووس، فإنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك، وكان يحمل على هؤلاء القوم حملا شديدا – يعني بني هاشم) ! فالرجل أموي الهوى أو على الأقل ليس هواه مع الشيعة حتى يتهم بشيء من تبعة هذا الحديث، وقد روى الأصفهاني في الأغاني ما يدل على أن عبد الله بن طاووس لم يكن متحاملاً على أهل البيت في ترجمة النفس الزكية، فقال : (قال أبو زيد (وهو عمر بن شبة) وحدثني يعقوب بن القاسم عن سفيان بن عيينة قال . رأيت عبد الله بن الحسن يأتي بمحمد بن عبد الله وإبراهيم وهما غلامان إلى عبد الله بن طاووس فيقول . حدثهما لعل الله ينفعهما) ولو كان متحاملاً على بني هاشم ما دفع المحض ابنيه للسماع منه، لكن اتصال ابن طاووس مع والده بالأمويين مشهورة في جوانب من القضاء وبيت المال إلا أن ظاهر تراجمهم تدل على تقوى، ومن دلائل العلاقة بين هذا البيت والأمويين ما رواه البلاذري (أنساب الأشراف – (ج 3 / ص 55): حدثني الحرمازي الحسن بن علي عن العتبي قال: دخل سليمان بن عبد الملك على طاووس يعوده فلم يعظمه ولم يجبه بما يجاب به الخلفاء، فعوتب طاووس على ذلك فقال: أحببت أن يعلم أن الناس من يستصغر ما يستعظمه المغرون مما هو فيه)، أيضاً عبد الله بن طاووس روى عن أبيه قصة حجر المدري وضربهم له ليسب علياً (في المستدرك للحاكم وغيره) . . وقد اتفق البخاري ومسلم على اعتماد عبد الله بن طاووس عن أبيه في الصحيحين.

عن أبيه (ثقة مشهور) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (صحابي)[20] قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي، قال: وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء، فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء، قال: فطلع معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو هذا) اهـ) .

الكلام الإجمالي على الإسناد:

رجال الإسناد كلهم بين الثقة والصدوق (انظر تراجم رجال هذا الإسناد في الملحق) وأحاديثهم تملأ الصحاح والسنن، وعليها تُبنى العقائد والأحكام، باستثناء بكر بن الهيثم (وهو ثقة عند التحقيق ولكنه لم ينفرد وقد توبع في الإسناد نفسه)، وكذلك هناك متابعات لبقية رجال الإسناد، وسيأتي التفصيل الشافي، وللاستزادة من التعريف برجال هذا الإسناد بتراجم كافية لكل راوٍ (انظر الملحق)، والإسناد صححه المحدث محمد المكي بن عزوز، والسيد المحدث أحمد بن الصديق الغماري، وقبلهما الهيثمي في مجمع الزوائد ومحمد بن عقيل وغيرهم، بل نجد الدكتور جاسم المشهداني في رسالته عن (موارد البلاذري) قد قال عن طريق شريك الآتي (إسناده صالح)، وهذا الطريق أقوى من طريق شريك، وبمضمون هذا الحديث قال بعض أهل الحديث المتقدمين كالحافظ والإمام الكبير يحيى بن عبد الحميد الحماني – وهو أول من صنف المسند بالكوفة- فكان يصرح بأن معاوية مات على غير دين الإسلام، ولن يقوله إلا عن هذا الحديث، والاحتجاج فرع عن التصحيح، وقال غيره بنحو هذا المضمون في ذم معاوية (ولي مبحث منفصل أفردته بعنوان: معاوية عند علماء أهل الحديث والحديث) وبيان اختلافهم فيه، ومن منهم تدعمه الأدلة والوقائع .

والخلاصة في الإسناد:

أن هذا الإسناد صحيح جداً، لا يضره تعنت حماة معاوية، وله شواهد خارجية كحديث الدبيلة وحديث أبي ذر، ومتابعات داخلية، ولكنه مع كل هذا ليس متواتراً، وهذا الإسناد وحده أقوى سنداً ومتناً من كل ما يروونه من فضائل معاوية، من تلك الأسانيد المنظومة برواة النواصب، الباطلة المعاني .

---

20 ما بين الأقواس مثل (ثقة، صحابي) زيادات مني للإيضاح .

إذن فللتذكير نقول:

هذا الحديث بإسناده هذا فقط يجب على السلفية المحدثة اعتقاده، لأنهم يصححون ما هو دونه بكثير في العقائد، وهي أخطر من ذلك، فقد رواه البلاذري (وهو ثقة) عن شيخيه بكر بن الهيثم وإسحاق بن أبي إسرائيل (وإسحاق ثقة)[21] كلاهما روياه عن عبد الرزاق الصنعاني (صاحب المصنف وهو ثقة إمام لا يحتاج إلى تعريف) عن معمر بن راشد (وهو ثقة إمام لا يحتاج إلى تعريف) عن عبد الله بن طاووس (وهو ثقة وقد توبع) عن أبيه طاووس بن كيسان (وهو ثقة إمام لا يحتاج إلى تعريف) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وهو صحابي مشهور – على تعريف المحدثين– وهو تائب أيضاً من نصرة معاوية وطاعة أبيه– فالسند إذن صحيح غاية، وقد اتفق البخاري ومسلم على اعتماد طريق عبد الله بن طاووس عن أبيه في الصحيحين، وكذلك اتفقا على رواية أحاديث معمر وعبد الزراق، وعبد الرزاق عن معمر، وأما من دونهم فهم من الكثرة والقوة ووفرة الشواهد ما يطمئن لصحة هذا الحديث، وسنتوسع في هذه المتابعات والشواهد، وسنبدأ هنا بالمتابعات في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ثم نأخذ شواهد الحديث لفظاً وشواهده معنىً:

أولاً: متابعة ليث عن طاووس[22]

(وقد روي عن ليث من ثلاث طرق)

إذن فليث بن أبي سليم قد تابع عبد الله بن طاوس في رواية هذا الحديث عن أبيه،

وروي الحديث عن ليث من ثلاث طرق قوية:

---

21 إسحاق بن أبي إسرائيل نزيل بغداد ثقة حافظ كبير، (150– 246هـ) = انظر ترجمته في الملحق.

22 وهذه متابعة لعبد الله بن طاوس عن أبيه، وهذا يعني أننا ما زلنا في طرق الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص دون الطرق عن الصحابة الآخرين كجابر بن عبد الله وابن عمر وابن الزبير ممن رووا الحديث باللفظ نفسه وسنأتي على بحث الأسانيد إليهم، لكننا هنا نركز على الحديث الأول وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص لأنه أصح إسناداً وأقرب إلى معاوية وأبعد تهمة لذا فقد بدأنا به وتوسعنا فيه.

شريك عن ليث . .

وجرير بن عبد الحميد عن ليث . .

ونوح بن دراج عن ليث . .

الإجمال في هذه المتابعة:

كلهم رووه عن ليث عن طاوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص، والثلاثة ثقات في الجملة فإن كان في بعضهم شيء من سوء الحفظ فينجبر هذا بمتابعة بعضهم لبعض.

كما أن شيخهم ليث بن أبي سليم متابع من عبد الله بن طاوس، كما أن عبد الله بن طاوس متابع من ليث، فإن كان في ليث بعض الضعف من حيث سوء الحفظ فقد انجبر بهذا وبما سيأتي من الشواهد في أحاديث أخرى من غير طريق عبد الله بن عمرو بن العاص.

إذن فليث بن أبي سليم وعبد الله بن طاوس كلاهما روياه عن طاوس بن كيسان عن عبد الله بن عمرو، فاتفقا في اللفظ والإسناد إلا أن في بعض الطريق إلى شريك نجد لفظاً أخف وهو (يموت على غير سنتي) بدلاً من (ملتي)، ولا تناقض، فهذه رواية من بعضهم بالمعنى، والجمع ممكن فالسنة هنا – كما في استخدام المتقدمين – تعني السنة العامة والسنة العامة كالملة كما سيأتي في فقه الحديث بالملحق، و سأذكر هذه الطرق عن ليث ولفظ كل منها ومصادرها .

أما متابعة يحيى بن آدم عن ليث:

فهي طريق شريك عن ليث، رواها البلاذري (في أنساب الأشراف - بنو عبد شمس – ص 126)[23]: عن عبد الله بن صالح عن يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس عن عبد الله بن عمرو قال:

---

23 أنساب الأشراف - (ج 2 / ص 121): وحدثني عبد الله بن صالح حدثني يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس عن عبد الله بن عمرو قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي، قال: وكنت تركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية اهـ .

(كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي، قال: وكنت تركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية) .

قال الدكتور جاسم المشهداني: وهذا (إسناد صالح)[24] اهـ فهذا الإسناد متابعة قوية جداً .

وهناك متابعة صغرى ليحيى بن آدم، فقد توبع يحيى بن آدم عن شريك، تابعه نصر بن مزاحم، ففي كتابه وقعة صفين - (ج 1 / ص 219) إذ روى الحديث عن شريك نفسه، بلفظ: نصر عن شريك، عن ليث، عن طاوس، عن عبد الله بن عمر (كذا والراجح عمرو) قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول: " يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت وهو على غير سنتي[25] " فشق علي ذلك وتركت أبى يلبس ثيابه ويجئ، فطلع معاوية اهـ، وأخطأ نصر هنا على الراجح في لفظ الحديث وإسناده، لكنها متابعة جيدة .

والخلاصة في هذه المتابعة:

---

24 كما قال الدكتور جاسم المشهداني صاحب موارد البلاذري (449/2) وهي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ومن منشورات الجامعة أيضاً، ولولا أن المحقق تحايل بتصحيح الأثر في الملحق، لربما منعوا رسالته حتى يشهد لمعاوية بالجنة ويمحو هذا الحديث من البلاذري ولكن الله سلّم ! فالجامعات الإسلامية مذهبية وليست علمية، هي تعلم الطالب كيف يجهل، ولا تعلمه كيف يعلم ! والذي يصل بسرعة للماجستير والدكتوراه في هذه الجامعات يعني أنه الأكثر جهلاً وتقليداً وليس الأكثر علماً وتحقيقاً، إلا إن كانت له شفاعة ما، ولذلك فالجامعات الأسلامية (المذهبية) هي الأكثر تخلفاً من الجامعات الأخرى – على أن التعليم في العالم العربي كله متخلف، وهذه من آثار معاوية كما سيأتي في الكتاب، أو أن لمعاوية الأثر الكافي في هذا، لأن إعادة الظاهرة إلى عامل واحد ليس من العلمية في شيء، لا بد من عدة عوامل تسهم في الحدث .

25 نصر بن مزاحم هو الوحيد الذي رواه بلفظ (سنتي)، وهو وإن كان صدوقاً إلا أنه ليس في ضبط المحدث الكبير يحيى بن آدم الأموي الذي رواه بلفظ (ملتي) ولولا أن يحيى بن آدم قد تابعه على هذا اللفظ كل الرواة الذين رووا الحديث لقنا لعل لفظ نصر بن مزاحم أقوى فهو متشيع ولن يختار اللفظ الأخف – وهذا من دلائل صدقه واستقلاليته- إلا أن المتابعات الكثيرة على لفظ (على غير ملتي) وإن كان الأشد إلا أنه الأصح، فقد توبع في هذا اللفظ عن شريك، وتوبع شريك في هذا اللفظ عن ليث، وتوبع ليث في هذا اللفظ عن طاووس. .

أن رجال الإسناد – إسناد هذه المتابعة- بين الثقة والصدوق، وهم من شيعة أبي بكر وعمر، وهذا يدل على أن معاوية كان مذموماً خارج شيعة علي وخارج شيعة أبي بكر وعمر. . وإنما استطاعت شيعة معاوية فيما بعد (النواصب) أن توجد شرخاً روائياً وعقائدياً بين شيعة علي وشيعة أبي بكر وعمر، وإلا فقد كانت الشيعتان تقر بذم معاوية ذماً شديداً، وشيعة أبي بكر وعمر اليوم أصبحوا لا يرضون في معاوية ذماً حتى لو كان حديثاً يقرون بصحته.

وأما متابعة جرير بن عبد الحميد عن ليث:

رواها الأصبهاني في أخبار أصبهان - (ج 7 / ص 47) من طريق جرير عن ليث به: فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عبد الرحمن بن محمد الجرواءاني، ثنا أبان بن شهاب، ثنا محمد بن حميد، ثنا جرير، عن ليث، عن طاوس، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع عليكم رجل من يثرب ! على غير ملتي »، فظننت أنه أبي، وكنت تركته يتهيأ، فاطلع فلان[26] اهـ وهكذا أُخْفِيَ اسم معاوية هنا لسبب مذهبي أو سياسي، وأهل الحديث من أيام المتوكل خاصة فيهم ما هو أعظم من هذا، هكذا بإخفاء اسم معاوية. .وكانت أصبهان ناصبية، وأهل الحديث جملة يخفون كثيراً من الأسماء، بفتاوى من كبارهم، ولكن معرفة بعض الأسماء يتم بسهولة إذا تم جمع الأسانيد في الحديث، والخلاصة أن السند صحيح لغيره، وأقل أحواله أنه حسن في الشواهد والمتابعات (وسيأتي التفصيل في الملحق) .

---

26 وفي طبعة أخرى من تاريخ أصبهان - (ج 1 / ص 241) - ولعلها المشهورة:- : حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن محمد الجرواءاني ثنا أبان بن شهاب ثنا محمد بن حميد ثنا جرير عن ليث عن طاوس عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يطلع عليكم رجل من يثرب على غير ملتي فظننت أنه أبي وكنت تركته يتهيأ فأطلع فلان " اهـ، ولفظة (يثرب) هنا تصحيف، إنما هي من هذا الفج، أو من هذا الدرب، . .الخ ولا استبعد أن يكون بعض أهل الحديث حرفها فتحريفهم لحماية معاوية كثير جداً .

وأما متابعة نوح بن دراج عن ليث

هذه رواها نوح بن دراج وهو فقيه حنفي من تلامذة أبي حنيفة، وحديثه عند محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين (ص 312):

قال : حدثنا إسحاق بن محمد بن إسحاق القاضي قال : حدثنا عباد بن يعقوب قال : أخبرنا نوح بن دراج عن ليث عن طاووس : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يطلع من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي . قال عبد الله: فأشفقت أن يكون أبي فطلع معاوية اهـ

والسند صحيح لغيره، وأقل أحواله الحسن في المتابعات والشواهد، وهو متابعة لشريك (انظر تراجم الرواة في الملحق- الإسناد الثالث) ورجاله بين الثقة والصدوق إلا أن نوح بن دراج هذا مجروح عند بعض أهل الحديث جرحاً شديداً بسبب مذهبه الحنفي وتوليه القضاء وحبه علي بن أبي طالب وروايته فضائله (راجع ترجمته والدفاع عنه في الملحق) .

إذن فسند شريك أقل أحواله الحسن، أعني بالرواية (يحيى بن آدم ونصر بن مزاحم ونوح بن دراج ثلاثتهم عن ليث عن طاوس عن عبد الله بن عمرو)، لا سيما أنها كانت في المتابعات والشواهد، بل قد صحح الدكتور جاسم المشهداني واحدة من هذه الطرق بمفردها .

وعلى هذا مادام أنه صح الإسناد الأول (عبد الله بن طاووس عن أبيه)، وشهد له هذا الإسناد الثاني (ليث عن طاووس)، يكون الاطمئنان أكثر في صحة الحديث، فقد شهد أحد الإسنادين للآخر، وانحصر البحث في طاووس بن كيسان وعبد الله بن عمرو بن العاص (وهما ثقتان كما سيأتي)، وقد توبع طاووس أيضاً عن عبد الله بن عمرو، إذ رواه عبد الله بن الحارث الزبيدي عن عبد الله بن عمرو (كما سيأتي).

زيادة وتفصيل :

يبقى أن نذكّر بأن الإسنادين إلى طاووس أحدهما صحيح لذاته (عبد الله بن طاووس عن أبيه)، والآخر حسن (ليث عن طاووس)، وإنما قلنا في الإسناد الثاني (حسن، أو صالح) لأن ليث بن أبي سليم –وإن

كان من رجال مسلم- إلا أن فيه اختلافاً، من قبيل سوء الحفظ وليس من قبيل الصدق، وسوء الحفظ لا يؤثر في الرواية هنا لأنه توبع على الإسناد والمتن، ولما ذكرنا من اختصاص ليث بالرواية عن طاووس (راجع ترجمته) هذا إن استبعدنا الأثر المذهبي في بعض الأحكام الصادرة عليه من السلفية المحدثة.

ثم قد روى عن ليث ثلاثة، وربما في أزمان مختلفة، وهذا إضافة إلى أن طريق ليث هي في المتابعات والشواهد فقط، وليست في الأصول، بل ربما كان وصف بعض أهل الحديث لليث أو شريك أو أمثالهم بالوهم أو الاختلاط له علاقة بمثل هذه الأحاديث التي ينفر منها الوسط الحديثي لتعصبهم لمعاوية.

وقد توبع عبد الله بن عمرو أيضاً- كما سيأتي في الأسانيد عن صحابة آخرين كابن عمر وجابر بن عبد الله وربما ابن الزبير وأبي ذر، وضاعت طرق أخرى نبه عليها بعض أهل الحديث كالهيثمي في مجمع الزوائد إذ قال في بعض الطرق: (فيها رجل لم يسمّ)، ولم نجد تلك الطريق لأن أجزاء من معجم الطبراني مفقود، فالحديث كثير الطرق، مع قوة ظاهرة في أسانيده، إلا أنه كلما تأخر الزمن جهله أهل الحديث وكتموه، لأن التجديد داخل أهل الحديث شبه منعدم، وهم يتجهون لمزيد من الغلو في معاوية قرناً بعد قرن، بسبب الخصومات، حتى أصبح للغلاة منهم مكانة كبيرة وجلالة قد تقترب من جلالة ومكانة النبوة، وهذا من أنواع الخذلان[27].

ويجب أن نؤكد أن طاووس بن كيسان وعبد الله بن عمرو بن العاص، وهم من العدول عند أهل الحديث قاطبة، لا يشك فيهما محدث واحد، إلا أنه عند أصحاب البحث الحر لا يمكن اتهامهما في هذا الحديث إلا

---

[27] ومن يقرأ مناقب أحمد بن حنبل أو ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب عند السلفية المحدثة يجدها فوق النبوة بدرجات قليلة (ومن أراد الاستزادة فليراجع كتابنا : قراءة في كتب العقائد، باب الغلو، وسيجد أن مكانة النبي (ص) دون ما يذكرونه في هؤلاء، وهذا الشعور يشعر به كل سلفي وإن لم يعترف به نظرياً، والبرهان على ذلك أنه إذا سمع أحدهم خطيباً أو محاضراً يقول: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية) فهو أملأ لنفسه من (قال رسول الله) هذا واقع، وعندما كنا غلاة مثلهم كنا نشعر بهذا، إلا أن القوم خصمون، لا يعترفون بعيب ولا نقص، ويزكون أنفسهم وقد نهى الله عن ذلك.

تعنتاً فقد عملا لبني أمية وشاركا في بعض الأمور، إذن فالحديث في ذم معاوية من هذا الطريق صحيح حسب منهج أهل الحديث، وإنما يعرف صحة الحديث بصحة الإسناد، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء (هذه أدبيات أهل الحديث)، ومع أني لست مع هذه الأقوال على إطلاقها، إلا أنها أفضل من رد الحديث أو قبوله بالتشهي والمزاجية، فكيف إذا عضدتها نصوص أصح وواقع متواتر؟ فإن تم إنكار هذا كله، فهذا نسف لكل شيء.

إذن فحديثنا هذا، إسناده الأول صحيح غاية، لا يحتاج إلى متابعات إلا من باب الاطمئنان وزيادة القوة إلى القوة، وسبق أن ذكرنا أن بعض أهل الحديث والسلفية المحدثة يصححون في العقائد ما هو أضعف من أقل الإسنادين صحة (وهو طريق ليث)[28]، فماذا يضرهم لو أثبتوا حديثاً صحت أسانيده ثبات فيه ذم من كان يدعو إلى النار ويغير سنة النبي (ص) عن عمد ويرد السنن والأحكام الشرعية مكابرة، فقبول هذا وتصحيحه أولى وأولى، فكيف إذا وجدنا متابعات قوية باللفظ نفسه عن صحابة آخرين كما سيأتي؟! فهذا يزيد القلب اطمئنانا وتصديقاً، فكيف لو اكتشفنا محاولات النواصب معارضة الحديث أو قلبه من مثلبة إلى منقبة؟ فهذا يزيد القلب اطمئنانا ويزيد الحديث قوة! فكيف إذا اكتشفنا بأن الرواة المكلفين من السلطة قد حاولوا أن يجعلوا الحديث في علي والعباس بدلاً من معاوية! وأنهما في النار؟ فهذا يزيد الحديث قوة وصلابة في معاوية، فكيف إذا عرفنا أن كل مثلبة صحت في معاوية من حديث صحيح حاول الأمويون

---

[28] كحديث الإقعاد على العرش وهو حديث موضوع لكنه محل إجماع عند السلفية المحدثة. .ومعظم ما يثبتونه في عبد الله بن أبي أقل صحة من هذه المتابعة الحسنة (متابعة ليث) فكيف بالإسناد الصحيح للحديث وشواهده الأخرى؟ والواجب أن يتشددوا في جميع الأسانيد أو يتراخون في الجميع إذا كان على الإسناد تدور الصحة، وأما إذا لم يكن الإسناد وحده كافياً للصحة فلماذا يثبتون إقعاد الله لنبيه على العرش وحديث الشاب الأمرد . .الخ، وهي أنكر مما يستنكرونه من مثالب دعاة النار البغاة القاسطين.

أن يقلبوها إما في بني هاشم أو يقلبوها فضيلة؟ كيف لو عرفنا أن هذه سياسة ناصبية قديمة من عهد معاوية؟ هذا كان سيكشف لنا الدنيا كلها !

الطريق الثانية : عبد الله بن الحارث الزبيدي عن عبد الله بن عمرو:

فيما سبق عرفنا صحة الإسناد الأول، وروي من طريقين عن طاوس بن كيسان وهو ثقة بإجماع عن عبد الله بن عمرو بن العاص وهو صحابي، إلا أنه لمزيد من الاطمئنان، يبقى أن نسأل هل لطاوس بن كيسان متابعة؟ فهو وإن كان ثقة من رجال الشيخين إلا أن الفرد قد يخطيء . . ؟

الجواب: نعم قد توبع والمتابعة حسنة الإسناد، إذ تابعة عبد الله بن الحارث الزبيدي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد أخطأ من ضعفها من متعصبة أهل الحديث كما سيأتي .

التفصيل في دراسة إسناد هذا الطريق

(وفيها إخفاء اسم معاوية وإبطال فائدة الحديث):

روى العقيلي (323هـ) في كتابه الضعفاء الكبير – (ج 7 / ص 24) – في ترجمة عكرمة بن أسد– قال : حدثنا الحسن بن علي بن خالد الليثي، وأحمد بن محمد بن الحجاج[29] قال : حدثنا سعيد بن عفير[30]قال : حدثنا ابن لهيعة[31]، عن الحارث بن يزيد الحضرمي[32]، عن عكرمة بن أسد الحضرمي[33]، عن عبد الله بن الحارث بن جزء

---

29 الحسن بن علي بن خالد شيخ العقيلي لم أجد له ترجمة وقد أكثر عنه العقيلي، لكن الشيخ الآخر للعقيلي هو المروذي ثقة عندهم، وهو أخص تلاميذ أحمد، حتى أنه فضلوه على عبد الله بن أحمد في الرواية عن أحمد، وقد تابعا بعضهما، وأنا أثق فيهما في مثل هذه الأحاديث لأنهما وتلميذهما العقيلي فيهم نصب، فلعلهم رووه من أجل الطعن في أحد رواة إسناده، فلن يرووه وهم يعتقدون صحته، ولو كانوا يعتقدون صحته لكتموه حماية لمعاوية، وخاصة المروذي فقد كان ناصبياً مجسماً، وتوفي عام 275هـ .

30 سعيد بن عفير، ثقة من رجال الشيخين، وقد أفردناه بترجمة = انظر الملحق .

31 ابن لهيعة : صدوق له أوهام، وهو من رجال مسلم = انظر الملحق .

الزبيدي [34]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : » أول من يطلع عليكم من هذا الفج « وذكر الحديث[35]، ولا يتابع عليه اهـ

هكذا بتر العقيلي الحديث! ومثل هذا العمل فعل العقيلي بحديث (لا أشبع الله بطنه) الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، فحاول هؤلاء تدارك ذلك وتضعيفه وحذف هذه الزيادة فقال العقيلي (الضعفاء الكبير للعقيلي – (6 / 313) في ترجمة أبي حمزة القصاب قال العقيلي: ومن حديثه : ما حدثناه محمد بن خزيمة قال : حدثنا فهد بن عوف قال : حدثنا أبو عوانة، عن أبي حمزة القصاب قال : سمعت ابن عباس، يقول : « كنت غلاما أسعى مع الغلمان فالتفت فإذا أنا بنبي الله خلفي مقبلا فقلت : ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلا إلي، قال : فسعيت حتى أختبئ وتواريت، قال : فلم أشعر حتى تناول بقفائي فحطأني حطأة فقال : » اذهب فادع معاوية « . وكان كاتبه صلى الله عليه وسلم، فسعيت فأتيت معاوية فقلت : أجب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث) ! اهـ

---

32 الحارث بن يزيد الحضرمي، ثقة من رجال مسلم = انظر الملحق.

33 عكرمة بن أسد، هو تابعي صدوق هذا ترجيحي، ولم يذكره في الضعفاء إلا العقيلي وقلده من بعده، وأما المحدثون المتقدمون فليس لهم فيه رأي، وهو مقل من الرواية، والعقيلي إنما استنكر عليه هذا الحديث وليس بمنكر، والعقيلي من السلفية المحدثة وهو ناصبي، وعندما أقول ناصبي لا أقصد نصب معاوية وحريز بن عثمان، وإنما درجة دون ذلك وقد شرحنا هذا كثيراً، ولكن لابد من البيان بعد البيان حتى لا يلحقنا إثم في تهمة تؤخذ على غير موضعها، فالنصب مراتب، بعضه عن علم وتعصب وتعمد كنصب معاوية ومروان وابن تيمية، وبعضه يكون تقليداً مذهبياً واستجابة للسائد السلفي الفكري وهم أغلب السلفية المحدثة من أيام أحمد إلى اليوم، والنواصب من هذه الطبقة اليوم هم أغلبية الوهابية وأغلبية أهل الحديث.

34 عبد الله بن الحارث الزبيدي صحابي وهو آخر الصحابة موتاً بمصر = انظر الملحق.

35 يعني حديث معاوية هذا لكن العقيلي بتره فأصبح هذا الحديث شفرة سرية بين أهل الحديث يتتبعون طرقه ويضعفونها لعلهم يحمون معاوية من هذا الحديث لأنه من القواصم الكبرى لقائمة صلبة من العقائد الوضعية، وللعقيلي نظائر لهذا البتر والتحريف.

هكذا مع أن تكلمته في صحيح مسلم » وهي:

قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ - قَالَ - ثُمَّ قَالَ لِىَ « اذْهَبْ وَادْعُ لِى مُعَاوِيَةَ » . قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ « لاَ أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ) ! اهـ

وهكذا فعل مع حديث أبي ذر في الضعفاء الكبير للعقيلي - (ج 6 / ص 331)

1471 - ومما حدثناه محمد بن أحمد العبدي قال : حدثنا سفيان بن بشر قال : حدثنا علي بن هاشم بن البريد، عن زياد بن المنذر، عن عمران بن ميثم، عن مالك بن ضمرة، عن أبي ذر قال : « لما نزلت هذه الآية : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . .) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » تحشر أمتي يوم القيامة على خمس رايات « وذكر الحديث اهـ وهذا الحديث مخالف للمذهب وأنا أعرفه .

إذن فإذا وجدتم إفرازات العهد المتوكلي يقولون (وذكر الحديث) ! فبحثوا عنه، فقد تجدونه في ذم معاوية ونحوه، وقد يكون للاختصار حقاً، لا أريد أن أعمم هنا، وإذا وجدتم (فلان) و (رجل)؛ في سياق ذم، فقد يعلمون من هو ذلك الفلاني ! إلا أنهم يقومون بمهمة حمايته، وبالتالي حماية المعتقد الذي لم يتكون عن نصوص شرعية وإنما عن خصومات مذهبية، فإذا وجدوا الحديث في طريقهم حاولوا تضعيفه، أو بتروه أو تأولوه، فالمهم أن تبقى العقيدة حتى لو كانت مذهبية، وحتى لو وطئت على أصمخة النصوص الشرعية (راجع نماذج من تحريفات الإمام أحمد بن حنبل في الملحق) .

التعليق على أسلوب الإخفاء عند أهل الحديث (ومنهم العقيلي)

إذن قطع العقيلي الحديث كما ترون، ولم يذكره كاملاً، بل أشار إليه إشارة فقط ! وهذه عادة قبيحة من عادات السلفية المحدثة من أيام المتوكل خاصة، وهذه السلفية لم تكن من أهل السنة إلا أنها طلبت الحماية داخل الدار السنية ثم طردت أصحاب البيت الأصلي إلى العراء ومكثت بدلاً منه في البيت السني العتيق .

أما المتحررون من السلفية المحدثة فلا يحرفون حتى ولو كانوا مقربين من المتوكل، فالبلاذري مثلاً كان مؤرخاً سنياً وكان شاعراً أيضاً بذيء اللسان، إلا أنه لم يكن سلفياً رغم أنه من جلساء المتوكل وندمائه ومع ذلك روى الحديث

بالإسناد كاملاً لم يبتر منه حرفاً، وحافظ على توازنه ولم يتأثر بالجو السائد الذي أفرزته سياسة المتوكل، فالمؤرخون والأدباء وأهل العلوم الأخرى – غير علم الحديث- غالباً يتماسكون أمام الأثر السياسي ولا تؤثر فيهم السياسة كما تؤثر في أهل الحديث، أما أهل الحديث ففيهم هوى وغفلة فتراهم يتعبدون بالأمر السياسي تعبداً لا يتعبده السياسي نفسه[36] !

و وهذه نتيجة طبيعية لهجر العقل عندهم، فالغفلة والحماقة غالبة عليهم، ولذلك تحرص السلطات الظالمة على إرضائهم حتى يتم الزج بهم في أي خلاف سياسي أو مذهبي، فيبالغون في الخصومة وتشريع القتل للمخالفين، ويقومون بتطويع الإسلام ليخدم السلطان دون تأنيب ضمير ولا جولان برهان، ولا سيما إذا كان السلطان رقيق الدين فإنه يمكنه أن يرضيهم بسجن بريء من خصومهم أو قتله، فهذا العمل كفيل أن يجرّوا خلفه الدنيا والدين، وكلما أشبع السلطان الظالم نهمهم في ظلم المخالفين كان عندهم أقرب إلى الجنة وأولى بالاقتداء والطاعة، لا تستغربوا هذا الكلام، فهذه العجينة عليها مئات الأدلة والشواهد .

العقيلي هل تأثر بالعهد المتوكلي؟!

شيوخ العقيلي كلهم تقريباً هم إنتاج للعهد المتوكلي، (نسبة للخليفة العباسي المتوكل، كان شديد النصب، ت 247هـ)، ولذلك نجد أثر سياسة هذا الخليفة قد ظهرت جلية في منهج العقيلي في الحديث عامة وفي الجرح

---

36 ونحن نراهم اليوم يتعبدون بموالاة الظالمين ومعاداة أصحاب الحقوق والحرية والعدالة والعلم، ويفتون بجرمة لجان الحقوق والمطالبات بالحقوق وحرية التعبير والمظاهرات السلمية، بل حتى أفتى بعضهم بجرمة الخروج بالكلمة (يعني مخالفة الحاكم على أي وجه)، ويظن الماس أن هذا الحب نتيجة مال السلطان أو سيفه، كلا، ليس بالضرورة إنما يفعلون هذا تعصباً للمذهب، لأنهم يرون أن هذا النظام أو ذاك ناصر لمذهبهم قامع للحريات الخطرة على أفكارهم، مانع للتيارات الأخرى من التمدد وإبلاغ حجتها للناس. . هم يخشون من الآخر، ويغتفرون ظلم كل ظالم مادام أنه يكتم الآراء المخالفة لهم، هذا هو سر إخلاص أهل الحديث للظالمين، لأنهم حمقى والظالمون دهاة، فيخوفهم الظالمون كل يوم بأن الآخرين يتآمرون عليكم، وأننا معكم، ومع دين الله، ومع السنة، وضد أهل البدع والضلالة الذين يريدون طمس عقيدة الإسلام ونشر العقائد المنحرفة . .الخ، فهذا التوحيش للآخر يجعلهم متمسكين بهذا السلطان تمسك الغريق بجذع الشجرة في سيل جارف .

والتعديل خاصة، حتى أنه ضعف علي بن المديني تأثراً بذلك العصر (لأنه أجاب في المحنة)، ثم معظم شيوخ العقيلي كانوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (من سنة 250 – 300هـ)، فسماعه للحديث بعد محنة خلق القرآن إلى نهاية القرن الثالث، وهذا الفترة كانت فترة قائمة شديدة العصبية، واستتمت بغلبة غلاة الحنابلة على الحديث وأهله حتى أنهم يحرفون الحديث فلا يستطيع أحد أن يضعفهم[37] !

وفي هذه الفترة المتوكلية – من حيث الفكر والمذهب- مات البخاري صاحب الصحيح وهو عند هؤلاء الغلاة مبتدعاً ضالاً متروك الحديث (256هـ) لقوله باللفظ في مسألة القرآن، فكانوا يريدون منه أن يقول (لفظي بالقرآن غير مخلوق) ! – وهذا يخفيه علماء السلفية المحدثة على طلابهم حتى لا يكتشفوا الحقيقة[38] !

---

[37] وعلى سبيل المثال ففي سير أعلام النبلاء – (ج 13 / ص 513) في ترجمة المعمري يقول:

(قال أبو أحمد بن عدي: كان المعمري كثير الحديث، صاحب حديث بحقه، كما قال عبدان: إنه لم ير مثله، وما ذكر عنه أنه رفع أحاديث وزاد في متون، قال: هذا شئ موجود في البغداديين خاصة، وفي حديث ثقاتهم، وانهم يرفعون الموقوف، ويصلون المرسل، ويزيدون في الاسناد) ! اهـ إذن فالإنتاج المتوكلي قد أنتج طيفاً من أهل الحديث يرفعون الموقوف ويصلون المراسيل ! ويزيدون في الإسناد ! ومع ذلك لم يؤثر هذا فيهم، فبقوا ثقات ! ثم يقول الذهبي (بئست هذه الخصال)، ولكن بعد ماذا ؟ بعد أن زادوا في أحاديث فصححوها ، وزادوا في متون فحرفوها ، وورفعوا موقوفات لتصبح أحاديث . .الخ، وقد استمر هذا العمل الشنيع في كثير من أهل الحديث إلى عهد ابن بطة (378هـ) فانظروا ترجمته، ثم ما زالت السلفية المحدثة إلى اليوم متهمة من الجميع سنة وشيعة بتحريف المخطوطات وطمس وإعدام بعض الكتب، وهذا منهج سلفي قديم، قد وجدت له أصولاً من عهد بني أمية .

38 وقد ضعفه علماء عصره في الجرح والتعديل وهم أبو زرعة وأبو حاتم وشيخه الذهلي، ولكن السبب مذهبي لا علمي، ففي الجرح والتعديل – (ج 7 / ص 191) محمد بن اسماعيل البخاري أبو عبد الله قدم عليهم الرى سنة مائتين وخمسين روى عن عبدان المروزى وابى همام الصلت بن محمد والفريابي وابن ابى اويس سمع منه أبي (أبو حاتم) وأبو زرعة ثم تركا حديثه عندما كتب اليهما محمد ابن يحيى النيسابوري (الذهلي) انه اظهر عندهم ان لفظه بالقرآن مخلوق اهـ، وما بين الأقواس من عندي للإيضاح، وعندما يقول ابن أبي حاتم (ثم تركا حديثه) هي مثل قولهم في أبرياء آخرين: تركه أحمد ، تركه أبو حاتم، . .الخ، لكن السلفية المحدثة تنتقي، وتظهر لطلابها المساكين بأن أهل الحديث كلامهم كله لله ! فلا يجرحون لهوى ولا لخلاف

والبخاري رغم غلوه في العقائد وميله للتجسيم وموافقته لهم في كثير من النصب والتكفير إلا أنه ضاق بهم ذرعاً قبل أن يضيقوا به، فألف كتابه (خلق أفعال العباد) في الرد عليهم فتدبروه! ثم لم يرو عن أحمد بن حنبل شيئاً- فالبخاري أيضاً عنيد !- بينما روى البخاري عن القائلين بخلق القرآن أو المستجيبين كرهاً وطمعاً كابن المديني وأكثر عنه جداً نكاية في أحمد وأصحابه، بل أكثر عن إبراهيم بن المنذر الحزامي (الذي رحل من المدينة إلى العراق ليقول بخلق القرآن) ! لكن السلفية المحدثة لا يكشفون لطلابهم هذا النزاع الذي هو أسوأ من النزاع بين فرق الشيعة والمعتزلة !

وقد تزعّم كبر تبديع البخاري وتضليله - مع الأمر بهجره وترك حديثه وترك تشييع جنازته- شيخه الحنبلي السلفي محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري (258هـ)، وهو - أعني الذهلي- كان ناصبياً إلى حد متوسط و هو الذي تجرأ على تضعيف الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عديس البلوي (الرضواني) لثورته على عثمان، وأمر بترك حديثه وخالف قاعدة الصحابة كلهم عدول، فتبين أن هذه النظرية هي للخداع وليس عليها عمل أهل الحديث فإنهم عندما يحتاجون لتضعيف بدري أو رضواني ضعفوه، إنما يحرمون المساكين أمثالنا من مجرد النظر شزراً إلى معاوية !

وعلى كل حال: في هذه الفترة المتوكلية كان أبو زرعة وأبو حاتم (اللذان ضعفا البخاري واستوليا على كتابه التاريخ الكبير وأخرجاه باسم (الجرح والتعديل)، وهو من ترتيب تلميذهما ابن أبي حاتم، وفي الكتاب تضعيفهم للبخاري نفسه) وفي هذه الفترة كان أبو بكر المروذي التلميذ الخاص لأحمد بن حنبل (وتوفي المروذي 275هـ

شخصي ولا لمذهب . .الخ، وهذا غش، فأهل الحديث كغيرهم قد ينصفون وقد يظلمون، بل قد يتظالمون فيما بينهم كما ترون هنا، ولم يتجرأ أهل الحديث في القرن الثالث أن يرووا عن البخاري بسبب هذا التضعيف والنهي من غلاة الغلاة، باستثناء قلائل رووا عنه كالترمذي، وكاد صحيحه أن يفنى ويضيع بسبب هذا التحذير من الرواية عنه، لولا أن الفربري استدرك ذلك في أوائل القرن الرابع، وروايته هي التي أشهرت صحيح البخاري، ولصحيح البخاري روايات أخرى بعضها أقدم من الفربري لكن ليست كاملة.

وهو راوية هذا الحديث ولعله باتره أيضاً) كان من غلاة الغلاة ببغداد، وكان يكفر من لا يؤمن بأن الله يُقعد النبي (ص) معه على العرش وأقام بسبب هذا فتنة عظيمة ببغداد وأزعج العالم الإسلامي كله بكتابته إلى الحنابلة في الأقطار يأمرهم بامتحان الناس في هذا الأمر، أعني مسألة القعود، وفتنته تناولها المؤرخون كالابن الأثير، فهذا المروذي هو شيخ العقيلي نفسه وفي هذا الحديث أيضاً، وكان فيه نصب، ولا تجد متعصباً إلا وفيه نوع من النصب..

وكان في هذه الفترة عبد الله بن أحمد (290هـ) مكفر أبي حنيفة، وأمره مشهور، وأخوه صالح معتدل لكن لاعتداله لم يشتهر بينهم كما اشتهر الابن الآخر المغالي (عبد الله بن أحمد) كحالنا اليوم تماماً، فالعاقل منهم في نزول والأحمق منهم في صعود.

وفي هذه الفترة كانت صولة الحنابلة ببغداد وحصارهم للإمام الطبري (310هـ) في بيته، وإجبارهم له على إخراج عقيدة تسمى (التبصير في أصول الدين – مطبوعة الآن، وفيها آثار الإكراه واضحة، وقد وزعها السلفيون اليوم في كل بلد !)، ومع ذلك لم تشفع هذه العقيدة للطبري فقد مات محاصراً (310هـ) في بيته، واتهموه بالإلحاد والزندقة، وأتلفوا بعض كتبه، وكان الطبري من السنة القلائل المعتدلين يومئذ.

وفي هذه الفترة كان أبو بكر بن أبي داود (316هـ) الناصبي المشهور الذي كاد أن يقتل تعزيراً لطعنه في الإمام علي طعناً فاحشاً، وهو صاحب كتاب المصاحف..

وفي هذه الفترة كان مجنون الحنابلة أبو الحسن البربهاري (329هـ) إمام غلاة الحنابلة في عصره وكتابه السنة مطبوع (ينضح تكفيراً وقد تسابق السلفيون على طبعه ونشره هذه الأيام فهم يمشون تحت الأرض وبهدوء لكنه الهدوء الذي يسبق سفك دماء المسلمين، أو تكفيرهم على الأقل)!.

إذن فهذا العصر الحنبلي الناري لن يسمح بذكر معاوية بسوء ! ولذلك نجد البتر والتحريف لصالح معاوية[39]، لا سيما وأن المروذي هو شيخ العقيلي في هذا الحديث، كما أن المروذي قد حصل على فتاوى من أحمد بن حنبل تجيز له محو أي طعن في الصحابة[40] ! (ذكرنا منهج أحمد هذا مع التوثيق في كتابنا عن حديث : إذا رأيتم معاوية على منبري اقتلوه) وكان المروذي نفسه هو مستفتي أحمد في هذه الأمور . . فلن يخالف الفتوى، بل لعله لم يسأل إلا ليفعل، و البتر الذي حصل في هذا الحديث إما أنه حصل من المروذي – وهو الراجح- أو من العقيلي . . وكلاهما حنبليان .

عمل العقيلي وشيخه المروذي في الحديث:

إذن فالعقيلي أو المروذي أو كلاهما بتر الحديث والدليل على ذلك قوله (وذكر الحديث) فالحديث إذن معروف عند العقيلي والمروذي، لكنهما أو أحدهما لم يتجرأ على إكمال الحديث، فلم يذكر اسم معاوية ! فضاعت فائدة الحديث عند من لم يعرف أصل الحديث، ثم زعم العقيلي أن الحديث ليس له متابعات ولا شواهد ! وهذا أيضاً

---

39 وتعصب الحنابلة لمعاوية معروف، فالمذهب الحنبلي هو المذهب الوحيد الذي أخرج ثلاثة كتب أو أكثر في فضائل معاوية (وكل تلك الأحاديث والآثار موضوعة) ! وهذه الكتب قديمة ولا أقصد ما وضعوه من مؤلفات معاصرة، فهذا لا يحصر، ثم ليس لهم كتاب واحد في فضائل علي بن أبي طالب بل ولا أعلم لهم كتاباً في فضائل رسول الله (ص)، وهذه كتب شمائل النبي (ص) وخصائصه ليس فيها حنبلي، وأقصد أيضاً المصنفات القديمة إلى القرن الرابع أو الخامس، فالحنابلة ألفوا الكتب في فضائل معاوية قبل أن يؤلف أحد منهم في فضائل علي إلا إذا استثنينا ما رواه الإمام أحمد في كتابه (فضائل الصحابة) فقد روى فضائل علي وأهل البيت ضمن فضائل الصحابة وهذا عمل مشكور مأجور، إلا أن من يقول بمضمون هذه الأحاديث يتم تبديعه ! وأهل الحديث الذين كتبوا فض فضائل علي ليسوا حنابلة وإنما شافعية كالنسائي والحاكم أو مالكية كابن عبد البر، والحنابلة قديماً هم السلفية حديثاً، تيار أيدلوجي يزعم أن السلف كلهم على عقيدته .

40 وأما فتاواه التي استخرجها من أحمد – حسب زعمه- فقد أورد بعضها الخلال في كتابه السنة: ففي (السنة للخلال [جزء 3 – صفحة 501 إلى 515] : تحت باب: التغليظ على من كتب الأحاديث التي فيها طعن على أصحاب رسول الله) ! وهي تستوجب عدم الوثوق في هؤلاء جميعاً إذا تعلق الأمر بمعاوية .

باطل، فللحديث شواهد كثيرة، وإن كان أحد رواة هذا الإسناد لم يتابع على هذا الحديث عن عبد الله بن الحارث الزبيدي، فالإسناد كله شاهد للحديث الآخر من طريق طاوس بن كيسان عن عبد الله بن عمرو، كما أن حديث طاوس شاهد له، ولا تعرف أكثر الأحاديث إلا بمثل هذه المتابعات والشواهد .

فالعقيلي هنا قام بأمرين، إخفاء اسم الرجل - وهو معاوية كما ثبت من حديث عبد الله بن عمرو وغيره- والثانية زعمه أن أحد الرواة لم يتابع عليه، والراوي هو عكرمة بن أسد .

فإن كان يريد أن يقول إن أحداً لم يتابع عكرمة بن أسد في الرواية عن عبد الله بن الحارث فهذا صحيح فيما نعلم (وكثير من الصحابة والتابعين لم يرو عنهم إلا واحد ، أو هم لم يرووا إلا عن واحد ، فليس التفرد وحده علة كافية لا سيما إذا كان لحديثه شواهد) .

وذلك كان على العقيلي أن يذكر طرق الحديث الأخرى وهي مشهورة، وقد سبقت .

ثم تلميذ الحارث بن يزيد (تلميذ عكرمة بن أسد)، ثقة ثبت حجة .

كما أن عبد الله بن الحارث (شيخ عكرمة بن أسد) صحابي، وليس له إلا هذا الحديث،

وأما بقية رجال الإسناد فسبقوا في الهامش وستأتي تراجمهم موسعة في الملحق، وهم بين الثقة والصدوق .

فكان الأولى أن يقول العقيلي والذهبي وغيرهم ممن استنكروا هذا الحديث أن يقولوا: (روى حديثاً معروفاً) وليس كما قال الذهبي (أتى بخبر منكر) !

لأن الخبر ليس منكراً إلا من الناحية المذهبية الناصبية فقط، فالحديث روي من غير طريقه بسند صحيح، فكان الاطراد والإنصاف المذهبي يوجب على الذهبي وغيره أن يقول هذه التهمة في كل رواة هذا الحديث من جميع أسانيده .

فيقال : عبد الرزاق أتى بخبر منكر

ومعمر أتى بخبر منكر

وعبد الله بن طاووس أتى بخبر منكر

وطاووس أتى بخبر منكر

وعبد الله بن عمرو بن العاص أتى بخبر منكر

وما بقي إلا اتهام رسول الله بأنه أتى بخبر منكر

لكنهم يسكتون عن القوي ممن يروي هذه الأحاديث ويضربون الضعيف! إذا اتفقا في رواية حديث واحد . .

وهذا لؤم السلطة انتقل لكثير من أهل الحديث. . فأهل السلطة يخضعون للقوي ولا يرحمون الضعيف! بينما الجرح والتعديل لأنه متصل بعلم الحديث ولأن الحديث مصر من مصادر التشريع فكان يجب ألا تأخذنا في الشرع لومة لائم. .

خلاصة القول:

الإسناد الأول (طريق طاوس) صحيح –كما تقدم-

والإسناد الثاني (وهو المتابعة) حسنة الإسناد، ولم تصح تلك التهم حتى نقول إن الإسناد ضعيف، أعني لم يصح التفرد بهذا الحديث ولا أنه منكر ولا . .الخ فما بني على باطل فهو باطل.

ولا يجوز اتهام راوٍ بخبر صح من غير طريقه، ولم يكن له إلا مجرد الموافقة، بل يكون صحة الخبر من غير طريقه دليلاً على أنه صدق في هذا الحديث على الأقل . .

والإسناد أقل ما يقال عنه أنه حسن في الشواهد، أي حسن لغيره بلا خلاف، وانظر تراجم الإسناد في الملحق. .

والآن إلى الطريق الثالثة عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

الطريق الثالثة: مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص:

هذا الحديث ربما هو عن عبد الله بن عمر وربما عن عبد الله بن عمرو، والذي رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صفين ص217) عن جعفر بن زياد الأحمر (وهو صدوق يتشيع) عن ليث، (وهو صدوق يخطئ)، عن

مجاهد – وهو ثقة – عن عبد الله بن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يموت معاوية على غير الإسلام
) اهـ.

ولأني أرجح أنه من حديث عبد الله بن عمر فسيأتي موسعاً في حديث عبد الله بن عمر، ولكن إن كان بعض الرواة قد تصحف عليه ابن عمرو إلى ابن عمر، فهذا يصبح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

الطريق الرابعة: أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عمرو بن العاص

حديثه عند أبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وغيرهما، مع اختلاف في اللفظ سنبينه.

ولفظه عند ابن أبي شيبة – وفق اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري –:

قَالَ أَبو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : وَحدثنا عَبْدُ الله بْنُ نُمَيْرٍ[41]، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ[42]، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ[43]، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ

---

[41] عبد الله بن نمير (199هـ) ثقة كوفي سني! هكذا يصفونه، وسنة أهل الكوفة من تيار المعارضة الكوفية، وغالباً يلحقهم بعض النصب، لأن الدولة ناصبية في الجملة، وخاصة الرشيد والمتوكل، ولابن نمير هذا ابن اسمه محمد بن عبد الله بن نمير من طبقة ابن أبي شيبة وأحمد وابن معين، وكلاهما يطلق عليه المحدثون (ابن نمير) ويمكن معرفة الأب إذا كان الراوي عنه طبقة أحمد وابن أبي شيبة وعلي بن المديني، وأما الابن فتروي عنه الطبقة الثانية طبقة أصحاب الكتب الستة، فليلحظ هذا طلبة العلم، والأب والابن من نواصب الكوفة (لكن نصبهما من تلك الطبقات الدنيا في النصب، أعني لا يسبون علياً ولا يلعنونه لكن بلاءهم في حب معاوية والانحياز لثقافة الغرباء كالبصريين النواصب والبغداديين والسلطة القائمة وأهل الحجاز الذين أتت معظم ثقافتهم من أحاديث أبي هريرة وابن عمر وزيد بن ثابت).

[42] عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف، كان مع عامة أهل الحديث وفيه انحراف عن أهل البيت، وكان أخوه حكيم بن حكيم مائلاً إلى أهل البيت، وعثمان بن حكيم هذا من شيوخ سيف بن عمر، وفي رواياته أموية ما، أما سيف فناصبي كبير، . . وقد انفرد عثمان بن حكيم برواية عن عكرمة عن ابن عباس في منع الصلاة على غير النبي (ص) ! واستنكرها حتى

ذَهَبَ عَمْرٌو يَلْبَسُ ثِيَابَهُ لِيَلْحقَنِي، قَالَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ : لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ لَعِينٌ، فَوَاللهِ مَا زِلْتُ وَجِلًا أَتَشَوَّفُ أَنْظُرُ دَاخِلًا وَخَارِجًا، حَتَّى دَخَلَ[44].

قال البوصيري: هَذَا إِسَنَادٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، فَقَدِ احْتُجَّ بِجَمِيعِ رُوَاتِهِ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللهُ أَعْلَمُ : أَنَّ الدَّاخِلَ غَيْرُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَلِهَذَا سَكَتَ وَجَلًا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو.

التعليق:

قبل الإجابة على الاختلاف اليسير في اللفظ نشير إلى أن ما قاله البوصيري صحيح، فالداخل ليس عمرو بن العاص، ولكن لم يسكت عبد الله بن عمرو، إنما ذكر في الأحاديث عنه أنه طلع معاوية، فقال النبي (ص) : هو هذا، ولكن الناس بدؤوا بالقصقصة، فأخفوا لفظة (هو هذا) ثم بتروا اسم معاوية، فأصبح الحديث كما ترونه، لا يفيد معنىً، وإنما أخفى بعض الرواة (اسم معاوية) حماية لمعاوية من النبي (ص)، وأكثر أهل الحديث متعصبون لمعاوية ويقنعوننا أن هذا من باب محاربة الشيعة والرد عليهم، ولا يدرون أنهم يحاربون رسول الله بهذا التصرف القبيح في كلامه بتراً وإخفاءً، ولا نعلم بالتحديد من سكت عن اسم معاوية، هل هو عثمان

أهل الحديث، وشهد لعكرمة بأن ابن عباس يوثقه ويوصي به، وعكرمة ناصبي، فالنواصب يروون المنكرات في فضل بعضهم وتوثيقه، . . وله أشياء من هذا القبيل، وقد ينسب خطأ لعثمان بن حنيف أو سهل بن حنيف، وهذا خطأ، فجده إنما هو أخوهما الثالث المنافق عباد بن حنيف كان من أصحاب أبي عامر الفاسق، ((راجع ترجمته في الملحق »

[43] أبو أمامة بن سهل بن حنيف، ثقة بإجماعهم، مات سنة 100هـ وقيل له رؤية.

[44] هكذا قطع ابن نمير الحديث . .ولم يكتف أهل الحديث بهذا البتر، بل جعلوا مكان معاوية الحكم بن أبي العاص لأنهم يتقبلون ذمه وكثرت الأحاديث في لعنه فلا باس أن يتجمل حديثاً آخر في لعنه ويسلم من ذلك معاوية ! .

بن حكيم ففي أحاديثه وسيرته ما يدل على ميل ما لبني أمية وانحراف ما عن أهل البيت، رغم أنه ثقة في نفسه لكن الهوى هوى، أم الراوي عنه عبد الله بن نمير وفيه نصب أيضاً .

وقد تطور هذا الإخفاء لاسم معاوية إلى وضع أسماء أخرى في مراحل زمنية لاحقة! فوضع النواصب اسم (علي والعباس) ليكونا هما من أصحاب النار ومن المتوفين على غير الملة! (وعمل أهل الشام على نشره، فلا يعرف إلا عند أهل الشام من رواية عروة – وهو أحد صنائع معاوية–) وقد بقي هذا الحديث إلى العهد الحنبلي فأخفوه لأنه فضيحة في حق هؤلاء الرواة سواء عروة أو الزهري أو تلاميذ الزهري، فقال أحمد (لا تعجبني هذه الأحاديث) ؟ وهل هذا جواب مقنع؟ وسيأتي التفصيل.

وبعض أهل الحديث اختار أن يكون الحكم بن أبي العاص هو النائب عن معاوية في هذا الحديث، وجعلوه هو المقصود، فالوطأة عليهم بذم الحكم أو مروان أخف من الوطأة بذم معاوية لا سيما وأن الشيعة والمعتزلة وبعض أهل الحديث يكفرونه، فلا بد من بتر الحديث أو تحريفه حماية لرمز من رموز السلفية، والحكم بن أبي العاص مذموم وقد ورد لعنه لكن في مناسبة أخرى مختلفة عن هذا السياق – وسيأتي مفصلاً– .

علة خفيفة في متن الحديث:

نعم بقي في الحديث علة خفيفة لا تؤثر فيه، وهي أن لفظ هذا الحديث (رجل لعين)، وفي اللفظ الأصلي (يموت على غير ملتي) أو (رجل من أهل النار) والجمع ممكن، فقد يكون أصل الحديث الجمع بينهما (رجل لعين من أهل النار يموت على غير ملتي)[45]، فمخرج الحديث واحد، ومناسبته واحده، وسببه واحد، وإنما من لم

45 وقد سبقت أسباب اختلاف ألفاظ الحديث، وأن بعض ذلك قد يكون طبيعياً كالرواية بالمعنى ونسيان بعض ألفاظ الحديث، وبعضه ليس طبيعياً كتعمد البتر إما عصبية أو خوفاً من المذهب أو العامة أو السلطة.

يجرب الحديث قد يظن الحديث الواحد عدة أحاديث، وإنما نعرف اختلاف الألفاظ في اتحاد المخرج والمناسبة ومنهما عرفنا أن حديث أبي أمامة عن عبد الله بن عمرو هو نفسه حديث طاوس بن كيسان عن عبد الله بن عمرو وهو نفسه حديث عبد الله بن الحارث الزبيدي عن عبد الله بن عمرو، عرفنا ذلك من اتحاد المخرج واتفاق المناسبة، والشواهد الآتية عن ابن عمر وابن الزبير وأبي ذر.. مع القرائن والشواهد والحواضن من كل اتجاه...

ومن جرب رواية الحديث واختلاف الألفاظ عرف أن معظم الأحاديث الصحيحة لا تكون متطابقة الألفاظ، ولا يكون هذا علة في تفريق الحديث إلى أحاديث إلا إذا تناقضت الألفاظ أو صعب الجمع بينها .

الهدف من هذا الحديث:

لا ريب أن كلام النبي (ص) كله له فائدة، وليس هناك حديث ليس له فائدة، بل كل لفظة من حديثه (ص) لها فائدة، وكل من تسول له نفسه إخفاء شيء من أي حديث عمداً فقد وقع في الفتنة وشيء من النفاق.

والنبي (ص) لا يذم أحداً إلا بالشرع ولا يثني على أحد إلا بالشرع، وعلى هذا لن يقول هذا القول إلا ليستفيد السامعون من الصحابة فيحذرون معاوية وينذرون من بعدهم، وتستفيد الأمة فيما بعد .

ثم هذا الحديث جزء من الإغلاظ على المنافقين الذي أمر الله به رسوله (ص)، ولا نشك أن النبي (ص) استجاب لربه وأخرج هذا الإغلاظ في بيان هؤلاء والتشنيع عليهم بالحق، وكان الأمر بالإغلاظ على المنافقين قد تكرر في سورة براءة، في سياق ذم من حاول اغتيال النبي (ص)، كما في قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) – التوبة]

لكن أهل الحديث والتاريخ لم ينقلوا لنا كيف نفذ النبي (ص) هذا الأمر الإلهي؟ ! ليس لأن النبي (ص) لم يفعل وإنما لأن السلطة الأموية لا تريد كشف المستور !

وكان هذا الحديث وأشباهه من مصاديق وبراهين تنفيذ النبي (ص) لهذا الأمر الإلهي، الذي لا يشك مسلم بأن النبي (ص) سينفذ أمر الله بمجاهدة المنافقين بالتحذير والفضح والبيان والوصف والإخبار عن المآل . .الخ.

تحريف النواصب ثم السلفية المحدثة لهذا الحديث !

السلفية المحدثة أبلت بلاءً سيئاً في حماية معاوية من هذا الحديث، وغيره من الأحاديث، لكن يهمنا هنا معرفة دور النواصب ثم السلفية المحدثة ثم الحنابلة في هذا الحديث خاصة[46]، وإلا فكل الأحاديث في ذم معاوية حاربها السلفيون، كحديث الفئة الباغية وحديث لا أشبع الله بطنه وحديث الملك العضوض وحديث لا يبغض علياً إلا منافق وحديث قاتل عمار وسالبه في النار وحديث القاسطين . . .الخ.

وأساليب السفلية المحدثة (المتلبسة بالنصب) تلجأ إلى التضعيف إن أمكن، أو الإهمال والإخفاء، أو الزيادة على الحديث بما يبطله، أو زيادة رجل ضعيف في الإسناد ليس عند غيرهم، أو حذف رجل من الإسناد، أو تحريف بعض ألفاظ الحديث بما يكفل نجاة معاوية منه، أو تحويل الحديث من ذم إلى فضيلة عبر التحريف، وإن كان قد اشتهر فيمكن بالتأويل فقط أن يقلبوه من ذم إلى فضيلة، . .الخ.

---

[46] وهؤلاء التيارات الثلاثة كالدوائر الثلاث المتشابكة، يلتقون في أشياء ويتفرقون في أشياء، وفي الثلاثة نصب متفاوت من حيث الجملة، ويتفرقون في عقائد أخرى، فليلاحظ هذا .

و حديثنا هذا (حديث عبد الله بن عمرو بن العاص) مارست عليه السلفية المحدثة معظم هذه الأساليب، فهم كتموه أولاً وأخفوه ولم يروه إلا قليل منهم رغم قوة نصيحته للأمة، ورغم تحققه في الخارج من حيث القرائن، ثم لم يرووا الحديث من الطرق الأخرى الأقوى والأصرح كطريق طاوس بن كيسان (الذي هو أصح الطرق)، وأتبعوا ذلك ببتر وتضعيف الطريق الآخر (طريق عبد الله بن الحارث الزبيدي وهو طريق حسن) كما فعل العقيلي، كما بتروا ثم حرفوا حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عبد الله بن عمرو بزيادة تفسيرية تصرفه عن معاوية وتجعله في الحكم بن أبي العاص، فقالوا في نهاية الحديث (يعني الحكم بن أبي العاص) ! وهم إنما ضحوا بالحكم بن أبي العاص لأنه عندهم (حل وسط) بين النواصب الخلص الذين يوردون الحديث في علي العباس، وبين بقايا من السنة الخلص الذي يوردونه في معاوية، ويتفق معهم المعتزلة والشيعة والسلطة المأمونية، فكان الحكم بن أبي العاص بتفسيرهم حلاً وسطاً للرد على هؤلاء وهؤلاء، والتيار السلفي هو تلفيق بين السنة الخلص والنواصب، فكان الحكم بن أبي العاص حلاً وسطاً يعطي مصداقية ما للسلفية المحدثة (التلفيقية) ويبقي على الرمز الأكبر لهم وهو معاوية، فالحكم بن أبي العاص رغم كونه أموياً إلا أنه لم يحكم الدولة ولم يكن مؤثراً في الثقافة والفكر الديني المذهبي، ذلك الفكر بنصبه وإرجائه وجبره وتجسيمه الذي تبنته السلفية المحدثة – وقد تعلم أولا تعلم- أنه موروث عن سلطة بني أمية، وقد انتشرت هذه العقائد في كتب أهل الحديث سواء في الحديث أو العقائد أو الأحكام أو السلوك أو تزكية النفس . .الخ.

فقبول السلفية المحدثة بإيراد هذا الحديث في الحكم بن أبي العاص (رغم أنه عندهم صحابي وأموي ومن الطلقاء) ورغم أنه قد يخرم شيئاً من نظرية (عدالة الصحابة) إلا أن بعض الشر أهون من بعض، فإنهم إذا تركوا الحديث بلا تفسير فالآخرون يذكرون الحديث كاملاً في معاوية، فكان لا بد من عملية جراحية مؤلمة

بالتضحية بالحكم بن أبي العاص! إما إدراجاً في الحديث أو تفسيراً له (حسب اختلاف ألفاظ الحديث) وهذا عمل عقلاؤهم أما مجانينهم فقد جعلوا (الجنة) مكان (النار) أو (علياً) مكان (معاوية) كما سيأتي.

إذن فالسلفية المحدثة وإن كانت متعصبة لكل بني أمية وولاتهم إلا أنهم قد يتسامحون في ذم يزيد والحجاج والحكم ومروان ليبقى معاوية، لأن ذم هؤلاء لا يُفقد السلفية كثيراً أما ذم معاوية فيفقدها كل شيء.

واقعة التحريف:

قال البوصيري - بعد أن كره الحديث - حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف السابق - قال في اتحاف الخيرة المهرة - (ج 8 / ص 29)- رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسند الصحيح[47]، و معنى الحديث- والله أعلم- أن الداخل غير عمرو بن العاص، ولهذا سكن وجل عبدالله بن عمرو، وقد رواه أحمد بن حنبل مفسرًا فذكره بتمامه وزاد: "حتى دخل فلان- يعني: الحكم" اهـ .

قلت: وهذا التفسير في رواية أحمد هي زيادة تحريفية سواء صدرت من أحمد بن حنبل أو من شيخه عبد الله بن نمير، وقد أتى هذا التفسير بعد أن قام بعضهم بحذف اسم معاوية، فالحديث ينقص قرناً بعد قرن، فيتم القضم من ألفاظ الحديث الأصلي حتى لا يبقى فيه معنى.. ثم بعد زمن يسدون هذا النقص أو هذا الحذف بزيادات وتفسيرات تصرفه تماماً عن المعنى الأول، فالتحريف تحريفان، تحريف بالنقص وتحريف بالزيادة، وقد اجتمع التحريفان في هذا الحديث ولكن على فترات زمنية، فالحديث كاملاً سار مئة سنة ثم نقص منه معاوية مئة سنة ثم كانت إعادة اسم الحكم مكان اسم معاوية واستقر هذا إلى اليوم في مسند أحمد (هذا كله في

---

47 أي باللفظ السابق.. دون الزيادة التفسيرية الحامية لمعاوية..

طريق أبي أمامة بن سهل بن حنيف) فقط وليس في طرقه الأخرى، فالطرق الأخرى ليس فيها إلا حالتان، إما التصريح باسم (معاوية) أو حذفه فقط ! وليس في تلك الطرق استبدال اسم مكان اسم .

وأما من حيث المتن (في رواية أحمد) فالتفسير بأن الداخل هو الحكم بن أبي العاص ليس صحيحاً فقد صحت الأسانيد وتعددت بأنه معاوية، فهذا التفسير إما أنه اجتهاد لكثرة الأحاديث في لعن الحكم وذمه – عند حسن الظن– وإما أنه لحماية لمعاوية، وأنه من أحد رواة السلفية، وكل رواته سلفيون (ولأهل الحديث من السلفية باع طويل في حماية معاوية من النصوص الشرعية إما تضعيفاً أو تأويلاً أو إخفاءً أو قلب المثالب إلى مناقب في آخر الأمر واعتبار لعن النبي (ص) لمعاوية أو ذمه له غير مستحق وأن لمعاوية أجر على ذلك. . فالسلفية المحدثة أغلقت كل الأبواب، فهي تشغلك في إثبات المسألة أو الحديث وتتعنت في التسليم بصحة ذلك ثم إذا انهزمت قالت : هو مأجور، فهذا آخر ما يمكن أن تجد منهم، أي أن تنقلب المثلبة إلى فضيلة فيصبح معاوية مأجوراً على كل الجرائم التي ارتكبها لأنه اجتهد في كل جريمة وتأول، وهو مأجور على كل اللعنات المتابعة التي وردت فيه لأنه لا يستحق ! هكذا بكل سهولة تستهتر السلفية المحدثة بالنصوص الشرعية إذا تعلق الأمر بشيء من الطعن في معاوية) .

احتمالات أخرى لكيفية حدوث هذا التحريف:

ويحتمل أن عبد الله بن نمير [48] روى الحديث إلى قوله (حتى دخل)، ولما خشوا أن يعود الضمير على عمرو بن العاص (راجع لفظ الحديث) فسره ابن نمير للسامعين بما يتجنب هذا الوهم، وأنه لم يكن يعرف أن الداخل

[48] وأهل الحديث يحبون النواصب من أهل الكوفة ويضخمونهم لأن الأصل في الكوفة التشيع (محبة أهل البيت) وهم اليوم يفعلون هكذا من باب الحزبية والمذهبية، فإن علموا بمتسلف في صعدة الزيدية أو الكوفة الشيعة أو مسقط الإباضية أو الرباط

معاوية أو يعرف، ففسره حسب ترجيحه أو هواه – الله أعلم- بأن الداخل هو الحكم، فأخذ بهذا التفسير بعضهم كأحمد بن حنبل، وصرح بما يفيد أنه تفسير بقوله (يعني الحكم)، وتركه آخرون كابن أبي شيبة لأن التفسير مدرج من تفسير ابن نمير وليس من الحديث، فاقتصر ابن أبي شيبة على الحديث.

أو أن أحد التلاميذ – كأحمد – سأل ابن نمير من هو؟ فأجابه بأنه الحكم لأنه ظن أن كثرة الأحاديث في لعن الحكم تشهد لذلك، والحديث فيه اللعن واختفى منه (الموت على غير الملة) فظنه حديثاً آخر، وكان الحكم أشهر الملعونين، ففسره بالحكم ترجيحاً – هذا كله في حال حسن الظن بهؤلاء-.

وقد يكون ابن نمير رواه بصيغتين في وقتين مختلفين مرة مع التفسير ومرة مع عدمه (وكان عبد الله بن نمير كوفياً فيه نصب) فروى ابن أبي شيبة الحديث عنه ساعة حدث به مبتوراً، وحدث به أحمد ساعة تحديثه به مفسراً بالإدراج.

ولا أستبعد أن يكون ابن نمير تبرع بهذا التفسير، لطلب الرفعة عند أهل الحديث، لأنه بهذا يكون قد أخرجهم من ورطة كبيرة! فيشتهر عنهم بالعلم والسنة والفضل وعلم العلل. .الخ، وقد وصفوه بهذا!

القرينة أن المراد معاوية وليس الحكم:

الصوفية أو القاهرة الأشعرية؛ قصموا ظهره بالثناء، وأنه وحده الصالح السني في هذه المدينة المبتدعة، وأنه به يرزقون وبه يمطرون يدخل من يشاء منهم جنة ويرمي من يشاء في السعير، . . الخ حتى يرتكب المسكين من الأمور ما يهوي به في جهنم من تزكية النفس واحتقار المسلمين والغيبة والنميمة والكذب والغش وكبر الحق وغمط الناس، فيرتكبون خمسين كبيرة من كبائر الذنوب لأجل وهم وقع فيه ابن تيمية أو أحمد بن حنبل أو محمد بن عبد الوهاب، فتضخيمهم ابن نمير الكوفي من هذا الباب وقد يكون هو من ارتكب تحريف الحديث .

مجرد التوقف عند كلمة (دخل) في اللفظ المشهور يدل على أنه معاوية، لأنهم لا يتورعون من رواية الأحاديث في لعن الحكم إنما يتورعون عن رواية مثالب معاوية، بسبب الخصومة مع المعتزلة والشيعة وقلة من أهل الحديث الذين لم يطاوعوا السلفية المحدثة في إخفاء مثالب معاوية لأجل المعركة المذهبية مع الشيعة والمعتزلة، ولأجل تكريس القطيعة مع العهد المأموني، فالأقلية من أهل الحديث الذي يروونه في معاوية يرون أن الحديث ملك للجميع، وأن من حق أي طرف أن يستدل بالحديث الصحيح، وليس الحديث ملكاً لأهل الحديث حتى يخفونه عمن شاءوا وينشرونه لمن شاءوا، ويبترون منه وقت ما يريدون ويزيدون فيه حسب الظروف المذهبية والسياسية، ومن هؤلاء المحدثين الذين لم يستجيبوا لهذا التيار في إخفاء هذا الحديث محمد بن عبد الحميد الرازي ويحيى بن عبد الحميد الحماني وعبد الرزاق الصنعاني ويحيى بن آدم وغيرهم كما سيأتي.

وإلا فماذا يعني التوقف عند كلمة (دخل) من الذي دخل؟

وما فائدة الحديث إذن؟

أتخافون أم يحيف الله عليهم ورسوله؟.

بل أول قصقصة للحديث هو إخفاء قول النبي (ص) : (هو هذا) . . ثم أخفوا (فطلع معاوية) واقتصروا على (فدخل) ثم أولوها بالحكم بن أبي العاص وقبل هذا هجروا الحديث هجراً قوياً حتى كاد أن يختفي من كتب الحديث، مع معرفتهم به، فالإمام أحمد يعرفه ويعرف أن له طريقاً غير منكر (كما سيأتي في علل الخلال) إلا أنه لم يخرجه في المسند، بل لعل إخراجه للحديث الذي فيه تفسيره بالحكم بن أبي العاص أتى لأجل حماية معاوية، فإن أحمد من عادته ألا يصرح باسم الحكم بن أبي العاص إلا في هذا الموطن، فقد روى الإمام أحمد حديث الشعبي عن ابن الزبير (أن الحكم وولده ملعونون) رواه في مسنده بسند صحيح، لكنه أخفى اسم

الحكم وقال (إن فلانا وولده ملعونون) فلماذا صرح هنا باسم الحكم؟ الجواب سهل وهو أن الحديث معروف يومئذ باسم معاوية، وهو في منشور المأمون المشهور، وكان يقول بمضمونه بعض محدثي عصره كشيخ المحدث الكبير عبد الرزاق الصنعاني، ومعاصره المحدث الكبير يحيى بن عبد الحميد الحماني الرازي، . .الخ، فالتصريح باسم الحكم هنا من أحمد سواء كان تفسيراً منه أو نقلاً لتفسير، إنما هو لحماية معاوية، فالحديث بهذا اللفظ التفسيري حديث ضرار، ولا يأتي أحد ليقول إن الإمام أحمد كان جريئاً لروايته حديثاً في لعن الحكم بن أبي العاص مع أن الحكم بتعريفهم صحابي، فإنه إنما اضطر للتصريح باسم الحكم تفسيراً لأنه يعلم أن الحديث المصرح باسم معاوية متداول عند عدد لا بأس به من أهل الحديث الكبار، فصرح باسم الحكم هنا من باب أن (بعض الشر أهون من بعض) ! وكان أهل بغداد يغلون في معاوية من عهد الرشيد إلى عهد المتوكل (وعهد الرشيد فيها نشأة أحمد، وعهد المتوكل فيه سلطة أحمد) .

(انظر مزيداً من تحريفات أحمد بن حنبل للأحاديث التي تتناول بني أمية ومعاوية في الملحق)

(انظر المزيد من محاولات حماية السلفية لمعاوية من هذه الأحاديث في الملحق)

مناسبة لعن الحكم تختلف عن مناسبة لعن معاوية:

سبب لعن الحكم بن أبي العاص إنما هو تجسسه على رسول الله لصالح قريش (يعني لصالح أبي سفيان ومعاوية وحزبهما) ! وكان أيضاً يستهزيء بالنبي (ص)، فبعث رسول الله علياً ليأتيه به فأتاه به يقوده من أذنه فلعنه رسول الله (ص) ونفاه إلى الطائف. . فهذه مناسبة لعنه من قبل رسول الله[49].

---

[49] ففي فتح الباري – ابن حجر – (1 / 339): حديث أنس (في صحيح البخاري) أن رجلا اطلع في بيت النبي صلى الله عليه و سلم تقدم أنه الحكم بن أبي العاص/ وفي وفي فتح الباري – ابن حجر – (12 / 243)

قوله (يعني في صحيح البخاري): أن رجلا اطلع أي نظر من علو . . ووجدت في كتاب مكة للفاكهي من طريق أبي سفيان عن الزهري وعطاء الخرساني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص وهو يقول اطلع علي وأنا مع زوجتي فلانة فكلح في وجهي/ وفي ففي تاريخ الإسلام للإمام الذهبي – (3 / 366): وقال معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن حنش بن قيس، عن عطاء، عن ابن عمر قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل علي يقود الحكم بأذنه فلعنه نبي الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً.

وهناك باب كامل في في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – (18 / 257) للحافظ ابن حجر هو : بَابُ لَعْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ وبنيه وبني أمية، ومثله في المسانيد العشرة للبوصيري / وذكر أحاديث كثيرة في لعن الحكم وليس فيها هذه المناسبة الخاصة بمعاوية وهي (يطلع عليكم من هذا الفج) . ./ وفي الأوائل للعسكري – (1 / 53) أمر الحكم بن أبي العاص: أخبرنا أبو القاسم عن العقدي، عن أبي جعفر، عن المدائني، عن أبي معشر، عن عبد الله بن أبي فروة وعن غير هؤلاء قالوا: كان الحكم بن أبي العاص يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا صلى قام خلفه وأشار بأصبعه، فاطلع يوماً في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقام إلى النبي عليه الصلاة والسلام يعيره، فرجع الحكم، فقال النبي: من يعذرني من هذه الوزعة؟ تطلع علي في بيتي؟ لو أدركته لفقأت عينه، فسيره إلى الطائف /وفي العبر في خبر من غبر للذهبي– (1 / 23): وفيها – يعني سنة 31هـ– توفي الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، والد مروان وابن عم أبي سفيان، وعم عثمان بن عفان. أسلم يوم الفتح. كان يفشي سر النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل كان يحاكيه

أما معاوية فالمناسبة في لعنته تختلف، فهو يطلع عليهم من فج أو من درب ولم يبعث إليه النبي (ص) أحداً، نعم لعنه في مناسبات أخرى ليس فيها أنه بعث إليه ولا أنه كان يتجسس على رسول الله (ص)، فاختلاف وتغاير مناسبات اللعن بين الحكم ومعاوية يجعلنا نرجح بأن حديث ابن نمير هو في معاوية لأن مناسبة حديث ابن نمير تتفق تماماً مع مناسبة حديث عبد الرزاق والبلاذري وغيرهم ألا وهي أن عبد الله بن عمرو بن العاص أتى إلى النبي (ص) وكان قد ترك أباه يلبس فقال النبي (ص) : يطلع عليكم من هذا الفج رجل (لعين) يموت على غير ملتي. . فطلع معاوية، إلا أن حديث ابن نمير فيه (يطلع عليكم رجل لعين) فطلع (فلان)، ولا تناقض بين (الموت على غير الملة واللعنة من رسول الله)، فأكثرهم روى الحديث دون ذكر كلمة لعين، وذكر

في مشيته، فطرده إلى الطائف وسبه. فلم يزل طريداً إلى أن استخلف عثمان، فأدخله المدينة وأعطاه مئة ألف /وفي أسد الغابة – (1 / 274) روي في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي صلى الله عليه وسلم مع حلمه وإغضائه على ما يكره، ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم، . .الخ. وعلى كل حال فالحكم من الطلقاء ولن يتجسس إلا لحلف أبي سفيان الذي تحدثت عنه في أكثر من مناسبة، وسخريته من النبي (ص) وإشارته بأصبعه خلف النبي (ص) يدل على دناءة ونفاق . . أما لماذا لم ينفي النبي (ص) من تجسس له الحكم؟ فهذا سبق في أكثر من جواب، بأن النبي (ص) ليس دولة بوليسية، ولا يحقق مع من لا يظهر أذاه، فهو يعلم أن المدينة مليئة بالمنافقين وخاصة بعد انضمام الطلقاء، وهذه لحكمة إلهية بأن يبقى الابتلاء بوجود الشر وتبقى المحاسبة على الظاهر وترك التفتيش عن القلوب، فالذين يتساءلون قائلين: إذا كان أبو سفيان أو معاوية هكذا فلماذا لم يقتلهم النبي (ص) ؟ لماذا لم يسجنهم؟ نقول لهم : أنتم متأثرون بالدول القمعية القديمة والمعاصرة. . تذكروا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله عليه نبي ورسول كريم، بينما معاوية والحجاج وزياد وعبد الملك والمنصور والرشيد جبابرة. . فأولى بكم أن تتساءلوا عن هؤلاء لماذا ينهجوا نهج النبي (ص)، بدلاً من أن تتساءلوا عن رسول الله (ص) لماذا لم يتبع سياسة الجبابرة!.

بعضهم كلمة لعين وترك أول الحديث، هذا هو الخلاف بين تطويل واختصار، ولا يضر أصل القصة وأصل المناسبة.

نعم بقي كتمان اسم معاوية عند بعض الرواية المتأثرين ببني أمية فلم يتجرؤوا على ذكر معاوية لأن عامتهم التي تحبهم كانت قد تشكلت واكتملت، وهذه العامة عندهم غرام في معاوية وتدين بحبه من باب معارضة الشيعة، لأنهم نتاج قرن أموي مسيطر على كل الأرض، والعامة يتشكون بلون الدولة ولا يسقطون بسقوطها، فكان بعض أهل الحديث يخفي اسم معاوية ويتوقف عند قوله (فدخل فلان) أو (فدخل رجل) أو (فدخل غيره) يعني معاوية، وابن نمير توقف عند قوله (فدخل) وسكت!

(لماذا روى عبد الله بن عمرو بن العاص هذا الحديث وقد كان مع معاوية = انظر الملحق)

الحديث الثاني: حديث عبد الله بن عمر:

والحديث لم ينفرد به عبد الله بن عمرو بن العاص، وإنما روي عن صحابة آخرين، فروي الحديث من طرق (جابر بن عبد الله وابن عمر وابن الزبير وغيرهم) وهذه أسانيدهم ومصادرها، ونبدأ بحديث ابن عمر – وقد سبق مختصراً للتردد في اسم الصحابي-:

وهو الحديث الذي رواه نصر بن مزاحم[50] في كتاب (صفين ص217) عن جعفر بن زياد الأحمر[51] (وهو صدوق يتشيع) عن ليث[52]، وهو صدوق يخطئ، عن مجاهد[53] – وهو ثقة – عن عبد الله بن عمر[54]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يموت معاوية على غير الإسلام) .

---

50 نصر بن مزاحم المنقري (212هـ): سيأتي موسعاً، وهو صدوق لكنه يكثر من الرواية عن الضعفاء والمجهولين.(وقد توسعنا فيه في الملحق، وأفردناه بترجمة حافلة) .

51 جعفر بن زياد الأحمر(177هـ) : ثقة وقد أفردناه بترجمة (انظر الملحق) .

رجال الإسناد:

رجاله أيضاً بين الثقة والصدوق، وقد ترجمناهم في رجال البلاذري وسيأتون بتوسع (في الملحق) إلا مجاهد فهو غني عن التعريف، ومجاهد هو مجاهد بن جبر (104هـ) ثقة من رجال الجماعة، وشيخه ابن عمر صحابي معروف.

الراوي عبد الله بن عمر أم عبد الله بن عمرو؟

ربما يقول البعض بأن الحديث بما أنه اشتهر عن عبد الله بن عمرو بن العاص فلعله هنا تصحف من عبد الله بن عمرو إلى عبد الله بن عمر؟

فالجواب: أولاً هذا لا يضر الحديث، لأنه إن كان الصحابي هنا هو ابن عمر كما ذكر نصر، فهو شاهد لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وإن تصحف كما في هذا الاحتمال بأن الصواب أنه عبد الله بن عمرو، فهذا يقوي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وتصبح هنا متابعة رابعة للحديث من مجاهد لطاووس بن كيسان وعبد الله بن الحارث الزبيدي وأبي أمامة بن سهل بن حنيف أربعتهم يروون الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص – مع اختلاف لايضر في الألفاظ– فإن كان الأربعة قد رووه عن عبد الله بن عمرو بن العاص فالحديث بهذه الطرق يزداد صحة، ويصبح مستفيضاً عن عبد الله بن عمرو، وتطمئن القلوب أكثر إلى صحته، وإن لم يكن هناك

---

52 ليث : هو ليث بن أبي سليم (148هـ)، وهو صدوق أخذوا عليه الاختلاط في آخر عمره، وهذا الطعن له خلفية مذهبية فيما أرى. .وقد توسعت في ترجمته في متابعات حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (في الملحق فلينظر هناك) . فهو قد روى الحديث نفسه عن طاووس عن عبد الله بن عمرو، وهذا يدل على اهتمام ليث بهذا الحديث، فقد رواه من طريقين، الأول عن مجاهد عن ابن عمر، والثاني عن طاووس عن عبد الله بن عمرو.

53 مجاهد بن جبر (نحو 104هـ): تقريب التهذيب : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون ع .

54 نصه في وقعة صفين – (ج 1 / ص 217) : نصر، عن جعفر الأحمر، عن ليث عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يموت معاوية على غير الإسلام " .

تصحيف أي إذا كان الصحابي هنا هو عبد الله بن عمر حقاً كما هو ظاهر الإسناد، فيصبح حديث ابن عمر من شواهد حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي هو – أعني حديث عبد الله بن عمرو – أصح الأحاديث في هذه القصة، بل بعض أسانيده على شرط الصحيح، وسنبقى هنا مع الأصل بأن الصحابي هو عبد الله بن عمر بن الخطاب لغرابة هذا الطريق بوجود مجاهد، وهو من شيوخ ليث، ويروي عن ابن عمر، فلعل ليث بن أبي سليم رواه من طريقين، وهذا يحدث كثيراً من المكثرين من الرواية وليث منهم.

وللحديث شواهد عن ابن عمر في حكمه على معاوية بالنار، وهذا لا يقال من قبل الرأي كما هو واضح في حديثه الآخر: (معاوية فرعون هذه الأمة)[55].

والذي أرجحه أن ليث بن أبي سليم رواه عن ابن عمر من طريق مجاهد[56]، ورواه عن ابن عمرو من طريق طاوس، فليث بن أبي سليم مكثر من الحديث ومتتبع للطرق.

---

55 وقد روى نصر بن مزاحم في كتابه (صفين) من إسنادين عن ابن عمر بما خلاصته: أن معاوية ليس أسفل منه إلا فرعون، ولولا قول فرعون (أنا ربكم الأعلى) لما كان أحد أسفل من معاوية، وسنفرد الحديث في بحث منفصل بدراسة وافية تحت عنوان (حديث معاوية فرعون أمتي، طرقه وأسانيده ومرتبته)، وقد روي في شخصيتين أبي جهل ومعاوية، وعندما نعود إلى القرآن الكريم لنعرف حال فرعون سنجده مع سلطانه وسحرته أقرب بكثير إلى حال معاوية وسلطانه وسحرته من القصاص والمتآمرين، بينما أبو جهل لم يكن سلطاناً كفرعون في كثير من الخصال التي اجتمعت في فرعون وفي معاوية بعكس أبي جهل، وأما من حيث الإسناد فأحد الإسنادين صحيح والآخر ضعيف لكنه شاهد منجبر، ونصر بن مزاحم صدوق متشيع، وقد جرحه بعضهم من حيث المذهب، لكنه كثير الرواية عن المجهولين، أما إن روى عن الثقات فحديثه مستقيم.

56 ليث مكثر جداً عن مجاهد، روى عنه مئات الأحاديث، وغالباً ما تكون روايته عن مجاهد عن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا عبد الله بن عمرو، فالتصحيف مرجوح هنا، وشواهد ذلك كثيرة، منها : مصنف ابن أبي شيبة – (ج 3 / ص 116): حدثنا علي بن مسهر عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سأل بالله فأعطوه "/ مصنف ابن أبي شيبة – (ج 1 / ص 16): حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن / مصنف ابن

(كيف روى عبد الله بن عمر هذا الحديث وهو من المبايعين ليزيد بن معاوية؟ = انظر الملحق)

الحديث الثالث: حديث جابر بن عبد الله

أبي شيبة - (ج 1 / ص 344): حدثنا مالك قال: نا هريم قال: نا ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال: نهينا أو نهانا أن نصلي في مسجد مشرف./.. ونظائر هذا كثير جداً، ولليث رواية قليلة جداً عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو، مثل المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج 13 / ص 124): ... ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه، فقال عمرو: خليا عنه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « اللهم أولعت قريش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه في النار » « وتفرد به عبد الرحمن بن المبارك .. وإنما رواه الناس، عن معتمر، عن ليث، عن مجاهد اهـ مما يدل على انتقاء شهرة هذا الطريق من رواية ليث عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وقد توبع/ وفي المعجم الأوسط للطبراني - (ج 17 / ص 214): ... سفيان الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « عمار تقتله الفئة الباغية (1) »/ وقد يروي ليث عن مجاهد عن صحابة آخرين كابن عباس وأبي هريرة وغيرهم، وليث يروي عن مجاهد وعن طاوس معاً مما يدل على استكثاره من روايتهما ففي مصنف ابن أبي شيبة - (ج 1 / ص 260): حدثنا أبو بكر قال نا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد وطاوس قالا التشهد تمام الصلاة والتسليم إذن قضائها اهـ والخلاصة أن ليث بن أبي سليم من أوائل أهل الحديث المهتمين بجمع الطرق ورواياتها، وهو قد روى الحديث من طريقين، أحدهما عن عبد الله بن عمر، والثاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وتيقنه من صحة الحديث من أسباب تشيعه السني اليسير، ولا ريب أنه لا يحب معاوية إلا من فيه بعض بدعة، ولا ينحرف عنه إلا سني من أتباع السنة النبوية لا الأموية، وهذه النصوص الشرعية الصحيحة ناطقة بهذا إلا من طبع الله على قلبه بظلم العبد لسمعه وبصره وعقله وضميره ودينه.

وهذا الحديث رواه نصر بن مزاحم [57] (في وقعة صفين ص217[58]): عن جعفر الأحمر (وهو صدوق)[59] عن ليث (صدوق[60]) عن محارب بن زياد[61] (الصواب ابن دثار ثقة) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: (يموت معاوية على غير ملتي) .

الإسناد حكمه ورجاله :

والخلاصة أن رجال هذا الإسناد بين الثقة والصدوق، وهذا الإسناد مقبول في المتابعات والشواهد لا في الأصول، ولا في الأفراد، فالإسناد هنا حسن في الشواهد ، وستأتي تراجم موسعة لرجال هذا الإسناد في الملحق .

والخلاصة أن رجال الحديث ثقات إلا نصر بن مزاحم فيه خلاف، والراجح أنه ثقة (انظر ملحق الرواة) .

الحديث الرابع: حديث عبد الله بن الزبير

وهذا الحديث رواه الطبراني، وهو في الجزء المفقود من معجم الطبراني، ففي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (1 / 135) : وعن ابن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أول من يطلع من هذا الباب من أهل النار" فطلع فلان / قال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف اهـ.

---

57 نصر بن مزاحم المنقري (213هـ) : صدوق مختلف فيه، وهو مستقيم الحديث عند التحقيق، لكن تشيعه وثورته مع أبي السرايا جلب له السخط من بعض أهل الحديث (وسيأتي موسعاً في الملحق) .

58 وقعة صفين - (ج 1 / ص 217) عن جعفر الأحمر، عن ليث، عن محارب بن زياد (والصواب: دثار)، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يموت معاوية على غير ملتي " اهـ وليس هناك راو اسمه محارب بن زياد يروي عن جابر أو يروي عنه ليث، بل ليس هناك راو عند أهل الحديث بهذا الاسم، فهو تصحيف واضح.

59 جعفر بن زياد الأحمر (177هـ) : ثقة (سيأتي موسعاً في الملحق) .

60 ليث بن أبي سليم (148هـ) : صدوق له أوهام. . وقد أفردناه.

61 محارب بن دثار الكوفي (116هـ): ثقة من رجال الجماعة – سيأتي موسعاً .

التعليق:

نستنبط من كلام الهيثمي أن الحديث حسن من حيث السند، لأنه إذا كان ابن لهيعة أضعف رجل في الإسناد، فأقل أحواله أن يكون السند حسن لغيره قطعاً، لأن ابن لهيعة مختلف فيه ولم يجمعوا على ضعفه، بل وثقه جماعة من أهل الحديث وضعفه جماعة، وهو من رجال مسلم، ثم الذين ضعفوه إنما ضعفوه من جهة الحفظ، ولا ريب أن مثل هذا يقبل في الشواهد، وهو هنا شاهد، ولا يضر اختلاف اللفظ لأنه ليس اختلاف تضاد وإنما اختلاف تنوع وقد شرحنا أنه يمكن أن يختصر بعض الرواة المعنى، أو يحفظ بعض الحديث ويسكت عن بعض وأمثلة هذا النوع من الحديث كثير جداً في كثير الأحاديث الصحيحة.

شواهد أخرى لم نستعرضها:

إضافة إلى أن للحديث شواهد أخرى لم نستعرضها لاختلاف ظاهر ألفاظها عن لفظ الحديث، ولأن إثبات أنها من الشواهد يحتاج إلى طول لا يحتمله الكتاب، والشواهد كثيرة وهي أبي ذر، والإمام علي، وأبي برزة الأسلمي، والبراء بن عازب، وابن عمر، وأبي حرب بن أبي الأسود، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحديث أبي ذر وأبي عبيدة (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)، وغيرها كثير، وأعد القاريء الكريم أنني سأخرج بقية هذه الأحاديث المفردة في أبحاث مستقلة، وقد نجمع الأحاديث المتشابهة في كتاب خاص، والعامل السياسي هو العامل الأول المؤثر في غربة هذه الأحاديث، والعامل السياسي أنتج العامل المذهبي الذي أكمل الطريق إلى اليوم.

كما أن هناك معارضات للحديث، نعدها من شواهده وقرائنه، وهي تلك المعارضات التي حاولت صرف الحديث عن مدلوله، وإبطال معناه، سواء بتحريف لفظه أو بزيادات في إسناده تحوله إلى إسناد ضعيف، أو

غير ذلك من محاولات النواصب والسلفية المحدثة، كل هذه المحاولات نعدها من قرائن صحة الحديث الأصل، وهذا القسم سنتوسع فيه في مبحث خاص.

لماذا الحرص على المتابعات والشواهد ؟:

البعض قد يقول لماذا تحرصون على تتبع الشواهد والمتابعات مع صحة الإسناد الأول على شرط الشيخين (إسناد طاوس بن كيسان)، فإسناد واحد صحيح يكفي في الحجة، فالقوم الذين تختلف معهم هم أهل حديث يخضعون للنص الشرعي إن صح الإسناد ؟

والجواب: إنني أبحث عن إقناع نفسي واطمئنان قلبي قبل الآخرين، وعندي لا يكفي إسناد واحد ولو كان صحيحاً، لأن الفرد قد يهم، والآحاد ليست في مرتبة واحدة، فكلما وجدت متابعات وشواهد وقرائن وحواضن كان أبرأ للذمة، وأدعى للقبول والاطمئنان[62].

والسبب الثاني: هو أنه بتتبعنا للمتابعات والشواهد نكتشف أهواء أهل الحديث، بل غشهم في بعض الجوانب ومحاربتهم لما قد يعتقدون صحته أحيانا من باب العصبية فقط (وهي معصية إبليس الأولى) وليس المقصود في اكتشاف أهواء أهل الحديث عند تصحيح حديث في ذم معاوية أو مدح الأشتر[63]، فالقضية أوسع من ذلك، فلا بد أن نعي أن سنة النبي (ص) وسيرته بشكل عام قد تعرضت للقضم والبتر والإخفاء .. لأن العقائد بنيت قبل الأحاديث! فأصبحت تختار من الأحاديث ما يوافق هذه العقائد، ثم صرح بعض كبارهم بأنه يرفض أي

[62] ومسألة المتابعات والشواهد من محاسن منهج أهل الحديث، وهم أهل هذا الفن، وهم يحسنون تطبيقها إذا سلموا من العصبية المذهبية، والأصل أن أهل الحديث وضعوا (منهج إيراد المتابعات والشواهد) من باب الاحتياط والفرار من غرابة التفرد التي قد يقع فيها الكبار من أهل الحديث، وقد أحسنوا في ذلك، إلا عند معصبتهم الذين يكثرون الطرق الموضوعة في نصرة عقيدة باطلة أو في الثناء على ظالم كبير..! كما يفعل بعضهم في فضائل معاوية أو في التجسيم..الخ

[63] قد يتعجب بعض الغلاة من هذا الكلام، فالأشتر عندهم تابعي ولا يصح فيه حديث! وسيرون في كتابي القادم عن الأشتر أنهم واهمون في هذا كله! ومما يصححونه هم وسلفهم.

حديث يخالف ما عليه الناس! لكل ما لا يتناسب مع السياسة أولاً، ومع عقيدة أهل الحديث ثانياً، فلذلك كم من حديث كان صحيحاً عند أصحاب القرن الأول فأصبح موضوعاً عند غلاة أهل الحديث، كما تعرضت سنة النبي (ص) للتشويه والتحريف فيما يتعلق بحقوق الإنسان حتى تتماشى مع فعل السلطة التي تتخذ من العنف وسيلة لإخضاع الفرق المخالفة لأهل الحديث كالشيعة والخوارج والمعتزلة، فمن باب الوفاء للسلطة ودعهما لابد من بتر بعض الأحاديث والضرب عليها أي محوها، (كما فعل أحمد مع حديث: لو أن الناس اعتزلوهم)، إذن فالمصالح متبادلة بين السلطة وأهل الحديث إلا قليل من فرسانهم، فأهل الحديث يقضمون الأحاديث المزعجة للسلاطين، والسلاطين يفتكون بالفرق المخالفة لأهل الحديث.

وفعل السلطة في الحديث انتقاءً وبتراً ووضعاً قد بدأ من أيام معاوية تقريباً، فالسلاطين بعد أن رفضوا أو عجزوا عن التكيف مع السنة النبوية في الالتزام بالعدل والوقوف عند العقوبات المحددة بالجرائم الجنائية، واجتناب كنز الذهب والفضة. .الخ، لما عجزوا أو رفضوا الالتزام بهذا وأمثاله عملوا على مسألتين: تعطيل القرآن الكريم، وتطويع السنة النبوية، ولن يجدوا سبيلاً إلى ذلك إلا بدعم منهم للعامة - وأكثر الناس عامة إلى يومنا هذا- فيتم حصر الخطب والقصص والمواعظ بتيار واحد يستطيع إبقاء العام بعيداً عن الثورة علمية أو سياسية، وإن أمكن أن تبقى العامة بعيداً عن السخط والامتعاض مع رضاها بقضاء الله وقدره والدعاء للسلطان والرضا بالقليل . .الخ، فمنحت السلطات المجال واسعاً لأهل الحديث والرواية؛ لصلتهم الشديدة بالعامة التي تشكلت من القرن الأول، وأصبح عندها معلوماتها وتدينها الخاص ورموزها وطاعتها للسلطات الظالمة وتطرفها في قمع كل ثورة.

المبحث الثاني: المصححون للحديث:

بعض علماء الحديث صححوا الحديث من هذا الإسناد[64]،

---

[64] أي قبل وقوفهم على شواهده باللفظ تماماً عن صحابة آخرين كجابر بن عبد الله وابن عمر . . وقبل استحضارهم الأحاديث التي تشهد للحديث معنىً عن كثير من الصحابة سيأتي أيضاً . . وربما قبل استحضارهم لسنن الله في خلقه (من ابتلاء وتمحيص وفتنة . .).

لأنهم متصالحون مع المنهج الذي تعلموه (منهج أهل الحديث في أدق تطبيقاته)، وكل متصالح مع المنهج، مسلّم بصحة منهج أهل الحديث لن يتردد في الحكم بصحة هذا الحديث أعني (حديث يموت معاوية على غير ملتي) أو على أقل الأحوال احتمال صحة الحديث، لن يدفعه عن هذا إلا المذهب والعصبية ومخالفة المنهج، ولأن السلفية المحدثة تحرص على معرفة من سبق إلى تصحيح هذا الحديث أو تضعيف ذاك، فقد خصصت هذا المبحث لمن صحح الحديث، وقد وجدت عدداً لا بأس به قد صححوا الحديث أو أحد طرقه، على تباين غير شديد بينهم، بين معترف على استحياء ومصرح بالصحة، وعارف لبعض اسانيده دون تصريح بالتصحيح خشية من العامة، . .الخ، وأنا شخصياً كنت أستنكره مباشرة، لتلبسي بأمراض المذهب ردحاً من الزمن، وربما ما زال فيّ الكثير من ذلك، فاذكر أنني كنت أفكر بطريقة أموية كالسلفية المحدثة، الذين يرددون تلك الأسئلة السخيفة مثل:

(إذا كان النبي (ص) يعلم أن معاوية سيغير سنته أو يموت على غير ملته فلماذا لم يقتله رسول الله) ؟ ولماذا لم يقتله الصحابة؟ ولماذا لم يقتله التابعون؟ ولماذا لم يقتله عبد الله بن عمرو؟ . . هكذا قتل وقتل وقتل. . وكنت مثلهم، جميعنا لا نعرف الحكمة الإلهية من إبقاء معاوية ويغره ابتلاءً، ولا نعرف عجز الصحابة أو تخاذلهم عن بعض الأوامر النبوية، ولا نعرف عجز صحابة الجيل الثاني عما عجز عنه الجيل الأول . .الخ.

فكنت أفكر بهذه الطريقة الأموية، أرد الحديث الصحيح بأي شيء، مادام أنه اختلف مع العقل الجمعي المذهبي، ذلك العقل الذي لا يفهم من سنن الله وحكمته وابتلائه خلقه شيئًا، إنما هو عقل سلطاني بحت، ينحصر في سؤال: لماذا لم يقتله النبي (ص) ؟ وهي شبهة بعض العامة في بقاء إبليس تماماً، فهذا عقل لا يفهم حكمة الله في ابتلاء الإنسان واختباره، وكنت أيضاً أقبل الحديث المنكر بلا تردد مادام أن البخاري قد رواه أو الألباني قد صححه. . لم أكن أعرف أن التصحيح والتضعيف يمكن من خارج دائرة أهل الحديث، وذلك بعد فهم سنن الله وحكمته في خلقه، أو العرض على القرآن الكريم أو على التاريخ أو العقل . .الخ.

نحمد الله الذي منّ علينا ببعض الهداية فعرفنا بعض حكمة الله وسننه في خلقه، وتوسعت عقولنا عن العقل السلطاني، فأصبحنا نرى صحة بعض ما كنا نراه منكراً، وننكر بعض ما كنا نراه صحيحاً، وبما أن أهل الحديث

معرضون عن كتاب الله مع ضعف في العقل وعصبية مذهبية وجهل بالتاريخ مع مسحة من القلب السلطاني؛ فلماذا أتخذهم حجة بيني وبين الله ورسوله؟ أليس عقلي الذي منحني الله إياه أولى بالتفعيل وأقرب لتحقيق الطلب الإلهي (أفلا تعقلون) من اتباع منهج لم يأمرنا الله باتباعه، ولم يقل (أفلا تقلدون) ؟

إذن فقد ملت لصحة الحديث ليس بهذا الإسناد، وإنما بشواهد وقرائنه ولا ألزم به أحداً برأيي، وهذا الرأي قد لا أثبت عليه إن اكتشفت أنني أخطأت في التقدير، ولا أدعوا طالب العلم إلا للبحث فقط وتطبيق قناعاته الداخلية، وافقني أو خالفني، فلا نريد أن نكرر تلك النماذج البائسة من تقديس الشيوخ حتى يحولون بين المرء وربه، بين المرء ورسوله، بين المرء وعقله.. كلا .. نحن نحب من يعارضنا بعلم وهو عندنا أفضل ممن يوافقنا بجهل.

ثم لم أحكم بصحة هذا الحديث إلا بعد عمليات بحث مطولة عامة وخاصة، وبعد نظر وإقبال وإدبار وتمعن، وبعد أن رأيت كيف استماتت السلفية المحدثة في إخفاء الحديث واستنكاره عصبية منها لمعاوية، هذا من حيث النظر للحديث فقط دون قرائنه ولا شواهده ولا كونه من دلائل النبوة، فاقتصرت هذه النظرة الداخلية للحديث إلى النظر في أسانيد هذا الحديث ومحاولات إخفائه وبتره وتحويره وتحويله.

أما النظر في الشواهد والقرائن العامة والحِكم الإلهية في مثل هذه الأحاديث، فنظرت إلى حواضنه الكبرى من الآيات القرآنية والأحاديث الأخرى المتواترة والصحيحة والحسنة، ومعرفتي بسيرة معاوية وشخصيته وماذا فعله في هذا الدين وفذ هذا الإنسان، وبعد نحو عشرين سنة من البحث التاريخي والحديثي في موضوعات كثيرة منها معاوية، فوصلت من البحث الخاص والعام إلى شبه اليقين في أمور كثيرة منها صحة هذا الحديث وأنه من تنفيذ النبي (ص) للأمر الإلهي في حق المنافقين ومن في قلوبهم مرض الذين أمر الله رسوله الكريم بالإغلاظ عليهم، ولا ريب أن التشهير بسوء خاتمتهم ولعنتهم وإخراجهم من المسجد من أشد أنواع الإغلاظ، والآية الآمرة بالإغلاظ هي من آخر ما نزل في سورة التوبة: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا [النساء/63]) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ (73) [التوبة]، وقد يكون الإغلاظ في سورة النساء جرت في حق منافقي الأنصار، وأما الإغلاظ في سورة براءة فكانت في حق منافقي الطلقاء، فكرر الله الآية نفسها للتذكير بالمنافقين الجدد، وأن الله لا يجامل قرشياً ولا أنصارياً، فلا يظن الأنصار أن الله ورسوله إنما يذمان منافقيهم دون منافقي قريش، لكن لأن منافقي قريش حكموا الدولة الإسلامية (ولاة عثمان ومعاوية) فقد نجحوا في حصر النفاق في الأنصار، لأن السلطة بأيديهم.

ومن الأمور العامة أن هذا الرجل – معاوية- في أقل الأحوال رجل ظالم منافق (ولا يبغض الأنصار ولا علياً إلا منافق)، فما الضير في قبول أحاديث تقول بسوء خاتمة من نفاقه أظهر من إيمانه، وظلمه أكثر من عدله، ودهاؤه أكبر من غفلته، وأثره على الدين في غاية السوء، ولو حارب الدين جهاراً لما ضره مثلما حاربه سراً ومكراً، وقد تحدث القرآن عن مكر قريش كثيراً فلا تنسوا تلك الآيات وأعيدوا قراءتها .

ويمكن في أقل الأحوال أن نقول: معاوية مسلم باغ، (أي مسلم ظالم) وليس وراء ذلك من ورع إلا بالرد على الله ورسله علانية.

والأسلم أن يقال مسلم منافق، أي مسلم الظاهر والتسمي باعتبار الإسلام الظاهري الذي كان عليه المنافقون، والذي يضمن للمتسمي بالإسلام حقوق المسلم الدنيوية، ولكن هذا لا ينفي ولا يلغي النفاق، ومن قال بنفاق معاوية فله حجج ظاهرة أقوى بكثير ممن يقول بإيمانه الباطن، ومن قال بكفره كالمعتزلة والخوارج والشيعة وبعض أهل الحديث فلا يقصدون أنه لا يتسمى بالإسلام وإنما يريدون الحكم على الباطن من طريقين: من طريق النص الشرعي الذي هو وحي يوحى، ومن خلال أعماله وفلتات لسانه، فهذا تفسير قول من يقول بكفره، وإن كنت أختار الوصف بالظلم (البغي) أو النفاق، لأن النصوص فيهما حاضرة في عقل كل طالب علم، ويمكن أن نقول إنه مات على غير دين الإسلام، ونقصد بهذا الدين الحق وليس الإسلام الظاهري، أما نفي الإسلام الظاهري عنه فلا أراه، لأن هذا الإسلام يشمل المنافقين أيضاً، ومن تحرج من وصفه وصفاً شاملاً بالنفاق مع إيمانه بصحة تلك النصوص فهذا اتهام لله ورسوله بالظلم، ولا بد أن تكون الشهادة لله وفق نصوص كتابه الكريم وسنته المطهرة، وليس وفق

عقيدة كتبها الخلال أو الطحاوي، ولا ألزم هنا أحداً بتصحيح هذه الأحاديث حتى حديث عمار وحديث لا يبغض علياً إلا منافق. . (رغم أنها في الصحيح) إلا أنني لا ألزم أحداً بتصحيحها بشرط أن يطرد في الكلام ويضعف الحديث كله وتكون عنده عقلية فلسفية ترفض تدوين الحديث، كالقرآنيين مثلاً. . فهذا منهج مختلف نحترمه ولا نعتقد به، إنما كلامي هذا في حق من يؤمن بتلك النصوص ثم يتحرج بسبب الرأي العام والمذهب فهذا أمر خطير، لأن معناه أن الله ورسول دون المذهب ودون أحمد ودون ابن تيمية.

إذن فهذا البحث خاص جداً، إنه لمن يجعل الله ورسوله فوق ابن تيمية بل فوق البشر كلهم، وهذا لا تظنونه سهلاً، فلو أن المسلمين قدموا الله ورسوله على العوائد والتعصبات المذهبية وعلى الأشخاص من ساسة وعلماء لما كان المسلمون فيما ترون.

وسنستعرض أقوال المصححين مع التفصيل في هذه التصحيحات، إذ أن منها ما هو تصحيح صريح للحديث، ومنها ما هو تصحيح لإسناد ما، ومنها دون ذلك، وأبرز هذه التصحيحات:

- تصحيح أحمد بن حنبل
- تصحيح يحيى بن عبد الحميد الحماني الرازي
- تصحيح الهيثمي
- تصحيح ابن عزوز المالكي
- تصحيح المحدث أحمد بن الصديق الغماري
- تصحيح محمد ابن عقيل
- تصحيح أبي بكر ابن شهاب
- تصحيح الدكتور جاسم المشهداني

أولاً: تصحيح أحمد بن حنبل

رغم أن الإمام أحمد رحمه الله – وهو ممن نحبه ونجله إلا أننا لا نعبده– من أشد المتعصبين لمعاوية، إلا أنه في مكان ما قد صحح الحديث، ففي المنتخب من علل الخلال – (ج 1 / ص 32): وسألت أحمد، عن حديث شريك، عن ليث، عن طاوس، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يطلع عليكم رجل من أهل النار"، فطلع معاوية.

قال – أحمد – : إنما ابن طاوس، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو أو غيره، شك فيه اهـ.

التعليق:

أحمد بن حنبل هنا، لم ينكر أصل الحديث، وإنما أقره من إسناد ابن طاووس عن أبيه طاووس عن عبد الله بن عمرو بن العاص.. وأنكر الإسناد الآخر من طريق ليث عن طاووس، مع أنه غير منكر لأنها متابعة، لكن نستفيد من هذا أن إسناد ابن طاووس عن أبيه به الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عمرو إسناد معروف عند أحمد ولم يعله بشيء، ولم يقل إنما هو في الحكم بن أبي العاص أو في عمرو بن العاص، وهذا يدل أن ما فسره في حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف (حتى دخل) عندما فسره بالحكم بقوله (يعني الحكم) كان يرى أن ذلك الحديث باللفظ نفسه الذي هو (يدخل عليكم رجل لعين) كان يرى لفظه مخالفاً للفظ هذا الحديث (يموت على غير ملتي) ورأى أنهما حديثان – هذا إن أحسنا الظن–، والصواب أنهما حديث واحد بدلالة المناسبة، فليس في كل وقت يترك عبد الله بن عمرو أباه يلبس ويخشى عليه ثم يلعن النبي (ص) أحداً، ولن يلعن أحداً إلا وقد بين للناس لماذا لعنه، وهذا منهج القرآن الكريم إذ لم يلعن الشيطان حتى أخبرنا بما فعل.

وقد شعر أبو بكر الخلال – جامع علوم أحمد– أن جواب أحمد هذا يقتضي صحة الإسناد أو أنه معروف عند أحمد، فاختار أن يتدخل بنفسه ويقحم راوياً أسماه (فرخاشاً) بين ابن طاووس وابنه.. – كما سيأتي في

محاولات السلفية المحدثة – وفرخاش هذا مقحم إقحاماً والسند بين الخلال وبين عبد الرزاق منقطع، بينهما مئة سنة، (مات عبد الرزاق سنة 210هـ والخلال سنة 311هـ) و ليس في الدنيا راو اسمه (فرخاش) ولم يذكر هذا أحد من الرواة عن عبد الرزاق غير الخلال الحنبلي الذي لم يدرك عبد الرزاق ولم يدرك تلاميذه أصلاً فضلاً عن إدراكه، فهذه محاولة حنبلية متأخرة لتضعيف الحديث بعد أن عرف إمامهم أحمد بن حنبل أحد طرقه وأقره بأنه إسناد معروف.

ولكن قد يقال: ولماذا لم يورده أحمد في المسند ؟ إن كان عنده صحيحاً ؟

الجواب: إن أحسنا الظن قلنا أن أحمد رحمه الله شك هل هو مروي عن عبد الله بن عمرو أو ابن عمر وصرح ذلك الخلال بقوله (ابن عمرو أو غيره شك فيه)، ومسند أحمد ليس مرتباً على الأبواب وإنما على المسانيد، وإذا أسأنا الظن قلنا أن أحمد بن حنبل رحمه الله وسامحه وغفر له كان يرى إبادة كل حديث يطعن في الصحابة! فقد سيطرت عليه الأيدلوجية السلفية، بحيث أصبح يجيز إخفاء كل حديث في ذم مثل معاوية إلا ما لابد منه كحديث عمار (تقتله الفئة الباغية) على ألا يفسر ذلك الحديث المتواتر ولا يستفاد منه، وإنما يروى ويكرر لفظه فقط، دون زيادة ولا نقصان ولا تفسير ولا استفادة! وهذا جمود يحول الأحاديث النبوية كلها إلى نصوص صامتة جامدة لا نستفيد منها، مع أن هذا المنهج لأحمد ليس مطرداً فهو يوظف الأحاديث النبوية في العقائد والأحكام إلا ما يخص ذم معاوية أو فضل علي فإن عقيدته على تجميد هذه الأحاديث تجميداً كاملاً فلا تفسر وإنما تروى كما جاءت! معارضة من أحمد للشيعة والمعتزلة وأهل الكوفة والمأمون، فقد تمكنت منه الخصومة مع تيار المأمون إلى هذا الحد للأسف، وهذا الشيطان يدخل على كل أحد كما ترون، فيأتي المسلم عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، يأتيه من طريق الورع كما يأتيه من طريق التهتك.

ومن العجائب أن أحمد روى جملة وافرة من أحاديث ابن طاوس عن أبيه طاوس بن كيسان في مسنده بلغت أكثر من خمسين حديثاً، ولكنها مروية عن ابن عباس وغيره، وتجنب حديث طاوس عن عبد الله بن عمرو مطلقاً! حتى حديث الثوبين المعصفرين الذي اشتهر به طاوس بن كيسان عن عبد الله بن عمرو (كما في سنن النسائي

وغيره) هذا الحديث رواه أحمد من طريق خالد بن معدان – قائد شرطة يزيد بن معاوية– عن عبد الله بن عمرو وتجنب روايته من حديث طاوس عن عبد الله بن عمرو، وكأنه يريد أن ينسى الناس أن طاوس يروي عن عبد الله بن عمرو! ولأحمد عجائب وأسرار من هذا النوع، وهو في علم الحديث ذكي جداً، وغامض، وعنده أسراره في الانتقاء والتصحيح والتضعيف والتجريح والتعديل. .الخ.

تصحيح الحافظ يحيى بن عبد الحميد الحماني الرازي (150– 228هـ):

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء – (ج 10 / ص 533) : (وقال أحمد بن محمد بن صدقة وأبو شيخ، عن زياد بن أيوب دلويه، سمعت يحيى بن عبدالحميد يقول: مات معاوية على غير ملة الاسلام) .

والحافظ يحيى بن عبد الحميد الرازي هو (سير أعلام النبلاء – (ج 10 / ص 526): يحيى بن عبدالحميد ابن عبدالرحمن بن ميمون بن عبدالرحمن الحافظ الامام الكبير أبو زكريا بن المحدث الثقة أبي يحيى الحماني الكوفي صاحب " المسند " الكبير.

وقد امتعض زياد بن أيوب – وهو من السلفية المحدثة – من شهادة يحيى بن عبد الحميد وقال (كذب عدو الله) !

تصحيحات الهيثمي:

أورد الهيثمي مجموعة أحاديث في هذا الموضوع وحكم على رجال بعضها بأنهم ثقات، أو رجاله رجال الصحيح، . . وهناك أمر غريب جداً، وهو أن بعض هذه الأحاديث التي صححها الهيثمي في مجمع الزوائد محذوفة من أصولها كمعجم الطبراني مثلاً، الذي حققه حمدي عبد المجيد السلفي العراقي، (وضياع أربع مجلدات متفرقة من معجم الطبراني الكبير لا أظنه كان عبثاً) ! وبعض الألفاظ معمّى ومحرف (فطلع رجل) أو (فدخل غيره – أي غير عمرو بن العاص. .وهكذا) مما يدل على كثرة التحريف الذي تعرض له هذا الحديث منذ أن لفظه النبي (ص) إلى اليوم، فبحثي هذا سيجد عنتاً وتضييقاً . . فمعاوية صنم كبير، ويحتاج لفؤوس كثيرة.

تصحيح الهيثمي (1):

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 1 / ص 134) عن عبد الله بن عمرو قال:

كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقني فقال - ونحن عنده - : "ليدخلن عليكم رجل لعين" فوالله مازلت وجلاً أتشوف خارجاً وداخلاً حتى دخل فلان) قلت: ثم زاد أحد الرواة - يعني الحكم - .

قلت: وهذه الزيادة إنما هي من بعض الرواة كما سبق الشرح في متابعة أبي أمامة بن سهل بن حنيف (وسيأتي في الملحق زيادات) وقد وردت في الحكم بن أبي العاص أحاديث أخرى في ذمه لكن سياقها آخر، ومناسباتها مختلفة، فلعل بعض الرواة أراد التضحية بالحكم بن أبي العاص من أجل معاوية، ولا يهمنا هنا إلا تصحيح الهيثمي فقد قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

تصحيح الهيثمي (2):

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 5 / ص 294)

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أول من يطلع من هذا الباب رجل من أهل النار،فطلع فلان".

وفي رواية: "ليطلعن رجل عليكم يبعث يوم القيامة على غير سنتي أو غير ملتي" وكنت تركت أبي في المنزل فخفت أن يكون هو، فطلع غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو هذا".

رواه كله الطبراني وفيه محمد بن إسحاق بن راهويه وحديثه مستقيم وفيه ضعف غير مبين،وبقية رجاله رجال الصحيح.

التعليق:

والإسناد الذي ذكر الهيثمي أن فيه محمد بن إسحاق بن راهويه لم أجده في المطبوع من الطبراني لأن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص مفقود من معجم الطبراني أو تم إعدام مخطوطاته من النواصب، وهم اليوم كثير جداً، وبأيديهم الأموال التي توصلهم لأي مخطوطة في العالم، ويستطيعون إتلاف ما يريدون منها، وهذا الإسناد نعده متابعة

من المتابعات المفقودة، وما زال هذا الحديث في تناقص مع الزمن، فإذا كان الطبراني الحنبلي الذي له كتاب في (حلم معاوية) لم يبق النواب على معجمه كاملاً ربما بسبب روايته مثل هذه الأحاديث، فمعنى هذا أن النصب استمر متصاعداً مع تقية أخفى من تقية غلاة الإمامية، وأصبح النصب الحديث يضيق ذرعاً ببعض ما اعترف به النصب القديم.

تصحيح الهيثمي (3):

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق - (ج 1 / ص 135)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص "يطلع عليكم رجل من هذا الفج من أهل النار" وكنت تركت أبي يتوضأ فخشيت أن يكون هو فاطلع غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو هذا"، ورجاله رجال الصحيح.

شبه تصحيح للهيثمي (4) :

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق - (ج 1 / ص 134)

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليطلعن عليكم رجل يبعث يوم القيامة على غير سنتي - أو على غير ملتي - " وكنت تركت أبي في المنزل فخفت أن يكون هو فاطلع رجل غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو هذا". رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه رجلاً لم يسم اهـ.

التعليق:

وهذا إسناد جديد، لأن كل الأسانيد التي سبقت ليس فيها رجل لم يسمّ فيعد هذا من المتابعات المفقودة.

تصحيح الشيخ محمد مكي بن عزوز الحسني (1334هـ) [65]

---

[65] هو العلامة المحدث الفقيه ذو الفنون محمد مكي بن عزوز الحسني الإدريسي نسباً المالكي مذهباً التونسي موطناً، نزل مكة ولد سنة 1270 هجرية، ومات سنة 1334هـ وكان رأساً في العلم، وخاصة في القراءات والحديث والفقه والفرائض بل وله مشاركة في الرياضيات والفلك، وكان مجتهداً، ومن تلامذته محمد الخضر حسين وعبد العزيز الثعالبي من

جاء في تقوية الإيمان لمحمد بن عمر بن عقيل (138 – 139): قال بعد أن أورد روايتي البلاذري:

قال أخونا العلامة المحدث الشريف محمد المكي بن عزوز المغربيرحمه الله ومنه استفدنا المنقول عن البلاذري [66]: " الحديث الأول رجاله كلهم من رجال الصحيح حتى ليث فمن رجال مسلم، وهو ابن أبي سليم، وإن تكلم فيه لاختلاط وقع له في آخر أمره، فقد وثقه ابن معين وغيره، كما أفاده الشوكاني، على أن الوهم يرتفع بالسند الثاني

رواد الإصلاح الديني بمصر، ومن اجتهاداته رسالة ألفها في (نجاة من لم تبلغه دعوة الإسلام) ترجم له الزركلي في الاعلام ومحمد محفوظ في (تراجم المؤلفين التونسيين 3/ 382) وترجمته متوفرة في تراجم العلماء المعاصرين، قال الزركلي (الأعلام للزركلي – (ج 7 / ص 109): ابن عزوز (1270 – 1334 ه = 1854 – 1916 م) محمد مكى بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسنى الادريسي المالكى التونسى: قاض فقيه باحث، ولد ببلدة (نفطة) وتعلم بتونس وولي الافتاء بنفطة سنة 1297 هـ، ثم قضاءها، وعاد إلى تونس سنة 1309 وفى سنة 1313 رحل إلى الاستانة فتولى بها تدريس الحديث في دار الفنون ومدرسة الواعظين، واستمر إلى أن توفى بها، من كتبه (رسالة في أصول الحديث – ط) و (السيف الربانى – ط) و (مغانم السعادة في فضل الافادة على العبادة) و (طريق الجنة في تحلية المؤمنات بالفقه والسنة) و (نظم الجغرافية التى لا تتحول بمغالبة الدول) و (تعديل الحركة في عمران المملكة) و (عمدة الاثبات – خ) في رجال الحديث، و (إرشاد الحيران في خلاف قالون لعثمان) في القراءة، و (الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب) فلك، و (الحق الصريح) مناسك، و (الذخيرة المكية) في الهيئة، و (إسعاف الاخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان) و (هيئة الناسك – ط) رسالة، و (أصول الطرق وفروعها وسلاسلها) و (إقناع العاتب في آفات المكاتب) و (انتهاز الفرصة في مذاكرة متفنن قفصة) و (الاجوبة المكية عن الاسئلة الحجازية – ط) نظم، و (الايوان في مذاكرة الاحبة بالقيروان) و (بروق المباسم) في ترجمة محمد بن أبى القاسم، و(الجوهر المرتب – ط) في الهيئة، و (تأسيس الاسانيد) و (التنزيه عن التعطيل والتشبيه) اهـ فالرجل واسع العقل كما ترون في مؤلفاته وله مصنفات في علم الحديث والعقائد وسائر فنون العلوم الشرعية.

[66] يقصد ابن عقيل أن الأسانيد في ذم معاوية استفادها من مخطوط البلاذري الذي كان عند ابن عزوز، وقد صدق ابن عقيل وابن عزوز في النقل، لأن الأنساب طبع بعدهما فلم يخزما حرفاً، ولو كان ذلك المخطوط عند غلاة السلفية لعبثوا بالمخطوط حماية لمعاوية، وطالما مارس أهل الحديث البتر وقلب الأسانيد وتغيير الألفاظ.. ومن يعرف

الذي هو حدثني إسحاق الخ لأن الراوي فيه عن طاووس عبد الله ابنه لا ليث، والسند متين والحمد لله . انتهى من خطه .

وحيث صح إخبار النبي ص بأن معاوية يموت على غير ملة الإسلام تعين القطع بوجوب البراءة منه فهو إذن مثل عتبة وشيبة والوليد وأبي جهل لعنهم الله أجمعين.

ثانياً: تصحيح العلامة المحدث أحمد الغماري[67] :

قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري في جؤنة العطار (2 / 154) : وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، وهو يرفع كل غمة عن المؤمن، المتحير في شأن هذا الطاغية قبحه الله، ويقضي على كل ما يموه به المموهون في حقه ! ومن أعجب ما تسمعه أن هذا الحديث خرجه كثير من الحفاظ في مصنفاتهم ومعاجمهم المشهورة، ولكنهم يقولون : فطلع رجل ولا يصرحون باسم اللعين معاوية، سترا عليه وعلى مذاهبهم الضلالية في النصب، وهضم حقوق آل البيت ولو برفع منار أعدائهم، فالحمد لله الذي حفظ هذه الشريعة رغما على دس الدساسين وتحريف المبطلين) وأنظر مجمع الزوائد (5 / 243) فإنه ذكر هناك هذا الحديث من رواية الطبراني بلفظ (فطلع رجل) هكذا مبهما) ! انتهى كلام الغماري وهو نفيس جداً، ولكن نخالفه في أمر، وهو أنه ليس كل من أخفى اسم معاوية إنما فعله معاداة للإمام علي، فبعضهم يخشى الرأي العام، وبعض شيعة الإمام علي قد يخفون بعض فضائل علي خوفاً من الوسط المحيط به، ولكن عندما نجد الشخص يطرد في أخفاء مثالب معاوية التي قد رواها معاصره ولم يصبه أذى وتكرر منه هذا فهذا يعني أنه محب لهذا الباغي الظالم ولا يشترط أنه مبغض للإمام

---

[67] هو أبو الفيض السيد أحمد صديق الغماري المغربي (1380هـ)، عالم أزهري، وهو أكبر علماء الحديث في القرن الرابع عشر الهجري، لا أعلم أحداً يساويه في علم الحديث لا الألباني ولا الأعظمي ولا غيرهما . . حتى خصمه اللدود الألباني يعترف له بالعلم في الحديث إلا أن السلفية المحدثة تبدعه وتشنع عليه لأنه يخالفها في معاوية وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب . . وقد حرمتنا السلفية المحدثة (التي تسيطر على الفكر الديني في المملكة) من إنتاج هذا الرجل، كما حرمتنا من معظم أنتاج الأزهر والقيروان واليمن وكثير من الإنتاج الإسلامي بغية حصر طلبة العلم في الوهابية والسلفية المحدثة .

علي، فبعض أهل الحديث كأحمد بن حنبل يمتلك مقدرة كبيرة على حب الدعاة إلى الجنة والدعاة إلى النار معاً، حب العادل والظالم معاً، وهذه القدرة على الخلط بين هذا المزيج الملائكي الشيطاني هو إنتاج أموي، أعني هذه النفسية من إنتاج بني أمية وليس من تأثير الشريعة، لأن دين الله يطالب المؤمن بالنفور عن الظالمين إذا تحققت مظالمهم.

تصحيح محمد بن عقيل الشافعي (1350هـ)

صحح الحديث في كتابه (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) وكتابه الآخر (تقوية الإيمان بالبراءة من ابن أبي سفيان) وغيرهما، وهو فقيه شافعي تنقل بين اليمن والحجاز والهند.

تصحيح العلامة ابن شهاب:

العلامة الكبير أبي بكر بن شهاب ممن يرى صحة الحديث.. (نقل عنه ذلك ابن عقيل)

تصحيح الدكتور جاسم المشهداني:

سبق في قوله عن أحد الإسنادين (إسناده صالح).. في رسالته للدكتوراه من جامعة أم القرى السلفية وعنوان الرسالة (موارد البلاذري في أنساب الأشراف) وخصصه في أخباره عن بني أمية.

المبحث الثالث: من فقه اللحديث وفوائده

(1): دلالة الحديث:

فهو يدل بلا شك على ذم شديد لمعاوية وأنه سيغير ويبدل وفي الحديث دلالة على تفسيقه على أقل تقدير وفيه دلالة – في بعض الألفاظ– على تكفيره مطلقاً، ورجالها على شرط الشيخين مع احتمال ضعيف جداً أنهم رووا الحديث بالمعنى، وأن لفظ (يموت على غير سنتي هو الأصل)، فلا ينكر على من كفر معاوية، ولا على من اقتصر على التفسيق، وإنما ينكر على من قال بإيمانه ورفض هذه النصوص، والحد الأدنى في الحكم على معاوية الحكم عليه بالظلم وتغيير السنة فقط، لكن لا يجوز لمخالفينا في هذه المسألة أن يلزمونا بحب هذا الرجل والترضي عنه لأننا نخشى مخالفة هذه الأحاديث كما ليس لنا أن نلزمهم بالالتزام بدلالات الأحاديث السابقة واعتقاد أنه مات

على غير السنة أو على غير الإسلام لأنهم يخشون أنهم بهذا يطعنون في رجل بريء وخاصة وأنهم يعتبرونه صحابياً !

إذن فيبقى الحل أن نعرض حججنا مثلما يعرضون حججهم ونسأل الله أن يبصر الجميع بالصواب وأن يعتدلوا في المحبة والولاء كما يعتدلوا في البغض والبراء وأن يزنوا معتقداتهم بميزان النصوص الشرعية لا بميزان الهوى والتعصب والشيوخ المتبوعين المحكومين بالأوضاع العلمية والمذهبية التقليدية السائدة وليس بالمنهجية العلمية. . .

وعلى أية حال:

فهذا الحديث يصب في مجرى الأحاديث العامة والخاصة الصريحة في ذم معاوية ولا يستطيع المغالون في معاوية من النواصب أن يأتوا بحديث عام أو خاص يدل على فضل معاوية إلا وجد أهل السنة والحديث أحاديث أصح وأصرح عامة أو خاصة في ذم معاوية، هذا إذا تنزلنا بأن الأحاديث التي يروونها فيها شيء من القوة، مع انها كلها موضوعة مكذوبة على رسول الله، وضعها معاوية وحزبه وأولياؤه ونشرها مغفلوه وتلقفها من تلقفها وبثوها في بعض الكتب الحديثية، وأنا لا أتكلم هنا من باب العصبية، فالمسألة علمية، صح العلم بذمه ولم يصح العلم بفضله والسلام.

وأخيراً :

عندما لا نجد من يصحح الحديث من أهل السنة إلا هؤلاء هو دليل على سيطرة السلفية المحدثة واستحواذهم على علم الحديث عبر الدعاوى وضغط السلطة، فهؤلاء المحدّثون نصفهم من أحرار أهل السنة، أما البقية فتلكؤوا وتعتعوا وبعضهم ظن أن الحديث ليس في معاوية فصححه، ولو علم أنه في معاوية لضعفه، فالتصحيح والتضعيف عند أكثر أهل الحديث يخضع للمزاجية والمذهب، وليس للمعيارية.

وأما أحرار السنة الذين اطردوا مع ما تعلموه من علم الجرح والتعديل وصححوا الحديث فهؤلاء مجهولون عند هؤلاء الصغار الذين لا يعرفون إلا ما صححه فلان وفلان، وكأن فلاناً هذا عاش مع النبي (ص) ودوّن الأحاديث منه مباشرة، ولا يعرفون أن عقول هؤلاء معجونة بهذه العقائد المذهبية، فلا يستقر في قلوبهم وعقولهم ما يضاد

تلك العقائد الفاسدة والسخيفة التي تحمي الظالمين من أي نص يقترب من إدانته، بينما يفتحون أذرعهم لكل نص في الثناء عليهم، وهم يعلمون أنه ليس من المعقول أن يمدح النبي (ص) ظالماً ولا أن يذم عادلاً، لكن المذهب يفعل الأعاجيب، والتعصب المذهبي هوى، وقد عمل هذا الهوى في الأمم السابقة ما يعلمه كل مسلم، ولكن أين المعتبر؟ لا تجد أحداً، لأن كل أصحاب مذهب يظنون أن المخالف هو فقط المصاب بداء الأمم، ولم يحتمل ولو للحظة أنه مصاب بذلك الداء، وهذه تزكية للنفس منهي عنها شرعاً، وهي معلومة أيضاً لكل مسلم، ولكن كل أصحاب مذهب يظنون أن المخالف فقط هو من يزكي نفسه، ولا يحتمل ولو للحظة أنه وأصحاب مذهبه من يزكون أنفسهم! وهكذا . . فكل التحذيرات الإلهية من أخلاق الأمم السابقة لا يستفيد منها المسلمون، لأن طل طرف يلقيها على خصمه وكفى! .

الذين لا يعرفون من أهل الحديث المعاصرين إلا من تلبس بنصب، أو كان أميل لمعاوية ويزيد على حساب الإمامين الجليلين علي والحسين، وقد تمكنوا بواسطة السلطات التي تشبههم من إجبار أكثر الناس على أن علم الحديث عند فلان وفلان . . أما من سواهم فلا نعرفه! فالمعيار عندهم لا يعود للعلم، وإنما للأشخاص، فمن عرفه علماؤهم فهو العلامة، ومن جهلوه أو ذموه فهو الجاهل، فالمعيارية هنا أصبحت متعلقة بالأشخاص، وهؤلاء الأشخاص عندما تسألهم عن المعيار يقولون: منهج أهل الحديث، وعندما يكون الحديث هذا على شرط الشيخين أو أحدهما يقولون: لكن لم يصححه فلان ولا فلان. . فيعيدوننا للأشخاص! وهؤلاء الأشخاص نحن نتهم قلوبهم وعقولهم، فهم لا ينصفون ولا يعقلون حديثاً يخالف عقائدهم المذهبية، وبهذا يكونون قد ألزمونا بالمذهب حتى لو خالف النصوص الشرعية، ولو أنهم من البداية لم يخادعونا لاحترمناهم، أعني لو أنهم قالوا معيارنا هو المذهب فمن وافقه فهو الفقيه التقي ومن خالفه فهو الجاهل المنافق. . لو قالوا هكذا وأراحونا من دعوى اعتمادهم معياراً علمياً لقلنا هؤلاء صادقون مع أنفسهم ومع الآخرين، أما أن نصبح معهم كالمنشار تتنقل بين المعايير والأشخاص فهذا ضنك علمي ليس في أمة من الأمم إلا أمتنا هذه التي سلكت سبيل بني إسرائيل الذين وصفهم الله بما وصفهم به في القرآن الكريم.

من فقه الحديث (2):

هل اللفظ الأقوى: يموت على غير ملتي؟ أم يموت على غير سنتي؟

الجواب: إذا نظرنا في الأسانيد، وجدنا أن الطرق الأكثر والأقوى على لفظ (يموت على غير ملتي) وأن نصر بن مزاحم وحده فرواه بلفظ (سنتي)، بل يحيى بن آدم وحده أوثق من نصر بن مزاحم، فلذلك ضبط الإسناد واللفظ معاً، فيحيى بن آدم من رجال البخاري ومسلم، أما نصر بن مزاحم وإن كان مؤرخاً علامة ومحدثاً مقبولاً في الجملة داخل الفرق الإسلامية إلا أنه محل خلاف، ليس لتشيعه فقط، وإنما لضبطه أيضاً، ولا يجوز أن نعول على المذهبية في الجرح والتعديل إلا إذا وجدنا ما يؤيدها في المتن، وهنا نجد لفظ السلفي يحيى بن آدم أشد قسوة على معاوية من لفظ الشيعي نصر بن مزاحم، مما يدل على أنه ليس للمذهبية أثر على الرجلين، وإنما المسألة مسألة ضبط وحفظ..

ثم يحيى بن آدم قد توبع على اللفظ، سواء من الطريق الأول، طريق عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عمرو .. – وهذا الإسناد أقوى هذه الأسانيد قاطبة – أعني في هذا الحديث – وهو يتفق مع لفظ يحيى بن آدم وإسناده – أو من الطرق الأخرى التي روت الحديث عن ليث مباشرة، فاللفظ الصحيح عن ليث عن طاووس هو (يموت على غير ملتي) كلفظ عبدالله بن طاووس عن أبيه.

من فقه الحديث (3) استحضار الشواهد :

لابد للباحث عند بحث موضوع أن يستحضر شواهد العامة وقرائنه المحيطة، ولا يقف عند أدنى اختلاف، والسلفية المحدثة تجيد الجمع بين المتناقضات لكنها تستبعد النصوص التي لا توافق مذهبها لأدنى اختلاف، وقد تعجبت من قراءتي لبعض هؤلاء محاولة لتضعيف مثل هذه الأحاديث في معاوية، وكيف أنه يتعلق بأي شيء لدفع الحديث، مرة بالطعن في رواة كبار كعبد الرزاق، وأخرى في بالتعليق بطعن غريب في راوٍ كبير، وثالثة بالتعلق بأنه في بعض الألفاظ لم يأتِ التصريح باسم معاوية، وخامسة يزعم بأن النبي (ص) دعا لمعاوية ولا يمكن بعد ذلك أن يصح فيه حديث كهذا.. الخ، وهكذا، ولا أريد استعراض أقوال هؤلاء ولا الرد عليها لأن هذا يؤخرنا كثيراً عن

مشاريع كبرى يجب أن تنجز، والكتب التي نؤلفها إنما نريد منها أصل الفكرة، بأن تلقي هذه الفكرة شيئاً من الشك في مسلمات شعبية لا أساس لها لا في الدين ولا في التاريخ، هذه المسلمات الشعبية من أكبر عوائق فهم التاريخ وفهم السيرة، وقبل ذلك فهم القرآن الكريم، وهذه المسلمات الشعبية هي من الثمار المتساقطة للسلفية المحدثة، والسلفية المحدثة نبتت في بستان السلطان، ونحن نحذر الناس ألا يغتروا بمنظر هذه الثمار، ولا كثرة عمال البستان، فإن هذه الثمار تورث الغفلة وتميت الضمير وتمحق الدين وتحمي الظالمين وتجترىء على الصالحين .

وفي حديثنا هذا، قد نرى من يتعلق بألفاظ تقليدية قالها بعضهم في الطعن في بعض الأسانيد أو بعض الرجال، أو في اختلاف بعض الألفاظ، ولذلك قدمنا هذه المقدمة، لنقول بأن الأصل هو الشك، فإذا شك السلفي بحث وانتعش عقله وانتفع به.

ولا فرق هنا بين لفظ ابن عمر (يموت على غير الإسلام) أو لفظ عبد الله بن عمرو الأشهر (يموت على غير ملتي) أو حتى لفظ نصر بن مزاحم (يموت حين يموت وهو على غير سنتي)، فالسنة لها إطلاقات، من بينها الملة والدين، فاختلاف الألفاظ اختلاف تنوع لا يضر، ولفظ (يموت على غير سنتي) هو أخف الألفاظ لكن الأسانيد الأخرى في (يموت على غير ملتي، أو على غير الإسلام، أو رجل من أهل النار) أسانيدها أقوى وأكثر، وشواهدها أقوى كحديث عمار فإن فيه (يدعوهم إلى النار) ومن دعا إلى النار فهو أولى بها من المدعو، وكذلك حديث قاتل عمار وسالبه في النار(صححه الألباني) والآمر قاتل، وكذلك أحاديث أخرى مثل (اللهم اركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً) في معاوية وعمرو، بالإضافة إلى أحاديث لعن معاوية من طرق كثيرة من أحاديث سفينة والحسن بن علي والمهاجر بن قنفذ وغيرهم (وهذه الأحاديث قد صححها الهيثمي وغيره)، فهذه الأحاديث كلها تقوي اللفظ الأول (الموت على غير الملة) .

وأما حديث موت معاوية (على غير السنة)، فيشهد له حديث أبي ذر: (أول من يغير سنتي رجل من بني أمية) فهذا الحديث بلفظ (السنة) قد لا يقتضي كفر معاوية وقد يقتضي، وأرى أنه يمكن أن يقال أن معاوية مسلم ظاهراً

منافق باطناً، فإن التسمي بالإسلام لا يمنع من حقيقة النفاق، كالمنافقين تماماً، فإن لهم في الدنيا أحكام الإسلام، وفي الآخرة أحكام الكفار.

أما حديث (يموت على غير ملتي) فهو صريح في موت معاوية على الكفر وإن بقي له حكم التسمي بالإسلام أيضاً، كالمنافقين، وهذا وأمثاله من حجج المكفرين لمعاوية في الماضي من أهل السنة، كعمار بن ياسر (وهو سني!) وابن الحنفية وأبي بكرة الثقفي وأمثالهم (وهم سنة!)، أو ممن بعدهم كعبيد الله بن موسى شيخ البخاري وعلي بن الجعد شيخ البخاري ومسلم الذي كان يصرح بأن معاوية مات على غير دين الإسلام، وهؤلاء هم أهل سنة ومن أهل الحديث، وكذلك المعتزلة كلهم تقريباً على الحكم على معاوية بالكفر، كما نقل الجاحظ وابن أبي الحديد، أو في العصر الحاضر من السنة كالسيد العلامة أحمد بن الصديق الغماري كبير أهل السنة والحديث بالمغرب الذي يرى البراءة من معاوية كالبراءة من عتبة بن ربيعة وأبي جهل.. أو كالسيد محمد بن عمر بن عقيل وأبي بكر بن شهاب من كبار أهل السنة باليمن، أو الشيخ المحدث عزوز المكي أو أحمد خيري تلميذ الكوثري، وهم من سنة مصر والحجاز، أو من الشيعة الزيدية والإمامية وهذا عند الشيعة محل إجماع فلا داعي لبحثه، إنما الخلاف داخل أهل السنة، ويمكن الجمع بين اللفظين (يموت على غير ملتي) ولفظ الحديث الآخر (يموت على غير سنتي) أو الحديث الثالث (أن معاوية من أهل النار)، بأن من تعمد تغيير سنة النبي (ص) وتبديلها فهو كافر ومن أهل النار، وقد يكون هذا لفظ الحديث (يطلع عليكم من هذا الفج رجل لعين من أهل النار يموت على غير ملتي)، فرواه بعضهم بلفظ (رجل لعين)، ورواه آخرون بلفظ (رجل من أهل النار) ورواه قسم ثالث بلفظ (يموت على غير ملتي)، وهذا الاختلاف في الألفاظ ليس اختلاف تضاد، وإنما اختلاف تنوع واتفاق في المآلات، والظروف السياسية والمذهبية تضطر الرواة للبتر والكتمان والإيحاء دون التصريح.. وهذا ما رأيناه في نهاية الحديث فمنهم من يقول (فطلع معاوية) وآخرون توقفوا عند كلمة (فطلع، أو فدخل) هكذا دون زيادة، وآخرون قالوا (فطلع رجل) وقسم رابع قال (فطلع غيره)! وهذا الكتمان أو الإخفاء أو البتر قد يكون مبرراً للخائف على نفسه، ولكنه ليس مبرراً للآمن.

ومخالفة السنة لا يراد بها المخالفة العملية (في الأحكام) لأن هذا حاصل في كثير من الناس، وليس من المناسب أن يشهر النبي (ص) برجل عنده قصور في تطبيق السنن، كلا، لن يشهر النبي (ص) إلا بمن يترك السنة الأعظم (الملة) ويموت عليها، ويعيش على حربها، وهذا ما نراه في سيرة معاوية، وهذا ما نعانيه من آثار معاوية إلى اليوم، فنحن لا نشكو من سنن عملية تركها معاوية، وإنما نعاني من تفريغ الإسلام من محتواه ومعناه وفاعليته.

فمن هنا لا يمكن تفسير السنة في هذا الحديث إلا بالملة، والنصوص الشرعية تعطي مستويات من لفظة (السنة) فقد تعني الدين والملة، وقد تعني ما هو أخف من ذلك كبعض الأحكام الفقهية التفصيلية، وبما أن بعض السنن قد تغيرت قبل معاوية عن جهل وتأويل ولم يرد فيهم حديث، ولكون هذا ليس نفاقاً ولا كفراً، فوجب أن نفهم أن التحذير والتشهير كان لشيء عظيم؛ هذا في حال افتراض ترجيح لفظ (سنتي) على لفظ (ملتي) في الحديث، مع أن الواقع أن لفظ (ملتي) أقوى إسناداً، وألصق بسيرة الرجل.

وعلى هذا كله فتخصيص معاوية بتغيير السنة- دون سائر من سبقه- يدل على أن هذه السنة هنا تعني الملة والدين وأن تغييرها كان عن عمد وهوى، وليس عن جهل وتأويل، وعلى هذا يصبح الموت على غير السنة هو الموت على غير الملة، هو الموت على غير الإسلام، ويصبح تغيير السنة هو تغيير الدين والملة، ولا ريب أن معاوية قد غير أبرز معالم الدين الإسلامي، وحوله من دين حام للعدالة والحقوق، إلى دين حام للسلطان الظالم والمظالم، وتم توظيف الدين في محاربة الدين نفسه وأهل الدين أنفسهم بل والسابقين إليه والمؤمنين به بحق وصدق، و في المقابل تم نشر الجبر والنصب ووصف الله بالعبث والهزل. . . الخ .

وأنا هنا لا أقول يقيناً بصحة ألفاظ المتن وإنما تترجح عندي، لأن الإسناد صحيح وصحة الإسناد لا تقتضي – دائماً- صحة المتن، وإنما قلت أرجح لأن معاوية أوضح مثال على السلطان الداهية الذي استطاع أن يجمع أكبر قدر من الناس على محاربة الدين محاربة خفية لكنها واسعة ومؤثرة إذ تغلغلت في العقائد والأحاديث والأحكام والنفوس إلى اليوم، وهذا تغيير خطير وكبير ومؤثر، لا ينتبه له إلا من يمتلك الاستعداد للبراءة من معاوية وأفعاله، لاسيما بعد كثرة النصوص في ذمه، وتصديق الواقع لتلك النصوص، من حديث الفئة الباغية إلى الدعوة إلى النار

إلى تغيير السنة إلى الملك العضوض، إلى حديث الاثني عشر منافقاً الذين لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، إلى الأمر بقتله (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) إلى بغض علي والأنصار (وكلاهما من علامات النفاق)، إلى حديث لكع بن لكع لا يؤمن بالله، إلى اللهم اركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً فيه وفي عمرو بن العاص، إلى لعن الثلاثة معاوية وأبيه وأخيه، إلى حديث العقبة وترجيح أن معاوية منهم بدليل حديث عمار وحديث الدبيلة، إلى لا أشبع الله بطنه وما فيه من دلائل التمنع والاعتذار بالأكل! بينما هو تكبر عن الاستجابة للنبي(ص) . . . وكذلك اعتزاله يوم حنين وتمنيه هزيمة النبي (ص) مع أبيه، إلى نبشه قبور الشهداء بأحد وإهانتهم وضربه رجل حمزة فانبعث منها الدم، حتى قال بعض الأنصار (لن ينكر منكر بعد اليوم، أو كما قال)، إلى استهزائه بالنبي (ص) وإعلانه ذلك للمغيرة وغيره (حتى كفره المغيرة نفسه، وويل لمن كفره فرعون)، إلى قسم عبادة بن الصامت بأنه من أمراء السوء الذين حذر منهم النبي (ص)، (وكان عبادة ممن بايع النبي (ص) على قول الحق لا يخشى في الله لومة لائم)، إلى حديث قاتل عمار وسالبه في النار (وكان راضياً بل آمراً بوضعه جائزة لمن يأتي برأسه) !، إلى كونه رأس القاسطين في حديث (أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)، إلى سوء والده ووالدته بعد تظاهرهم بالإسلام وهو لم يكن تقياً حتى نطمئن أنه خرج عن معتقدات العائلة في النبوة والنبي (ص). . . .الى . . الخ، فكثافة لأحاديث والآثار والشهادات والمواقف وتصديق الواقع على الأرض يعطينا اطمئنانا لصحة أي حديث في ذمه، فكيف بالأحاديث التي أسانيدها على شرط الشيخين؟! بل لو لم نجد أحاديث لكفى واقعه وأثره دليلاً على سوء سيرته ونيته، فلم يبق للإسلام راية مرفوعة، لا في الحكم الرشيد ولا الفكر السديد، واستطاع أن يوجد له عبدة من الصالحين والمصلحيين، عبر التاريخ، لا يرون في مظالمه إلا العدل، ولا في جرائمه إلا الأجر. . فهذا شخص داهية شيطان، وأعانه دهاة عصره، ممن لا يرقبون الله في حق من الحقوق، وكان تخطيطهم أن يبقى حكمهم عبر التاريخ، فلذلك أعدوا للأمر عدته السياسية والفكرية، فالسياسيون من المروانيين والعباسيين ساروا على نهجه السياسي، وسار مغفلو الصالحين من السلفية والنواصب على ما رسمه لهم من منهج فكري.

من فقه الحديث (4) : اكتمال نصيحة النبي (ص)

من أهم فوائد هذا الحديث التي تطمئن لها قلوب المؤمنين أن النبي (ص) كان كامل النصيحة لأمته، وأن المسئولية – مسئولية تلافي أخطار المستقبل– قد تركها بين أيديهم ابتلاء وامتحاناً، وأن نصيحته وتحذير أمته مما يضرها كان شديد الوضوح ولا لبس فيه، وإذا خالفت الأمة باطمئنانها إلى هؤلاء أو ظنها أنهم تابوا . .الخ فهذه مسئولية الأمة لا مسئولية رسول الله (ص)، فليس النبي (ص) مسئولاً عن حدوث البغي والملك العضوض وتفريغ الدين من محتواه الداخلي . . هذه مسئولية من ولى عمر ووثق به بعد علمه بالتحذير، ولا ريب أن تحميل الصحابة بعض المسئولية عن فساد معاوية أولى من تحميل النبي (ص) ذلك، والنواصب يرغبون في تحميل النبي (ص) كامل المسئولية، فهو عندهم من استعمل بني أمية وهو من وثق فيهم وهو من ولاهم وهو من سن للخلفاء طريق توليهم . . وهذا من الظلم للنبي (ص) ومما وضعوه عليه، والصواب أن النبي (ص) حذر وصرح ونصح ولم يترك قائد فتنة إلا ذكره لهم باسمه واسم أبيه واسم قبيلته، وليس من المعقول أن يتركنا الله ورسوله هكذا دون أن يتم تحذيرنا من أشد فتنة مرت بالدين وأهله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [التوبة/115])، فلا تغرنكم تلك الروايات والأحاديث السلطانية التي تجعل الله ورسوله في صف الظالمين، احذورا ثم احذورا، فليس هناك فتنة أبلغ من الإساءة لله ورسوله بتحريف الكتاب عن مواضعه ووضع الأكاذيب على لسان رسول الله وعلى لسان التاريخ، هذه فتنة هؤلاء الدعاة على أبواب جهنم، ليست فتنة قتل وقتال فقط، بل الأدهى إنها فتنة فكرية، إذ مازالت هي الثقافة السائدة إلى اليوم، هي السائدة في فهم الدين نفسه، دعك من السياسة والاقتصاد . . فهذا محل تسليم من الجميع.

من فقه الحديث (5): لماذا الخوف من تصحيح الحديث؟

وإذا صح هذا الحديث فهل من المحتمل أن تبقى شكوك تدفع بعض الباحثين لمزيد من التأني؟

الجواب: نعم من حق كل باحث أن يشك، حتى بعد صحة الأسانيد، والخطاب هنا ليس لأصحاب الشك المنهجي إنما لأصحاب الشك المذهبي كالسلفية الحديثية التقليدية فهؤلاء لا حق لهم أن يشكوا، لأن عقليتهم لا

تشك إذا صح الإسناد، فهي مع الحديث الواحد الفرد إن صح سنده، وهي لا تحب إلقاء الإشكالات على متن أي حديث إن صح سنده، ولا تستشكل على النص لتبطل نسبته إلى النبي (ص) بل هي وقافة عند النصوص، حسناً فمن هنا قلنا: لا يحق لها أن تشك بعد أن صح السند، وأنا أعرف أن هذا الكتاب لا يقرأه السلفيون فقط، وإنما سيقرأه أيضاً باحثون متجردون قد يكون هذا الحديث عندهم غريباً – بحكم السيطرة السلفية على منابر الدين أربعة عشر قرناً[68] فلم تترك للخاصة إلا ما يردده العامة– وعلى هذا فمن المفيد أن يقرؤوا الكتاب لعل مثل هذه الأحاديث تعيد لهم تفسير النبوة، بمعنى هل من مهمة النبي (ص) تحذير الأمة من الأخطار القادمة وتحديدها والإخبار بأعلام وبوضوح؟ أم أن مهمة النبي (ص) تقتصر على إيصال القرآن وتركه بينهم تتناوشه الأوهام وتتدافعه المطامع وتستلبه التأويلات؟ وهل مهمة النبي (ص) تختلف عن مهمات الأنبياء من قبله؟ ألم يبشر عيسى عليه السلام بالنبي (ص) مثلاً؟ لماذا لم تكن مهمته إيصال الإنجيل والشرائع وكفى؟ هذا محل اجتهاد واختلاف ومن حق المفكر أن يتخذ رأياً، ولكني مع الفكرة التي تقول إن النبي (ص) وسائر الأنبياء لا يذهبون من الدنيا حتى يبينوا لأصحابهم ما يتقون، وإذا خشي عليهم الضعف فلا بد أن يكون البيان واضحاً بحيث يحيا من يحيى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، لأن حق الحاضرين في الهداية متساوٍ، وحقهم في تحديد المعالم مشترك، بحيث تصل الحجة للذكي والبليد، واختلاف عقولهم يوجب إيضاح كثير من الأمور إيضاحاً ينزل إلى درك الأحمق وينتشله للهداية المأمولة، كما حديث في رفع الأيدي من فوق منبر الدوحات وضرب القضيب في الخاصرة، هنا تتساوى درجات الإنذار والإبلاغ.

وأيضاً من جانب آخر ليس من حق السلفي أن يشك في اتهام الطليق إذا أساء الطليق السيرة، لأن السلفي نفسه يقر باتهام بدريين بالنفاق كمعتب بن قشير أو رضواني كعبد الله بن أبي بن سلول، والأحاديث في بقائهم على

---

[68] باستثناء عهد الخلفاء الأربعة على أن عهد عثمان قد كان بدأ فيه خطباء فسقة، فهذا الوليد بن عقبة كان على الصلاة والمال والحرب! وتم عزل الصحابي عبد الله بن مسعود من أي وظيفة دينية، وكذا في سائر الأمصار.. فليس عهد الخلفاء الراشدين كله كان سليماً من الثقافة الأموية، بل في عهده بدأت تلك الثقافة ولكن على مستوى عام.

النفاق حتى الموت أقل وأضعف من الأحاديث في حق معاوية بكثير، راجعوا إن شئتم الأحاديث والروايات في نفاق البدري معتب بن قشير الأنصاري، أو نفاق الرضواني عبد الله بن أبي بن سلول، وسترون الفرق بين الأحاديث في ذم معاوية والأحاديث في ذمهما، من حيث كثرة الطرق وقتها وشواهدها وقرائنها وحواضنها القرآنية والتاريخية، إلا أن المذهب رضي عن معاوية ولم يرضَ عنهما، ونحن لا نبحث عن المذهب العقدي إنما عن النصوص الشرعية والروايات الصحيحة، ولو أنه تيسر لهما حكم الدولة الإسلامية لاختفت تلك الأحاديث والروايات أكثر مما اختفت مثالب معاوية، ثم ذاك بدري والثاني رضواني فأين معاوية الطليق منهما ؟ ![69]

نعم من حق الباحث عن المعرفة أن يشك ويسأل حتى يدركه اليقين، فيسأل مثلاً: هل توبع عبد الله بن عمرو على رواية هذا الحديث؟ هل هو ثقة في روايته؟ هل الراوي عنه ثقة؟ هل الراوي الثالث ثقة؟ وهكذا . . وهل عبد الله بن عمرو بن العاص وضع الحديث؟ وهل توبع؟ وهل يعقل هذا؟ وما فائدة مثل هذه الأحاديث؟وهل

---

69 أما معتب بن قشير الأنصاري فهو بدري إجماعاً، وهو عند السلفية منافق إجماعاً من مقاتل بن سليمان (150هـ) إلى ابن تيمية (728هـ) إلى الوهابية المعاصرة، وقد يكون هذا النفاق صحيحاً، وقد يكون باطلاً، لكنه إن كان صحيحاً فيجب أن ينقل أحاديث من الصحة إلى الوضع، وكذلك عبد الله بن أبي بن سلول، شهد الحديبية عند أهل المغازي والسير وليس بصاحب الجمل الأحمر إجماعاً، إذن فقد بايع، بل رفض أن يطوف بالكعبة عندما عرضت عليه قريش ذلك إلا أن يطوف النبي (ص)، فشهوده الحديبية صحيح، وعلى هذا هو رضواني وهو عندهم منافق إجماعاً، وقد يكون هذا صحيحاً بحجة أن الأحاديث الخاصة أخرجته من العموم، فكذلك معاوية إذن، تخرجه الدعوة إلى النار من الوعد العام بالحسنى! مع أن في الاية قيود أخرى، ولكن أتيت الأمر من آخره، فإن استحق الجنة بالوعد العام لمن أنفق وقاتل فهي في عبد الله بن أبي من باب أولى وأولى، لأنه قاتل ومعاوية لم يقاتل، وانفق ومعاوية لم ينفق، وأقدم إسلاماً، ولم يتآمر على اغتيال النبي (ص) ولا قاتل أصحابه ولا لعن قرابته ولا أوصى بقتلهم بعد وفاته، الفرق كبير جداً ليس هنا مجال المقارنة، وإن صح أن عبد الله بن أبي هو القائل (ليخرجن الأعز منها الأذل) فقد قال معاوية ما هو أسوأ منها (راجع مبحث: كلمات معاوية في حق النبي (ص)، وإن انخذل عبد الله بن أبي بثلث الجيش يوم أحد، فقد أنخذل معاوية بكل الأمة عن سنة النبي (ص) ليس شطر يوم بل قروناً ! .

يعقل أن يجهل أهل الحديث هذا الحديث؟ أم أنهم ذكروه ولكننا نحن أهملنا ذلك للمذهب والعصبية؟ وهل للشيعة دور في هذه الأحاديث التي وردت في ذم معاوية؟ أم أن رواتها سنة؟ وهل يجوز رد كل أحاديث الشيعة؟ وهل يجوز قبول كل أحاديث السنة؟ وهل اتفق السنة والشيعة والنواصب المعتدلون على رواية هذه الأحاديث؟ هل هذا الاتفاق – إن حصل– من دلائل قوة الحديث أم من دلائل ضعفه؟ وهل يمكن للحديث أن يشتهر في قرن ويختفي في قرن آخر؟ هل للأسباب السياسية والمذهبية دور في ظهور الحديث أو خفائه؟ ... الخ اسألوا عما شئتم، فإن مجرد طرح الأسئلة علم، وويل لأمة لا تزيد أسئلتها على إجاباتها، وويل لأمة تفيض إجاباتها على أسئلتها .

أما أنا فأرى أن عبد الله بن عمرو بن العاص صادق في النقل، وخاصة بعد توبته، وقد توبع، إذ روى الحديث غيره من الصحابة كما سيأتي، وأرى أن أسباب وضعه للحديث منتفية . .وأن توبته من البغي لن تنقله – إن شاء الله – لبغي آخر، فالتائب بعد التوبة أخشى لله منه قبلها .

من فقه الحديث (6): أضعف الإيمان . .

لا أقل من أن يعتقد المسلم أن معاوية مات على غير السنة (التي هي ضد البدعة) وعلى غير هدي النبي (ص)، وعلى الدعوة إلى النار، وعلى البغي والظلم، وعلى الملك العضوض، وعلى عهده ليزيد الفاسق؛ ويزيد موبقة من موبقاته أو تزيد، فلا يشترط على من لا يؤمن بهذا الحديث من السلفية المحدثة أن نلزمهم بما لا يرون صحته، أعني من موت معاوية على غير دين الإسلام، وإنما يشترط أن يعتقد مضمون ما يرى صحته من النصوص التي يصححها كحديث الفئة الباغية وحديث الملك العضوض، أو مما صح عندهم من موبقاته كقتل النفس المحرمة وأكل أموال الناس بالباطل . .الخ، أي أن يعتقد أنه مات على ما صح عند السلفية المحدثة نفسها، بالمعيار القرآني والنبوي لا المعيار المذهبي الذي يقلب الموبقات إلى حسنات يؤجر عليها، وليت هذه الرحمة من هؤلاء تنزل على المسلمين الصادقين في إيمانهم كصالحي الفرق الإسلامية من معتزلة وشيعة وإباضية وصوفية وجهمية . . ، الخ، أعني المؤمن الصالح من هؤلاء وليس الفاسق المجرم، أما تصر السلفية المحدثة على أن هؤلاء من أهل النار والهلاك، ويصرون

على تبرئة من اجتمع فيه النصب والظلم والجبر والإشراك، فهذا المعيار مختل، وإن لم يصححوه في الدنيا سئلوا عنه في الآخرة، وعندئذ لن يسعفهم تمسكهم بكتب العقائد المذهبية، ولا ما وضعه النواصب في معاوية، ولا تلبيسات ابن تيمية، ولا تحريفات الحنابلة، ولا تلفيقات الوهابية، وسيزول عنهم هذا الفرح بالصولة الإعلامية والوفرة المادية والكثرة الجماهيرية التي تمنعهم من سماع الأدلة في ذم الظلم وأهله لأن تلك الأدلة لا يقول بها إلا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ولا صولة: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)) [غافر]، وكل الآيات في ذم المتكبرين والمسرفين تتناول من يعرض عن الأدلة الشرعية ولا يريد سماعها، بل يعمل جهده ليشوش عليها وينافح عن الظالمين باتهام الناصحين، وهذه سنن من سنن الظالمين والمستفيدين من ظلمهم عبر التاريخ.

المبحث الرابع: هل تحقق الحديث في الخارج؟ وكيف؟..

من قرائن صحة الحديث تحققه في الخارج، أي وجود دلائل على موت معاوية على غير الملة أو على غير السنة، أو هما معاً، - هذا عند من لا يرى الجمع بينهما - أما على غير السنة فواضح وشاهده (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية)، ويشهد له الواقع فقد غير سنن النبي (ص) في العدل والأمانة واحترام النص الشرعي ونظام الحكم والنظام المالي وغير ذلك مما لا يحتاج إلى بيان.

لكن الموت على غير الملة يحتاج إلى دلائل أيضاً، وإن كنا نؤمن بالحديث إن صح سواء وجدنا دلائل في الخارج على تحققه أو لم نجد، بشرط أن يصح الحديث، لكن بما أن الحديث لم نتيقن من صحته وإنما صححنا إسناده وقد شرحنا كيف أن صحة الإسناد إنما تفيد الترجيح بقرائن وشواهد، والترجيح نسبي، فإن من واجبنا أن نبحث عن هذا التحقق للحديث في الخارج.

وقبل الكلام على التحقق الخارجي يجب تفسير معنى (الملة) وأما السنة فموت معاوية على غير السنة واضح جداً، فهو مبدل السنة في الحديث الآخر، والواقع يثبت ذلك، وإنما الكلام والخلاف في تحقق الموت على غير الملة

من عدمه، فوجب إلقاء الضوء على معنى الملة، أما معنى السنة فأكثر السلفية يوافقوننا – ولو بتقية من العامة– أن معاوية مات على غير السنة! فقد صححوا حديث (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية) وتأولوه بتغيير نظام الخلافة إلى ملك، كما فعل الألباني، ورغم أنه لم يذكر إلا هذا التبديل إلا أنه يكفي من باب التنزل، وإلا فمخالفات معاوية للسنة لا تعد ولا تحصر بمصادق واحد أو مثال واحد، بل كل سنة النبي (ص) في العدالة والعلم والحقوق والمال . . . الخ غيرها معاوية، ولكن لنكرز الآن على الملة، فإذا ثبت أن معاوية مات على غير الملة فهو يأتي على السنة بالإجماع، فما معنى الملة؟ وما معنى أن يموت معاوية على غير الملة؟ وما مصاديق أو مظاهر أو دلائل هذا الحدث الخطير جداً، . . كل هذه الأسئلة سنحاول الإجابة علها هنا، ولنبدأ بتعريف الملة في اللغة والقرآن ثم نذكر اعتراف معاوية بمتابعته ملة أخرى! ثم نرى هل تحققت فيه أحاديث تفيد الموت على غير الملة أم لا، . .الخ:

الملة في لغة العرب :

الملة في اللغة ليست بالضرورة خروج كلي علني عن الدين، إنما لها معانٍ عدة مثل: الدين، والطريقة، والشريعة، والدين الجامع، والمذهب، والسنة، والأمر الواضح، والنحلة، والشريعة التي يستمر صاحبها عليها، وجملة الشريعة،، ونحو ذلك، ففي أساس البلاغة للزمخشري – (ج 1 / ص 452) : ومنه: الملّة الطريقة المسلوكة، ومنها: ملّة إبراهيم خير الملل، وامتلّ فلان ملّة الإسلام/ وفي مختار الصحاح للجوهري- (ج 1 / ص 300): والمِلَّة الدِّينُ والشَّرِيعةُ/ وفي التعريفات للجرجاني – (ج 1 / ص 35): الدين والملة، متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع، تسمى: ديناً، ومن حيث إنها تجمع، تسمى: ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها، تسمى: مذهباً، وقيل: الفرق بين الدين، والملة، والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد/ وفي المحيط في اللغة للصاحب ابن عباد – (ج 2 / ص 453): ومِلَّةُ رَسُوْلِ الله صلى الله عليه وسلم : الأمْرُ الذي أوْضَحَه. والطَّرِيْقَةُ. والسُّنَّةُ/ وفي جمهرة اللغة لابن فارس – (ج 1 / ص 60): والمِلة: النِّحلة التي ينتحِلها الإنسان من الدِّين/ وفي القاموس المحيط

للفيروزبادي- (ج 3 / ص 167): الشَّرِيعَةُ أَو الدينُ/ وأطال العسكري في الفروق اللغوية - (ج 1 / ص 299) في بيان معنى الملة والفرق بينها وبين الدين فقال:الفرق بين الشريعة والدين: أن الشريعة هي الطريقة المأخوذة فيها إلى الشيء ومن ثم سمي الطريق إلى الماء شريعة ومشرعة وقيل الشارع لكثرة الأخذ فيه والدين ما يطاع به المعبود ولكل واحد منا دين وليس لكل واحد منا شريعة، والشريعة في هذا المعنى نظير الملة إلا أنها تفيد ما يفيده الطريق المأخوذ ما لا تفيده الملة، ويقال شرع في الدين شريعة كما يقال طرق فيه طريقا، والملة تفيد إستمرار أهلها عليها،

وفي موضع آخر من الفروق اللغوية للعسكري - (ج 1 / ص 349) الفرق بين الملة والدين: أن الملة إسم لجملة الشريعة، والدين إسم لما عليه كل واحد من أهلها ألا ترى أنه يقال فلان حسن الدين ولا يقال حسن الملة وإنما يقال هو من أهل الملة ويقال لخلاف الذمي الملي نسب إلى جملة الشريعة فلا يقال له ديني وتقول ديني دين الملائكة ولا تقول ملتي ملة الملائكة لان الملة إسم للشرائع مع الاقرار بالله، والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك وكل ملة دين وليس كل دين ملة واليهودية ملة لأن فيها شرائع وليس الشرك ملة[70]، وإذا أطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب مثل قوله تعالى " إن الدين عند الله الاسلام "، وإذا قيد إختلف دلالته وقد يسمى كل واحد من الدين والملة بإسم الآخر في بعض المواضع لتقارب معنييهما والأصل ما قلناه، . . . .، وأصل الملة في العربية الملل وهو أن يعدو الذئب على سن ضربا من العدو فسميت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها وقيل أصلها التكرار من قولك طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملل وهو تكرار الشئ على النفس حتى تضجر، وقيل الملة مذهب جماعة يحمي بعضهم لبعض عند الأمور

---

[70] كلام العسكري هنا فيه نظر، بل هو خطأ، ففي كتاب الله على لسان يوسف عليه السلام (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) [يوسف] فهنا جعل دين المشركين والكفار ملة لهم، فالملة تطلق على كل ما يتدين به الإنسان، سواء كانت ملة دينية أو شركية، لأن القرب أن الملة هو الدين الجامع بغض النظر عن أي دين هذا (لكم دينكم ولي دين) .

الحادثة وأصلها من المليلة وهي ضرب من الحمى، ومنه الملة موضع النار وذلك أنه إذا دفن فيه اللحم وغيره تكرر عليه الحمى حتى ينضج، وأصل الدين الطاعة ودان الناس مالكهم أي أطاعوه،ويجوز أن يكون أصله العادة ثم قيل للطاعة دين لانها تعتاد وتوطن النفس عليها، (وأضاف) : الفرق بين الملة والدين: الدين: هو الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي صلى الله عليه وآله، يسمى من حيث الانقياد له دينا، ومن حيث إنه يملي ويبين الناس ملة.ومن حيث إنه يردها الواردون المتعطشون إلى زلال نيل الكمال: شرعا وشريعة والدين يضاف إلى الله، وإلى النبي، وإلى آحاد الائمة.والملة إلى النبي وإلى الائمة: كذا حققه التفتازاني، قال الراغب: الملة هي: الدين، غير أن الملة لا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، ولا تضاف إلا إلى النبي، تسند إليه نحو: " فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا) .ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أمة النبي، فلا يقال: ملة الله، ولا ملتي، ولا ملة زيد كما يقال: دين الله، وديني، ودين زيد .انتهى كلام العسكري[71] .

وفي تاج العروس للزبيدي - (ج 1 / ص 7521) المِلَّةُ بالكسْرِ : الشريعَةُ أَو الدّينُ كمِلَّةِ الإسلامِ والنَّصرانِيَّةِ واليَهودِيَّةِ وقيل : هي مُعظَمُ الدّينِ وجُملَةُ ما يجيءُ به الرُّسُلُ وكلامُ المُصنّفِ يَشيرُ إلى تَرادُفِ الثّلاثَةِ قال الرّاغِبُ : المِلَّةُ : اسْمٌ لِما شرعَهُ الله تعالى لِعبادِهِ على لِسانِ أَنبيائه لِيَتَوَصَّلوا به إلى جِوارِهِ والفرقُ بينَها وبينَ الدّينِ إنَّ المِلَّةَ لا تُضافُ إلاّ للنَّبِيِّ الذي تستنِدُ إليه ولا تكادُ توجَدُ مُضافَةً إلاّ إلى الله تعالى ولا إلى آحادِ الأُمَّةِ ولا تَستعمَلُ إلاّ في

[71] وتعقبهما العسكري بقوله (أقول: ويرده قول سيد الساجدين عليه السلام في دعاء مكارم الاخلاق: " واجعلني على ملتك أموت وأحيا، وقوله عليه السلام في دعاء وداع شهر رمضان: " اللهم إنا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيدا وسرورا، ولأهل ملتك مجمعا ومحتشدا " .حيث أضاف الملة إلى الله سبحانه، فإذا وقع ذلك في كلام المعصوم، وهو منبع البلاغ ومعدن الفصاحة والبراعة، فتحقيق التفتازاني لا حقيقة له، وكلام الراغب لا يرغب فيه) اهـ قلت: لكن كلام العسكري يوحي بأنه يرى العصمة في أئمة أهل البيت، وهم على جلالتهم وفضلهم ليسوا معصومين، وهنا أتحدث عن نفسي، خاصة تلك العصمة التي يطرحها الأخوة الإمامية، وقد تناقشت مع كثير منهم، وأوهامهم فيها كأوهامنا في عدالة الصحابة، أدلة لا تدل، أو يعارضها ما هو أقوى منها، والله أعلم، وأبو هلال العسكري سني مشهور، لكن لم أعرف وجه كلامه إلا القول بعصمة زين العابدين علي بن الحسين وأهل البيت عليهم السلام.

جُملَةِ الشَّرائعِ دونَ آحادِها . . . وقال أَبو إِسحاق : المِلَّةُ في اللُّغَةِ : السُّنَّةُ والطَّرِيقَةُ . . .وفي الأَساس : ومنَ المَجاز : المِلَّةُ : الطَّريقُ المَسلوكَةُ ومنه : مِلَّةُ إبراهيمَ عليه السّلامُ خَيْرُ المِلَلِ اهـ، وفي بحر العلوم للسمرقندي – وهو تفسير – – (ج 1 / ص 115) : والملة هي السنة والمذهب.

هل كان معاوية على الملة . . . . . لغوياً ؟

الناس في هذا ثلاثة أقسام، القسم الأول قد يقول : نعم، وذلك حسب فهمه وثقافته وهذه الثقافة خاصة بالسلفية المحدثة فقط، والقسم الثاني وهم: أكثر المسلمين فلن يسلموا بأن معاوية مات على كل صفات هذه الملة، ولا سيما (السنة والطريقة) فالإجماع منعقد خارج السلفية المحدثة على أن معاوية لم يكن على السنة ولا الرشد، ولذلك لم يعدوه في (الخلفاء الراشدين) رغم أن بعض هؤلاء الخلفاء لم يكونوا مثالاً للعدل وخاصة عثمان بن عفان رحمه الله وسامحه، ولكن جمهور أهل السنة قبلوا تسميته في الخلفاء الراشدين، لكنهم لن يقبلوا إدخال معاوية فيهم، وأما السنة (يموت على غير السنة) فهذا أوضح بل ورد فيه نص صححته السلفية المحدثة نفسها كالألباني وهو حديث :(أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية) وتبديله للسنة لم يتب منه بدلالة استمرار هذا التبديل بعده، وأما القسم الثالث : فسيقول: كلا، لم يكن معاوية على خصلة من هذه الخصال، فلم يكن على المحجة ولا الطريقة ولا السنة ولا الدين الجامع ولا السنة النبوية . . .الخ، نعم قد يعظ العامة وينصحهم ويخوفهم باليوم الآخر ويحثهم على تجنيب نسائهم لبي (الباروكة) وأن الباروكة هي سبب هلاك بني إسرائيل . .الخ لكن هذا لا يدل على صدقه لا في الإيمان ولا في الحديث الذي ينقله، وإنما يكون لهذه التلونات أمام الناس أسباب سياسية سنشرحها في كتاب مفرد عنوانه (مسند معاوية، قراءة سياسية) .

الملة في القرآن الكريم:

والمعنى القرآني للملة أوسع وأدق من المعنى اللغوي، ونصيحة لكل طالب علم، أن يعرف المعنى من القرآن أولاً، لأن لغة القرآن لا تحيط بها معاجم اللغة، فقد ترد لفظة في القرآن الكريم ويكون لها أكثر من مستوى، يتم العلم

بذلك من سياق الآيات وجمع الآيات المتشابهة، فلفظة كالإسلام مثلاً ليس لها معنى واحد في القرآن الكريم، ولا معنى متضاد، وإنما مستويات، فقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام)، ليست في مستوى (لا تقولوا آمنا ولكمن قولوا أسلمنا)، فالآية الأولى تمثل الحد الأعلى من الإسلام والآية الثانية تمثل الحد الأدنى منه،÷ وقد يكون بين المستويين مستويات أخرى تعرف بالبحث، وكل كتب التفسير لا تراعي هذا ولا تمتلك منهجاً صحيحاً في التفسير، وإنما يغلب عليها التفسير الروائي (الذي هو في النهاية منهج أهل الحديث والسلفية المحدثة)، وهذا ما أفسد التفسير وقلل من حرارة كتاب الله وثروته الفكرية والسياسية والاقتصادية والسلوكية والعلمية، لا أقول هذا إنشاء ولا مجاراة للعامة، فلو أردت مجاراة العامة لما أخرجت الكتب في نقد الوهابية والسلفية المحدثة، ولما لمزت الوضع المحلي في أكثر من مكان، وكتاب الله لم أجد له تفسيراً إلى الآن، لأنه بصراحة لا أظن أننا نستطيع تفسير آية واحدة وربما لا نستطيع تفسير لفظة واحدة من الألفاظ المحورية الكبرى - كالإسلام والعبادة والشرك والتوحيد والنفاق - إلا بتفسير القرآن كله، لأن القرآن الكريم مترابط جداً، ولا تستطيع تفسير الآية الواحدة إلا بالنظر إلى ما يشبهها ويفسرها، ثم لا تستطيع تفسير الآيات المفسرة لهذه الآية إلا بمعرفة ما يشبه الآيات الجديدة وما يفسرها، وهكذا نجد أن بركة القرآن لا تنتهي بتفسير آية حتى تفسر القرآن كله، هذا إن أردت – أخي الباحث– التفسير الأقرب للكمال، أما إن كنت ضعيفاً عجولاً مثلي فلن تكمل هذا التفسير المأمول، ومع هذا فإن في قليل التفسير بهذه الطريقة كثير من الهدي والطمأنينة، ومن أسس هذا التفسير جمع الآيات في اللفظة الواحدة والنظر إلى سياقها للوقوف على أقرب المعاني لها - ولو مرحلياً – لأن الباحث قد يكتشف معنىً أدق بعد استكمال تفسير القرآن، كما أن صدق النية في طلب مراد الله يفتح آفاقاً من العلم بغايات القرآن ومقاصده ومبادئه العامة، وهذه النية تزداد صفاء كلما تخلص الباحث أو المفسر من التفاسير المعتادة التي تصد الناس عن فهم القرآن في الغالب، وأيضاً مما يعين النية الصادقة على صدقها هو البعد عن المذاهب المعبودة، وخاصة المذاهب التي تستحل دماء الأبرياء وتحرض على انتهاك الحقوق ومحاربة العدالة، فمن تلبس بهذه المذاهب فالغالب أنه لا يمكن أن يهتدي، لأن الظلم ومحبة الظالمين من أكبر عوائق الهداية، وعقوبة الله لمحب الظالمين أنه لا يمكنه من الهداية ويطبع على قلبه

وسمعه وبصره، فلا يرى الدليل دليلاً ولا البرهان برهاناً ولا الظلم ظلماً ولا العدل عدلاً. . وهكذا، طمس كامل على القلوب والعقول والحواس جزاء وفاقاً على الكبر والعناد والصدوف عن آيات الله، وعن عبادته، وعن تعظيم الله وتصغير البشر. .الخ، كل هذه الأمراض تمثل أكنة على القلوب، وبها تقسو القلوب حتى تصبح كالحجارة أو أشد قسوة. . ولولا أننا رأينا هؤلاء المتكبرين وعايشناهم وتحاورنا معهم لما استطعنا التصديق تصديقاً يقينياً مطمئناً بما ذكره الله عن بني إسرائيل وعن كفار قريش، من الكبر والعمى وقسوة القلوب مع معرفتهم الحق يقيناً، فقد لبثت دهراً كنت أظن أن الناس لا يصدهم عن الهداية إلا خفاء الدليل أو عدمه، ولم أكن أظن أن رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر يعرف أن هذا مراد الله ثم يصد عنه ويحاول إبطاله! فهذا شيء لم أكن أتصوره في عاقل فضلاً عن فقيه أو محدث أو طالب علم يصلي ويصوم ويحج ويدعو لدين الله!

وحتى لا نبتعد كثيراً سنستعرض معنى (الملة) في القرآن الكريم ونحاول أن نعرف شيئاً ولو يسيراً وظاهراً من معناها مع شيء يسير من تطبيق ذلك على معاوية من حيث اتباعه للملة (ملة الإسلام) من عدمه. . وسنكتب إشارات فقط، ولن يتيقن البعض من مخالفة معاوية للملة إلا بعد اكتمال هذه الأبحاث والكتب التي أظن أنها ستزيد على عشرين كتاباً أو بحثاً، كلها في بيان وكشف رأس البلاء (معاوية) وعقائده وسياساته وفكره وسلوكه الذي سرى في الأمة وما زال يحكم قلوبها وعقولها وضمائرها وعلماءها وعامتها، وقد لا يتبين حتى بعد هذه الكتب والأبحاث لأن القلب المتكبر ممنوع من الهداية.

والآيات التي ذكرت (الملة) في القرآن الكريم ثلاث عشرة آية، منها آيتان متتابعتان، سنذكرها مع بعض تعليقات يسيرة تستهدي بهذه الآيات، وهي:

1- قوله تعالى معلماً نبيه الكريم (ص): (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) [الأنعام] والملة هنا هي الإسلام في عمومه وكلياته، وهو دين جميع الأنبياء، هو التوحيد والتأله والارتباط بالله وحده، وترك عبادة الأصنام أو ما يقوم مقامها من مذهب أو

شيخ أو وطن . .الخ، فكل شخص يقدم شيئاً على الله أو يساويه به فقد أشرك، ولا ريب أن معاوية قدم أموراً كثيرة على رضى الله، مع علمه بذلك، ولم تكن صلاته إلا نفاقاً ولا نسكه إلا كيداً ولا محياه إلا عناداً ولا مماته إلا على البغي، فأي منها كان لله؟ أما السؤال عن كيفية التوصل إلى هذه النتائج، فهذه ستأتي في أبحاث قادمة تحت عناوين (معاوية والصلاة، معاوية والجهاد، ومعاوية والزكاة. .الخ) وسيعرف المنصف أنها جميعاً ليست لله، وأن معاوية أدهى العرب والعجم.

2- وقال تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) [البقرة] كالمعنى السابق، ويرتبط بالمعنى حديث (يهلك أمتي أغيلمة سفهاء من قريش) وكان معاوية أولهم، ومن استطاع أن يجمع آيات السفهاء في القرآن الكريم فسيعلم بعض حدود ورسوم الملة.

3- وقال تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) [البقرة] ملة إبراهيم هي توحيد الله وترك عبادة سواه من صنم أو مذهب أو شيخ، وأتباع معاوية اليوم من أكثر الناس نهياً عن الشرك ومن أوقع الناس فيه وفق تعريفهم، فالشهادة لله لا تختلف عن دعاء الله، والخوف من الله والسجود لله. .الخ، وهم في هذه الأمور على الشرك، فخوفهم من مخالفة العقيدة المذهبية أكثر من خوفهم من مخالفة نصوص القرآن الكريم وما تواتر من السنة، وأيضاً فالشهادة يجب أن تكون لله، وهم من أبعد الناس عنها، بل شهادتهم للمذهب ورموزه، والسلطات، ولو كانوا صادقين مع أنفسهم لما قالوا في تكبيرة الإحرام (الله أكبر) بل المذهب أكبر، وابن تيمية أكبر، والسلف أكبر، . . أما الله فهو أضعف في قلوبهم من عجوز ضال، أو داعية مخادع، أو صاحب نعمة، فهؤلاء أملأ في صدورهم من الله ورسوله، وبهذا الخواء في العقل والخور في القلب ضرب الله على المسلمين الذل والمسكنة، ويعفو عن كثير.

4- وقال تعالى: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [آل عمران/95] ملة إبراهيم ليس فيها تجرؤ على سفك دماء الأبرياء ولا فتاوى في استحلالها، وهذه كثيرة في أتباع معاوية مما يدل على الأصل المنحرف، وكلما كان خصمهم عاقلاً أو متألهاً ازداد بغضهم له وتحريضهم على قتله.

5- وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) [النساء] وملة إبراهيم ملة جامعة، وكان معاوية لا يرتضيها ويبحث عن ملل داخل ملة الإسلام، وكان يسأل بعضهم (هل أنت على ملة علي وإلا على ملة عثمان) ! وأمر بقتل حجر وأصحاب حجر وغيرهم لأنهم لم يتبرؤوا من علي ولا من دين علي . .الخ، وهو أذكى من أن يجهل أن ملة علي هي ملة رسول الله إلا أنه ليس نبياً ولا معصوماً، لكن الإمام علي بلا ريب أقرب لملة رسول الله وملة الإسلام من معاوية، ومعاوية يعرف هذا تماماً وليس ساذجاً أو جاهلاً حتى يجهل هذا، ولكنه النفاق، فهذه المسألة وحدها لو تدبرها الباحث لعرف أن معاوية مات على غير الملة، فكيف بجميع المسائل؟ .

6- (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [النحل]، إذا كان النبي (ص) نفسه مأمور باتباع الملة الجامعة ملة إبراهيم، أما معاوية فقسم الأمة إلى ملل، وجعلها تفترق على الأشخاص وليس على اختلاف جاد في أفكار معينة، فيكفي السلفي أن يقال (فلان معتزلي أو رافضي) حتى يرفض كل حق أتى به، ويكفيه أن يقال : (فلان سلفي) حتى يعتذر عن كل كارثة أتى بها، ألم يعتذروا عن الأهوازي القائل بأن الله خلق نفسه من عرق الخيل؟ ألم يعتذروا عن ابن تيمية في قوله بالجسم والشاب الأمرد ؟ ألم يعتذروا عن معاوية رغم النصوص الشرعية الصحيحة والمتواترة في ذمه وذم بغيه؟ ألم يجعلوه مجتهداً مأجوراً على كل جريمة ارتكبها ؟ . .الخ. ويجب التنبيه مجدداً أننا لا نكفر هؤلاء فلهم اسم المسلمين وحقوق المسلمين كافة، بل نحن لا نفرق بين مسلم وغير مسلم من حيث الحقوق الدنيوية، في العيش بكرامة وأمن واحترام مطلق، فلا إكراه عندنا في الدين، ولا احتقار للآخر حتى لو كان ملحداً (ليس عيك هداهم) ولكن عليك منحهم الحقوق كاملة والبر بكل مسالم مسلماً أو كافراً .

7- وقال تعالى: (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38)

[يوسف] / ومعاوية الذي يزعم أن النبي (ص) كان عالي الهمة وأنه الذي وضع اسمه في الأذان ليرفع شأنه، والذي يعتقد على أن الواجب عليه أن يعمل على أن يدفن ذكر النبي (ص) (دفناً دفناً) كيف يكون على ملة الإسلام؟ ولكن هذه لم تشتهر لأن معاوية لم يكن يشيعها إلا للخاصة أو للخاملين ممن لا يصدقهم أحد لو نشروها، لكن كان معاوية بحاجة أن يخرجها لبعض الناس، وحال الكاره الخائف كحال المحب الغيور، لا يرتاح حتى يبث ما في قلبه لمن يثق فيه من المخلصين.

8- وقال تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) [الحج] / معاوية أول من فرق المسلمين إلى أسماء تكفيرية (الترابية، ملة علي، . .الخ كما سيأتي) والغريب أنه هو الذي يصنف الصالحين من المهاجرين والأنصار وصالحي التابعين إلى فرقة ضالة، وهو من رواة حديث السبعين فرقة ضالة، وكان يعد أهل البيت فرقة ضالة، والمهاجرين والأنصار فرقة ضالة، وأتباعهم فرقة ضالة، والفرقة الناجية الوحيدة عنده هي من كان معه، فهو راوي حديث (هم الجماعة)، والجماعة في مفهوم معاوية هو الطاعة المطلقة لمعاوية ولو في قتال علي وقتل عمار ونبش قبر حمزة وتولية يزيد ورد النصوص. .الخ، ولن نكتشف ديننا إلا بعد كشف هذا الغطاء وآثاره التي ربضت على الإسلام العتيق والملة الإبراهيمية.

9- وقال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) [الأعراف] المستكبرون يجبرون الناس على العودة إلى ملتهم التي وضعوها هم وليس التي وضعها الله لهم، ولا أبلغ من إجبار الناس على لعن الصالحين على المنابر؟ فهذا لم يفعلها حتى طواغيت عصرنا، ولا ريب أن لعن مثل الإمام علي والحسن والحسين على المنابر ليس من ملة الإسلام، وكل

من أمر بشيء مضاد للإسلام فهو يأمر بملة أخرى وليس معاوية جاهلاً لهذا القدر الذي يعد فيه لعن الإمام علي على المنابر من دين الله، أبداً ليس بهذا الجهل بدين الله، وإنما هو التعمد لوضع دين جديد (ملة أخرى) وقد أصر على هذه الملة حتى وفاته وسار عليها الملوك بعده إلا عمر بن عبد العزيز، لكن السلفية المحدثة لا يعملون عقولهم وضمائرهم، وإلا فأعلام الهداية واضحة، ومعرفة ملة المجرمين وسبيلهم لا تقل أهمية عن معرفة ملة إبراهيم وسبيل المؤمنين.

10- وقال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) [إبراهيم] كان كفار قريش ومعاوية هم من يجبرون الناس على الانتقال من الهدى إلى الضلالة، والهدى ملة محمد وسائر الأنبياء، كما أن الضلالة ملة الكفار والظالمين.

11- وقال تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) [البقرة] / وهذا دليل على أن ملة الظالمين إنما هي نابعة من هوى وليس من علم واجتهاد وحيرة في معرفة الصواب، فالأمر اتضح جداً، ولذلك تتعب السلفية المحدثة عندما تحاول الاعتذار لمعاوية، فيحاولون دمج ملته بملة الإسلام ويتعبون تعباً شديداً، ولذلك اختاروا (الإمساك عما شجر بين الصحابة) وجعلوها عقيدة واخترعوا لها أحاديث وآثاراً ! ومع ذلك لم يفلحوا وهم من أكثر الناس خرقاً لهذه القاعدة، وإنما الفرق بينهم وبين غيرهم أنهم يظلمون أهل البيت ويرفعون الظالمين، وغيرهم يظلم أفراداً من الصالحين ولكنهم ينصفون في ذم الظالمين كمعاوية ونحوه، ففعل السلفية أبشع وأفضع وأبعد عن الهدى وأوقع بالظلم والهوى فيما شجر بين الصحابة والبغاة.

12- وقال تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) [الكهف]/ وهذا حال أتباع معاوية اليوم، فلو ظفروا بالعالم الإسلامي لقتلوهم عن بكرة أبيهم حتى يدخلوا في ملتهم، والواقع التاريخي شاهد على هذا، قديماً وحديثاً، ولا يصدهم عن القتل إلا العجز ! ولو لم يكن هناك

إكراه على الدين إلا لما كان الناس في بلدي كلهم قد أصبحوا وهابية! فهذا عند أهل العقول دليل على شيء كبير حدث في الماضي من هذا الإكراه على الدين، ثم عندما احتاج الوهابيون إلى إظهار أنهم متسامحون يأتون بالوهابي الذي كان جده الرابع شافعياً ليقول أنا شافعي ويدخلوه في مؤسساتهم ويقولون للناس: ها نحن متسامحون فينا الحنبلية والشافعية والمالكية.. الخ، بينما لو دقق الباحث لوجد حنبليتهم ليست حنبلية أصلاً، ومن باب أولى ألا يكون الشافعية شافعية ولا المالكية مالكية ولا الأحناف حنفية إلا زوراً كذلك الزور الذي يقول إن الوهابية هم حنابلة! وأن معاوية كان من العادلين! فالإمام أحمد وفق المنهج الوهابي (كافر كفراً أكبر ينقل عن الملة)، ومعاوية وفق المنهج الوهابي خارج عن الملة بالإجماع، لكنهم من أقدر الناس على الانسلاخ من النظرية، والجمع بين التناقضات، وابتلاع الدعاوى العريضة، والتشبع بما لم يُعطوا من أدب أو علم أو إنصاف، ولا يعرفهم إلا من اكتوى بجهلهم ودجلهم وظلمهم وتلونهم ومراقبتهم للمخلوق ونسيانهم الخالق، وإقبالهم على الظالمين من السلف ونفورهم من العادلين، فهم اليوم بقية البقايا من أتباع معاوية، وفيهم يظهر منهجه في الإكراه على ما يخالف الكتاب، والخداع لذوي الألباب، والتعبد بظلم العباد.

الملة في الحديث:

1- حديث في فضل علي: في المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج 10 / ص 490): عن حيان الأسدي، سمعت عليا يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا » - يعني لحيته من رأسه - تعليق الذهبي: « صحيح » وهو في (الدارقطنى فى الأفراد، والحاكم، والخطيب)[72]

---

[72] ولم يذكر إسناده هنا، ووجدته في ذخيرة الحفاظ للمقدسي- (3 / 1665): حديث: قال لي رسول الله (: إنك تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي، من أحبك، أحبني، ومن أبغضك، أبغضني. رواه علي بن نزار: عن زياد بن أبي زياد، عن جده: حيان، عن علي وعلي بن نزار ليس بشيء في الحديث اهـ ومحمد بن طاهر المقدسي ناصبي مشهور، ومحقق الكتاب عبد الرحمن الفريوائي ناصبي أيضاً – وأنا أعرفه وقد التقيت به وهو من الهنود الذين يتنصبون تقرباً للوهابية – فلم يهتم

والسند ضعيف وفق مقاييس أكثر أهل الحديث، إلا أن الحاكم صححه وأقره الذهبي، ومنعناه صحيح، وله شواهد، بل هناك أسانيد صحيحة لبعض ألفاظ الحديث، وهذا الحديث من شواهد أن معاوية يموت على غير الملة، لأنه حارب من يعيش على ملة رسول الله (ص) ولعنه بعد وفاته، وهذه كلها أعلام هداية لمن شاء أن يستقيم، فالله ليس ملزماً أن يهدي من لا يريد أن يهتدي، وإنما مجرد محاربة أولياء الله دليل على الخذلان، (ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة)[73] ولا يشك مسلم منصف أن علياً من أولياء الله، كما لا يشك مسلم

بتحقيق، ووجدت السند كاملاً عند ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال – (6 / 333): حَدَّثَنا عَبد الله بن ناجية، حَدَّثَنا مُحَمد بن عَمْرو بن حنان، حَدَّثَنا يَحْيى بن عَبد الله الرقي، قال : حَدَّثَنا يُونُس بن أبي يعقوب، قال : حَدَّثَنا علي بن نزار عن زياد بن أبي زياد الأسدي، حَدَّثني عن جدي حيان، قَالَ : سَمِعْتُ علي بن أبي طالب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني. / ووجدته كذلك في المؤتلف والمختلف للدارقطني – (1 / 413): حَدَّثَنا علي بن مُحمَّد بن عُبَيْد الحافظ , حَدَّثَنا الحُسَين بن الحَكَم الحِبَري , حَدَّثَنا إسماعيل بن أَبَان , حَدَّثَنا يُونُس بن أبي يَعْفُور , عن علي بن نِزَار بن حَيَّان , عن يَزِيد بن زِيَاد , عن حَيان جده يعني جد علي بن نزار قال : سَمِعتُ عليا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعيش على ملتي وتقتل على سنتي من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني. / وقال الألباني (السلسة الضعيفة – (10 / 433): (وأنا في شك من ثبوت هذا الحديث في "المستدرك" ؛ فإني رأيت الحافظ السيوطي أورد الحديث، بهذا اللفظ الذي في "التلخيص"، في "الجامع الكبير" (1/ 163/ 1)، وقال : رواه الدارقطني في "الأفراد"، والخطيب عن علي رضي الله عنه، قلت – الألباني- : فلو كان ثابتًا في "المستدرك" ؛ لعزاه السيوطي إليه ؛ إن شاء الله تعالى) اهـ قلت : بلى قد نسبه السيوطي للحاكم أيضاً، ففي جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي – (1 / 6240): (إن الأمة ستغدر بك من بعدى وأنت تعيش على ملتى وتقتل على سنى من أحبك أحبنى ومن أبغضك أبغضنى وإن هذه ستخضب من هذه يعنى لحيته من رأسه (الدارقطنى فى الأفراد، والحاكم، والخطيب عن على) اهـ

[73] الحديث في البخاري من حديث أبي هريرة ولفظه : صحيح البخاري (21 / 392) عن أبي هريرة مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. . . الخ)، والدليل على أن الإمام علي من أولياء الله أنه ربيب النبي (ص) وأخوه ووزيره وألصق الناس به صحبة وأطولهم له مجالسة ونصرة، وللأحاديث الكثيرة والمتواترة في فضله وأهمها حديث المنزلة والغدير

منصف أم معاوية ليس من أولياء الله وإنما من أهل البغي والملك العضوض والدعوة إلى النار، وقد اقترن معاوية بالنار في أكثر من عشرة أحاديث ليس هنا مجال التوسع فيها، وليتأمل من شاء في حديث الفئة الباغية، وحديث الناكثين، وحديث قاتل عمار، وحديث الدبيلة، وحديث أبي برزة، وحديث عمرو بن الحمق الخزاعي، و غيرها .

2- وورودت الملة في السنة في الدعاء عند دفن المسلم: جامع الأحاديث - (ج 4 / ص 136) : عن ابن عمر موفوعاً: (إذا وضعتم موتاكم فى قبورهم فقولوا بسمِ الله وعلى ملةِ رسولِ الله) أخرجه أحمد (27/2، رقم 4812)، وابن حبان (376/7، رقم 3110)، والحاكم (520/1، رقم 1353)، وقال : صحيح على شرط الشيخين، وغيرهم .

والغريب قلة الأحاديث في الملة، مع كثرة الايات عن الملة في القرآن الكريم، ولا أرى هذا الجفاف الحديثي إلا من آثار معاوية وحزبه، فالأولى أن كل أمر أكد عليه القرآن أو كره أن يكون مفصلاً في السنة، وأن تتناسب كثرة الأحاديث في الموضوع الواحد مع كثافة الآيات فيه، لأن النبي (ص) هو مبين وشارح ومفصل لما أوحي إليه من ربه، أما أن نجد عشرات الأحاديث في أمر لم يذكره القرآن كليه فهذا مريب، وهذا موضوع آخر قد يطول شرحه.

الملة عند الفقهاء وأهل الحديث:

وخيبر وخاصة لفظ (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، وإذا كان الله ورسوله يحبانه فهو من أولياء الله قطعاً، لأن هذه شهادة على باطن علي، بينما باطن معاوية نعرفه من حديث (لا يبغض علياً إلا منافق)، والحديثان صحيحان، الأول متواتر في الصحيحين، والثاني صحيح فقط وهو في صحيح مسلم، ومن لا يقف عند هذه الأعلام – أعلام الهداية- فلن يجبره الله، فالله غني عن العالمين، والمسلم يدع مايريبه إلى ما لا يريبه، فلا يترك ما اتفق أهل الحديث على صحته ويدعمه الواقع والعقل إلى ما اتفق جمهورهم على ضعفه ولا يدعمه الواقع .

الملة عند الفقهاء وأهل الحديث نجدها في تفسيرهم للأحاديث التي تقول (من عمل كذا . . فليس مني)، ولم نجد تفسيرهم الملة في أحاديث عن الملة لقلة الأحاديث التي تتحدث عن الملة، ففسروا كلمة (ليس مني) أي ليس على ملتي أو ليس على ديني كحد أعلى، وقد يدل أنه على طريقتي كحد أوسط، أو ليس على سنتي كحد أدنى، وهذا الحد الأدنى، قد يعني السنة العامة المرادفة للملة فيلتحق بالحد الأعلى، وقد يعني السنة الخاصة التي هي خلاف الفرض، ومتى يعذر تارك السنة ومتى لا يعذر، وفي فتح الباري – ابن حجر – (9 / 106) قوله (فليس مني) إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى فليس مني أي على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة وأن كان إعراضا وتنطعا يفضي إلى اعتقاد ارجحية عمله فمعنى فليس مني ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر اهـ قلت: وهذا يكاد يكون إجماع شراح الحديث وفقهاء المسلمين، يقول ابن الأمير في سبل السلام – (3 / 111) وأراد صلى الله عليه وسلم بقوله: "فمن رغب عن سنتي" عن طريقتي "فليس مني" أي ليس من أهل الحنيفية السهلة بل الذي يتعين عليه أن يفطر ليقوى على الصوم وينام ليقوى على القيام وينكح النساء ليعف نظره وفرجه وقيل إن أراد من خالف هديه صلى الله عليه وسلم وطريقته أن الذي أتى به من العبادة أرجح مما كان عليه صلى الله عليه وسلم فمعنى ليس مني أي ليس من أهل ملتي لأن اعتقاد ذلك يؤدي إلى الكفر اهـ / ويقول الهيتمي المكي في الإفصاح عن أحاديث النكاح – (1 / 3): ومعنى (ليس مني) ليس من أهل طريقتي المقتدين بي هذا إذا كان معنى الرغبة الإعراض عن العمل بالسنة فحسب أما إذا إنضم إلى ذلك الإعراض احتقار السنة فإنه يكون المعنى حينئذ أنه ليس من أهل ملتي وهي الإسلام لأن ذلك حينئذ كفر نظير ماصرح بهم أئمتنا في أنه لو قيل لإنسان قص أظافرك فقال لا أفعله رغبة عن السنة أي مع احتقارها كفر اهـ.

والتعليق هنا:

أنه بالتأمر اليسير نعرف أن معاوية – وفق ما كتبه أهل الحديث والفقهاء من قواعد – لم يمت على السنة ولا على الملة، إلا أنهم لا يحسنون إنزال هذه القواعد إلا خصومهم من أصحاب الفرق الإسلامية ممن لا حول لهم

ولا قوة، أما معاوية فيتمتع بالتيار المعياري، الذي يخرج من شاء من دين الله ويدخل فيه من شاء، وهذه المعيارية لم يكتسبها معاوية وحزبه بالعلم وإنما بالسيف ثم بحرث الأرض الناصبية المعيارية المتلقفة لهذه الأفكار والمعايير السياسية، ثم نبتت السلفية المحدثة على دمن ذلك الثرى، وبقيت حزازات النواصب كما هي.

اعتراف معاوية في حياته أنه على غير ملة رسول الله:

كان ابن عباس يتهم معاوية بأنه ترك ملة رسول الله، لأن معاوية كان يفرق الناس إلى ملل، ويتهم ابن عباس وغيره بأنهم على ملة علي! وكان معاوية إذا علم أن عثمان خالف رسول الله في عمل يرجع إلى سنة عثمان ويترك سنة رسول الله (ص) عمداً، وهذا سر اتهام ابن عباس له بأنه اتخذ سنة عثمان ملة له، والروايات في ذلك كثيرة، وسأختار منها القليل، على أمل أن أفرد هذه الروايات التي تعيد أسباب فرقة المسلمين إلى عدة عوامل أبرزها معاوية ومنهجه، فهو الذي رسخ التكفير السياسي (كتكفير حجر بن عدي والشيعة الأولى)، وانتقل هذا التكفير السياسي للتكفير المذهبي، وحملت السلفية المحدثة - من أيام الحليفين المتوكل وأحمد بن حنبل- هذا اللواء السفياني إلى اليوم، والناس كأنهم في سكرة لا يقرءون التاريخ، وإنما هنا أكتفي بالنزر اليسير من الروايات من داخل الغلو السلفي نفسه حتى يكون حجة على القوم:

ففي الإبانة الكبرى لابن بطة الحنبلي - (ج 1 / ص 251)[74] حدثنا شعيب بن محمد الكفي، قال: حدثنا علي بن حرب، قال: حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن ليث، عن طاوس، قال علي بن حرب: وحدثنا ابن

---

[74] ومن حنبلية ابن بطة رحمه الله أنه يستدل بمثل هذا الحديث على كفر الجهمية وخروجهم من الملة، ولم يحتج به على خروج معاوية من الملة، فقال في الإبانة الكبرى لابن بطة - (ج 5 / ص 298) عن الجهمية: باب بيان كفرهم وضلالهم وخروجهم عن الملة وإباحة قتلهم اهـ فأين الجهمية من معاوية في تعمد الخروج عن الملة والسنة والطريقة.. قولوا ما شئتم، والسلفية المحدثة لا تتهم معاوية بشيء أصلاً، ولا تسجل عليه ذنباً واحداً، وتتعبد بموالاته وحبه والدفاع عنه ضد الأحكام الشرعية، وهذه فتنة عظيمة، بينما ذم الجهمية لا يقوم على إسناد واحد صحيح، وإنما كان ذكاً سياسياً أموياً انتقل للمذهب السلفي هكذا بلا إسناد، وأنزلوا التهمة السياسية (كما هي) في المذهب، وإلا فلا يصح لهم إسناد أن الجهم بن صفوان قال كذا وكذا، وليس له كتب ولا تلاميذ

عيينة، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال : قال معاوية : أنت على ملة علي ؟ قلت : « ولا على ملة عثمان، أنا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم » وهو في اعتقاد أهل السنة للالكائي - (ج 1 / ص 94):

و في حلية الأولياء لأبي نعيم - (ج 1 / ص 329) وغيرها .

تطبيق معاوية عملياً:

ومن دلائل أن معاوية يستهين بالسنة النبوية، أنه إذا علم بأن عثمان رضي الله عنه قد خالف السنة النبوية فإنه يتبعه مباشرة عصبية لأنه أموي، ويترك سنة النبي (ص) لأنه هاشمي، هكذا فالأمر عند معاوية أموية وهاشمية، وليس شرعاً أو ملة، وهذا ما أشار إليه ابن عباس عندما اتهم معاوية بأنه على ملة عثمان، أي أنه أنزل عثمان منزلة النبي (ص) .

أما اختيار معاوية لسنة عثمان على سنة النبي (ص) فالحوادث كثيرة جداً، نذكر منها مثالاً صارخاً رواه الإمام أحمد في مسنده، ففي مسند أحمد بن حنبل - (ج 4 / ص 94) ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال : لما قدم علينا معاوية حاجا قدمنا معه مكة قال فصلى بنا الظهر ركعتين ثم انصرف إلى دار الندوة قال - وكان عثمان حين أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة فإذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة-

فلما صلى بنا الظهر ركعتين نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان (بن عفان) فقالا له:

ما عاب أحد ابن عمك – يعني عثمان- بأقبح ما عبته به !

ولا رواة ولا نقلة لمذهبه. .الخ، وقد قتل سياسياً سنة 126هـ تقريباً بسبب ثورته السياسية مع الحارث بن سريج بخراسان، وكان يدعو للكتاب والسنة والشورى، ولم أجد من أنصفه وأنصف الجهمية إلا علامة الشام جمال الدين القاسمي في كتابه عن تاريخ الجهمية والمعتزلة، فعده من دعاة الكتاب والسنة، وإما غير القاسمي فيرددون ما كتبته السلفية المحدثة، التي هي بدورها تردد عقيدة سلاطين بني أمية في الجهمية، وهذا مثال صارخ على التقليد والتبعية المذهبية للسياسة الأموية.

فقال لهما وما ذاك؟

قال فقالا له: ألم تعلم انه أتم الصلاة بمكة؟

قال فقال لهما ويحكما وهل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؟

قالا : فان بن عمك – عثمان– قد كان أتمها وان خلافك إياه له عيب !

قال فخرج معاوية إلى العصر فصلاها بنا أربعا ! اهـ

تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل ابن إسحاق وهو محمد وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير فمن رجال أصحاب السنن وأخرج له البخاري في " القراءة " وهو ثقة اهـ هكذا قال: والصواب أن الإسناد صحيح وابن إسحاق أوثق من أحمد نفسه وقد صرح بالتحديث[75].

والحديث واضح في استهانة معاوية بسنة النبي (ص) وأن النبي (ص) وسنته، لا تساوي عثمان وسنته، وهذا انتصار وتقديم عصبي قبلي على الشرع النبوي، بدلالة استثارتهم له بقولهم (ابن عمك) ! فمروان وابن عثمان يعرفان استجابة معاوية للعصبية وتقديمها على النبي (ص) وقد صدق ظنهما فيه فاستجاب، فبدعة الأموي أولى من سنة الهاشمي، هكذا عصبية، وهذه لها نظائر كثيرة في سيرة معاوية، فهو يأخذ بسنة النبي (ص) إذا لم تخالفها سنة عثمان أو مصلحة معاوية أو هواه، والأمثلة كثيرة صارخة، كما في

---

75 واعترف ابن تيمية بهذا في منهاج السنة النبوية – (ج 2 / ص 40) فقال: وقال معاوية لابن عباس أنت على ملة علي فقال لا على ملة علي ولا على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

استلحاق زياد ورد السنة وحديث أسيد بن ظهير (والي اليمامة) وغيرها من الأمثلة التي يعرفها أهل الحديث أنفسهم.

والخلاصة:

أن معاوية بنفسه ومن تطبيقه يثبت أنه على ملة أخرى، مع علمه بأن النبي (ص) قصر الصلاة إلا أنه يختار فعل عثمان بلا تأويل مقبول وإنما بسبب إقناع مروان بن الحكم له بأن هذا قد يتسبب في عيب عثمان، وأن الواجب نصرة مذهب عثمان وإن خالف الشرع، وهذه معاندة للنص الشرعي، وما أكثر معانداته للنصوص الشرعية وقد استعرضنا قسماً كبيراً منها في هذا الكتاب.

أمثلة أكثر خصوصية لتحقق الموت على غير الملة:

ما ذكرنا سابقاً قد ترده السلفية المحدثة بأنها أشياء عامة، وأن معاوية مجتهد، وأنه تأول، أو أن مخافاته للسنة لا تعني الخروج من الملة، وهذه كلها اعتراضات وجيهة في معظمها، فإن مخالفة الأمر الشرعي لا تعني الخروج من الملة، رغم أننا ذكرنا قرائن على أن الأمر ليس معصية فقط، وليس ضعفاً أو خوفاً أو كسلاً . .الخ، وإنما عن سابق تصميم وعناد وتكبر. . لكن على التنزل مع الخصوم بأن كل ما سبق لا يصح الاستدلال به ولو في باب الاحتمال! فكان لا بد من أمثلة أكثر صراحة وفجاجة وخصوصية من الأمثلة السابقة، لعلها تسهم في أن يعقل هؤلاء أن متن الحديث ليس منكراً، وأنه على أقل تقدير (محتمل جداً)، ولو أنصفوا لقالوا بأن الحديث من دلائل النبوة لتحققه في التاريخ، ولكن يكفينا منهم بعد قراءتهم المصاديق العامة السابقة والخاصة اللاحقة أن يحتملوا ذلك مجرد احتمال، بل ليكن احتمالاً ضعيفاً، فالنسبية مطلوبة في البحث العلمي، ونحن لا نتحمس للقطعيات، وإنما نريد توسيع الاحتمالات حتى يفهم الناس بعضهم بعضاً، وألا يبادروا إلى معاداة ما يجهلون، فقد يكون الحق فيما ينكرون، وهنا سأذكر ثلاثة براهين أو لنقل احتمالات بأن معاوية مات على غير الملة، وأنه لعراقته في الكفر لم يستطع التخلص من تلك الثقافة القديمة، التي علمنا القرآن الكريم أنها شديدة التمكن من النفوس، وإلا لما عادت

لأصحاب موسى بعد الآيات التسع وشق البحر وقولهم (اقض ما أنت قاض) ! نعم قد عادت لهم وطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة ولما لم يفعل عبدوا العجل، فإذا كان الحنان للعقائد القديمة يفعل في النفوس هذا الفعل في أناس رأوا هذه الآيات فكيف لا تعود في رجل حارب النبوة عشرين سنة! وفقد أخاً وخالاً وجداً في بدر، مع الحسد القرشي والتنافس القبلي وحب الدنيا وحضور المصلحة، لا سيما بعد أن وكله إلى نفسه، وابتلاه بإمارته ودولته، رجل أسلم كرهاً وخرج من الإسلام طوعاً، . . كيف لا نحتمل ولو احتمالاً يسيراً أنه تغير وغيّر واغتر بانتصاره على أهل البيت والمهاجرين والأنصار . . ؟ ألا يشك بعد أن رأى نفسه ملكاً على أمة محمد (ص) يقتل من شاء ويلعن من شاء وينهب آخرين . . بلا خشية ولا رقيب؟ لا سيما وأنه لم يسبق له إيمان صادق كأصحاب موسى، ولا تجشم هجرة، ولا بأساء ولا ضراء، فلم يتعرض لتمحيص ولا ابتلاء إلا بهذا الملك العضوض.

لا ريب أن الاحتمال في حقه أقوى وأقرب للعقل والمنطق والنص والتاريخ، وخذ ثلاثة أمثلة تصرخ بحجتها لو وجدت سمعاً:

منها :

1- استمرار علاقته بالأصنام لعباً وبيعاً وشراءً .

2- لبسه الصليب في آخر عمره وموته وهو معلق في رقبته .

3- موقفه السلبي من النبي (ص) .

أولاً: علاقته بالأصنام:

كان لمعاوية علاقة متينة مع الأصنام لم تنقطع بإسلامه، لأن هذا الإسلام كما ذكرنا إنما هو استسلام وليس إسلاماً صادقاً، والأفعال تدل على ذلك وتصدقه، وكذلك كان والده، فقد حضر يوم حنين والأزلام في كنانته[76] ! وقد سبق أن ذكرنا أن معاوية يسير على نهج أبيه لم يفارقه في جاهلية ولا إسلام.

---

[76] مغازي الواقدي – (ج 1 / ص 893): قَالُوا : وَخَرَجَ رِجَالٌ مِنْ مَكّةَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا – عَلَى غَيْرِ دِينٍ – رُكْبَانًا وَمُشَاةً يَنْظُرُونَ لِمَنْ تَكُونُ [ص 895] الدّائِرَةُ فَيُصِيبُونَ مِنْ الْغَنَائِمِ وَلَا يَكْرَهُونَ أَنْ تَكُونَ

وقد جاءت كثير من الروايات القوية التي تدل على أن علاقة معاوية بالأصنام بقيت معه إلى آخر عمره، ولكن ما نوع هذه العلاقة؟ هل هي علاقة عبادة؟ أم تجارة ؟ أم ماذا . .

أنا شخصياً لا أرى أنها علاقة عبادة لأن معاوية قد يكون زنديقاً تبعاً لأبيه، وقد تكون الأصنام عنده مجرد رمز، كما يفتخر كثير من الناس اليوم بميدالية أو جائزة مجسمة . .الخ، هذا ترجيحي في موضوع علاقة معاوية بالأصنام، مع أن الواجب الإسلامي يوجب عليه النفور من كل ما يعيد إليه حنين الذكريات إلى أيام محاربته للنوبة، وهذا في ظني هو علة الأمر النبوي بتكسير الأصنام وإتلافها حتى لا تتسبب في عودة هذا الحنين الشيطاني إلى الماضي، وهذا الحنين هو الذي دفع أصحاب موسى عليه السلام لعبادة العجل، وهو الذي دفعهم للطلب من موسى أن يجعل لهم آلهة، وهذه العلة لا ينتبه لها المفسرون ولم أجد من نبه إليه فيما أعلم.

والآن إلى بعض الروايات في علاقة معاوية بالأصنام:

الرواية الأولى : في علاقة معاوية بالأصنام:

في تهذيب الآثار للطبري - (ج 4 / ص 399) قال: وحدثنا محمد بن بشار، قال : حدثنا عبد الرحمن (هو ابن مهدي)، قال : حدثنا سفيان (هو الثوري)، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال : كنت مع مسروق بالسلسلة، فمرت عليه سفينة فيها أصنام ذهب وفضة، بعث بها معاوية إلى الهند تباع، فقال مسروق : « لو أعلم أنهم يقتلوني لغرقتها، ولكني أخشى الفتنة » .

التعليق:

الصّدْمَةُ لِمُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ . وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي أَثَرِ الْعَسْكَرِ كُلّمَا مَرّ بِتُرْسٍ سَاقِطٍ أَوْ رُمْحٍ أَوْ مَتَاعٍ مِنْ مَتَاعِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَمَلَهُ وَالْأَزْلَامُ فِي كِنَانَتِهِ . حَتّى أَوْقَرَ جَمَلَهُ . .الخ.

السند صحيح على شرط الشيخين، فقد رويا من طريق ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن مسروق . .الخ، وبيع الأصنام محرم بالإجماع[77]، ثم معاوية لم يبع الأصنام من حاجة، فقد كان أغنى أهل زمانه، وإنما كان يتاجر بها كما يتاجر في الخمر، تحقيقاً لحديث (لا أشبع الله بطنه) فكان لا يشبع من مال ولا طعام، حتى وصل إلى بيع الأصنام، ومتاجرته بها هنا متاجرة في الكفر والشرك، وهذه عند الوهابية ردة صريحة، وخاصة في تلك الأيام التي لم تخلُ بعد من عبادة الأصنام، والعهد بها قريب، فبيع الأصنام ليست كسائر البيوع المحرمة، أما اليوم فقد يترخص بعض الفقهاء في بيوع التماثيل لأنها لا تُعبد وإنما تتخذ للزينة ولكن الإجماع قائم على تحريم بيع الأصنام المعبودة.

الرواية الثانية: رواية البلاذري (متابعة لسفيان):

في أنساب الأشراف - (ج 2 / ص 122) : قال البلاذري: وحدثنا يوسف وإسحاق قالا: جرير عن الأعمش عن أبي وائل قال: كنت مع مسروق بالسلسلة فمرت به سفائن فيها أصنام من صفرٍ تماثيل الرجال، فسألهم عنها فقالوا: بعث بها معاوية إلى أرض السند والهند تباع له، فقال مسروق: لو أعلم أنهم يقتلونني

[77] وكان سمرة بن جندب من أيام عمر يبيع الخمر- وهو على شاكلة معاوية وكان والي معاوية على البصرة فيما بعد !- ففي صحيح البخاري - (ج 2 / ص 774): حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني طاوس أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول : : بلغ عمر أن فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها) اهـ و(فلان) في الحديث هو سمرة بن جندب ولكن البخاري يخفي اسماء النواصب كمعاوية وسمرة ومروان إذا لحقهم ذم كما هو معروف من منهجه، وهذه خيانة يحتج بها النواصب على تخوين أهل الأمانة، إذ يصبح من حججهم أن البخاري لم يذكر هذا ! فصارت الخيانة علامة على الصدق، وصارت الأمانة دليل على البدعة والضلالة، وبهذا انقلبت الموازين.

لغرقتها، ولكني أخاف أن يعذبوني ثم يفتنوني، والله ما أدري أي الرجلين معاوية، أرجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا أم رجل زين له سوء عمله اهـ .

التعليق:

في هذا الخبر بيان لجبروت معاوية، لدرجة أن مسروق (وهو عامل من عماله) يخشى أن يعذبه حتى يفتنه عن دينه فيما لو أقدم على إتلاف تلك الأصنام! فمسروق شاهد على ظلم معاوية، ومسروق سلفي مشهور، بل يكفي في سلفيته أنه يعمل لمعاوية، ومسروق ثقة عند أهل الحديث، وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه إلا أنه ركن إلى الذين ظلموا وخذل الحسين بل اتهمه بعضهم بأنه كان في الشق الآخر، وهذا لم يتبين فقد اختفى ذكره بعد موت معاوية ومات مبكراً سنة 62هـ.

و في الرواية قد يكون معاوية يشتري ويبيع في الأصنام، فكان تاجر الأصنام الأكبر بين الشرق والغرب، وفي وقت مبكر، إنه وسط القرن الأول، وبعد نور النبوة بنحو أربعين سنة فقط.

والقرينة على ذلك أن الأصنام عند العرب لا تصنع من ذهب ولا فضة، وإنما الهنود هم من يصنع أصنام من ذهب وفضة. . فكان معاوية يستوردها ويشتريها . .وهذا له قرينة أخرى وهو حديثنا في هذا الكتاب (يموت معاوية على غير ملتي) ولكن ما الذي يفعل بها معاوية؟

والجواب :

أنه من خلال معرفتي بمعاوية وأبيه وأمه وحقد هذه العائلة على النبوة وأهلها، فأرى والله أعلم أن معاوية كان يعبدها سراً ليس من باب الاعتقاد بألوهيتها، وإنما من باب البغض للنبي (ص) فكأنه يقول : . . . ها أنذا أعبد الأصنام يا محمد وألعن وأقتل الذين يعبدون ربك وها أنذا خليفة على أمتك وأحكم باسمك!

وحلم معاوية – مع ظلمه – قد يكون قرينة على هذا، فالحلم لا يأتي من الحاقد إلا بعد تبريد الفؤاد بشيء سراً أو علناً، ومعاوية قد فعل الاثنين، وهذا الحقد فعله أبو سفيان برفس قبر حمزة، وفعلته أمه هند بأكل كبد حمزة، وفعله معاوية أيضاً في قبر حمزة ونبشه ومنبر النبي (ص) ومحاولة إزالته، ولعن أهل بيته، . . .الخ.

الرواية الثالثة: رواية بحشل في تاريخه واسط (متابعة أخرى):

ويظهر أن الأصنام كانت تباع إلى معاوية، أو تهدى إليه، بدليل ما رواه بحشل في تاريخ واسط – (ج 1 / ص 37): حدثنا أسلم قال ثنا وهب بن بقية قال ثنا حماد بن أسامة عن الأعمش عن أبي وائل[78] قال: كنت مع مسروق بسلسلة واسط فمرت سفن فيها هدايا إلى معاوية اهـ

والخلاصة في موضوع معاوية والأصنام:

أن علاقة معاوية بالأصنام لم تنقطع، سواء بيعاً أو شراء أو ربما عبادة من باب النكاية فقط وليس من باب الاعتقاد، وهذا موضوع خطير لا يصدقه إلا من يعرف هذه العائلة ومدى تمكن الحقد والعناد منها مع الدهاء الكبير والمكر الكبار، ولكن هذه القصة قد تفيد أن معاوية ارتكب محرماً لا ردة، وقد تحتمل ردته كما سبق (هذا إن كان قد أسلم أصلاً)، ولكن إن حضر الاحتمال بطل الاستدلال، وعلى هذا فلا يمكن الجزم بأن هذا دليل كاف على تحقق الحديث في الخارج من موته على غير الإسلام، كما أن الطرف الآخر ليس معه من الأدلة على صحة إسلامه إلا ما هو أقل بكثير من هذه الأدلة، ويكفي أن الحديث في موته على غير الملة أصح إسناداً من جميع فضائله، ومع أن المقرر عند أهل الحديث أنه إن صح الحديث وجب القبول به حتى لو لم نعلم

---

[78] وكرره بعد صفحة في تاريخ واسط – (ج 1 / ص 38) : حدثنا أسلم قال ثنا وهب بن بقية قال ثنا حماد بن أسامة عن الأعمش عن أبي وائل قال كنت مع مسروق بسلسلة واسط فمرت سفن فيها هدايا الى معاوية اهـ

تحقق ذلك في الخارج، ولكن نحن لا نتحدث مع أهل الحديث وحدهم، وإنما نريد هذا الإنسان بقناعاته وتفاوته في نسبة التصديق والتكذيب والشك، ومن لا يقتنع بصحة الحديث منفرداً قد يقتنع بصحته إذا وجد شواهد وقرائن تدل عليه كمثل هذه الأخبار التي تؤكد استمرار علاقته بالأصنام، أو ما تم ضبطه عليه من الاستهزاء بالنبي (ص) وكذا لعن أحب الناس إلى النبي (ص) وأذيتهم كأهل البيت والأنصار، وكذلك تلك الجرائم الكبرى من رد النص المتيقن أو الاستهانة بالأوامر الشرعية بلا تأويل مستساغ، ونحو ذلك من شواهد وقرائن وحواضن تسير في معنى الحديث، فلننظر في شواهد أخرى غير مسألة الأصنام.

(للاستزادة في هذا الموضوع، أعني موضوع معاوية والأصنام؛ انظر: دفاع السلفية المحدثة عن أصنام معاوية في المبحث السادس : الممانعات الناصبية والسلفية)

ثانياً: موت معاوية على النصرانية المحرفة:

هذه الحادثة إن صحت فهي حاسمة ويصبح الحديث من دلائل النبوة الكبرى، ولكن الحادثة غير مؤكدة، وإن تعددت مخارجها، لأن مصادرها الأصلية غير متوفرة، وإن توفر بعضها لا نجدها فيه، فمن المحتمل جداً أنه تم حذفها من تلك المصادر التي عثرنا عليها، وقد روتها مصادر سنية وشيعية إلا أننا لا نجدها في المطبوع من المصادر السنية، والأقرب أن النواصب حذفوها من المطبوع كما فعلوا في قصص كثيرة جداً من هذا القبيل (هذا بحث مفرد)، وقد احتفظت بعض المصادر غير السنية بالنقول عن المصادر السنية، ومن خلال تجربتي مع النقولات الشيعية والمعتزلية والزيدية والإباضية وجدت الجميع يصدقون في النقل، ولعلنا نحن أهل السنة من أضعف الفرق الإسلامية في صدق النقل عن الآخرين، بل لعل السلفية المحدثة من أكذب الناقلين، والأمثلة لو فتحناها لصعب التوقف عندها، وقد نقلنا في هذا البحث وأبحاث سابقة نماذج مخيفة وعن رموز كبار من رموز السلفية المحدثة فكيف بالتابعين لهم؟

وهذه روايات بلا أسانيد عن مخارج متعددة تدل على أن معاوية مات على النصرانية:

1- رواية علي بن أبي طالب: مناقب آل أبي طالب (2/ 95): المحاضرات عن الراغب أنه – علي- قال عليه السلام : لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه، وقد رواه الأحنف بن قيس وابن شهاب الزهري والأعثم الكوفي وأبو حيان التوحيدي وأبو (ابن) الثلاج[79] في جماعة فكان كما قال. اهـ

2- رواية مروان الأصفر: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (2/ 95): النضر بن شميل عن عوف عن مروان الأصفر قال : قدم راكب من الشام وعلي بالكوفة فنعى معاوية فأدخل على علي فقال له علي : أنت شهدت موته ؟ قال نعم وحثوته عليه، قال : انه كاذب، قيل : وما يدريك يا أمير المؤمنين انه كاذب ؟ قال إنه لا يموت حتى يعمل كذا وكذا أعمالاً عملها في سلطانه فقيل له : فلم تقاتله وأنت تعلم هذا ؟ قال للحجة[80] .

3- رواية سعيد بن المسيب: روى القاضي النعمان[81] المغربي في شرح الأخبار : 2 / 153، المتوفى سنة 363 : (عن سعيد بن المسيب قال : مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه طبيب له نصراني فقال له : ويلك

---

79 عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم البغدادي ابن الثلاج الشاهد، أصله من حلوان، ولد سنة : 307، ومات سنة : 387 .

80 ما ظهر من السند صحيح، النضر بن شميل ثقة مشهور، وشيخه عوف هو عوف ابن أبي جميلة الأعرابي ثقة (هو في الرواة عن مروان الأصفر)وشيخه مروان الأصفر هو ابن خاقان ثقة من رجال الشيخين (تقريب التهذيب : مروان الأصفر أبو خليفة البصري قيل اسم أبيه خاقان وقيل سالم ثقة من الرابعة خ م د ت) إلا أنه أرسل الخبر فيما يظهر فمروان الأصفر يروي عن طبقة ابن عمر وأبي هريرة، ولم يصرح هما بما يفيد المشاهدة، إضافة إلى أن أول السند غير معلوم.

81 القاضي النعمان (363هـ) : هو النعمان بن محمد بن المنصور، المشهور بـ (القاضي النعمان) التميمي المغربي ثم المصري (363هـ)، من كبار علماء الإسلام وعجائبهم، وقد اختلف أهل السنة بين منصف له ومتحامل عليه، نظراً للخلاف السياسي الكبير الذي نشأ بين العباسيين السنة و الفاطميين الشيعة، لا سيما وأن الرجل تحول من المالكية إلى الإمامية، فسخط عليه من سخط، انظر تراجمه في وفيات الأعيان – (ج 5 / ص 415) والأعلام للزكلي (ج 8 / ص 41) . .

ما أراني أزداد مع علاجك إلا علة ومرضا ! فقال له : والله ما أبقيت في علاجك شيئًا أرجو به صحتك إلا وقد عالجتك به، غير واحد فإني أبرأت به جماعة، فإن أنت ارتضيته وأمرتني بأن أعالجك به فعلت . قال : وما هو ؟ قال : صليب عندنا ما علق في عنق عليل إلا فاق ! فقال له معاوية : علي به . فأتاه به فعلقه في عنقه فمات في ليلته تلك والصليب معلق في عنقه) .

4- رواية الأحنف: وفي الصراط المستقيم لابن يونس العاملي : 3 / 50 : (سلمة بن كهيل : قال الأحنف : سمعت عليا يقول : ما يموت فرعون حتى يعلق الصليب في عنقه، فدخلت عليه وعنده عمرو والأسقف، فإذا في عنقه صليب من ذهب ! فقال : أمراني وقالا : إذا أعيا الداء الدواء تروحنا إلى الصليب فنجد له راحة !

5- رواية الزهري : دخل عليه راهب وقال : مرضك من العين، وعندنا صليب يذهب العين فعلقه في عنقه فأصبح ميتا ، فنزع منه على مغتسله .

6- وفي المحاضرات : لما علقه قال الطبيب : إنه ميت لا محالة، فمات من ليلته !)

7- وفي التعجب لأبي الفتح الكراجكي / 107 : (واشتهر عنه لم يمت إلا وفي عنقه صليب ذهب، وضعه له في مرضه أهون المتطبب، وأشار إليه بتعليقه، فأخذه من كنيسة يوحنا وعلقه في عنقه) !

8- قول يوحنا النصراني: قال مهدي رجائي محقق كتاب الأربعين للماحوزي (1/ 90): (رأيت في كتاب الواضح تأليف يوحنا النصراني المرتد: أنه قد تواترت الروايات أنه (معاوية) مات نصرانيا والصليب في عنقه) .

9- رواية علي بن الحسين وأبيه الحسين: وقال مهدي رجائي أيضاً في هامش كتاب الأربعين للملاحوزي (1/ 90) عن يوحنا النصراني قوله: (وقد روي أن علي بن الحسين كان ذات يوم جالسا مع أصحابه، فذكروا معاوية، فقال بعضهم: صلى الله عليه، فقال علي: لا صلى الله عليك و لا عليه، قال: ولم ؟ قال: تصلي على من مات نصرانيا والصليب في عنقه. ثم قال علي بن الحسين: أخبرني الحسين أنه كان يرى الصليب في عنق معاوية أكثر مجالسه،

وان بعض مواليه أخبره أنه كان أكثر الليل يصلي مستقبل المشرق، قال: ولقد استقبلوه به إلى القبلة عند موته، فقال: حرفوني إلى المشرق انتهى كلامه (أي كلام يوحنا النصراني) . وجعله من دلائل عقله (منه) اهـ.

التعليق:

هذه أخبار لم أجد أسانيدها كاملة، ومعظمها منقولة عن أهل سنة في الجملة سواء من حيث الرواة أو من حيث المصادر، وبعضها شيعي، وهي تحتاج لمزيد من البحث، ويكفي القول بأن حصول هذا محتمل بل راجح، ومن قرائن ذلك طول مرض معاوية (وقد توسعنا في طول مرضه وأنواع تلك الأمراض في كتابنا : حديث الدبيلة)، بل إن ثبت ما نقله السيد رجائي عن كتاب يوحنا النصراني فهذا كاف، لأن يوحنا كان في القصر الأموي، وله صلة قوية بالبيت الأموي، ويعرف من أسراره ما لا يعرفه المسلمون سنة أو شيعة .

ثالثاً: النفاق

وهذا متحقق إن التزمنا بالنص الشرعي التزاماً سلفياً – وهم ظاهرية في النصوص–، والأدلة على تحقق النفاق في معاوية كثيرة جداً، سواء ما يتعلق منها بالنصوص الشرعية أو الروايات التاريخية، أما النصوص الشرعية فمعاداة أولياء الله دليل على النفاق، وهذا متحقق في معاوية، وإذا لم يتحقق فيه حديث (لا يبغض علياً إلا منافق) فلن يتحقق هذا الحديث في غيره، وكذلك حديث (اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه) وكذلك حديث (لا يبغض الأنصار إلا منافق) ونحوها من الأحاديث كالأحاديث في موتات الجاهلية أو الموتات على غير دين الإسلام فلم أجد حديثاً منها – صح أو لم يصح– إلا ومعاوية رأس فيها [82] وإذا لم تتحقق في معاوية فلن تتحقق في أحد من

82 مثل حديث علي قال : طلبنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوجدنى فى جدول نائما فقال : قم ما ألوم الناس يسمونك أبا تراب، قال فرآنى كأنى وجدت فى نفسى من ذلك : قم والله لأرضينك أنت أخى وأبو ولدى، تقاتل عن سنتي وتبرئ ذمتى، من مات فى عهدى فهو كنز الله، ومن مات فى عهدك فقد قضى نحبه، ومن مات بحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل فى الإسلام (رواه أبو يعلى كما في مسند ابي يعلى– (1 / 402) وسنده: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا زكريا بن عبد الله بن يزيد

الصهابي عن عبد المؤمن عن أبي المغيرة : عن علي. .)، قال البوصيري : رواته ثقات. اهـ قلت: ليس كلهم متفق علة توثيقهم، ولكن له شواهد عامة، وإن صح الحديث فظاهر الموتة الجاهلية أنها موتة على غير دين الإسلام وإن كان حكمه في الدنيا الإسلام (كالمنافقين) فهم مسلمون بحكم الدنيا كفار بحكم الآخرة، ومن قرائن صحة هذا الحديث أن معاوية قد عارض هذا الحديث بالأحاديث في طاعة الظلمة وأن من مات وليس في عنقه بيعة لهم مات ميتة جاهلية، فكل حديث في ترهيب غير معقول أو ترغيب غير معقول فابحثوا عن معاوية، والدليل على أن لمعاوية دور فيها أن أتباعه يستثنونه منها أو لا يخطر على بالهم أن معاوية من هؤلاء، ومن لم يصحح هذا الحديث فما رأيه في أحاديث الصحيحين مثل حديث البخاري في صحيح البخاري – (9 / 59):(مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) وفي لفظ البزار (مسند البزار (11 / 22): (من فارق الجماعة قياس، أو قِيد شبر– فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وَمَنْ مات ليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية، وَمَنْ مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتلته قتلة جاهلية.)/ والسؤال : هل خرج معاوية على الإمام علي قيد شبر فقط؟ أم قيد آلاف الأميال؟ وإذا لم تنطبق هذه الأحاديث على معاوية فلا تنطبق على أحد من الأمة كلها، ويبقى حديثاً لا حقيقة له ولا ضرورة لوجوده لأنه يصبح لغواً من الكلام والنبي (ص) منزه عن اللغو والعبث، والغريب أن السلفية المحدثة لا تنزل هذه الأحاديث على معاوية إذا خرج على إمام زمانه المتفق على عدله وراشديته، لأن الخارج عليه كان ظالماً كمعاوية، بينما تنزلها على الحسن وأهل الحرة مع أنهم عادلون خرجوا على فاسق ظالم، فهم – أعني السلفية- يحمون الظالمين من دلالات هذه الأحاديث إذا فعلوا بمضمونها، وينزلونها على الصالحين وإن لم تنطبق عليهم ألفاظها؟ وهذه من القرائن على أن أصل هذه الأحاديث من وضع مدرسة معاوية وإلا لاستفاد منها الإمام علي بدلاً من يزيد بن معاوية وابن زياد والحجاج.

بل لعل في هذه الأحاديث – أحاديث الطاعة- زيادات تدل على أن المراد بها معاوية، ولكن معاوية وحزبه أكلوا تلك الزيادات فلم تعد مشهورة، مثل حديث أبي هريرة في صحيح مسلم .- (6 / 20) ولفظه: « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ

الخلق، إضافة لعلامات النفاق العملية (إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) إذا لم تتحقق في معاوية فلن تتحقق في أحد ، وموضوع نفاق معاوية قد توسعنا فيه إلى حدة كبير في كتابنا عن حديث الدبيلة وكتاب (حقيقة إسلام معاوية)، والنفاق مضاد للملة والسنة، فيصح بهذا أنه مات على غير الملة عقدياً، وعلى غير السنة عملياً .

وقد وردت روايات أقل صحة تدل على هذا النفاق منها :

1- رواية عوانة بن الحكم: روى البلاذري في أنساب الأشراف - (ج 2 / ص 93): حدثني عمر بن بكير عن هشام بن الكلبي عن عوانة قال: قال معاوية: يا معشر بني أمية إن محمداً لم يدع من المجد شيئًا إلا حازه لأهله، وقد أعنتم عليهم بخلتين: في ألسنتهم ذرب وفي العرب أنف، وهم محدودون، فأوسعوا الناس حلماً فوالله إني لألقى الرجل أعلم أن في نفسه علي شيئاً فأستثيره فيثور علي بما يجد في قلبه، فيوسعني شتماً وأوسعه حلماً ، ثم ألقاه بعد ذلك أخاً أستنجده فينجدني اهـ .

التعليق:

» / وفي لفظ (صحيح مسلم - (6 / 21): (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قُتِلَ (وفي لفظ : قاتل) تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِى وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِى عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى بِذِى عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّى » .) فهل كان خروج معاوية إلا دعوة للعصبة الأموية وتحت رايتها ؟ كل هذا الحدث وأمثاله لا تستطيع السلفية المحدثة أن تنزله على الحسين وتبريء منه معاوية، . لأن الحسين لم يدع لعصبة ولم يخرج على عادل ولم يكذب ولم يتحايل . . كما فعل معاوية، فلماذا يصر المفتي العام مثلاً على إنزال هذه الأحاديث في الحسين ويبريء منها معاوية وهو أولى بها، هذه بقايا نصب ورثتها السلفية المحدثة من بني أميةن فهم لا يرون الترهيب إلا في حق أعدائهم المحقين ولا يرون الترغيب إلا في حق أنفسهم وأنصارهم المبطلين.

عوانة بن الحكم هو راوية بني أمية، وهو أموي النسب والهوى، وأما من حيث المتن ف انظروا إلى كلام معاوية هنا (إن محمداً لم يدع من المجد شيئاً إلا حازه لأهله) ! هل هذا كلام مؤمن بالنبوة؟ ! هذا كلام المنافس لا كلام المتبع[83] .

2- رواية مسافع بن شيبة: روى البلاذري في أنساب الأشراف - (ج 2 / ص 95) :

المدائني عن جويرية بن أسماء عن مسافع بن شيبة[84] قال: حج معاوية فلما كان عند الردم أخذ الحسين بخطام ناقته فأناخ به راحلته، ثم ساره طويلاً ثم انصرف، وزجر معاوية راحلته وسار، فقال عمرو بن عثمان بن

---

83 بل هذا اتهام للنبي (ص) بالتعصب لأهله، وأن هذه النبوة دنيوية لا علاقة لها بالسماء، ولا ريب أن الله ابتلى أمته بالقرابة كما ابتلاها بالنبوة، لأن العصبية كانت أبرز صفة من صفات العرب التي يضاهون بها الله في جبروته، فأراد الله أن يمتحنهم بكسر هذه العصبية، فمنهم من نجح ولم يعترض ولم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ومنهم من رسب في هذا الاختبار كلياً أو جزئياً، والله لا يقبل الشركة في النيات، وكان معاوية ممن رسب أولاً و آخراً، بإنكار النبوة أولاً وبحسد القرابة ثانياً، ومن الأثر السابق يلحظ القارىء الحصيف أن معاوية سيعمل على معارضة محمد (ص)، مع أن النبي (ص) إنما هو مستجيب لأمر الله، سواء فيما يخص إنذار الأقربين أو تخصيصهم بالخمس أو الوصية لهم وبهم، . .الخ، لم يفعل لهم شيئاً من تلقاء نفسه، وعوانة بن الحكم هو صاحب أخبار بني أمية، بل هو متهم بوضع الأخبار لبني أمية، وهو شاهد من داخل البيت، إذ أنه من نسل زياد، وهشام ابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي النسابة المشهور، وهو ثقة ضعفه بعضهم مذهبياً، مع أنه سني يعرف ذلك من قرأ كتابه في النسب ثقة في النقل .

84 مسافع بن شيبة: اسمه الكامل (مسافع بن عبد الله بن شيبة) تابعي قديم، يروي عن الحسين وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية وغيرهم،، وعنه الزهري وجويرية بن أسماء وغيرهما، وحديثه في السنن، ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وصحيح ابن خزيمة وصححت له السلفية، وهو من رجال مسلم أيضاً، وفي تقريب التهذيب - (2 / 527): مسافع ابن عبد الله ابن شيبة ابن عثمان العبدري [العبدي] أبو سليمان المكي الحجبي وقد ينسب لجده ثقة من الثالثة قيل قتل يوم الجمل ولا يصح ذلك بل تأخر إلى خلافة الوليد م د ت اهـ .

عفان: ينيخ بك الحسين وتكف عنه وهو ابن أبي طالب وتسرعه على ما تعلم؟ فقال معاوية: دعني من علي فوالله ما فارقني حتى خشيت أن يقتلني، ولو قتلني ما أفلحتم، وإن لكم من بني هاشم ليوماً عصيباً اهـ

التعليق:

هذا كلام المنافس لبني هاشم.. وبغض بني هاشم نفاق وكفر، خاصة إذا شمل الصالحين منهم، فكيف إذا كان هذا البغض ليس إلا للصالحين منهم![85].

3- رواية ابن عباس:

نقل السيوطي في الدر المنثور [جزء 2 - صفحة 568] عن الزبير بن بكار في الموقفيات عن ابن عباس أن معاوية قال : يا بني هاشم إنكم تريدون أن تستحقوا الخلافة كما استحقيتم النبوة ولا يجتمعان لأحد ! وتزعمون أن لكم ملكا ؟ فقال له ابن عباس : أما قولك أنا نستحق الخلافة بالنبوة فإن لم نستحقها بالنبوة فبم نستحقها ؟ ! وأما قولك أن النبوة والخلافة لا يجتمعان لأحد فأين قول الله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ؟ فالكتاب النبوة والحكمة السنة والملك الخلافة نحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد والسنة لنا ولهم جارية. .الخ.

التعليق:

---

85 كالنبي (ص) وعلي بن أبي طالب وكان معاوية يبغض أحدهما سراً والآخر جهراً ! فصدقه المغفلون لأنه لم يلعن النبي (ص) على المنابر ولم يعلن بغضه له صريحاً ! وإنما لعن كل من يحب علياً ! ولم يفهم مراده إلا أم المؤمنين أم سلمة وقلة من الصفوة، وهذا لا ريب أنه نفاق، والمنافق لا يموت على ملة الإسلام، وإن كان حكمه في الدنيا حكم المسلم من حيث التزاوج والتوارث والخلطة.

واضح من هذا النص وعشرات النصوص التي لم نشأ التوسع فيها أن معاوية تسكنه منافسة بني هاشم وحسدهم، وقريش من أحسد الناس وأشدهم عصبية ولذلك قلّ فيهم المؤمنون مع أن النبي (ص) لبث فيهم ثلاثة عشر عاماً، فلم يسلم إلا القليل مع الضعفاء والموالي، ثم هموا به العظيم من الأمور لولا أن الله أنجاه منهم، فمعاوية يمثل العناد والحسد القرشي تمثيلاً كاملاً، إلا أنه أدهى من أن يكتشفه العامة.

4- ولاة معاوية يشبهون النبي (ص) بالحيوانات!

روى إسحاق بن راهويه بسند صحيح، كما في ففي المطالب العالية لابن حجر - (18 / 267) قال:

وَقَالَ إِسْحَاقُ (ابن راهويه = ثقة) : أخبرنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (ابن علية = ثقة)، عن ابن عون (ثقة)، عَنِ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ (ثقة) قَالَ : كَانَ مَرْوَانُ أَمِيرًا عَلَيْنَا سِنِينَ، فَكَانَ يَسُبُّ عَلِيًّا رَضِيَ الله عَنْه كُلَّ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ . . . فَكَانَ يَجِيءُ (الحسن) يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَيَدْخُلُ حُجْرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَكُونُ فِيهَا، فَإِذَا قُضِيَتِ الْخُطْبَةُ، خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَلَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ مَرْوَانُ، حَتَّى أَهْدَى لَهُ فِي بَيْتِهِ، فَإِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَهُ، إِذْ قِيلَ لَهُ : فُلَانٌ عَلَى الْبَابِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ : إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ سُلْطَانٍ، وَجِئْتُكَ بِعَزْمَةٍ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ، فَقَالَ : أَرْسَلَ مَرْوَانُ بِعَلِيٍّ وَبِعَلِيٍّ بك وَبِكَ، وَمَا وَجَدْتُ مَثَلَكَ إِلَّا مَثَلَ الْبَغْلَةِ، يُقَالُ لَهَا : مَنْ أَبُوكِ ؟ فَتَقُولُ : أُمِّي الْفَرَسُ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَمْحُو عَنْكَ شَيْئًا مِمَّا قُلْتَ بِأَنِّي أَسُبُّكَ، وَلَكِنْ مَوْعِدِي وَمَوْعِدَكَ اللَّهُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا يَأْجُرُكَ اللَّهُ بِصِدْقِكَ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَاللَّهُ أَشَدُّ نِقْمَةً، قَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى جَدِّي أَنْ يَكُونَ مَثَلِي مَثَلَ الْبَغْلَةِ اهـ باختصار يسير.

التعليق:

هذا هو مقام النبي (ص) عند معاوية وولاته! وهذا تعصب السلفية المحدثة لمعاوية وولاته على حساب رسول الله (ص)، وكثير منهم لا يعرف أنه متعصب ضد النبي (ص)، فالمجنون لا يشعر أنه مجنون، والمسحور لا يشعر أنه مسحور، والعصبية سكرة لا يستيقظ منها إلا من ربط الله على قلبه بالإيمان، وهرب من الكثرة الهالكة التهوكة في الضلال، المستأنسة بثناء بعضها على بعض.

والله إني لأخشى الإثم في نقل هذه الرواية، وقد ترددت كثيراً في كتابتها؛ ولكن ناقل الكفر ليس بكافر، ولولا صحة إسنادها لما نقلتها، ولابد أن نتجرع رواية مثل هذا القبح، لعله يستفز بقايا حب للنبي (ص) في قلوب السلفية المحدثة، وهذا المثال الذي ضربه مروان بن الحكم للحسن بن علي، يتناول النبي (ص)، ولا أريد أن أفسر المثال، وأتركه للخاصة ليستيقظوا، وليتذكر من شاء أن الحسن بن علي بن أبي طالب هو سيد شباب أهل الجنة، وأنه ابن فاطمة الزهراء بنت النبي (ص) سيدة نساء أهل الجنة، وجده من جهة الأم هو النبي الأكرم صلوات الله عليه خاتم النبيين والمرسلين.

والمثل قبيح جداً لمن تدبره، وولاة معاوية إنما ينفذون سياسة معاوية، وعن أمره يصدرون، وبمكره يعملون، فهم ألسنته وأيديه، في تخريب الدين والاستهانة بالمقدسات وتحطيم الرموز، وسياسة معاوية في الحط من مقام النبي (ص) وكل الرموز محل التأسي والقدوة أكثر من أن نحيط بها في هذا الكتاب، ومن مكر معاوية أنه يركز على ذم أقرب وأحب الناس إلى النبي (ص) من باب أليكِ عني واسمعي ياجارة! هذا يعرفه منهم من يعرفهم، أما من قرأ ما وضعه الأبالسة في فضائل إبليس ولم يأبه بما صح في ذمه فسيقول (إبليس رضي الله عنه) !.

وأخيراً: فالشواهد الخارجية لهذا الحديث أكثر من أن تحصر، ويكفي أن كل الأحاديث في ذم معاوية من شواهد الحديث، ومنها بعض الأحاديث التي أفردناها بكتب كاملة كحديث الدبيلة وغيره ممن لم نفرده

بكتاب كحديث عمار وحديث القاسطين وحديث قاتل عمار وسالبه في النار وحديث أبي برزة الأسلمي . . وكذلك كل الروايات التي نشتم منها سخرية معاوية بالنبي (ص) أو تشفيه من أقرب الناس إليه أو من أحب الأقوام إليه . . الخ كل هذه من الشواهد الخارجية للحديث . .

المبحث الخامس: الحواضن القرآنية للحديث:

لا يجوز إهمال القرآن الكريم في أي بحث تاريخي متعلق بالنبوة أو القرن الأول، مع إيماننا بأن في القرآن الكريم هدى لمعرفة الحق في جميع الأزمنة، إلا أنه في الزمن النبوي ثم تاريخ الصحابة أوكد من غيره لقرب العهد، ولأن القرآن الكريم حفظ لنا بداية الطريق، وأمسكنا بأول الخيط، فإن رفضنا هدي القرآن الكريم فسنضل حتماً، فما هو أول الخيط الذي جعله الله بأيدنا عن معاوية وأبيه؟ لنقرأ الآيات التالية، ولا يجوز أن يشعر بالغربة من كان على هدي من القرآن الكريم، فصاحب القرآن كثير بالله وإن كان واحداً، وهَجَرَةُ القرآن الكريم هم قليل وإن كثروا، فماذا يقول القرآن الكريم عن أبي سفيان ومعاوية؟ وإنما جمعناهما لأنهما على مذهب واحد في الجاهلية والإسلام، وكان معاوية كثير التعلق بأبيهن قوي الاقتداء به، وقد عاش معه أحقاده وثاراته ومعاركه وأحزانه وأفراحه، ولا يدل التاريخ على شيء من خصومة أو افتراق بين الرجلين، بل كان معاوية يمشي على خطا أبيه، الحافر على الحافر، ويتشبه به ويستكمل منهجه ويفاخر به وفود الأمصار .

أبو سفيان (ومعه معاوية) في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تخبرنا أن الكفار المعاندين لن يؤمنوا (نعم قد يتظاهرون بالإسلام ويتم قبول ذلك منهم، لكنهم لن يؤمنوا من قلوبهم) ولكن العقل الأثري مشغول بالأثر، ولا يتدبر القرآن، وإن تدبر قد يشك !

لأن ما يصححونه من حديث قد يخالف القرآن الكريم، فيقدمون حديث حسن الإسناد على خمسين آية أو أكثر صريحة الدلالة أو راجحة الدلالة على الأقل. .

تلك الآيات سنستعرض بعضها، ونترك بقية ذلك في كتب قادمة، في أبي سفيان ومعاوية وأمثالهم ممن خلطوا علينا ديننا، وكانوا أدهى منا فخلطوا عقولنا مع ذلك الخلط الديني، وفي القرآن شفاء لمن أحسن السمع والتدبر، ومن تلك الآيات مع تفسيرها عند أهل الحديث والرواية:

- الآية الأولى: من سورة الأنفال

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) [الأنفال/36])، وهذا روايات أهل الحديث المتقدمين في تفسير الآية، والتي تجاهلها المتأخرون، وأصبح التفسير بالأثر يقلقهم، مع أنهم يختارون تفسيرات في ذم للجهمية والرافضة والقدرية مع أن هؤلاء لم يحاربوا الرسول (ص) ولا يشهدوا مع الأحزاب حتى تنزل فيهم آيات. .

الآثار في تفسير الآية:

1- سعيد بن جبير (نزلت في أبي سفيان): ففي تفسير الطبري - (ج 13 / ص 530) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" الآية، "والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"، قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب. استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتل بهم النبيَّ صلى الله عليه وسلم . .الخ، اهـ قلت: والسند صحيح، وابن حميد قد توبع كما سيأتي، وجعفر هو ابن أبي المغيرة، وإذا نزلت في أبي سفيان فلن تصيبه وحده، وإنما ستصيب أخص أعوانه أيضاً، وكان معاوية لأبي سفيان كالإمام علي للنبي (ص) في الأحداث النبوية كلها، وكل وعيد لأبي سفيان فهو لمعاوية لشدة الالتصاق والمتابعة والاقتداء والمشاركة.

2- عبد الرحمن بن أبزى (نزلت في أبي سفيان): ففي تفسير الطبري - (ج 13 / ص 530) : حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن ابن أبزى: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، قال: نزلت في أبي سفيان، استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، سوى من استجاش من العرب اهـ والسند صحيح وهنا متابعة لابن حميد .

3- الحكم بن عتيبة (نزلت في أبي سفيان): ففي تفسير الطبري - (ج 13 / ص 531) . . .قال، أخبرنا أبي عن خطاب بن عثمان العصفري، عن الحكم بن عتيبة: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، قال: نزلت في أبي سفيان. أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا اهـ وهذا أثر من ىثار التابعين، مما يدل على أن الأصل في التابعين ذم أبي سفيان، لكنهم لا يستطيعون أن يذكروا معه معاوية علناً، وإنما يذكرون الرأس.

4- قتادة (نزلت في أبي سفيان): ففي تفسير الطبري - (ج 13 / ص 531) : حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، الآية، قال: لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة أشَّبَ الناس ودعاهم إلى القتال، حتى غزا نبيَّ الله من العام المقبل. وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان. وكانت أحد في شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه في العام الرابع اهـ والإسناد بصري رجاله ثقات إلا أنه مرسل، وسعيد هو ابن أبي عروبة، ويزيد هو ابن زريع (وليس يزيد بن هارون وللاثنين رواية عن سعيد) وبشر هو ابن معاذ العقدي شيخ الطبري، وروى الطبري تفسير قتادة من هذا الطريق.

5- السدي (في جماعة منهم أبو سفيان): ففي تفسير الطبري - (ج 13 / ص 531) : حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال: قال الله فيما كان المشركون، ومنهم أبو سفيان، يستأجرون الرجال يقاتلون محمدًا بهم: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، وهو محمد صلى الله عليه وسلم= "فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة"، يقول: ندامة يوم القيامة وويلٌ =

"ثم يغلبون" اهـ ولعل من حكمة الله أن يتواتر بين الناس خبر حرب أبي سفيان للنبي (ص) طيلة هذه المدة ليصعب نقله من هذا الموضع الذي وضعه فيه نفسه إلى مرتبة المهاجرين الأنصار، مع أن السلفية المحدثة قد حاولت ذلك ففشلت، حتى أن ابن تيمية وهو الأموي الأول ثقافياً اعترف بأن الصحابة والتابعين كانوا على شك في إيمان أبي سفيان، وكان اعترافه هذا رشوة للقاريء ليثبت إيمان معاوية! .

6- مجاهد (نزلت في أبي سفيان): ففي تفسير الطبري – (ج 13 / ص 531) : حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: "ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، الآية حتى قوله: "أولئك هم الخاسرون"، قال: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد اهـ اقرؤوا الآيات وانظروا هل يخبر الله عن علم أم يتوقع ؟

7- مجاهد (نزلت في أبي سفيان): ففي تفسير الطبري – (ج 13 / ص 532) : حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

8- ابن عباس ومجموعة من التابعين منهم، الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ (أبو سفيان منهم): ففي تفسير الطبري – (ج 13 / ص 532) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، [وغيرهم من علمائنا، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد . وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من الحديث عن يوم أحد، قالوا: أو من قاله منهم: لما أصيب] يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب، (2) ورجع فَلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعِيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا

المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا ! ففعلوا . قال: ففيهم، كما ذكر عن ابن عباس، أنزل الله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم" إلى قوله: "والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"

9- ابن إسحاق مرسلاً (منهم أبو سفيان): تفسير الطبري - (ج 13 / ص 533) : حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله"، إلى قوله: "يحشرون"، يعني النفرَ الذين مشوا إلى أبي سفيان، وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة، فسألوهم أن يُقَوُّوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعلوا اهـ (قلت: كان أبو سفيان من كبار من طالب أصحاب الأموال، وقد سبق رواية ابن إسحاق الإجماع عن علمائه أنه رأسهم، فلا يغتر قاريء هنا باللفظ المذكور، فما هؤلاء الجماعة إلا جنوداً لأبي سفيان) .

10- عطاء بن دينار (نزلت في أبي سفيان): تفسير الطبري - (ج 13 / ص 533) : حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار في قول الله: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم"، الآية، نزلت في أبي سفيان بن حرب [86]اهـ

التعليق:

[86] وقد سرد الشوكاني الأقوال في فتح القدير - (ج 3 / ص 181) فقال : وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب . وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن مجاهد نحوه . وأخرج هؤلاء وغيرهم عن سعيد بن جبير نحوه . وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحكم بن عتيبة، في الآية قال : نزلت في أبي سفيان أنفق على مشركي قريش يوم أحد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالاً من ذهب .اهـ وهناك قول ضعيف عن الكلبي أنها نزلت في المطعمين يوم بدر — وسرد أسماءهم وهم اثنا عشر– وليس منهم أبو سفيان (في زاد المسير لابن الجوزي) ومنهم من جعلها في بني قريظة والنضير، وآخرون جعلوها في أبي جهل. . والأقوى أسانيد وواقعاً ما تقدم من أنها في أبي سفيان وحزبه. . .

الأسانيد معظمها قوية، هذا إجمالاً والتفصيل في كتابي عن أبي سفيان، وبهذه الأسانيد معظم الرواية القديمة إنما وصلوا ما شاءوا منها أيام المسندي شيخ البخاري (وهذا تفصيل حديثي طويل)، ومعظم السير والمغازي والتواريخ والتراجم إنما هي بمثل هذه الأسانيد، ومجموعها يشهد بعضها لبعض ولو كان معظمها مرسلاً، ثم هي ليست وحدها بل الأسانيد الصحيحة الموصلة في ذم أبي سفيان ومعاوية كثيرة جداً، إلا أن السلفية المحدثة تخلت على السلفية القديمة عندما تقترب من ذم آل أبي سفيان، لكنها تقبل عليهم بقوة إن وجد في بعض مراسيلهم ما يقترب من ذم آل محمد (والشواهد في كتاب النصب والنواصب عبر التاريخ- وقد أخرج منه نواصب القرن الأول قريباً) .

نعود هنا فنقول : ألا ترون الحشد السلفي القديم وعقيدته في أبي سفيان، ذلك السلف اقديم الذي لم يعد أحد يرى رأيه من السلفية المحدثة! التي بدأت مع أحمد بن حنبل واستحكمت مع ابن تيمية وانتشرت مع محمد بن عبد الوهاب،، فالحشد السلفي القديم في تفسير هذه الآية فقط نجد فيها علماء كبار من أهل السنة والحديث ومحل إجلال (نظري) عند السلفية المحدثة، وهؤلاء لا يوازيهم أحمد بن حنبل ولا ابن تيمية ولا محمد بن عبد الوهاب، ففيهم سعيد بن جبير التابعي المشهور (95هـ) وعبد الرحمن بن أبزى الخزاعي (والي عمر على مكة) وقتادة (من رجال الجماعة وفيه أموية) ومجاهد المفسر المشهور، والسدي الكبير، والحكم بن عتيبة شيخ شعبة الأول، حديثه في الكتب الستة، والزهري (عالم أهل الشام والحجاز) ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري (شيخ ابن إسحاق) والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ الأنصاري وابن إسحاق عطاء بن دينار وقبلهم كلهم ابن عباس حبر هذه الأمة، فهؤلاء أربعة عشر من السلف الصالح باعترافهم كانوا يرون أن هذه الآيات نزلت في أبي سفيان، على أن بعضهم فيه نصب وأموية، ولكن أموية ابن تيمية ومدرسته لا توازيها أموية رواة أهل الشام، فما بال

السلفية المحدثة تهتهم بالتفسير بالرأي إذا ذكر الجهم والجعد أو القدرية والجهمية ولا يلتفتون أبداً لمن تكون الآيات تنزل في ذمه وهو يحارب النبي (ص) إضافة إلى أن الآيات تبشر أبا سفيان ومن معه بالنار فتدبروها، فالله لا يتوقع وإنما يخبر بصدق، ومن أصدق من الله قيلاً؟ هل هو أحمد أو ابن تيمية؟ اتقوا الله. .

نعم لو كان هؤلاء على منهج مطرد بحيث لا يقبلون الرواية إلا بشروط معتزلية لقلنا لهم عذرهم، بل قد ندعمهم في هذا التشدد في قبول الروايات والأحاديث، وألا يصدقوا أسباب النزول هذه، ونحن جملة مع التشدد في قبول الروايات إلا ما كان له أصل كهذه الروايات، فهي أخف من الآيات أصلاً، بمعنى أن الإجماع منعقد على أن هذه الآيات في حق الذين كفروا من سورة البقرة والأحزاب وغيرها كانت تشكل أبا سفيان ومعاوية وأمثالهم، فإذا صحت الآيات فلماذا نتشدد في الآثار؟ بل الآيات تبشرهم بالنار وتخبر أنهم لن يهتدوا، فالسلفية القديمة خففت بهذه الآثار من الآيات أكثر مما أكدتها، لأنها لم تشهد عليهم بالنار كما شهدت الآيات، ومع ذلك فالسلفية القديمة أنصف وأجرأ رغم الظروف السياسية الصعبة، إلا أن السلفية المحدثة التي ابتدعها أحمد بن حنبل سامحه الله ورحمه[87] – فقد كان عابداً متوقياً في الصغائر؛ جريئاً على بعض الكبائر كالظلم وحب الظالمين والتكفير– هذه السلفية المحدثة هي المسيطرة اليوم،

وهذه السلفية المحدثة إنما تتشدد إذا تعلق الأمر بذم هؤلاء، أما أن يستدلون بالآيات على فضل معاوية وأبيه قبل أن يسلما ! بينما يتركون الآيات التي كانت تنزل فيهم وفي غيرهم قطعاً (لأنها نزلت قبل إسلامهم فتشملهم بالضرورة) فهذه عصبية شديدة كالحة، وهي من آثار السلطة الأموية بلا شك. .

- الآية الثانية: من سورة البقرة

---

[87] وله سلف كسفيان بن عيينة وابن مهدي وقبلهم أيوب السختياني وقبله أبو قلابة وابن سيرين . . الخ، هم مجموعة أفرد شذوا عن السلف لكنهم أصبحوا سلف السلفية المحدثة، ثم انصبغت السلفية كلها بعقائدهم.

قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) [البقرة]}

هذه تناول أبا سفيان ومعاوية بالأولوية، وإذا استثنى الله أحداً فقد يستثني رعاة الظواهر وصبيان البطاح والمستضعفين . . أما الزعماء المحاربون فإن لم يتناولهم الخطاب فمن يتناول؟ وكيف نستطيع رد الخبر القرآني إلا أن نكفر؟ ومن لم يتأمل الآيتين أو لم يقتنع بهما فلا يستعجل في رد الآيات وتكذيبها، لأننا سنأتي له بأسانيد صحيحة تدل على صدق القرآن الكريم (! للأسف أننا وصلنا معهم إلى هذه المرحلة، أن نستدل على صدق القرآن بروايات قوية الأسانيد عندهم) !

إذن فلا يستعجل السلفي المغالي في رد الآيات السابقة وليبق محافظاً على إسلامه لأنه قد جاء في الآثار ما يدل على هذا بأسانيد صحيحة على جرحهم وتعديلهم،، وهم رغم محاولتهم إخراج أبي سفيان ومعاوية من هذه الآيات بلا سبب موجب، فقد روى سلفهم ما يدل على صدق هذه الآيات!

ففي تفسير الطبري مثلاً: - (ج 1 / ص 252) حُدِّثت به عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: آيتان في قادة الأحزاب :(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، قال: وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [سورة إبراهيم: 28، 29]، قال: فهم الذين قُتلوا يوم بدر اهـ

التعليق:

السياسة هي من حصر هؤلاء بالمقتولين! مع أن أكثر المقتولين يوم بدر ليسوا عداوة أبي سفيان للنبي (ص)، ولا في بلوغه بالحجة ولا في فهمه لها وعناده وكبره وصده عن سبيل الله . .الخ، والآية إن لم تكن في الزعماء المتبوعين فلن تكون في الرعاء التابعين، عدل الله يأبى هذا، ومنهج القرآن يأباه، فالقرآن يتناول الزعماء بالدرجة الأولى لأن لهم تأثيرهم على الأتباع، وكان أبو سفيان من هؤلاء الزعماء بلا شك، بل هو زعيم الحروب ضد النبي (ص) وهو الوحيد الذي حزب الأحزاب، فلم يكن يوم بدر أحزاب، وإنما كانت قريش فقط، ومن هنا يتبين لنا المسلك السياسي (الأموي خاصة) في تخصيص القرآن بما يميت آياته ويحصرها في ما لا فائدة فيه على المستوى الفكري عند المسلمين، إذ لو كانت ثقافة القرآن مستقرة في عقول المسلمين بأن أبا سفيان منهم، فلابد أن يثير هذا الاعتقاد بعض التساؤلات عن أثر أبي سفيان على السياسة العامة للمسلمين، وأثر ابنه معاوية في صرف دلالات القرآن إلى عدو ميت! ليطمئنوا بأن العدو مات! وأن كلام الله ليس على إطلاقه! أو أنه غير صحيح! فالله لم يختم على قلوب رؤوس الكفر من قريش، وأن التاريخ أثبت أن ما يخبر به الله ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً ولا مطابقاً، وعلى هذا فالقرآن توقعات محمد فقط! (هذا ما يريد معاوية وأمثاله أن يثبتوه، والسلفية (حليفة معاوية) تدين برأي معاوية، وتستبعد صحة مثل هذه الآيات ولو احتمالاً. . تصوروا ! حتى مجرد الاحتمال أن أبا سفيان من هؤلاء مستبعد في الفكر السلفي، ليس لأن الله لم يقل ويكرر، ولكن لأن معاوية لم يرد ذلك، وخفاء الدور السياسي على الحمقى، فلا مكر كمكر السلطان، ولا جند كجند الحمقى، فإذا اجتمعا لم يردهما شيء،) !/ وفي تفسير الطبري – (ج 1 / ص 267) حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: هاتان الآيتان إلى(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هم(الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) [سورة إبراهيم: 28]، وهمُ الذين قُتلوا يوم بدر، فلم يدخل من القادة أحدٌ

في الإسلام إلا رجلان: أبو سفيان بن حَرْب، والحَكَم بن أبي العاص اهـ / وفي الدر المنثور – (ج 1 / ص 29) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية . . فذكره اهـ / وفي تفسير الطبري – (ج 1 / ص 267) وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن الحسن، قال: أما القادةُ فليس فيهم مُجيبٌ ولا ناجٍ ولا مُهْتَدٍ اهـ

قلت: إذا كان أبو سفيان ومعاوية من القادة ومن المعنيين بالآية الكريمة، فأعيدوا قراءة الآيتين وانظروا هل من سبيل إلى أن يهتديا ؟ أم أن إسلامهما سيكون في الظاهر فقط؟ وحرمانهما من الهداية ليس من الجبر في شيء، وإنما هي عقوبة بيد الشخص نفسه، نتيجة كبره وعناده ورفضه الحجج، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وأرى أن الفرق الإسلامية كلها بحثت موضوع الجبر والاختيار بلا هداية من القرآن الكريم، وإنما سارعت في الخصومات، مع أن القرآن الكريم واضح جداً في هذه المسألة.

وعلى كل حال:

فهذه الآيات صريحة جداً في الكافرين أيام نزولها، وأنهم لن يهتدوا، لأن مهلة الهداية انتهت في حقهم، وخاصة الزعماء المجادلون والمتآمرون، فهؤلاء قامت عليهم الحجة أكثر من الرعاع والعامة والبله، وهي تتفق مع سورة الكافرون (فتذكروها) وسورة يس (فاقرؤا أول عشر آيات منها) وغيرها من الآيات والسور التي تتحدث عن قريش، وعن زعمائها على وجه الخصوص، والله لا يخشى من الزعماء كما تفعل السلفية المحدثة؛ وعلى هذا فخطاب الوعيد يتناولهم بالأولوية، وإنما السلفية فيما بعد حيدت الزعماء من الوعيد لأنها تخشى منهم وظنت أن الله يخشى منهم، وجعلته – أي الوعيد– مبهماً في الهواء لا حقيقة له، وإلا أين

حقيقة هاتين الآيتين؟ قد يوردونها في الميتين كأبي جهل ؟ نقول: فمن أستثنى أباسفيان ومعاوية ساعة نزول الآيات؟ أأنتم؟ (هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ؟) أم على الله وكتابه ودينه تفترون ؟

- الآية الثالثة: وفيها بيان أن إمهالهم شر لهم وليس كما يظن السلفيون:

ثم يظن السلفيون (الواقعون في المكر الأموي) أن تأخر موت أبي سفيان ومعاوية كان خيراً له، وأن تقدم موت أبي طالب كان شراً له! – لأنهم يروون أنه مات كافراً– بينما الله عز وجل لا يقول هذا وخاصة في مثل أبي سفيان انظروا إلى قوله تعالى : (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) [آل عمران])

فهذه الآيات تقول بخلاف ظن السلفية تماماً . . فهم يحسبون أن إملاء الله لهؤلاء خير لهم! والله يرد عليهم ذلك، نعم قد يكون تأخر موت العبد والغلام والمستضعف خيراً له، أما الزعيم المحارب المكابر العارف بالحجج والبراهين . . فإن سوء أخلاقه تطبع على قلبه فلا يهتدي، هذا عدل الله فاعرفوه.

- الآية الرابعة: :

وكذلك قوله تعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) [آل عمران]) هنا وعيدان من الله تحقق أحدهما في الدنيا، والسلفية لا يرون الثاني إلا توقعاً خاطئاً! فمن المخاطبون ساعة نزول الآية؟ أليس قريشاً؟ أليس هذا يتناول زعماء الحرب على الأقل ممن أعرقوا في المحاربة والتحزيب

والتصدر والمبالغة في معاداة النبي (ص)؟ أليس منهم أبو سفيان ومعاوية؟ هذه الآية وأمثالها عند السلفية راحت هباء منثوراً بإظهار أبي سفيان الإسلام خوفاً من السيف! مع ثبوت بقائه على الكفر في أكثر من مناسبة، كان آخرها في أول خلافة عثمان سنة 25هـ ولم يلبث بعدها إلا سبع سنوات شيخاً عاجزاً ليس له ذكر، لو شرب الماء لا يجد برده!

- الآية الخامسة:

وانظر قوله تعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) [آل عمران]) فهذه من آيات آل عمران وسيوف قريش طرية من دماء حمزة ومصعب وأمثالهما، والله أصدق القائلين لا يكذب أبداً، وإذا قال شيئاً لا يخلفه، والسلفية يرون أن الله لا يخلف وعيده إذا كان في حق أبي لهب عم النبي (ص) لكنهم يرونه مخلفاً وعيده في من هو شر من أبي لهب وأكثر عداوة وأطول محاربة، بل أبو لهب لم يقتل مسلماً قط، ولم يحزب أحزاباً ولم يحاصر المسلمين في الخندق ولا في الشعب، وإنما كان ذم الله له لإطاعته أبي سفيان وأخته أم جميل، فكيف يصدق وعيد الله في الفرع ولا يصدق في الأصل؟!

- الآية السادسة:

وانظر إلى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) [النساء]) وهذا صريح أن زعماء الكفر – على الأقل- لن يهديهم الله إلا طريق جهنم، وهي إما الكفر أو النفاق (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140) [النساء])

- الآية السابعة:

وانظر إلى قوله : (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37) [الأنفال])

فهذه الآيات صريحة، بل بعضهم صرح بأنها في أبي سفيان..

وكان الله قد أتاح لهم فرصة أخيرة بعد بدر بقوله تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ [الأنفال/38]) ولا بد أن يكون النبي (ص) قد أبلغ هذه الرسالة لهم ما بين بدر وأحد، ولذلك لما لم يستجيبوا أعاد الله لهم الجملة يوم أحد ولكن بلا فتح باب التوبة فقال: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) [آل عمران]) فقد انتهت مهلة الوعد بالتوبة، ولم يرد في القرآن الكريم (قل للذين كفروا . .) إلا في هذين الموضعين أولاهما في الأنفال (بعد بدر) والثانية في آل عمران (بعد أحد) . . وكان الكفار المعادين للنبي (ص) في تلك المدة هم كفار قريش فقطن وهذه ظاهرة لمن تدبر القرآن، ولكنها خافية على الهالكين في المكر الأموي، انظر إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (23) [العنكبوت/23])

ومن سنة الله أن طول التكذيب تكون عقوبته الصرف عن الهداية ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) [الأعراف/101] ﴾ أي ما كذبوا به من قبل رغم تيقنهم صدقه كيف يؤمنون به فيما بعد ؟ .

ولا ننسى الحكم التأبيدي : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) ﴾

ولا ننسى الخاتمة – في آخر الآيات نزولاً– ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68) [المائدة] فكان الكفر موجود إلى آخر النبوة في أناس يدعون الإسلام داخل الجزيرة، وإن لم يكن منهم أبوسفيان وحزبه فمن؟ . .

وفي قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109) [النحل]

وقوله عنهم في سورة الأحزاب عن قريش وحلفائهم وأشياعهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ

وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68) [الأحزاب].

ومعظم سورة التوبة في أبي سفيان وحزبه من كفار العرب واليهود والمنافقين الجدد..

وأخيراً:

فعدل الله يقضي بأن من ناصر النبي (ص) عشر سنوات كأبي طالب، لن يكون كمن حارب النبي عشرين سنة! وكل خطاب القرآن في الوعيد منصب في أبي سفيان وأمثاله، لكن السلفية جعلوا هذا الوعيد منصب في تهديد الهواء وما لا وجود له!

أما ابنه معاوية – المفتخر بالصحبة وليس صحابياً– فالأقرب إليه قوله تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) [آل عمران/188]) ومعاوية أول من بالغ في الصحبة اليسيرة التي ليست محلاً للتأسي ولا الاقتداء، بينما قتل ولعن أصحاب الصحبة الكبيرة ذات التأسي والاقتداء! ثم أصبح الغبار في أنف معاوية – وهو يشمت ويسخر من النبي والمسلمين يوم حنين– أفضل عند السلفية من عمر بن عبد العزيز ومنا ومن كل التابعين! عجبي؟!

إبليس لم يستطع أن يعمل هذا كله! فالناس وإن كانوا يطيعونه لشهواتهم الدنيوية، فإنهم يلعنونه لدينهم، أما معاوية فيطيعونه في شقائهم دنيا وآخرة.

وسأترك بقية الآيات والأحاديث في ذم أبي سفيان ومعاوية، وسأترك أيضاً الشواهد الأخرى (مؤجلاً بعضها إلى موضوع النفاق الآتي في موت معاوية على غير الملة، ومؤجلاً أكثرها إلى أبحاث لاحقة) ولعل في ما أوردناه كفاية، لعل الله يهدي بهذه الأبحاث المتضمنة هذه الآيات الشباب السلفي الطيب الفطن، أما الشيوخ فمعظمهم كشيوخ قريش (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) وعلى هذا فلن يهتدوا إذن أبداً . . وإذا خرج استثناء من هذا التعميم فهو كخروج المستثنَين من التعميم في كفار قريش، أعني لن يكونوا إلا أفراداً، لأن الله يطبع على القلوب إذا استكبرت، والسلفيون المُحْدَثون أملأ القلوب كبراً، وأكثرهم فخراً بجهل، فلذلك لا يقبلون أن يجلسوا مع أحد من المسلمين! ولا أن يتدبروا حججهم، ويحشرونهم كلهم في النار، ولا يدخلون الجنة إلا شرذمتهم وحتى يتصور قاريء عقائدهم أن الجنة لا يدخلها إلا بضعة آلاف، نصفهم من الظالمين! .

المبحث السادس: الممانعة الناصبية ثم السلفية

لا يظن عاقل بأن معاوية والدولة الأموية وسائر النواصب وكثير من السلفية المتأثرين، أو السلاطين المنتفعين بسياسة معاوية ومنهجه، لا يظن عاقل أنهم سيسكتون عن مثل هذا الحديث المفصلي الواضح الذين يترك لأحد من العامة عذراً، فلذلك من المتوقع أن يجد هذا الحديث محاربة كبيرة على أكثر من اتجاه وبأكثر من أسلوب، كالإخفاء والإهمال، وعند العجز سيتم اللجوء إلى التضعيف والإبطال، فإن لم يجدِ فالتأويل، فإن لن ينفع فيتم تحريف الحديث لينقلب معناه إلى فضيلة بدلاً من أن يبقى مثلبة في حق معاوية . .

وكل هذه الأساليب استخدمها النواصب وأتباعهم كانت من الكثرة والتنوع بمكان، حتى أن القاريء الخالي الذهن من الوعي التاريخي ومن أثر السلطة في الرواية ومن خطورة النواصب وانتشارهم قد يظن أن ما الموضوع هو الصحيح لكثرة طرقه، وأن الصحيح هو الباطل لقلة طرقه ولإهماله، ولذلك نحن نعذر كثيراً من النواصب

الجهلة الذين لا يعرفون أنهم نواصب، لأن شيوخهم أقنعوهم بأن النصب هو محاربة علي بالسيف فقط أو بغضه ولعنه، وحتى هذه الأمور يؤجر عليها المسلم إذا كان مجتهداً ! كما كان معاوية مأجوراً عليها، ولا يعرفون أن أخفى النصب وأخبثه هو تشريع ظلم الظالمين والدعوة لمحبتهم وموالاتهم ودفع كل ما يتعارض مع هذه الموالاة، ولكثرة الوضاعين الذين حرفوا الحديث ظن بعض هؤلاء أن معاوية مبشر بالجنة بل أنه سيزاحم النبي (ص) على باب الجنة. . فأهل الحديث المتأثرون بكثرة الطرق والأسانيد قد لا يلتفتون إلى المعنى (متن الحديث واتفاقه مع عدل الله ومع التاريخ والعقل)، وإنما يهمهم كثرة الطرق وتعدد الأسانيد فقط، حتى لو أنهم يجدون اسانيد تقول بأن (معاوية هو نبي مرسل) ربما يقولون: نبوة دون نبوة، ورسالة دون رسالة. .الخ.

فأهل الحديث في غالبهم يخضعون للأسانيد، ولذلك سنرى أن ابن عساكر وابن الجوزي في منتهى البرود عندما يجدون حديثاً يقول إن معاوية سيزاحم النبي (ص) على باب الجنة، فترى هؤلاء يكتفون بالقول (هذا منقطع) ! حتى أن الباحث قد يخشى أنهم لو يجدون حديثاً متعدد الأسانيد بأن (معاوية هو رب العالمين) سيكتفون بأن هذا الإسناد منقطع، وأن الإسناد الآخر مرسل، والإسناد الثالث ليس فيه تصريح بالسماع! . . هكذا بكل برود ! وإذا كثرت الأسانيد، فيمكن أن يتأولوه على أن المعنى أنه سيد العالمين كما يقال (رب الدار) . .هكذا بكل سهولة وبرود ! وقد أمرضونا من كثرة هذه التأويلات السخيفة.

ومثلما المتابعات والشواهد من مزايا أهل الحديث فهي من مساوىء المنهج أيضاً، فلابد أن يكون هناك معنى صحيح فوق الإسناد الصحيح حتى يصح، وغالباً لا بد من معنى ضعيف تحت الحديث الضعيف حتى يضعف، وهذه النقطة لا يراقبها أهل الحديث فهم ينقادون خلف الإسناد انقياد الجمل الكبير للخيط المربوط بأنفه، وهي نقطة ضعف عند أهل الحديث؛ فلذلك ساقتهم السلطات الظالمة بالأسانيد والروايات، وأصبحوا

حجر عثرة أمام العدالة والحرية والحقوق والعقل وتدبر القرآن الكريم، لأن العدل ليس فيه إسناد صحيح! وكذلك العقل، والحرية، بل حتى القرآن الكريم لا يهتمون به لأنه ليس فيه أسانيد! وهم لا يهتمون بالمعاني التي تبني الحضارات وإنما يهتمون بالرجال والأسانيد والعلل ومراقبة صيغ السماع وجمع أقوال الرجال، هم ليسوا أصحاب قيم إنسانية وحقوقية.. إنما هم أصحاب أسانيد ورجال وجرح وتعديل، هذه فتنة سقطوا فيها، وأصنام عبدوها ما أنزل الله بها من سلطان، نعم الأسانيد مهمة ولكن أهميتها تأتي بعد القرآن وقيم الإسلام العامة، فكل إسناد يأتي بما يخالف هذا القرآن وهديه وقيمه فهو مرفوض وإن صححه بعض الحمقى والمغفلين، الذين لا يقيمون لكتاب الله وزناً ولا لرسوله تبعاً منهم لسنن للظالمين وأحاديثهم بل حتى نفسياتهم، وكل علم أنتج ظالماً فليس من عند الله وإنما من عند السلطان الظالم، فانظروا علمائنا اليوم، فإذا كانوا عادلين ويحبون العدل والصدق ويطبقونه على أنفسهم فعلمهم من عند الله، وإن كانوا ظالمين كاذبين كاتمين ما أنزل الله مبررين لكل ظالم فعلمهم من عند معاوية وكل ظالم.

وفي هذا المبحث سنستعرض أهم الأحاديث التي وضعها النواصب في مقابلة هذا الحديث، وغرضها الإشادة بالظالم في الأحاديث التي أتت لإدانته، فهذا الوضع للأحاديث المضاد والمعاند لما صح عقلاً ورواية من ذم الظالمين هو التحدي الأكبر الذي لم يكتشفه أهل الحديث، لأن الأمر يحتاج لقلب وعقل، قلب خالٍ من الهوى والتعصب المذهبي، وعقل يعقل كيف جرت الأمور، وكيف سار هذا الإسلام في خراطيم التاريخ، وماذا وصل منه، وماذا بقي في بطن الفيل.

وهذه الأحاديث المقابلة والمعارضة؛ ما هي إلا شواهد لصحة الحديث الأصلي الذي ذكرناه سابقاً، فكثرة التشويش بالباطل تدل على أن له أصلاً مخالفاً له في المعنى تماماً، ومن خلال تتبعي لفضائل معاوية المزعومة

أجدها جاءت للتغطية على مثالب صحيحة، وهي تتفق مع مراسيم معاوية الأربعة التي أصدرها مع أول ملكه العضوض (وسيأتي التفصيل فيها) .

معاوية أول المانعين للأحاديث الصحيحة كهذا الحديث:

هذا الحديث (يموت معاوية على غير ملتي) وأمثاله من أحاديث المثالب يهدد مستقبل معاوية ومستقبل أسرته السياسي، ولذلك فليتوقع العاقل أن السلطة ستحارب هذا الحديث بطرق شتى، وأن محاربة هذه الأحاديث ستبدأ من المعني بها أولاً، أي من معاوية، وهذا مطرد مع محاربات معاوية لكل الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذمه، أو التي تقف أمام مشروع من مشاريعه السياسية أو المالية، وكان لمعاوية دور كبير في هذه المحاربات والإبطالات، سواء في تأويل ما لا يمكن له دفعه أو في رد ما يمكنه رده والتشكيك فيه أو وضع المعارضات والمقابلات المبطلة للحديث.

نماذج من تعامل معاوية مع الأحاديث التي لا تعجبه:

والأمثلة كثيرة جداً ولولا أن بعض الناس يظنون فينا إلقاء الكلام على عواهنه لما ذكرت هذه الأمثلة، لأن الكتاب يطول من هذه الاستطرادات، لكن ماذا أفعل مع أمة مصابة بالزهايمر الجماعي (فقدان الذاكرة) في كل ما يتعلق بمثالب معاوية، وذلك نضطر من وقت لآخر لتوثيق كثير من التهم التي ليس موضع بحثها هنا، من باب إثبات المصداقية، وأننا لا نتكلم من فراغ، ومن الأمثلة على محاربته للأحاديث التي تخالف هواه ما يلي:

1- تأول حديث عمار تقتله الفئة الباغية، بأنه إنما قتله من جاء به[88] !

2- وكذلك رد حديث عبادة بن الصامت في تحريم الربا برأيه[89] !

---

88 مسند أحمد بن حنبل - (ج 2 / ص 206): حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا الفضل بن دكين ثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث قال اني لأساير عبد الله بن عمرو بن العاصي ومعاوية فقال عبد الله بن عمرو لعمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (تقتله الفئة الباغية يعني عمارا فقال عمرو لمعاوية اسمع ما يقول هذا فحدثه فقال أنحن قتلناه إنما قتله من جاء به) تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح اهـ فالسند صحيح في استهزاء معاوية بهذا الحديث ومكابرته في الإذعان له، وبهذا التأويل كفره المعتزلة لأنهم يرون أن معاوية لم يكن أحمق، وهو عربي فصيح يعرف اللغة العربية ويعرف أن النبي (ص) لم يأكل كبد حمزة وإنما أكلته والدته، وهو يعلم أن النبي (ص) لم يعرس الرمح في شدق حمزة يمثل به، وإنما فعل ذلك والده، وهو يعرف أن علياً لم يضع جائزة لمن يأتي برأس عمار، وإنما فعله هو . . ثم هذه ليست المرة الأولى التي يسخر فيها معاوية من أحاديث النبي (ص) التي يعلم أنها صحيحة، ولذلك لم يردها وإنما سخر منها واستهزأ بها واتهم النبي (ص) اتهاماً مبطناً بأنه قتل جميع الصحابة في الغزوات النبوية، وعمار لم يخرجه أحد، ولو شاء أن يعتزل كسعد وابن عمر وأسامة لفعل، فالإمام علي لا يكره أحداً على القتال معه، وإنما كان عمار نفسه من أكثر المتحمسين لقتال معاوية وقد استعرضنا أقواله في كتابنا الآخر (حديث الدبيلة) .

89 سنن الدارمي - (ج 1 / ص 129): أخبرنا محمد بن حميد ثنا هارون بن المغيرة عن معروف عن أبي المخارق قال ذكر عبادة بن الصامت : ان النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن درهمين بدرهم فقال فلان ما أرى بهذا بأسا يدا بيد فقال عبادة أقول قال النبي صلى الله عليه و سلم وتقول لا أرى به بأسا والله لا يظلني وإياك سقف أبدا اهـ وهو من طريق آخر في صحيح مسلم - (ج 5 / ص 43): حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِىُّ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِى قِلاَبَةَ قَالَ كُنْتُ بِالشَّامِ فِى حَلْقَةٍ فِيهَا مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ فَجَاءَ أَبُو الأَشْعَثِ قَالَ قَالُوا أَبُو الأَشْعَثِ أَبُو الأَشْعَثِ. فَجَلَسَ فَقُلْتُ لَهُ حَدِّثْ أَخَانَا حَدِيثَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ. قَالَ نَعَمْ غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَى النَّاسِ مُعَاوِيَةُ فَغَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً فَكَانَ فِيمَا غَنِمْنَا آنِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ رَجُلاً أَنْ يَبِيعَهَا فِى أَعْطِيَاتِ النَّاسِ فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِى ذَلِكَ فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَقَامَ فَقَالَ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحِ بِالْمِلْحِ إِلاَّ سَوَاءً بِسَوَاءٍ عَيْنًا بِعَيْنٍ فَمَنْ زَادَ أَوِ ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى. فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ خَطِيبًا

3- ثم فعل ذلك مع أبي الدرداء[90] !

4- وكذلك في رده على حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ووضع ما يخالفه مما يعلم الناس اليوم أنه باطل من أن قريشاً ستحكم إلى يوم القيامة[91] !

5- وكذلك في رده على يونس بن سعيد عندما ذكره بحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر[92] !

فَقَالَ أَلَا مَا بَالُ رِجَالٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنَصْحَبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ. فَقَامَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ لَنُحَدِّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةُ - أَوْ قَالَ وَإِنْ رَغِمَ - مَا أُبَالِى أَنْ لاَ أَصْحَبَهُ فِى جُنْدِهِ لَيْلَةً سَوْدَاءَ . قَالَ حَمَّادٌ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ اهـ وشهادة عبادة واضحة بأن معاوية يكره بعض السنة. .هذا فهم السلف الصالح الحق فعبادة بن الصامت بدري لم يكن طليقاً ولم يضطر أحد ليتألفه أحد على الإسلام.

[90] مسند الشافعي - (ص 1675)(أخبرنا) : مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَم عن عَطَاء بن يسَارٍ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ ابن أبي سفْيَانَ بَاعَ سقايةً (السقاية إناء يشرب فيه) مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ بِأَكْثَرِ مِنْ وَزْنِهَا فَقَالَ لَهُ أبو الدَّرْدَاءَ : سَمِعْتُ النّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم ينهَى عَنْ مِثْلِ هذَا فَقَالَ مُعَاوِيَة : ما أَرَى بهذَا بَأْساً فَقَالَ أبو الدَّرْدَاءَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ مُعَاوِيَة أُخْبِرُهُ عن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم وَيُخْبِرُنِي عن رأيه لاَ أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ اهـ.

[91] صحيح البخاري - (ج 3 / ص 1289): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال كان محمد ابن جبير بن مطعم يحدث : أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالى ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فأولئك جهالكم فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين) اهـ مع أن حديث الرجل القحطاني أصح من هذا الحديث ونحوه مما وضعها معاوية وحزبه ليقنط الناس في وصل حاكم غير قريش، وكان هو قد ضمن قريش إلى صفه بالمال والترهيب إلا قلائل مع أهل البيت، ولهذا تفصيل. .

6- وكذلك لما سمع أبا بكرة يحدثه بحديث الملك أمر بدفعه من قفاه وإخراجه من المجلس[93] !

7- ورده على الأنصار عندما ذكروه بحديث الأثرة، فقال بما أمركم؟ قالوا أمرنا أن نصبر حتى نلقاه على الحوض، فقال ساخراً: (اصبروا حتى تلقوه على الحوض لعلكم تجدون ما وعدكم)[94] !

---

[92] الأوائل للعسكري - (ج 1 / ص 74 - 75) قال: أول من استلحق في الإسلام معاوية: أخبرنا أبو أحمد، عن الجوهري، عن أبي يزيد، عن حيان بن بشر، عن جرير بن المغيرة، عن الشعبي. وأخبرنا أيضاً عن الجوهري عن أبي زيد عن أبي عمرو ومحمد بن محمد بن خلاد، عن المدائني، وعن غير هؤلاء جعلت أحاديثهم حديثاً واحداً. . فذكر قصة استلحاق زياد وفيها: فقال يونس بن سعيد: خالفت قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الولد للفراش وللعاهر الحجر " قال: لقد هممت أن أطير بك طيرة بطيئة وقوعها اهـ

[93] والقصة في مسند أحمد بن حنبل - (ج 5 / ص 50): حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : وفدنا مع زياد إلى معاوية بن أبي سفيان وفينا أبو بكرة فلما قدمنا عليه لم يعجب بوفد ما أعجب بنا فقال يا أبا بكرة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم! - فذكر له حديث الخلافة ثم تكون ملك- قال فزخ في أقفائنا فأخرجنا فقال زياد لا أبا لك أما وجدت حديثا غير ذا حدثه بغير ذا ؟ قال لا والله لا أحدثه إلا بذا حتى أفارقه، فتركنا ثم دعا بنا فقال يا أبا بكرة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فبكعه به فزخ في أقفائنا فأخرجنا فقال زياد لا أبا لك أما تجد حديثا غير ذا حدثه بغير ذا ؟ فقال لا والله لا أحدثه إلا به حتى أفارقه قال ثم تركنا أياما ثم دعا بنا فقال يا أبا بكرة حدثنا بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فبكعه به فقال معاوية أتقول الملك فقد رضينا بالملك اهـ فمعاوية طرد أبا بكرة ثلاث مرات لأنه سمع هذا الحديث الذي عجز عن تأويله، وقد عملا معاوية على إبطاله بكثرة الأحاديث التي لقنها قصاصه وتقاذفتها المنابر حتى استقرت في الدفاتر من الثناء على ولايته وأنه في الجنة، وان الخليفة سلطان الله في الأرض! فلا فضل لرسول الله! . . الخ.

[94] مصنف عبد الرزاق - (ج 11 / ص 60): أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أن معاوية لما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري فقال تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار فما منعكم أن تلقوني قال لم تكن لنا دواب قال معاوية فأين النواضح قال أبو قتادة عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر قال ثم قال أبو

وإذا كان قد دفع أبا بكرة حتى أخرجه من مجلسه فكيف يجرؤ غيره على تحديث معاوية بما لا يحب؟ فأبو بكرة مقرب من الرأي الأموي إلى حد بعيد، فهو أخو زياد لأمه، واعتزل عن علي يوم الجمل، وأدرج حديث صلح الحسن، . .الخ إلا أنه كان رجلاً صالحاً في نفسه، وكان يكفر معاوية (ولم يكفره مع هذا القرب الشديد إلا عن أمر عظيم، وتكفيره جاء بسند صحيح، وسأذكره في كتاب مفرد اسميته: شهادات الصحابة والتابعين في معاوية)

وهناك قصص أخرى لمعاوية تركناها خشية التطويل، لكن خلاصتها أنه إن غضب من حديث لرسول الله (ص) فإنه ينتقم من الحديث إما بالسخرية منه أو تأويله تأويلاً يسيء إلى النبي (ص) أو يضع ما يقابله ويبطله أو يزيد فيه ما يمحو أثره . .الخ.

هذا هو معاوية ومن لم يصدق فسيكتشف ذلك بشرط أن يكون الباحث مؤمناً بالنبوة، عارفاً بدهاء معاوية، عارفاً بكيفية حرمان الله للمتكبر من الهداية، عارفاً بنفاق النواصب وأنه لا يهمهم أن يكذبوا على رسول الله إذا كان ذلك في صالح معاوية أو في تبكيت خصومه ولو كان هؤلاء الخصوم مثل علي أو أبي ذر أو عمار بن ياسر. .

قتادة إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لنا إنا لنرى بعده أثرة قال معاوية فما أمركم؟ قال أمرنا أن نصبر حتى نلقاه، قال فاصبروا حتى تلقوه ! . .الخ ألا تشمون في هذا رائحة إنكار البعث؟ خاصة وأنه منهج عام لمعاوية في كل حديث يعارض هواه. . إنما يستخدم الحديث الموضوع لخدمة سلطانه فقط. . لأن الناس مسلمون فماذا يفعل؟.

فهؤلاء هم النواصب، ولا يبغض علياً إلا منافق، – وهذا طبيعي وخاصة في ذلك الزمان– للصوقه بالنبي (ص) وانتفاء الجهل بمكانته، ومن خصال المنافق أنه إذا حدث كذب.. وحتى لو قالوا حقاً فالله يشهد إن المنافقين لكاذبون.. فلا يقول المنافق حقاً إلا ليجتاز منه إلى باطل.

منهج معاوية في التخلص من هذا الحديث خاصة:

هناك منهج عام في تتبع رواة الحديث، وكلهم قد هدد معاوية ووبخ ونجح في رشوة بعضهم حتى يسكت.

ومنهج خاص وهو العمل على إبطاله فالحديث مشهور، ولا بد من معارضته وقابلته أو تحريفه على الأقل، وقد انتقم معاوية من الحديث بأكثر من أسلوب.

أما الأسلوب الأول: وهو الأكثر إيلاماً وانتقاماً فإنه يجعل هذا الحديث في حق أحب الناس إلى النبي (ص) وهو علي بن أبي طالب، فالإمام علي عند معاوية (لص) لأن معاوية لص، والإمام علي عند معاوية حاول اغتيال النبي (ص) في العقبة لأن معاوية حاول اغتيال النبي (ص) في العقبة!، والإمام علي هو من أخبر النبي (ص) بأنه يموت على غير الملة! لأن معاوية هو من أخبر النبي (ص) أنه يموت على غير الملة .. وهكذا.. فمعاوية انتقم من كل الصالحين ومن النبي (ص) نفسه بنقل المثالب إلى علي عبر قصاصه ومحدثيه وصنائعه من الرواة.

وأما الأسلوب الثاني فإثباته في معاوية ولكن مع تحريف (قلب النار إلى جنة)..

أما من حيث التنفيذ فمعاوية أدهى وأذكى من أن يروي الحديث المعارض بنفسه، لأنهم سيكذبونه، فهو في زمن لا يعرف نظرية (عدالة الصحابة)[95] التي وضعتها السلفية المحدثة فيما بعد، وإنما يعطي الحديث لجهازه الثقافي ورجالات التثقيف في الأمصار من رواة وقصاص ممن لا يعرف الناس علاقتهم المباشرة بمعاوية، أو لا يرون العلاقة قوية، فيتكفلون بالمهمة، من تحريف وبتر وقلب ومعارضة ونحو ذلك من العبث بالأحاديث الصحيحة التي تزعجه وقد تهدد مستقبل ملكه ومستقبل ابنه يزيد، لأن الابن يذمه الناس بما في أبيه، فيأتي هؤلاء الصنائع (صنائع معاوية) فيروون تلك الأحاديث لتحريفها وإفسادها واستباق روايتها على الوجه الصحيح، ويبقى معاوية بريئاً في صرح عالٍ بعيداً عن كل اتهام، لأنه ليس الراوي. . وهكذا فليكن الدهاء. .

عروة من صنائع معاوية في مقاومة هذا الحديث:

وكان عروة بن الزبير في أول أمره، ممن استصنعه معاوية لهذه المهمة، ثم تاب عروة ولكن أحاديثه بقيت، فكان يروي عن عائشة – وعائشة بريئة– الأحاديث في ذم علي بن أبي طالب، وتلك الأحاديث كانت في الأصل في ذم معاوية، فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع ما قيل في خصومتها للإمام علي إلا أنها لا تضع الحديث في

---

95 وقد أنكروا على معاوية أحاديث وكذبوه فيها، منها حديث تقصيره شعر النبي (ص) بمشقص، ففي جامع الأصول من أحاديث الرسول – (ج 1 / ص 1626): وفي أخرى لمعاوية قال : « أخذتُ من أطراف شَعْرِ رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم– بِمشْقصٍ كانَ مَعي، بعدما طَافَ بالبيت، وبالصَّفا والمروة، في أيام الْعَشرِ »، قال قيسٌ : والناسُ يُنكِرون هذا على مَعاوية اهـ، وقد جمعت الأحاديث التي أنكرها الصحابة على معاوية، بل ربما كانوا يتعجبون إذا صدق في حديث لكثرة كذبه، ففي مصنف ابن أبي شيبة – (ج 2 / ص 225): حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد قال سمعت القاسم بن محمد يقول قال معاويه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا صلى الامير جالسا فصلوا جلوسا) قال فعجب الناس من صدق معاوية اهـ والصادق لا يعجب الناس من صدقه إنما يعجبون من الكاذب إذا صدق !

ذمه، نعم قد لا تطيق ذكر علي بخير ولو في حين دون حين[96]، إلا أنها لا تضع الحديث، وإنما الفاعل هو فرد من جهاز معاوية الدعائي، وكما قلنا بأننا نؤمن أن عروة تاب، لكن أدركه معاوية شاباً غراً مبغضاً لعلي بسبب مقتل أبيه يوم الجمل وعداوة أخيه عبد الله لبني هاشم، فسار في هذا المضمار ثم تاب واعتزل، وكان من جملة ما وضعه في الإمام علي هو هذا الحديث، إذ حوّله من معاوية إلى الإمام علي! ومن ذكاء معاوية أنه اختار لهذا الأمر رجلاً مدنياً ليس وليس شامياً، أسدياً وليس أموياً، ولبني أسد قرابة من رسول الله (ص) فخديجة بنت خويلد أسدية، ومن هنا فإذا حدث بهذا الحديث فهو أبعد عن التهمة وأقرب للقبول عند العامة، وإن كان الراوي عنه (الزهري) قد تنبه لسوء عروة وقال (لا آمنه على بني هاشم أف له ولحديثه) روى هذا المعتزلة والإمام أحمد في العلل، وهذا سيأتي موثقاً .

بداية اتصال عروة بمعاوية:

واتصال عروة بمعاوية ظاهر في بعض النصوص منها ما ورد في سير أعلام النبلاء - (ج 4 / ص 427): (ما رواه) مصعب الزبيري، عن جده، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: بعث إلي معاوية مقدمه المدينة، فكشفني وسألني، واستنشدني. .الخ.

هنا بدأ تكليف عروة بن الزبير. . فروى أن زينب هي خير بنات النبي (ص)، وقد أنكر عليه ذلك علي بن الحسين لأن في هذا حطاً من مكانة فاطمة، وكذلك كتم اسم علي في أكثر مغازيه التي لا بد فيها من ذكر علي

---

[96] وهذا كان رأي ابن عباس: ففي مصنف عبد الرزاق - (ج 5 / ص 428): فقال عبيد الله فحدثت به ابن عباس - يعني حديث وفاة النبي (ص)- فقال (ابن عباس) أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ هو علي بن أبي طالب ولكن عائشة لا تطيب لها نفسا بخير اهـ

كما في قصة الحديبية فإن علياً كان الكاتب بالإجماع، ولكن عروة لم يستطع أن يذكر اسم علي وإنما قال (فدعا الكاتب فكتب) ! – كما في صحيح البخاري- إلى كثير من التشويش على فضائل علي في أحاديثه ومروياته.. وهذا يحتاج إلى بحث مفرد، ومعظم كتاب المغازي الأولين كانوا أمويي الهوى والسياسة إلا آل عبيد الله بن أبي رافع.

نموذج (1) : نقلهم الحديث من ذم معاوية إلى ذم علي بن أبي طالب !

وهذا الأسلوب الأول من أساليب معاوية، أن ينقل الحديث في غيره، وهذا نفذه له عروة بن الزبير على الراجح، وسأورد قبل ذلك كلاماً لأبي جعفر الإسكافي المعتزلي في استصناع معاوية لعروة، فلا يستعجلن أحد في رده، لأنني سأذكر شاهد ذلك من كلام الزهري الذي رواه أحمد بن حنبل.

ففي شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – (1 / 1012)

فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذم علي

و ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله .. أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي ع تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير .

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه قال حدثني عائشة قالت كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي فقال يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتي أو قال ديني !

وروى عبد الرزاق عن معمر قال كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي فسألته عنهما يوما فقال ما تصنع بهما وبحديثهما ؟ الله أعلم بهما إني لأتهمهما في بني هاشم[97]! قال فأما الحديث الأول فقد ذكرناه.

وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته قالت كنت عند النبي ص إذ أقبل العباس وعلي فقال يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب اهـ

---

97 وهذا تضعيف من الزهري لعروة وعائشة معاً ! فيما يخص بني هاشم خاصة، وأنا أتهم عروة فقط، ولابد أنه استمر على هذا الرأي إلى أيام الزهري (بين الثمانين والتسعين)، لأن عبد الملك بن مروان أوصى الزهري بالسماع من عروة ! فهذا يدل على بقائه على هذا التصنيع الأموي إلى ما بعد الثمانين، ثم لعل اعتزاله في العقيق من قرائن توبته، وأتهيب من اتهام أم المؤمنين عائشة في الحديث، مع أن الإمام أحمد روى هذه عن الزهري هذا التضعيف لعروة وعائشة بأبشع من هذا اللفظ الذي رواه المعتزلة، ففي العلل لعبد الله بن أحمد - (ج 2 / ص 371): حدثني أبي قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري عن حديث يرويه عن عروة عن عائشة قال : أف دعهم ودع حديثهم اهـ قلت: هو هذا الحديث الذي قلبه عروة من ذم معاوية إلى ذم علي، ولكن أحمد بتر آخر الحديث، حتى لا يحتج به أهل البيت أو الشيعة، وحتى لا ينكشف للناس تعصب عروة في رواياته ضد أهل البيت، وهذه الشهادة الجرئية من الزهري من دلائل توبة الزهري، وأنه ربما كان يحيل على عروة في هذا الحديث ويرى براءة نفسه منه، ثم أنبه ضميره وتاب، فكانت ردة فعله شديدة وواضحة لمن أراد العبرة، ولذلك قد يستغرب بعض القراء أني لا أحمل على الزهري ولا على عبد الله بن عمرو بن العاص وإنما أحمل على أحاديثهم لماذا ؟ لأنني أرجح توبة عبد الله بن عمرو بن العاص (وفق روايات صحيحة وجدتها) وأرجح توبة الزهري لمثل هذه الروايات، بل حتى عروة أرجح توبته، ولكن المشكلة أنهم تابوا وبقيت أحاديثهم تسير في الأمة، لأن الدولة دولة، تنشر ما تشاء وتكتم التوبة، وكذلك ابن عمر ثبتت توبته من التخلف عن قتال الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب، لكن أحاديثه الأخرى، أو ما وضعوه على لسانه، كانت قد سارت في الدنيا وتلقفته الخطباء ونشره الرواة.

التعليق:

إذن فهذا من القرائن على أن الحديث في معاوية صحيح، وأن هذا الحديث كان يزعج معاوية، لتهديده مستقبل أسرته السياسي، وإلا فهو لم يسلم عند التحقيق، ولو لم يكن الحديث في معاوية صحيحاً عنده لما قام بتكليف عروة بقلب هذا الحديث من معاوية إلى خصمه الإمام علي عليه السلام، فهذه من القرائن التي يجب التأكيد عليها، أعني أن معاوية لدهائه ينقل الأحاديث التي في ذمه فيجعلها في خصمه.

والسلفي يؤمن بصحة الإسناد السابق إسناد عروة، ولا بد أن يختار إما أن يصدق بأن الإمام علي مات على غير الملة – نعوذ بالله من ذلك– أو يكون معاوية وحزبه من النواصب قد وضعوا هذا الحديث في مقابلة ومعارضة الحديث الذي يقول إن معاوية مات على غير الملة، وهنا يفترق المؤمن عن المنافق.

فأما عبدة الأسانيد والمذاهب والعصبيات الذين لا يعرفون المؤثرات السياسية على الحديث فهذا الإسناد عندهم أقوى من ذلك الإسناد في معاوية! وعلى هذا قد يصححونه في حق من يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ومن هو من النبي (ص) كهارون من موسى، وأما العقلاء الباحثون الذين يستطيعون التفريق بين الإمام علي ومعاوية، كما يفرقون بين موسى عليه السلام وفرعون، والذين يعرفون أثر معاوية وسيرته ودهائه ومكره الشديد الذي تكاد تزول منه الجبال، فهم يعلمون بسهولة أن هذا الحديث من إيحاء معاوية نتيجة أمره (لعروة) بعد استصناعه له ولغيره في بث الأحاديث في ذم الإمام علي، ولا أفضل عند معاوية من قلب مثالبه إلى علي، فهذا رمي لأكثر من عصفور بحجر واحد، وكذلك نقل فضائل علي إلى معاوية[98]، أو تشتيتها في صحابة

---

[98] ولذلك روى النواصب حديث (معاوية مني وأنا منه) معارضة للحديث الصحيح المرفوع في فضل علي (علي مني وأنا منه) رواه البخاري في الصحيح ورواه غيره. .

آخرين، فهذا عمل سياسي بامتياز، واستخدام الدين في تحطيم رموز الدين، حتى تتخلخل هذه البنية القوية من الدين والرموز الدينية معاً، تلك البنية المزعجة لكل ظالم، والمهددة لمستقبل كل طاغية، فدهاء معاوية هو الذي قاده إلى فك الارتباط بين الإسلام والرموز، وبين القرآن والحديث.. وهذا عمل الطغاة على مر التاريخ يضربون أتباع الدين بالدين حتى يطيع أهل الدين على مضض، أو يكره أهل الدين دينهم الذي يحتجون به على الظالم! لأنهم يرون في هذا الدين حامياً للظالم ومسوغاً له كل شيء، مع حرمانه لهم من كل حق.. الخ، وبهذا الفعل السلطاني يلحد من يلحد من المسلمين، ويشك من يشك، ويتعلمن من يتعلمن..الخ لماذا؟ لأن أهل السياسة استطاعوا أن يسخروا الدين وأهل الدين لمصالحهم وأن يقنعوا الناس بأن الدين في خدمة السلطان، فعندما يرى هؤلاء (المرتدين فيما بعد) أن المفتين والوعاظ والدعاة والفقهاء قد ساروا خلف هذا الطاغية أو ذاك، فقد يشكون في الإسلام ونبي الإسلام وكتاب الإسلام، فالذي يظن أن هؤلاء الفقهاء – من السلفية المحدثة خاصة– ممثلين شرعيين للدين سيظن أن الله مع الحاكم ظالماً أو مظلوماً، فيشك في وجود إله كهذا.. ولسان حالهم يقول (لا نريد إلهاً يقف خلف الظالم) ولو تأنوا وتدبروا كتاب ربهم لعرفوا أن الله أعلى وأجل وأعدل وأكمل من أن يقف هذا الموقف، وإنما الملعونون من السلاطين وعلمائهم وفقهاؤهم ومحدثوهم هم من أرادوا أن يجعلوا الله في هذا الموطن، لظلمهم أنفسهم، وجهلهم بالله، وغرورهم بالعاجلة، وهجرهم لكتاب الله وجهلهم لسنن الابتلاء، وكان الواجب على هؤلاء الملحدين أو الشاكين في الله أن ينصروا الله لينصرهم ويثبت أقدامهم، ويصدعوا بالحق الفطري الذي لا يتناقض مع الحق الشرعي، وليتدبروا كتاب الله، ويردوا على هؤلاء – المزورين للأحاديث والفتاوى– بكتاب الله وبالعقل الذي أودعه الله لهذا الإنسان، كان يستطيع هؤلاء أن ينصروا الله لينصرهم، أما أن يجبرهم هؤلاء على أمرين إما قبول الظلم أو رفض وجود الله، فهذان خياران جاهلان، والعلم يأتي مع الصدع بالحق الفطري والصبر عليه، وهذا سيقود إلى العلم الشرعي، وسيجمع بين ما

فرقه هؤلاء، وسيكتشف المسلم بعد طول بحث وجهاد فكري وقلبي إلى أن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وان الله لا يظلم الناس مثقال ذرة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وبهذه المبادئ كان يستطيع هذا الإنسان أن ينتصر على الظلم والظالمين، وينصر الله ورسوله، والنصر مع الصبر والصدع والشهادة لله، ولا يأتي النصر مع تولي الأدبار من أول جولة، فهؤلاء ليسوا جند الحقيقة ولا يستحقون منحهم الناصر والتوفيق.

إذن فإذا وجدنا إسناداً صحيحاً على شرط السلفية في ردة الإمام علي فهو دليل على أن السلفية متأثرة ببني أمية، وليس دليلاً على ردة الإمام علي، مثلما لو نجد إسناداً صحيحاً أن هارون عليه السلام خان موسى عليه السلام وعبد العجل فإن هذا الإسناد هو أولى بالتكذيب من الإيمان بردة هارون أو خيانته، ثم السلفية المحدثة لا تعبد الأسانيد عندما تحمل تلك الأسانيد ذم الظالمين، وإنما يعبدونها إذا تعلقت بنصرة المذهب وكبت الفرق المخالفة كالشيعة والمعتزلة وغيرهم من الخصوم، وهنا يفترق عبدة المذهب عن أنصار الحقيقة.

والسلفية المحدثة بشقها القديم – أيام أحمد– كانت تعلم هذا الإسناد ومضمونه لكنها تكتم ذلك ولا يعجبها نشره –كما سيأتي–، حتى يبقى لها هؤلاء الرواة، عروة، الزهري، والرواة عن الزهري، .. فمعظم أحاديثهم من هذا الطريق.. والواجب أن نقرأ سير هؤلاء ونعرف ما أصابوا وما أخطؤوا، ما تلبسوا فيه بالمذهب وما افترقوا عنه، وأن نعرف قوة السلطة وأثرها في الرجال حتى أنهم قد يضعون مثل هذه المثالب الكبيرة في كبار الصحابة، كما أنهم قد يضعون الأحاديث المكذوبة في فضائل الظالمين.. هنا الدرس، وهنا يكون فضيلة الصدع بالحق المر، ولكن أين الشهداء لله؟ لن تجد أحداً إلا من رحم ربك... لكن إذا ناديتهم أين الشهداء

للمذهب والمدرسة والعقيدة؟ فسيضيق بهم التاريخ وكتب التراجم، وبهذا سقطت حضارتنا لأن الله لا ينصر الكذب وإن صال صولة.

وعلى كل حال فالسلفية المحدثة بشقها المعاصر – اليوم- لا تعلم هذه الأمور، لأنها منغلقة على نفسها، وإذا قرأ أحدهم هذا الكلام عند ابن أبي الحديد فسيظن بسهولة أن هذا الحديث من مفتريات المعتزلة، هكذا بكل سهولة، بلا معايير ولا تساؤل عن سبب الغبطة والثقة بهذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في المعتزلة أو غيرهم؟ إنه المذهب فقط! لكنهم لا يعرفون أنهم متمذهبون، ولا يعرفون سكرة المذهب، ولا يستيقظون إذا وجدوا مثل هذه الإيقاظات، . . . وحتى لا أطيل على القاريء الكريم فسأذكر له ما يدل على أن الإمام أحمد نفسه يعرف هذا الحديث وأنه من وضع عروة أو الزهري أو أحد تلاميذ الزهري.

فالآن خذوا المفاجأة من كتب السلفية المحدثة!

السلفية المحدثة تعلم هذه القصة وتتكتم عليها وتستمر في توثيق رواتها!

ففي السنة للخلال[99] – (3 / 505) : أخبرني محمد بن علي قال ثنا الأثرم قال سمعت أبا عبدالله وذكر له حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي في علي والعباس

وعقيل عن الزهري أن أبا بكر أمر خالدا في علي[100]!

[99] هو أبو بكر الخلال (310هـ) جامع علوم أحمد، وكتابه تم تحقيقه في رسالة دكتوراه (جامعة أم القرى بمكة.

[100] هذا مرسل، فالزهري لم يدرك القصة، ومضمون هذا الحديث أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد بقتل الإمام علي في صلاة الفجر، ثم ندم أبو بكر قبل أن يسلم فنادى: لا تفعل يا خالد ما أمرتك ثم تسلم التسليمتين، فانتبه علي إلى خالد وسأله

فقال أبو عبدالله كيف؟ فلم عرفها[101] فقال ما يعجبني أن تكتب هذه الأحاديث! قال المحقق: إسناد كلام أحمد صحيح.

التعليق:

هنا أحمد يعرف هذا الحديث المقلوب من معاوية في علي، وإنما لا يعجبه أن تكتب هذه الأحاديث! وكان الأولى به أن يتحقق من هذه الأحاديث المقلوبة، ويتخذ موقفاً مفصلياً، إما أن يكذب هؤلاء الرواة، أو يعرف أثر معاوية في الرواية، أو ليحكم على علي والعباس بالردة – إن استطاع-.

ونحن نؤمن أن الإمام أحمد لا يعتقد هذا ولا يصح عنده، ولذلك كان يجب عليه أن يخطو الخطوة التالية وهي أن يعرف من الذي افتراها وصرف ها إلى معنى مضاد؟ ومن له مصلحة في مثل هذا الوضع لمثل هذا الحديث أو صرفه عن معناه الأول؟ فإذا علم بذلك فهذه فائدة كبيرة إذ يستطيع أحمد أو غيره بعد هذا أن يتحفظ على كثير من أحاديث أؤلئك الرواة الذين رووا هذا الافتراء على النبي (ص)، أما أن يكون أحمد بهذا البرود الذي نراه في عبارته (لا يعجبني أن تكتب هذه الأحاديث) ! فهذا برود عجيب في موضوع لا يحتمل المصالحة مع رواته، فالناس لا يبحثون عن إعجاب أحمد من عدمه، فهو ليس نبياً حتى يكون إعجابه أو امتعاضه

فأقر، فأخذه علي وضرب به الأرض ففرق الناس بينهما . . في قصة معروفة عند خاصة من طلبة العلم (ومن أقر بصحتها من العلماء قالوا: هذه سيئة لم تتم) !، وعلى كل حال: فهذا وإن كان مرسلاً هنا إلا أن له شواهد خاصة (من رواية ابن عباس وقول خالد القسري ومرسل جعفر الصادق وغيرهم)، وله حواضن وقرائن، من اشتداد الخلاف بعد وفاة النبي (ص) بين الإمام علي ومن معه وأبي بكر والسلطة القائمة، وهو مما نحاول تجنبه لأن الموضوع لا يحتمل الاختصار، فإما أن يفصل الباحث ويذكر جميع الروايات والاحتمالات أو يسكت .

[101] العبارة غير مستقيمة وكأن الصواب (فلما عرفها) . .

حجة، وإعجابه ليس شرعاً حتى يخبرنا به، إنما هو حق وباطل، وتراكم معرفة، والحديث لا يخلو من أن يكون صحيحاً أو مكذوباً، فإن صح عنده فليقل به ولا يخشى لومة لائم، وإن كان عنده مكذوباً مفترى – كما نعتقد– فليبحث عن الذي افتراه، وليكن له موقف واضح جلي، أما هذه الضبابية والبرود في التعامل مع حديث كهذا فغير مقبول ولا ينم عن حب معرفة، تلك المعرفة الكاشفة للرجال والتاريخ التي تقود إلى معرفة أفضل للدين وهل يجوز ائتمان هؤلاء الرواة على السنة النبوية؟ أم لا بد من التيقظ لأحاديثهم والنظر في متونها واختبارها بالعرض على القرآن الكريم والأحاديث المتواترة والعقل وقطعيات التاريخ. .الخ.

فسامح الله الإمام أحمد كم هو بارد في المواطن الملتهبة، وكم هو حار في مناطق الصقيع، فإنني أجد له مواقف شديدة وواضحة عندما يمس أحد معاوية بسوء بينما لا نجد له هذا في المواطن التي يمس فيها الإمام علي بسوء، أكل هذا من سكرة الخصومة مع الشيعة والمعتزلة؟ فأين قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . .[النساء : 135]) ؟.

نموذج (2) : محاولة زيادة رواة مجهولين في الإسناد !

يظهر أن الحنابلة كانوا يعرفون هذا الحديث على وجهه الصحيح (في معاوية) ويتكتمون عليه، ولذلك نجد أحد الحنابلة يسأل الإمام أحمد عن الحديث – وكأنه يريد أن يجد عنده مخرجاً !– فتفاجأ ذلك السائل بأن الإمام أحمد يذكر له إسناداً آخر ويذكر بأن ذلك الإسناد هو الإسناد المعروف وليس الإسناد الذي ذكره السائل (مع أن الإسنادين كليهما معروفان) إلا أنه عندما اكتشف الحنابلة أن أحمد بذكره ذلك الإسناد لم يشفِ غليلهم وإنما زاد هذا الحديث قوة، وإنما شك في الصحابي الراوي (هل هو عبد الله بن عمرو أو عبد الله بن عمر) بقي الحنابلة ساكتين من أيام أحمد حتى أتى الخلال (الذي لم يدرك أحمد أصلاً) فأتى باختراع عجيب غريب، فقد زاد – أعني الخلال – راوياً مجهولاً ودسّه في إسناد عبد الرزاق، وذلك الراوي المدسوس أسماه (فرخاش) ! هكذا . . !

وهذا عجيب فرواة الحديث عن عبد الرزاق لم يذكروه، والخلال لم يدرك عبد الرزاق ولا الرواة عنه كأحمد وابن معين، فكان هذا الدس الحنبلي المتأخر – الذي لم يكن يعرفه أحمد – حلاً يؤجل الاحتجاج بالحديث في ذم معاوية إلى أن يجدوا له علة أخرى، ثم لما لم يجدوا حرفوا الحديث فيما بعد كما سيأتي.

أما إضافة فرخاش ففي المنتخب من علل الخلال – (ج 1 / ص 32):

(قال مهنا): وسألت أحمد، عن حديث شريك، عن ليث، عن طاوس، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يطلع عليكم رجل من أهل النار"، فطلع معاوية.

قال – أحمد – : إنما ابن طاوس، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو أو غيره، شك فيه.

قال الخلال: رواه عبدالرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، قال: سمعت فرخاش يحدث هذا الحديث عن أبي، عن عبدالله ابن عمرو اهـ.

وقد سبق نقد هذا الكلام بأنه لا يوجد راو في الدنيا اسمه فرخاش! ولم يدرك الخلال عبد الرزاق حتى يروي عنه أنه روى الحديث بهذا الإسناد..

و السند قد صح عن عبد الرزاق من معاصريه، ومن عبد الرزاق إلى عبد الله بن عمرو بسند صحيح رجاله معروفون ثقات، سمع بعضهم من بعض، وقد توبع كل رجال الإسناد كما سبق، ولم يذكر واحد منهم خرفاش ولا غيره.

محاولة (3): تحريف الحديث، بقلب (النار) إلى (الجنة)!

وهذه المحاولة كثفها النواصب وأكثروا من طرقها لعلها أسهل من قلب هذه المذمة في مثل علي بن أبي طالب، بعد أن استعصى عليهم اتهام الإمام علي بالموت على غير الملة أو أنه من أهل النار (وهذه عقيدة شامية قديمة)، فلم يستطع النواصب أن ينفذوا بها في المجتمع، فللكذب حدود! فآثروا نشر الحديث المحرف على الحديث المحوّل، أعني الحديث الذي يقلب لفظة واحدة في المتن، على الحديث المحول من معاوية إلى علي! وسيستغرب القاريء

كثرة هذه المحاولة في قلب الحديث إلى فضيلة لمعاوية، ولكن من يقرأ كتابات النواصب اليوم لا يستغرب فهم يسرقون الأفكار من بعضهم لدرجة أنك تظن أن الفكرة الفلانية إجماع عند السلف والخلف، ثم تكتشف عند البحث أن قائلها فلان فقط قبل ثلاثين أو عشرين سنة! فالنواصب يتدينون بالكذب من باب حماية العقيدة والدفاع عن الصحابة وإحسان الظن بهم . . . الخ، فهذه عناوينهم التي أباحوا لأنفسهم وضع الحديث، والغريب أن أهل الحديث يعرفون أن فلاناً يضع الحديث إلا أنهم يوثقونه إذا كان معهم داخل المذهب، كما فعلوا مع ابن أبي أويس وابن بطة والمعمري وثقات البغداديين (!)، وقد شرحنا هذا مراراً، ولعل البحث الأوسع والأكمل سيكون في بحث قادم بعنوان (غش أهل الحديث)[102] فقد وقفت على ما لا يمكن توقعه ولا صدوره من كبار أهل الحديث! ولولا عبادة الرأي العام والسائد وخشية الفراغ الحديثي لتقبل طلبة العلم الطيبين هذه الأمور بسهولة،

---

[102] ليس كل أهل الحديث . . ولكن العنوان هكذا . . فالعنوان يتحدث عن الغش الذي فعله بعض أهل الحديث وليس عن كل أهل الحديث، كما أن هؤلاء البعض لا يغشون إلا في أحاديث ذات موضوعات معينة، وليسوا غشاشين في أحاديث الموضوعات الأخرى التي ليس فيها خصومة، فسفيان بن عيينة مثلاً يعترف بأنه يحذف بعض الألفاظ حتى لا يحتج بها القدرية! ففي حديث (مسند الحميدي - (ج 1 / ص 9): (تَابِعْ مَا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّ مُتَابَعَةً بَيْنَهُمَا يَزِيدَانِ فِي الأَجَلِ وَيَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذنُوبَ كَمَا يَنْفِى الْكِيرُ الْخَبَثَ) فاللفظ (يزيدان في الأجل) عمل سفيان بن عيينة وزملائه على إخفائه عن العامة حتى لا يحتج بها القدرية وربما أسروا به إلى الخاصة، وقد اعترف سفيان بهذا ففي مسند الحميدي - (ج 1 / ص 10) قَالَ سُفْيَانُ وَرُبَّمَا سَكَتْنَا عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ "يَزِيدَانِ فِى الأَجَلِ" . فَلاَ نُحَدِّثُ بِهَا مَخَافَةَ أَنْ يَحْتَجَّ بِهَا هَؤُلاَءِ - يَعْنِى الْقَدَرِيَّةَ - وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا حُجَّةٌ) اهـ فهذا غش، وليس الدين ملك سفيان حتى يخفي ما يشاء ويظهر ما يشاء، والغريب أن الحديث قد اشتهر بدون هذه اللفظة التي كانوا يخفونها، فالحديث في الترمذي والنسائي وغيرهم بدونها (وهذه ليست من عمل الترمذي والنسائي فهما من اوثق أهل الحديث إنما من عمل جيل الرشيد) !، فمن المسئول عن هذا البتر؟ إنها الخصومة مع القدرية، فأصبح أهل الحديث يستخدمون الحديث إخفاءً ورواية بالمعنى تحريفاً من أجل نصرة المذهب، هذا مثال بسيط جداً وقد نقلت في كتابي (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) وكتاب حديث الدبيلة، وهذا الكتاب، أمثلة كثيرة وخطيرة فتأملوها، لتعرفوا أن من أمن التضعيف أساء الرواية.

وهذا سرد لمحاولات النواصب تحريف هذا الحديث، ولا نعد هذه التحريفات إلا من شواهد وقرائن صحة الحديث الأصلي عندهم.

قسم ثالث من تحريفات الحديث:

سبق أن ذكرنا القسمين الأولين، فالأول نقل الحديث من ذم معاوية إلى ذم الإمام علي والعباس، والثاني إضافة راوٍ اسمه (فرخاش) ! في الإسناد، وأما القسم الثالث فقد توسعوا فيه أكثر، وهو تحريف الحديث ونقله من ذم معاوية إلى مدح معاوية وفضله، بتغيير يسير، وهو تحريف النار إلى جنة! هكذا بكل سهولة! لينتقل معاوية من المبشرين بالنار إلى المبشرين بالجنة، وهذه روايات هذا القسم من التحريف.

الرواية الأولى: رواية مظفر بن مرجي الشامي

كأن الحديث اشتهر فلجأ بعض النواصب إلى تغيير كلمة في المتن بحيث يتحول من النار إلى الجنة، وقد احتفل الحنابلة المتأخرون بهذا الحديث بعد أن كان أوائلهم محرجين من الحديث الأصلي كما في رواية مهنا عن أحمد (عند الخلال) . . والذي قام بتحريف الحديث اثنان من النواصب المتهمين بوضع الحديث، أحدهما اسمه مظفر بن مرجيء، والثاني عبد العزيز بن بحر فقد كان كذاباً يضع الحديث باعترافهم إلا أنهم لا يقولون عن الناصبي ناصبي، بينما من يروي في مثالب معاوية يطلقون عنه (شيعي، رافضي) حتى ولو لم يكن شيعياً . . وهذه سياسة ترهيب فكري مذهبي فتدبروا هذا جيداً . .

أما قلب النار إلى جنة فقد قام به مظفر بن مرجي على الراجح، ففي ففي أنساب الأشراف - (ج 2 / ص 120): حدثني مظفر بن مرجى[103] حدثني هشام بن عمار[104] حدثنا عبد العزيز بن السائب[105] عن أبيه[106] عن

---

103 شامي مجهول ستأتي ترجمته موسعة . .

104 هشام بن عمار الدمشقي (245هـ): شامي أيضاً ستأتي ترجمته ! .

105 عبد العزيز بن السائب: مجهول، وستأتي ترجمته .

ابن عمر قال: كنت جالساً عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (الآن يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فطلع معاوية، فقلت: هو هذا ؟ قال: نعم هو هذا .

التعليق:

هذا إسناد شامي فيه عدة مجاهيل، ويريد الالتفاف على الحديث ذي الإسناد الصحيح، ربما بعد أن وصلهم هذا الحديث وعجزوا عن دفعه، اخترعوا هذه المعارضة.. فمظفر بن مرجى ليس له إلا هذا الحديث.. والمتوكل قد هذا الإسناد ربما ليتقي شر المتوكل العباسي فقد كان نديمه وكان ناصبياً كبيراً، أو لتجنب شر العامة، ثم أتى بعده بالأحاديث ذات الأسانيد القوية بأن معاوية يموت على غير الملة، وأنا أعد هذه المعارضة المكذوبة من دلائل صحة حديث الأصل وهو (يموت معاوية على غير ملتي) ولولا صحته عند النواصب لما وضعوا ما يقابله.. وليس هذا أول حديث يقابلونه أو يفسدونه بل فعلوا هذا في كل الأحاديث التي تلحق معاوية بالذم، والنواصب من القرن الأول إلى اليوم ما زالوا يعدّلون ويخترعون التأويلات..كالشيطان تماماً.. فهو مع أول ما طرده الله إلى اليوم وهو يقابل الشيء بالشيء، ويرد الحجة بالشبهة والبرهان بالإهمال فإن لم يستطع فالإفساد.. الخ هذه طرق شيطانية معروفة.. وكيد الشيطان وأنصاره كيد واسع ومتنوع ويأتي الإنسان من كل مكان للتشويش على الحقيقة.

(للتوسع في تراجم رجال هذا الإسناد = انظر الملحق)

---

106 اسمه السائب حسب رواية مظفر بن مرجي: وهو مجهول أيضاً وستأتي ترجمته (ومع كثرة المجهولين تكشف لنا الأحاديث في فضائل معاوية عن ذلك الجهاز السري الذي أنشأه معاوية واستمر بعده عصبية، وملامح هذا الجهاز وأشخاصه وعقائده، وهذا يحتاج إلى بحث معقد وكبير وسيكون أبرز الاكتشافات العلمية التي تخدم التراث والتاريخ.

والخلاصة في معارضة مظفر بن مرجي:

بناء على ما تقدم فكل هذه المحاولات لصرف الحديث عن مراد النبي (ص) لا نعدها إلا من قرائن صحة الحديث الأصلي، وهو حديث الباب وهو حديث (معاوية يموت على غير ملتي) لأن النواصب من أهل الشام عملوا كل هذه العمليات الوضعية في الإسناد والمتن وعن ابن عمر نفسه! ليعارضوا ما صح عن ابن عمر في الرواية الصحيحة الإسناد، بل شوشوا على توبة ابن عمر وندمه على تخلفه عن الإمام علي ليبقوا ابن عمر في صفهم، وأنه لا يمكن أن يروي مثل هذه الأحاديث لأنه بايع لمعاوية ولابنه يزيد ولأنه ولأنه.. وينسون أن مقتل الحسين وأهل بيته ووقعة الحرة ومآسيها وصلب ابن الزبير وهدم الكعبة.. الخ كل هذه الأمور ستدفع ابن عمر للمراجعة لأنه يعود إلى صلاح في الأصل، وقد حفظ عنه التاريخ مواقف مشرفة في آخر عمره، مما دعا الحجاج إلى اغتياله.

الرواية الثانية : معارضة عبد العزيز بن بحر

في الشريعة للآجري - (ج 5 / ص 135)

حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية[107] قال : حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، والحسن بن إسحاق بن يزيد قالا[108] : حدثنا عبد العزيز بن بحر القرشي[109] قال : حدثنا إسماعيل بن عياش[110]، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[111]، عن أبيه[112]، عن ابن عمر قال :

---

107 عبد الله بن محمد بن ناجية، ثقة مات سنة (301هـ) من أقدم شيوخه ابن أبي شيبة، وعنه الآجري وطبقته.

108 أحمد بن إبراهيم الدورقي (252هـ) وحده ثقة فلا نضطر للبحث عن توثيق المتابع له..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يطلع عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة » . فطلع معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك! ثم قال من الغد مثل ذلك ! فطلع معاوية ! فقال رجل : يا رسول الله هو هذا ؟ قال : « نعم هو ذا »اهـ

قلت: هذا الحديث من قرائن صحة الحديث الأصل، وأما الحديث بهذه الصياغة فهو من وضع النواصب، فعبد العزيز بن بجر القرشي، هو المتهم بوضع هذا الحديث، فقد كان كذاباً وهو عندهم متروك، وقد زعم في حديثه هذا أن معاوية سيزاحم النبي (ص) على باب الجنة! ولكن بعض النواصب استحى ولم يكمل الحديث، وقاله بتمامه من لا يستحي منهم، وقد ترجم ابن حجر في لسان الميزان لابن بجر هذا فقال : (لسان الميزان - (ج 2 / ص 115): عبد العزيز بن بجر المروزي عن إسماعيل بن عياش بخبر باطل (قلت: هو الحديث نفسه!) وقد طعن فيه قال عباس الدوري واللفظ له وعبد الله بن أحمد وغيرهما قالوا: حدثنا عبد العزيز بن بجر حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابنعمر رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية فقال أنت مني يا معاوية وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه انتهى وقال بن عدي في ترجمة عبد العزيز بن

---

109 عبد العزيز بن بجر القرشي، هو المتهم بوضع الحديث وسيأتي موسعاً !

110 إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي . . صدوق مخلط وهو ناصبي عند التحقيق وسيأتي .

111 عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، مختلف فيه، وبعضهم يتهمه بمثل هذه الأحاديث سيأتي . .

112 عبد الله بن دينار هذا ثقة عندهم، ولكن لم يصح إليه، وهو من آخر من روى عن ابن عمر مات سنة 127هـ، وفي تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 302) عبد الله بن دينار العدوي مولاهم أبو عبد الرحمن المدني مولى ابن عمر ثقة من الرابعة مات سنة سبع وعشرين ع اهـ

يحيى المدني، عبد العزيز بن بحر ليس بمعروف)، قلت: ومن مكر هذا الراوي أنه يروي بعض الآثار عن أهل البيت وفي ذم الكذب أيضاً !

وإسماعيل بن عياش محدث شامي فيه كلام، ففي تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 109): إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي بالنون أبو عتبة الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم من الثامنة مات سنة إحدى أو اثنتين وثمانين وله بضع وسبعون سنة ي 4 / قلت: وفي ترجمته ما يدل على ضعفه، فقد جاء في أقوالهم أنه مخلط عن غير أهل الشام، وهذه منها، وقولهم إنه أروى الناس عن الكذابين وأنه لا يدري ما يخرج من رأسه.. الخ وفي (تهذيب التهذيب - (ج 1 / ص 282): قال ابن عدي إذا روى عن الحجازيين فلا يخلو من غلط أما أن يكون حديثا برأسه أو مرسلا يوصله أو موقوفا يرفعه وحديثه) قلت: وهذه من روايته عن الحجازيين، وقال ابن حبان (تهذيب التهذيب - (ج 1 / ص 283):.. لما كبر تغير حفظه فما حفظ في صباه وحداثته أتى به على جهته وما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه وادخل الإسناد في الإسناد والزق المتن بالمتن وهو لا يعلم فمن كان هذا نعته حتى صار الخطأ في حديثه يكثر خرج عن حد الاحتجاج به).

وأما عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار فهو ضعيف عند التحقيق، ففي تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 344) : عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار مولى بن عمر صدوق يخطىء من السابعة خ د ت س اهـ، وهذه خلاصة أقوال أهل الجرح والتعديل فيه ففي (تهذيب التهذيب - (ج 6 / ص 187): قال الدوري عن ابنمعين في حديثه عندي ضعف، وقد حدث عنه يحيى القطان وحسبته أن يحدث عنه يحيى وقال عمرو بن علي لم أسمع عبد الرحمن يحدث عنه بشيء قط، وقال أبو حاتم فيه لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال بن عدي

وبعض ما يرويه منكر لا يتابع عليه وهو في جملة من يكتب حديثه من الضعفاء، قلت (ابن حجر): وقال السلمي عن الدارقطني خالف فيه البخاري الناس وليس بمتروك، وقال الحاكم عن الدارقطني إنما حدث بأحاديث يسيرة، وقال أبو القاسم البغوي هو صالح الحديث، وقال الحربي غيره أوثق منه، وقال بن خلفون سئل عنه علي بن المديني فقال صدوق) / ومن أحاديثه المتفقة مع السياسة الأموية ما رواه البخاري (صحيح البخاري - (ج 1 / ص 246): حدثنا الفضل بن سهل قال حدثنا موسى بن الحسن الأشيب قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة : : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (يصلون لكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطؤوا فلكم وعليهم)) اهـ يعني الأمراء ! وروى البخاري من أحاديثه (ما شبعنا حتى فتحنا خيبر) ! وهذا فيه مافيه.. وهو الراوي (كذراع الجبار) في التجسيم، وهو في مسند أحمد،، ولكن له أحاديث أخرى مستقيمة، مثل تعس عبد الدينار، وحديث أهل الكساء (من طريق أم سلمة) ونحو ذلك.. وهو قليل الحديث ومختلف فيه، والغريب إكثار البخاري عنه، فقد روى عنه نحو عشرة أحاديث. والذنب في هذا الحديث ليس ذنبه، وإنما ذنب المتأخرين من النواصب.

أما بقية الرواة فموثقون وقد سبقوا في الهامش باختصار.

استطراد :

في مزاحمة معاوية للنبي (ص) ! بالسند نفسه مع لفظ مختلف !

في شريعة الآجري ((ج 5 / ص 136))

قال: وأنبأنا ابن ناجية قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم، والحسن بن إسحاق قالا : حدثنا عبد العزيز بن بحر قال : حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية : « يا معاوية، أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تليها اهـ

التعليق:

فهذا الحديث الذي وضعه النواصب فيه غض من مقام النبوة أولاً، وهذا هو الأخطر، إذ كيف يطاوع النواصب أنفسهم على رواية مثل هذا الحديث إن لم يكن فيهم نفاق، وثانياً: هذه معارضة فجة لحديث في فضل علي (أنت مني وأنا منك) = في صحيح البخاري وغيره، فابن بحر هنا يريد إبطال هذا الاختصاص لعلي وقلبه إلى معاوية، والنواصب هكذا لا يرضون أن يختص علي بشيء إلا ويفرق في غيره حتى لو جعلوه في مثل معاوية، بل هم إلى اليوم يرون أن كل عيب ونقيصة في معاوية فلا بد أن يكون في علي! وهل بعد هذا النصب نصب؟[113].

---

[113] كما يقر صالح الفوزان في تقريظه لكتاب أحد صغار النواصب النجديين في هذا العصر، وهو (سليمان الخرا شي) كما في كتابه : ابن تيمية لم يكن ناصبياً - (ج 1 / ص 70) إذ يقرر المؤلف السفيه والشيخ (أن جميع ما يقولونه – يعني الشيعة– في عثمان أو معاوية هو لازم لعلي، لا مناص من ذلك) ! وكلمة (أو) للتخيير، يعني أن جميع ما يقوله الشيعة حتى في معاوية فإنه يلزم علياً . . فإذا أخذنا أقوال أهل السنة – دعك من الشيعة بطوائفهم– فهذا يعني أن علياً هو رأس الفئة الباغية ومن الدعاة إلى النار وأنه من الطلقاء وأنه ليس من أهل البيت وأنه ليس زوج فاطمة ولا أباً للحسن والحسين ولا حضر بدراً ولا أحد ولا الخندق وأنه كان يحارب النبي (ص) في هذه المدة كلها، وأنه أسس للملاك العضوض، وأنه سب أهل بدر على المنابر وأنه يتاجر في الخمر ويتعامل بالربا ويطرد أهل بدر من مملكته ووصى لفاسق. .الخ

وفي مزاحمة معاوية للنبي (ص) !

يجب أن نؤكد عليه ولا ننساه هو استهتار بمعاوية بالنبي (ص) وأنه لا يراه نبياً وأنه لا يؤمن بجنة ولا نار كوالده، وإلا لما سخر من النبي (ص) بهذه الأحاديث (فهو المسئول عنها) ونؤكد أن أشنع هذه الألفاظ كلها ما ورد في مزاحمة معاوية للنبي (ص) على باب الجنة! فهذا انتقاص من النبوة وحط من مقام النبي (ص)، ولو كان الحديث في أبي بكر أو عمر أو علي أو أبي ذر لكان منكراً فكيف بمعاوية؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم، معاذ الله أن يزاحم دعاة النار أنبياء الله.. بل هذه منزلة لا يزاحم فيها أحد الأنبياء لا الصديقون ولا الشهداء.. فلا بارك الله في النواصب ما أكذبهم وما أجرأهم على مقامات الأنبياء والمرسلين، وعجبي من غلاة السلفية (المتلبسين بالنصب) أنهم ينكرون على الشيعة الحط على أبي بكر وعمر، ولا ينكرون على من يحط على الأنبياء والمرسلين؟ فهذا الحديث – وأمثاله كثير- فيها حط من مقام النبي (ص) وجميع الأنبياء.. ولكن هؤلاء مشغولون بالدفاع عن الظالمين وليس متفرغين للدفاع عن المرسلين ! .

والحديث ورد في كثير من كتب الموضوعات وكتب ضعفاء الرواة [114]، إلا أن ابن عساكر أطال في طرق الموضوعة مع استرخاء وتساهل شديد، من تكثير طرق الحديث الواحد، إلى خفة الحكم على الإسناد، من

إذا كان هذا رأي أهل السنة في معاوية وأن هذه العظائم لازمة في علي لا مناص له من وقوعها في حقه؟ فكيف بما يقول الشيعة من إجماعهم على تكفير معاوية وأنه في الدرك الأسفل من النار؟ أنا لا أعاتب الخرا شي في هذا فإنه (الأنوك الأحمق الجاهل) وإنما العتب بل الإنكار الشديد يقع على عضو هيئة كبار العلماء صالح الفوزان، فكان يجب أن ينكر هذا النصب، وإن لم يره نصباً فهو ناصبي، وأنا أعرف أن في الشيخ نصباً ولكن لم أظنه بهذه الفجاجة والقبح.

[114] منها في حلية الأولياء – (ج 10 / ص 393) والعلل المتناهية – (ج 1 / ص 278) من الطريق نفسه:روى من طريق عبدالله بن يحيى المؤدب (إنما هو عبد العزيز بن بحر المؤدب) عن اسماعيل بن عياش عن عبدالرحمن بن

دينار عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الآن يطلع عليكم رجل من اهل الجنة فطلع معاوية/ وهو في تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني- (ج 2 / ص 19) حديث ابن عمر قال رسول الله يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية فقال رجل يا رسول الله هذا هو قال هذا هو ثم قال أنت مني يا معاوية وأنا منك ولتزاحمني على باب الجنة كهاتين السبابة والوسطى (مى) و (ابن الجوزي) في الواهيات/ وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار لا يحتج به وعنه إسماعيل بن عياش كثر الخطأ في حديثه وهو لا يعلم فخرج عن حد الاحتجاج به و عنه عبد العزيز بن يحيى المروزي قال الذهبي في الميزان مجهول فكأنه سرقه فإنه ليس بصحيح (قلت) وافق الذهبي في الواهيات على جهالة عبد العزيز ووصفه بالمؤدب ثم قال إن عباسا الدوري رواه عن عبد العزيز بن بحر يعني الذي والده بالموحدة والراء في آخره وقال مشهور وما رأيت أحد ضعفه بل إسماعيل صاحب عجائب عن الحجازيين انتهى وناقض ذلك في الميزان فقال عبد العزيز بن بحر المروزي عن إسماعيل بن عياش بخبر باطل وقد طعن فيه انتهى والله أعلم / وفي وهو في لسان الميزان - (ج 1 / ص 291): الحسن بن شبيب المكتب: عن هشيم وغيره. قال ابن عدي: حدث بالبواطيل عن الثقات . . - وذكر من حديثه- . وحدثنا أحمد بن الحسين الصوفي حدثنا محمد ابن قدامة الجوهري حدثنا عبد الله بن يحيى عن المؤدب عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: " يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية " فالمؤدب مجهول فكأنه سرقه فإنه ليس بصحيح اهـ / ولأجل هذا التحريف كان ابن بحر من الضعفاء، ففي لسان الميزان - (ج 2 / ص 115): عبد العزيز بن بحر المروزي عن إسماعيل بن عياش بخبر باطل وقد طعن فيه عباس الدوري واللفظ له وعبد الله بن أحمد وغيرهما قالوا حدثنا عبد العزيز بن بحر حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية فقال أنت مني يا معاوية وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه انتهى وقال بن عدي في ترجمة عبد العزيز بن يحيى المدني عبد العزيز بن بحر ليس بمعروف/ وقبل ذلك في ميزان الاعتدال - (ج 1 / ص 495) سرقة الحديث:الحسن بن شبيب

قوله (هذا منقطع، وهذا مرسل . .الخ) وكأن الحديث قد يصح بالشواهد وكثرة الأسانيد ! مع إهمال نكارة الحديث بل ودلالة الحديث على أن النواصب لا يخشون الله، بل يحطون من مقام النبي (ص) في سبيل رفعة خسيسة معاوية، وهذا نفاق إن كانوا يعون ما يروون، وإلا بعض الرواة أحمق فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

استطراد: نقد طريقة ابن عساكر في التساهل في فضائل معاوية:

المكتب عن هشيم وغيره قال ابن عدى: حدث بالبواطيل عن الثقات، حدثنا عبدالله بن محمد بن ياسين، حدثنا الحسن بن شبيب، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر - مرفوعا: ليلين بعض مدائن الشام رجل عزيز منيع [هو مني وأنا منه، فقال رجل: من هو رسول الله ؟ فقال بقضيب كان في يده في قفا معاوية]: هو هذا، وحدثنا أحمد بن الحسين الصوفى، حدثنا محمد بن قدامة الجوهرى، حدثنا عبدالله ابن يحيى المؤدب، عن إسماعيل بن عياش، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر - مرفوعا: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية، فالمؤدب مجهول، فكأنه سرقه، فإنه ليس بصحيح. . . الخ، / ثم قال ابن عساكر تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 99) عن هذا الحديث: قال الخطيب عبد العزيز بن بحر، ضعيف ومن دونه مجهولون / وفي وفي تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 100): من طريق ابن عدي نا عبد الله بن بحر المؤدب عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية قال ابن عدي وهذا أيضا منكر اهـ، والقول بأنه منكر من كلام ابن عدي. . أما ابن عساكر - فهو كسائر الشاميين — مسترخٍ تماماً مع هذه الأباطيل، ويكتفي بالقول : هذا منقطع، وهذا لم يثبت. .الخ. ونحو هذه الأحكام المخففة التي توحي بأن الحديث يمكن أن يصح ! .

وقد انتقد النواصب – فضلاً عن غيرهم- تكثير ابن عساكر للأحاديث الموضوعة في فضل معاوية، ففي ترجمة معاوية في سير أعلام النبلاء - (5 / 123) قال: (وَقَدْ سَاقَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي التَّرْجَمَةِ – ترجمة معاوية- أَحَادِيْثَ وَاهِيَةً وَبَاطِلَةً، طَوَّلَ بِهَا جِداً) ! هكذا قال الذهبي مع أن الذهبي نفسه تساهل مع كثير من هذه الأباطيل والواهيات وكان حكمه عليها مخففاً . . ومعاوية لم يصح في فضله حديث أصلاً بل صرح إسحاق بن راهويه بأن كل ما روي في فضل معاوية فهو كذب، بل حتى ابن القيم في المنار المنيف رأى أن كل حديث في معاوية فهو كذب، ونحن معه بأن كل ما ورد في فضله فهو مكذوب على رسول الله (ص)، أما ما ورد في ذمه فلا يستطيع أحد أن يضعفها كلها ، فبعضها متواتر أصلاً كحديث الفئة الباغية .

الرواية الثالثة: رواية الخبائري:

ثم قال ابن عساكر تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 99) : وقد رواه أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم البسري[115] عن سليمان بن سلمة الخبائري[116] عن ابن عباس بإسناده نحوه اهـ .

(أي نحو الحديث السابق – في مزاحمة معاوية- ولم ينقل لفظه) .

التعليق:

115 أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن بكار بن عبد الملك بن الوليد بن بسر بن أرطاة، القرشي العامري، أبو عبد الملك البسري الدمشقي (289هـ): فجده هو السفاح المتهتك بسر بن أبي أرطأة صاحب معاوية، وزعيم يوم العورة، وذابح الأطفال، وسابي النساء المسلمات، فلا ينتظر منه إلا الترويج لمعاوية بالأحاديث الموضوعة، وفي تبصير المنتبه بتحرير المشتبه - (ج 1 / ص 38): البُسري: جماعة من ولد بُسر بن أرطأة منهم أحمد بن إبراهيم أبو عبد الملك البُسْري اهـ ولم يذكر ابن عساكر إسناده إلى البسري، والإسناد شامي ناصبي، وقد وثقه بعضهم، ولكن البلاء الأكبر في شيخه الخبائري.

116 الخبائري كذاب يضع الحديث ولم يدرك ابن عباس، وسيأتي . .

سليمان بن سلمة الخبائري، شامي حمصي كذاب يضع الحديث ولم يدرك ابن عباس ولا تلامذته ولا من روى عنهم! إنما هو يروي عن الوليد بن مسلم وطبقته.. والعجب من ابن عساكر كيف لا يتعقب هذا الحديث، مع أن الخبائري هذا حمصي كذاب وضاع مشهور بذلك وهو من طبقة ابن بحر، وكذلك المؤدب، وثلاثتهم متعاصرون نواصب متهمون بالكذب، فلعلهم تواطؤوا على هذا أو سرق بعضهم هذا الحديث من بعض،..

وهذه ترجمة الخبائري في الميزان للذهبي وتبعه ابن حجر في لسان الميزان - (ج 1 / ص 456) سليمان بن سلمة الخبائري أبو أيوب الحمصي: عن إسماعيل وبقية وعنه علي بن الحسين بن الجنيد وجماعة وسمع منه أبو حاتم وما حدث عنه وقال متروك لا يشتغل به وقال بن الجنيد كان يكذب ولا أحدث عنه بعد هذا وقال النسائي ليس بشيء وقال بن عدي له غير حديث منكر وحدثنا عنه الباغندي وغيره فمن بلاياه قال: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا رباح بن زيد عن معمر عن الزهري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً قال: لما كلم الله موسى كان جبرائيل يأتيه بحلتين من حلل الجنة وبكرسي مرصع بالجوهر فيجلس موسى عليه، وقال الحسين بن إسحاق الدقيقي حدثنا أبو أيوب الخبائري حدثنا سعيد بن موسى الأزدي حدثنا مالك عن نافع عن ابنعمر رضي الله عنه مرفوعاً هدية الله إلى المؤمن السائل على باب داره قال الخطيب سعيد مجهول والخبائري مشهور بالضعف قلت – الذهبي-: هذا موضوع على مالك وسمع منه الباغندي حديثاً فأنكره عليه وهو حدثنا بقية حدثنا مالك أخبرني الزهري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً العبادة انتظار الفرج من الله انتهى. قال ابن حجر: ومضى له ذكر في ترجمة الحسن بن أحمد بن المبارك الطوسي اهـ

قلت: وذكروا مجموعة الأحاديث الأعاجيب والبلايا والدواهي[117] . . ولا داهية ولا بلية أعظم وأسوأ وأخبث من وضع الأحاديث التي تفيد بأن دعاة النار يزاحمون الأنبياء على أبواب الجنة!

وأنا أعجب من برود أهل الحديث في تتبع النواصب وبيان كذبهم وإهمالهم، بينما يفتحون العيون والآذان والأنوف على أدنى تشيع، مع أن النواصب من حيث الوجود في الزمن الأول هم أكثر بكثير من الشيعة، لأنهم كانوا شعباً كاملاً أيام بني أمية، ثم تتابع هذا الشعب وتوالد في عهد بني العباس، فإن العباسيين انشغلوا بآل علي وشيعتهم وتبعهم الشعب الأموي على ذلك، ونسي العباسيون بني أمية واقتنعوا بانفصال الأندلس، ووجدوا في العقائد الأموية كنزاً ثميناً من تشريع الأثرة والطاعة المطلقة وتضخيم السلطان والحمل على العامة والقول بالجبر والإرجاء واعتقاد النصب والزهد السلبي . .الخ، فهذه الكنوز الأموية تنبه لها الداهية العباسي أبو جعفر المنصور في أوائل الدولة العباسية فكرّسها وأغدق على أهل الحديث وحارب آل علي وأراد فرض الموطأ وسار على نهجه المهدي والهادي والرشيد والأمين، ثم انقلب المأمون على هذا المنهج على رأس المئتين، واستمر انقلاب المأمون نحو ثلاثين سنة، حتى جاء المتوكل بنصرة السلف العباسي والأموي لغرض سياسي فوجد الشعب الناصبي المتوالد والمتولد عن العهد الأموي فرصته وكان له رؤساء جهالاً فاستحكمت السلفية المحدثة برموزها الرافضة للعقل والمنطق والفلسفة والحقوق والهاجرة للقرآن الكريم. . والمقبلون على الروايات والأحاديث والتشدد في العقائد مع عبادة وزهد وورع في الصغائر. . فكانت غربة الدين التي استمرت إلى اليوم.

---

[117] والرجل ناصبي ظاهر النصب لكن أهل الحديث لا ينطقون هذه الكلمة إلا بصعوبة، وكأن حروف النون والصاد والباء ليست حروفاً عربية! وفي هذا الموطن فقط! فالكلمة ترهبهم قبل أن ينطقوها، حتى لو صرفوها إلى غير معناها، إلا أنهم يتجنبونها! والسبب في ذلك أن أكثر هؤلاء النقاد نواصب أصلاً، والمجنون لا يشعر أنه مجنون.

الرواية الرابعة: رواية عيسى بن عبد الله بن سليمان الأموي

في تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 100): أخبرناه أبو محمد طاهر بن سهل أنا أبو الحسن بن صصرى إجازة نا أبو منصور نا أبو القاسم نا إسحاق نا أبو القاسم عمران بن موسى بن فضالة الشعيري الموصلي بالموصل نا عيسى بن عبد الله بن سليمان[118] نا أبي[119] عن إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن

---

[118] عيسى بن عبد الله بن سليمان - وقد ينسب إلى جده - الأموي القرشي العسقلاني، ضعيف ناصبي سارق للأحاديث ومتهم بوضعها أيضاً، وهو من الرواة الذين اتفقوا على اختراع قصة الأسد الرسول! الذي أرسله الله - بإفكهم- إلى معاوية ليبشره بالجنة! وهو في تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 106) بسنده عن عيسى بن عبد الله بن سليمان نا نعيم بن حماد نا محمد بن حرب عن أبي بكر بن أبي مريم نا محمد بن زياد عن عوف بن مالك الأشجعي قال بينا أنا راقد في كنيسة يوحنا وهي يومئذ مسجد يصلى فيها إذ انتبهت من نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يدي فوثبت إلى سلاحي فقال الأسد مه إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها قلت ومن أرسلك قال الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة فقلت له ومن معاوية قال معاوية بن أبي سفيان اهـ !! اهـ وقد اتهم في مواضع بسرقة الحديث ففي الكامل لابن عدي - (ج 5 / ص 259) وقد سرقه عيسى بن عبد الله بن سليمان هذا اهـ وفي تنزيه الشريعة المرفوعة - (ج 1 / ص 94): عيسى بن عبد الله بن سليمان القرشى العسقلانى قال ابن عدى يسرق الحديث اهـ / وفي الفتاوى الحديثية للحويني - (ج 1 / ص 48)أخرجه ابنُ عدي (5/ 197) من طريق عيسى بن عبد الله بن سليمان القرشي العسقلاني، قال : ثنا يحيى بن عيسى به، قال ابنُ عدي : (وعيسى بن عبد الله ضعيفٌ يسرقُ الحديث، والضعفُ على حديثه بيّنٌ، وهذه الزيادة لا تعرفُ إلا لأبي حمزة السُّكري عن الأعمش، وقد جاء بها عيسى بن سليمان هذا عن يحيى بن عيسى عن الأعمش) اهـ وقال الذهبي في تاريخ تاريخ الإسلام للذهبي - (ج 5 / ص 9): عيسى بن عبد الله بن سليمان العسقلاني، نزيل بغداد، عن: الوليد بن مسلم، وضمرة بن ربيعة، وعنه: أبو عمر محمد بن يوسف القاضي، ومحمد بن مخلد، وزيد بن عبد العزيز الموصلي، وتمّام، وجماعة كثيرة، قال ابن عدي: ضعيف، يسرق الحديث اهـ/ وترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ترجمة مختصرة ضعيفة ولم يذكر هذه البلايا وكذلك فعل ابن عساكر في تاريخ دمشق، مع أن ابن عساكر استنكر بعض هذه البلايا في تاريخه ولم يوردها في ترجمته وهذا قصور شديد . . والأسوأ

أبيه عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يطلع عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة فطلع معاوية فلما كان من الغد قال مثل ذلك فطلع معاوية فقال رجل هو هذا يا رسول الله قال نعم هو هذا ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا معاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى !

الرواية الخامسة: رواة محمد بن مروان بن عمر الأموي

في تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 100)

وقد روي عن غير إسماعيل عن ابن دينار أخبرناه أبو بكر محمد بن محمد أنا أبو بكر محمد بن علي أنا أحمد بن عبد الله أنا أحمد بن أبي طالب[120] حدثني محمد بن مروان بن عمر[121] نا الحسن بن إسحاق بن يزيد

من هذا أن الدارقطني قد وثقه في سؤالات الحاكم إن كان هو المسئول عنه ! فإن فيه زيادة وهي (رغاث) في قوله (عيسى بن عبد الله بن سليمان رغاث) فإن كان غيره فهذا جيد، وإن كان هو فما أراه إلا جهلاً من الدارقطني بأحاديثه وعدم وقوفه عليها مع حفظه بعض أحاديثه المستقيمة ممن توبع عليها، وكما قلنا في أكثر من مناسبة بأن الكذاب إذا أراد أن يستر كذبه فإنه لا يكذب في كل أحاديثه، بل بعضها قد تكون صحيحة مشهورة بين الناس، فإذا سمعها منه الناس صدقوه في غيرها ! .

119 أبوه مجهول . .

120 تاريخ بغداد - (ج 4 / ص 315): احمد بن أبي طالب الكاتب واسمه على بن محمد بن احمد بن الجهم بن انبوس ويكنى احمد أبا جعفر سمع محمد بن جرير الطبري . . وعبد الله بن محمد البغوي وغيرهم حدثنا عنه . . ويقال كان في بعض كتبه بعض سماعاته محككا وروى بعض ما نقل عنه من نسخ طرية حدثني الحسن بن محمد الخلال وأحمد بن محمد العتيقي قالا سنة تسع وسبعين وثلاثمائة فيها توفى أبو جعفر بن أبى طالب الكاتب في شهر ربيع الأول حدثني الأزهري قال مات أبو جعفر بن أبى طالب الكاتب في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ومولده في شهر ربيع الأخر سنة إحدى

العطار[122] نا نوح بن يزيد المعلم[123] نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[124] عن أبيه عن ابن عمر قال كنت عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية ثم قال الغد مثل ذلك فطلع معاوية فقمت إليه فأقبلت بوجهه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت يا رسول الله هو هذا قال نعم يا معاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وقال بأصبعيه السبابة والوسطي يحركهما اهـ

وتسعين ومائتين وكان ثقة اهـ قلت: ما تحته خط هو عمل ثقات البغداديين كما قال ابن عدي، وعلى هذا لا نستغرب أن يقال ثقة ! فهو بغدادي ولأهل بغداد معاملة خاصة من البغداديين وغيرهم !

121 محمد بن مروان بن عمر السعيدي الأموي: هو أموي النسب والهوى، وهو ناصبي كثير الأخبار في معاوية، بل كل أخباره في تاريخ دمشق وهي بالعشرات ليست إلا أخبار معاوية، فلعله صنف فيه كتاباً، وقد روى أيضاً الموضوعات في فضل معاوية إما منه أو من غيره أو من تركيبه. . فهو يروي الاحتجاج بالقدر في أن معاوية أولى بالخلافة من علي ! وأن جبريل نقل الأمر الإلهي إلى النبي (ص) باستكتاب معاوية ! ونحو هذه العجائب ! .

122 العطار: سير أعلام النبلاء - (25 / 139) العَطَّارُ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ يَزِيْدَ، الشَّيْخُ، المُحَدِّثُ، الحجّةُ، أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ يَزِيْدَ البَغْدَادِيُّ العَطَّارُ. يَرْوِي عَنْ: عُمَرَ بنِ شَبِيْبٍ المُسْلِي، وَزَيْدِ بنِ الحُبَابِ، وَالحَسَنِ بنِ مُوْسَى الأَشْيَبِ، وَمُحَمَّدِ بنِ بُكَيْرٍ الحَضْرَمِيِّ، وَأَبِي نُعَيْمٍ، وَعِدَّةٍ، رَوَى عَنْهُ: مُحَمَّدُ بنُ مَخْلَدٍ، وَأَبُو العَبَّاسِ الأَصَمُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ الصَّفَّارُ، وَقَالَ الخَطِيْبُ: ثِقَةٌ، قَالَ ابْنُ قَانِعٍ: مَاتَ فِي صَفَرٍ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ. .

123 نوح بن يزيد بن سيار المعلم (المؤدب) البغدادي: من رواة (ما رأيت اسود من معاوية بعد رسول الله) ! ولم يرو – وفق تهذيب الكمال- إلا عن إبراهيم بن سعد ، لكنهم رووا عنه أحمد بن حنبل والذهلي وغيرهم ! وقد وثقوه رغم الهوى البين على رواياته، وكما قلنا مراراً أن أهل بغداد لا يبالون بتضعيف ضعفائهم، وإنما يضعفون من خالفهم في المذهب، هذا الذي هم عليه نهاية القرن الثالث (وهو إفراز للعهد المتوكلي) كما أن إفراز العهد السفياني كان في جملة من متوسطي ومتأخري التابعين، فلا يقبل لشيعي شهادة ولا ترد شهادة الناصبي (والوثائق السياسية في عمل معاوية وزرعه هذه العقيدة تحتاج إلى بحث مفرد ، فلها أبلغ الأثر على الحديث بجرحه وتعديله وانتقائه وبتره والزيادة فيه. .الخ)

124 عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، ضعيف سبقت ترجمته. .

التعليق:

الجماعة مصرون على قلب الحديث لصالح معاوية!

وقلب النار إلى جنة! هذا إصرار شعب من صنائع وإفرازات العهد الأموي.

بينما يروون في الطرف الآخر أن الذين بشرهم النبي بالنار هم علي والعباس –كما سبق- !

فالنواصب يعملون على الجهتين معاً . . ولا يستحون من تبرئة الظالم ولا من اتهام الصالح

ولا يجب أن نستغرب كثرة هؤلاء الوضاعين فقد كانت الدولة كلها للنواصب وكانت بأيديهم في معظم القرن الأول والثاني والثالث . . إلا فترات محدودة (عمر بن عبد العزيز والسفاح والمأمون) . .

في هذه القرون الثلاثة دونت الكتب واستقرت العقائد وبوبت الأبواب واستحكم الجهل واستبعد العقل والضمير، وتم حديد الموضوعات الكبرى التي لا علاقة لها بهدي القرآن ولا موضوعاته ولا رموز الإسلام. . وإنما لها علاقة بالسلطة[125].

والنصب فيروس إذا أصاب العقل عطّل جميع الأخلاق.

---

[125] لي بحث بعنوان (موضوعات السلطة وموضوعات القرآن الكريم) يشرح هذه الأمور، ولولا خشية الطول لنشرت البحث في الملحق، إلا أن خلاصته أن هناك موضوعات قرآنية لم تهتم بها السلطة وفقهاؤها ومحدثوها، كالعقل والعدل! وهناك موضوعات سلطوية ليس لها وجود في القرآن بالمعنى السلطاني كالطاعة المطلقة وتضخيم السلاطين ومعيار الكثرة والجبر والأرجاء . .الخ، وهناك موضوعات قرآنية العنوان سلطانية المحتوى، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالسلطة عملت على تفريغها من الداخل، وشرح هذا يطول، والبحث أصله محاضرة ألقيتها في رمضان 1431هـ .

الرواية السادسة: رواية السعدي الأموي:

تاريخ دمشق - (ج 59 / ص 101)

أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل أنا أبو الحسن بن صصرى إجازة نا أبو منصور نا أبو القاسم نا إسحاق نا عبيد الله بن الحسن بن خزيمة نا إبراهيم بن محمد بن الشافعي نا عمرو بن يحيى السعدي[126] عن جده يروي[127] إن النبي (صلى الله عليه وسلم) محمد المصطفى نبي الرحمة كان ذات يوم جالسا بين أصحابه إذ قال يدخل عليكم من باب المسجد في هذا اليوم رجل من أهل الجنة يفرحني الله به !

فقال أبو هريرة فتطاولت لها فإذا نحن بمعاوية بن أبي سفيان قد دخل !

فقلت يا رسول الله هذا هو؟

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) نعم يا أبا هريرة هو هو يقولها ثلاثا !

ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): يا أبا هريرة إن في جهنم كلابا زرق الأعين على أعرافها شعر كأمثال أذناب الخيل لو أذن الله تبارك وتعالى لكلب منها أن يبلغ السموات السبع في لقمة واحدة لهان ذلك عليه يسلط يوم القيامة على من لعن معاوية بن أبي سفيان هذا منقطع اهـ.

---

126 هو عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص السعدي (كما في التاريخ الصغير) والظاهر أنه (السعيدي).

127 واضح أنه يروي إشاعات بقيت عند بني أمية مما وضعه معاوية وحزبه، فالسعدي وجده من بني أمية، لكن جده لم يدرك النبي (ص) ولا جد جده، والسعدي يقول (يروى) فهذا مما توارثه بنو أمية من الأحاديث في معاوية، وهذا الحديث ليس منقطعاً فقط كما يقول ابن عساكر، وإنما معضل الإسناد موضوع المتن.

التعليق:

انظروا إلى هذه الحبكة الروائية! واعجبوا معي من برود ابن عساكر الشامي! (يقول : هذا منقطع) !

هكذا فقط! وكأنه لا علة فيه إلا الانقطاع! أما المتن فليس فيه ما يستنكر! وهذا أسلوب الشاميين مع فضائل معاوية فتنبهوا للأمر . .

ثم يورد ابن عساكر الإسناد بعد الإسناد! وكأن هذا الحديث قد يصح بالمتابعات والشواهد! فذكر لهذا الحديث الموضوع عدة أسانيد لا يخلو واحد منها من ناصبي أو متهم بالكذب ووضع الحديث، أو هما معاً، وكأن المشكلة مشكلة إسناد فقط، ولو كان ابن عساكر في عهد معاوية لربما وجد مئة إسناد! فيه مئة كذاب، فجهاز وضع الأحاديث في عهد معاوية كان ضخماً جداً، وكانت مهمة ذلك الجهاز تثبيت سلطة معاوية وأسرته إلى يوم القيامة، ولن يتم هذا إلا باختلاق الأحاديث في فضل معاوية وأسرته والسلطان. .الخ، واختلاق الأحاديث في ذم الإمام علي وتحقيره والحط من بني هاشم عامة حتى من النبي (ص) ولكن بطريقة أخفى وأدهى.

والأحاديث في الحط من مقام النبي (ص) تملأ الكتب الستة ولكن لا يدركها المغفلون. .

وقد بقيت الأحاديث الشامية في مثالب علي بصورة أوضح لتتناسب مع المرسوم السلطاني بلعنه على المنابر(وقد توسعت فيها في أبحاث أخرى، وقد سبق منها الحديث الذي يقلب هذا الحديث ويجعله في الإمام علي والعباس) ! ولكن السلفية المحدثة مثلما تبتر الأحاديث في ذم معاوية حتى لا يسقط هذا الرمز، فهم يخفون ما يتداولونه من ذم علي حتى لا يسقطون هم!

وسنكشف للقراء كل يوم في السلسلة من هذه الكتب، بأن النواصب والسلفية المحدثة كانوا رقيقين جداً لدرجة التجمد مع تلك الأحاديث في ذم علي وتلك الأخرى في فضائل معاوية التي تبدو عليها علامات الوضع بوضوح شديد، وقد ذكرنا في الكتب السابقة نماذج من مواقف الإمام أحمد والبخاري وابن تيمية وعبد المللك بن عمير وابن سيرين ويونس بن عبيد وأيوب السختياني وغيرهم كثير جداً، إلا أن أتباعهم قد اعتادوا على التبلد في هذه الأمور، فهم نتيجة من نتيجة من نتيجة، وإلا لماذا غربة الإسلام؟ .

السلفية المحدثة : تتبنى الحديث الموضوع وتهجر الحديث الصحيح.

السلفية المحدثة لأنها إنتاج أموي فهي لم تلتفت للأسانيد الصحيحة لحديث (يموت معاوية على غير ملتي) بينما أدخلت الحديث الموضوع المعارض له في عقائدها ! فأدخله الآجري الحنبلي في الشريعة (وقد سبق حديثه) وأدخله اللالكائي في كتاب سلفي من أشهر كتب السلفية المحدثة وهو :شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – (ج 6 / ص 348) فقال:

. . . . نا عبد العزيز بن يحيى المروزي[128]، سكن الدجيل، قال : نا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل عليكم

---

[128] هذا ابن بحر، وإنما هذا تصحيف أو تدليس، فالسند كله سبق . . وفيه ابن بحر ناصبي ويضع الحديث، وقد حذفت ما قبل ابن بحر من رجال إسناد اللالكائي لأن المتهم بالحديث بهذه الصياغة هو ابن بحر وسرقه منه بعض النواصب ونشروه وبثوه بين أهل الحديث وأهل الحديث أهل غفلة ينتشر بينهم الحديث الموضوع إذا وافق هواهم من تجسيم أو نصبن بينما هم يتوجسون من كل حديث في العدل أو العقل أو فضل أهل البيت أو تنزيه الله عن الحوادث. .الخ، فالمعيار في قبول الحديث أو رده هو المذهب أو بدع المذهب وخصوماته، فهذه البدع أقوى عندهم من كل شيء، وذلك قبلوا حديث (أن الله على هيئة شاب أمرد) لأنه يتفق مع عقائدهم في التجسيم وتشبيه الله بخلقه، بينما يحاربون كل حديث في التنزيه، بل إن التشبيه له محاربون داخل السلفية المحدثة كابن الجوزي وابن عقيل، أما النصب فهو مقبول إجماعاً، وخاصة موالاة ومحبة رأس النصب وهو معاوية، فهم مجانين معاوية بحق، وهو عجلهم الأكبر الذي تدور عليه عقائدهم في الجبر والنصب

من هذا الباب رجل من أهل الجنة » . فدخل معاوية، ثم قال من الغد ودخل معاوية، ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية، فقال رجل : يا رسول الله : هذا هو ؟ قال : « هذا هو » . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت مني يا معاوية وأنا منك، أنت تزاحمني على باب الجنة كهاتين » السبابة والوسطى قال : وجمعهما .

قلت: اللالكائي سلفي متعصب والنصب في عقيدته واضح لمن قرأ كتابه، وكتابه من مشكلي الفكر السلفي المحلي (في السعودية) ولذلك ترتفع حساسية أكثر طلبة العلم من أهل البيت ومن النبي (ص) نفسه (فكانوا ينهون عن إطرائه في مقررات التوحيد) ! بينما يحبون معاوية حباً جماً ! . . وهذه هي العقدة الأولى التي لو تخلص منها السلفيون لعرفوا الدين والدنيا .

التضعيف باستحياء من ابن الجوزي الحنبلي،

ابن الجوزي حنبلي (ت 597هـ) وهو حنبلي معتدل في العقائد، وفي يزيد بن معاوية فإنه يذمه وهو يستحق الذم، لكنه متعصب في معاوية وتعصبه في أمور، منها أن له موقفاً من حديث (عمار تقتله الفئة الباغية) ولم يورده في المنتظم ولا أعلم أنه يصححه مع تواتره، وهو شديد الحياء في تضعيف الأباطيل في مناقب معاوية، كما هو الحال عند ابن عساكر، فتراهم يقولون : هذا منقطع، وهذا مرسل، . . الخ، يعني بالشواهد قد يصح الحديث! والشواهد المقبولة ليس شهادة كاذب لكاذب وتوافقهم على محبة الظالمين والانحراف عن الصالحين، وإنما الحب الشرعي والنفور عن الظالمين والريب فيهم، ولكن حتى ننصف ابن الجوزي وابن عساكر فنحن لا نقول إن نصبهم كنصب ابن تيمية مثلاً، كلا. . فلهم محاسن وهم معتدلي القوم، إلا أنهم أخطر لكون نصبهم خفياً وليس ظاهراً كنصب ابن تيمية أو نصب الحجاج أو معاوية أو مروان أو نحوهم، كلا. . .

والتشبيه والانشغال بالصغائر واستنكار الحقوق ونصرة الظالمين. .الخ، وهم إلى اليوم من أحقد الناس على أهل العدل والعقل والحقوق ومن أنصرهم لأهل الظلم والتسلط والقتل.

وهذا تضعيف ابن الجوزي لحديث المقابلة المحوَّل من ذم معاوية إلى الثناء عليه. . وقد أحسن في تضعيفه رغم بروده، ففي العلل المتناهية لابن الجوزي – (ج 1 / ص 278): قال : (حديث يدل على انه من اهل الجنة[129] !

. . أنا ابو احمد بن عدي قال أنا احمد بن الحسين الصوفي قال أنا محمد بن قدامة الجوهري قال أنا عبدالله بن يحيى المؤدب[130] عن إسماعيل بن عياش عن عبدالرحمن بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية.

وقال: طريق آخر[131] . . ابن بطة قال أنا ابو علي اسماعيل بن محمد الصفار قال أنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا عبدالعزيز بن بحر المروزي قال أنا اسماعيل بن عياش الحمصي عن عبدالرحمن بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل عليكم من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية فقال رجل هذا هو قال هذا هو ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم انت مني يا معاوية وأنا منك[132] ! لتزاحمني على باب الجنة كهاتين السباحة والواسطي

---

129 يقصد من الأحاديث المعلولة، والأولى أن يورد هذه الأحاديث في الموضوعات له. . فهذا الحكم التخفيفي على هذه الأحاديث الفضائح بقية نصب في ابن الجوزي رحمه الله وسامحه. .

130 هو ابن بحر، ولكنهم يدلسونه. . أو أنه نفسه يغير اسمه كلما انتقل من بلد إلى بلد . . وهو كثير التنقل من الشام للبصرة لبغداد لخراسان للدجيل. .الخ، وبقية الإسناد سبق. . واضعفهم ابن دينار.

131 هو الطريق الأول نفسه، ولكنه من بقية النصب في ابن الجوزي، وهو طريق واحد جعله أربعة، وذكره في العلل لا في الموضوعات، وهذا استرخاء سلفي مع الموضوعات في فضائل معاوية، وتكثير الطرق مع كونه طريقاً واحداً أعجب، فابن بحر هو المؤدب نفسه –كما سيأتي وهو المتهم بوضعه، بل تغيير اسم المؤدب هذا وتدليسه اسمه بما يشعر بأنهما اثنان! هذا مكر إضافي. . والنواصب من أمكر الناس، ليس لذكاء منهم وإنما لأن إبليس يوحي إلى أوليائه. . وإبليس ذكي.

132 هذه لمعارضة الحديث في فضل علي (أنت مني وأنا منك) في صحيح البخاري وغيره، وهذه من خصائص علي التي لم يدركها أبو بكر وعمر فكيف بمعاوية؟ . . . لا إله إلا الله! . .

وقال: طريق ثالث . . . محمد بن قدامة الجوهري قال أنا عبدالعزيز بن بجر عن اسماعيل بن عياش عن عبدالرحمن بن دينار عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يطلع من هذا الفج رجل من اهل الجنة فطلع معاوية

وقال: طريق رابع[133] . . ابن بطة قال أنا احمد بن سليمان النجاد قال أنا عبدالله بن احمد بن حنبل قال أنا عبد العزيز بن بجر عن اسماعيل بن عياش عن عبدالرحمن بن دينار عن أبيه عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل عليكم رجل من أهل الجنة فدخل معاوية

وقال المؤلف – ابن الجوزي- هذا حديث لا يصح من جميع طرقه[134] وقد ذكرنا في الذي قبله أن عبد الرحمن لا يحتج به وأما عبدالله بن يحيى فمجهول وإسماعيل بن عياش ضعيف قال ابن حبان كثير الخطأ في حديثه وهو لا يعلم فخرج عن حد الاحتجاج به[135] اهـ

---

[133] هو الطريق الأول نفسه . . وفيه كذاب . .

[134] هو طريق واحد طريق ابن بجر فسامح الله ابن الجوزي، إن كانت غفلة إنها لشديدة، وإن كانت حيلة إنها لبليدة، فالطريق واحد هو طريق عبد العزيز بن بجر وهو ناصبي كذاب يضع الحديث . .

[135] والحديث من هذا الطريق في تنزيه الشريعة المرفوعة – (ج 2 / ص 19)

حديث ابن عمر قال رسول الله يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية فقال رجل يا رسول الله هذا هو قال هذا هو ثم قال أنت مني يا معاوية وأنا منك ولتزاحمني على باب الجنة كهاتين السبابة والوسطى (مى) و (ابن الجوزي) في الواهيات وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار لا يحتج به وعنه إسماعيل بن عياش كثر الخطأ في حديثه وهو لا يعلم فخرج عن حد الاحتجاج به و عنه عبد العزيز بن يحيى المروزي قال الذهبي في الميزان مجهول فكأنه سرقه فإنه ليس بصحيح/ (قلت - ابن عراق- : وافق الذهبي في الواهيات على جهالة عبد العزيز ووصفه بالمؤدب ثم قال إن عباسا الدوري رواه عن عبد العزيز بن بجر يعني الذي والده بالموحدة والراء في آخره وقال مشهور وما رأيت أحد ضعفه بل إسماعيل صاحب عجائب عن الحجازيين انتهى/ قال: وناقض ذلك في الميزان فقال عبد العزيز بن بجر المروزي عن إسماعيل بن عياش بخبر باطل وقد طعن فيه انتهى والله أعلم اهـ.

قلت: هو طريق واحد فيه كذاب وثلاثة ضعفاء! فكلام ابن الجوزي فيه حنبلية ظاهرة.. من حيث تكثير طرق! ومن حيث إيراد الحديث في العلل وليس في الموضوعات.

ونلحظ هنا اهتمام نواصب الحنابلة بهذا الحديث، فابن بطه وشيخه النجاد وشيخ شيخه عبد الله بن أحمد من نواصب الحنابلة، أخذوا هذا الحديث من ناصبي كذاب وهو ابن بحر.. وهذا هو الطبيعي في الحنبلية، فالسني في الحنبلية نادر، والمحب لآل محمد فيهم أندر، مثلما أن الناصبي في الشافعية أيضاً نادر.. وهو في الزيدية أندر! فالشافعية مع النبي (ص) وأهل البيت في الجملة، والحنابلة مع معاوية وآل أبي سفيان في الجملة.

والخلاصة:

أن هذه محاولات النواصب لمعارضة الحديث مرة بالتضعيف ومرة بزيادة رواة مجهولين وحشرهم في الأسانيد ومرة بوضع أحاديث مقابلة تجعل معاوية في الجنة.. كل هذا من دلائل صحة الحديث الأصلي في ذم معاوية، وأن بني أمية وعلمائهم وبذرتهم السلفية قد انزعجوا كثيراً من هذا الحديث الأصل، لأنه يقطع الطريق على أي أمل في دعوى توبته أو حسن إسلامه أو اجتهاده.. .الخ.

فلذلك كانت محاربتهم لهذا الحديث (يموت معاوية على غير ملتي) قوية جداً ومتعددة الوجوه كما رأيتم، فهناك حشد من النواصب كانوا مصرين على تحويل الوعيد بالنار إلى وعد بالجنة، مرة بالسرقة وأخرى بالوضع، وثالثة بتغيير الاسم الواحد إلى أكثر من اسم من باب تدليس الأسماء، وخامسة بإيهام الناس أن الطريق الواحد هو عدة طرق.. .الخ، ولكن رغم هذا لم يفلحوا، وبقي الحديث باطلاً عند أهل الحديث.

لماذا يصح الحديث في ذم معاوية ولا يصح الحديث في فضله؟

لأن الإسانيد في ذمه صحيحة والحسنة ليس فيها متهم، بينما الأسانيد في فضله ضعيفة جداً ولا يخلو إسناد من متهم.

ولأن الحواضن القرآنية والحديثية والتاريخية تدعم الذم لا المدح.

ولأن الظروف السياسية والمذهبية لوصول الصحيح صعبة بينما ظروف وصول الضعيف والموضوع ميسرة.

ولأن المعنى الصحيح حاصل بدون هذا الحديث من سوء سيرة معاوية، بينما المعنى الباطل من كونه من المبشرين بالجنة معلوم لكل المسلمين إلا جاهل أو منافق.

لأجل هذا ونحوه نصحح الحديث في ذم معاوية وموته على غير الملة ولا نصحح مزاحمته للنبي (ص) على باب الجنة.

قد يقول قائل: ألا يكفي الحل الوسط، وهو أن نقول إن معاوية لا يصح فيه موته على غير الإسلام ولا أنه مبشر بالجنة، فهو صحابي وله حسناته وسيئاته والله الموعد.

نقول: ليس حوارنا مع أصحاب هذا الخطاب من معتدلي السلفية، وإنما هذا الكتاب مخصص في الحوار مع غلاة معاوية ومجانينه، الذين صححوا الموضوعات في فضله، ومنعوا من وصفه بالبغي والدعوة إلى النار والملك العضوض وتبديل السنة والتحايل على المسلمين، فهؤلاء إذا أتونا بحديث ضعيف في فضله أتيناهم بحديث أصح منه إسناداً في موته على غير الملة وكونه من أئمة الدعوة إلى النار.

وإذا قالوا: نحن ننظر للمتن فما يوافق سيرة معاوية أخذنا به، وما يخالفها تركناه.

قلنا: هذه دعوتنا الأولى، فاعرفوا سيرة معاوية جيداً ثم افعلوا ما شئتم، فمشكلتنا معكم إنما هو جهلكم بالتاريخ وبسيرة الرجل، وجعلكم الله ورسوله من أنصار الظالمين.

فإن قالوا: تلك أمة قد خلت..

قلنا: حتى الجهم بن صفوان وواصل بن عطاء والجعد بن درهم وغيلان الدمشقي والمختار بن أبي عبيد وبشر المريسي وثمامة بن أشرس والعلاف وابن كلاب والغزالي وابن رشد وابن سينا والفارابي ومؤمن الطاق وهشام بن الحكم أمة قد خلت، فما بالكم ترضعون أطفالكم بغضهم ولعنهم وتكفيرهم، هذه كتبكم وأشرطتهم وقصائدكم شاهدة، وليس من جهل كمن علم، ثم الآية الكريمة (تلك أمة قد خلت..) إنما هو خطاب ضد من يتفاخر بالسلف مثلكم وليس ضد من يناقش السلف في أخطائهم فراجعوا سياق الايتين في سورة البقرة.

وإن قالوا: أتباع هذه الأسماء من الفرق الإسلامية ما زالت موجودة.

قلنا: والظالمون من السلاطين والفقهاء مازالوا موجودين، فلا بد من بيان حقيقة سلفهم، ومنهج معاوية هو من جمع بين السلطان والفقيه والظلم والجهل العلمي! وما هذا الكتاب إلا جزء يسير من الواجب العيني أو الكفائي على كل باحث مسلم ليعرف بدايات الانحراف السياسي والديني، حتى لا يبقى مثل القذافي ولا يتكرر حسني مبارك، وواجب الثورات الحقوقية أن ينتبهوا جيداً ويقرؤوا القرآن والتاريخ جيداً فإن العامة ينقلبون بسرعة نحو التخلف والظلم والجهل، فالإنسان بطبعه ظلوم جهول، وإذا لم ينر عقله بالعلم المتجدد سكن إلى الظلم القديم، والسلفية المحدثة تنتظر هدوء الأوضاع ليعيدوا هضم الحقوق والجهل المركب عبر مكر ابن تيمية ودموية الوهابية، ومعهما معينان أحدهما معاوية وما خلفه من تحريف الدين، والثاني يجري من ابن آدم مجرى الدم في الشرايين، وكلاهما يأتي بوجه رسول بقلب منتقم.

وإذا كان الناس قد نسوا الشيطان – تماشياً مع الماديات– مع كثرة ما حذر الله منه صريحاً في كتابه الكريم؛ فكيف بمعاوية الذي لم يأت إلا تحت جملة الظالمين[136]؟.

دفاع السلفية المحدثة عن علاقة معاوية بالأصنام!

بحث معاوية والأصنام الذي سبق، له صلة بهذا الحديث، فهو من شواهده الخارجية، وفيه نموذج من نماذج الممانعات الناصبية والسلفية لم أشأ أن أذكره هناك، وإنما هنا لأنها أنسب لكونها تدخل تحت (الممانعات الناصبية) لكل حديث أو حادثة تدين معاوية.

---

136 ولم نذكر النفاق هنا ولا الكفر، لأن القليل جداً من يعرف أنه كان مخاطباً عشرين سنة تحت جملة الذين كفروا، وثلاث سنوات تحت إطلاق المنافقين؟ ففتنته أشد وأخفى، وكلما خفيت المسألة ارتفع وجوب بيانها عيناً، ولو عرف الناس معاوية لحصلوا على نصف الهداية، ولو كان لإبليس عشرين دولة عربية اليوم لخرج من الملائكة المقربين، بلا دعم من العقائد المذهبية ولا من الأحاديث الموضوعة، فكيف بوجودهما بجوار السيف والمنبر والكرسي الذهبي والبئر السوداء؟!

فقد وقفت السلفية المحدثة موقفاً منافحاً عن لعب معاوية بالأصنام ومتاجرته بها، حتى زعموا في نهاية الأمر أن معاوية مأجور على بيع الأصنام إن صح السند، لأنه اجتهد! وسنستعرض دفاع السلفية المحدثة الأوائل والأواخر عن معاوية في هذه القضية الخطيرة، مع حساسيتهم المفرطة من الشرك والأصنام والصور . .الخ، إلا أن الأمر إذا تعلق بمعاوية فكل النصوص تصبح لا قيمة لها في الواقع، وسنختار دفاع المتقدمين من السلفية المحدثة عن علاقة معاوية بالأصنام في خلافته (نموذج أحمد والخلال)، ثم نختار (النموذج المعاصر لبعض السلفية المعاصرة) في دفاعهم عن هذه العلاقة أيضاً، وربما نحتد على المعاصرين لأنهم يبالغون في إفساد الدين والضمير، ونخشى على الناس من النفاق إذا ، وهذا دفاعهم مع تعليقاتنا:

ففي الخلال في العلل (رقم 134): "قال مُهنّا: سألتُ أحمد [يعني ابن حنبل] عن حديث الأعمش، عن أبي وائل، أن معاوية لعب بالأصنام! فقال: ما أَغلَطَ أهلَ الكوفة على أصحاب رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، ولم يُصَحّحِ الحديثَ وقال: تَكَلَّمَ به رجلٌ من الشيعة اهـ.

التعليق :

1- يظهر أن أحمد يرى صحة الخبر حتى وإن تظاهر بالإنكار[137]، لأن مهنا يسأل أحمد عن حديث عن الأعمش عن أبي وائل، وهذا سند صحيح. . ولم يعله بعلة مقنعة، فقد روى البخاري ومسلم عن الأعمش عن أبي وائل –

[137] لأن أحمد لم يقل أن هذا الحديث لم يصح عن الأعمش أو أن أبا وائل لم يدرك. . وإنما بادر إلى القول : ما أغلظ أهل الكوفة على أصحاب رسول الله. . فهذا دفع بالصدر، لا يقبل إلا بدليل. . وأما قول الخلال أو مهنا (ولم يصحح الحديث) فهذا يحتمل أنه صرح بالتضعيف ويحتمل أن هذا ما فهمه مهنا، أوما فهمه الخلال، أو ما أراد مهنا أو الخلال أن يفهموه الحنابلة، وهذا تضعيف مذهبي، لأنه لو كان تضعيفاً علمياً لذكروا العلة في ذلك، وأما دعوى أحمد أو دعوى الخلال أو مهنا بأن هذا الحديث إنما قاله بعض الشيعة فهذا أيضاً دعوى بلا برهان، فلم يذكر ذلك الشيعي المزعوم! وأحمد رحمه الله معروف بالتعصب لمعاوية لا سيما بعد المحنة من باب محاربة عقائد العهد المأموني، ثم لهذا للخبر شواهد عن مسروق وغيره في بيعه الأصنام، ثم في

بالعنعنة هكذا – أكثر من ستين حديثاً، مرة باللقب (الأعمش عن أبي وائل) وأخرى بالاسم (سليمان عن أبي وائل) وأبو وائل كان عثمانياً وهو القائل (بئست صفون) .

2- أما قول أحمد (ما أغلط أهل الكوفة على أصحاب رسول الله) فهذا ليس غلطاً، وإنما نقل مسروق ما رأته عيناه، ثم هذا الغلط ليس كغلط أهل الشام على من جمع بين الصحبة والقرابة ! ولكن أحمد بن حنبل رحمه الله كان أموي الهوى، وينظر بعين واحدة وعمشاء أيضاً، فيبريء الدعاة إلى النار ويسكت عن الدفاع عن من يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله فليس له كلمة واحدة في إنكار لعن الإمام علي على المنابر ولا ذبح الحسين بن علي ولا ذبح عمار بن ياسر ولا حجر بن عدي وأمثالهم من دعاة الجنة، ولم يشنع على أهل الشام لفعلهم تلك الجرائم، باستثناء قول يتيم في ذم يزيد، فقوله في أهل الكوفة هنا مردود، لا سيما وأن الإسناد وخاصة شاهد العيان (مسروق بن الأجدع وتلميذه أبا وائل فقد كانا عثمانيين فيهما بعض النصب، بل حصلت هذه القصة ومسروق أمير لبني أمية على السلسلة، لكن ليس كل النواصب على منهج واحد، فبعضهم ينكر المنكرات الكبرى كمسروق وأبي وائل، فنصبهم ليس كنصب ابن تيمية أو بعض غلاة الحنابلة، فلذلك نجد فيهم أحياناً بعض الصدع بالحق) .

3- وأما قول الخلال (ولم يصحح الحديث) أي أحمد بن حنبل، فنقول حتى لو صححه أحمد فسيقول هؤلاء الغلاة : اجتهد معاوية في بيع هذه الأصنام، وله أجر واحد على كل صنم يبيعه أو يشتريه، وكلما كثرت الأصنام زاد أجره، فما الفائدة إذن؟ وسيأتي إثبات هذا بعد قليل.

الحديث بتر، فقوله كان معاوية يلعب بالأصنام . . لا يفيد أمراً يدينه. . ولكننا عرفنا البتر من قول أحمد (ما أغلظ أهل الكوفة . .الخ) فمن هذا النص نعرف أن معاوية ربما كان يعبدها من باب اللعب، بعد أن وصل للسلطة من باب إرغام النبي (ص) بأن ما حاربتنا من أجله هانحن نعبدها . . مثلما قال والده أبو سفيان عندما رفس قبر حمزة وقال : يا أبا عمارة، إن الأمر الذي تقاتلنا عليه قد أصبح في أيدي غلماننا يتلعبون به، وهذا من مصاديق (فساد أمتي على أيدي أغيلمة سفهاء من قريش) .

4- وأما قول أحمد أو الخلال (تكلم به رجل من الشيعة) فهذه دعوى من أحمد أو من الخلال، فمن هو الرجل الشيعي الذي تكلم به؟ ها هو السند أمامكم على شرط الشيخين؟ فأيهم تكلم به؟ إنما تكلم به مسروق بن الأجدع وهو سني صلب مع قليل من النصب وهو من رجال الجماعة، ونقله عنه أبو وائل وهو سني صلب مع قليل من النصب وهو من رجال الجماعة، ونقله عن أبي وائل؛ سليمان بن مهران الأعمش وهو سني ومحدث كبير وقد اتهم بالنصب أيضاً وانه أفسد حديث أهل الكوفة (اتهمه بذلك مغيرة بن مقسم وفيه نصب أيضاً)[138] فثلاثتهم مسروق وأبو وائل والأعمش أقرب إلى المدرسة السلفية من المدرسة الكوفية، بل مسروق وأبو وائل فيهما نصب.

دفاع النواصب المعاصرين عن معاوية والرد عليهم:

انزعج المعاصرون من النواصب من هذا الإسناد الصحيح على شرطهم الذي يقول (إن معاوية لعب بالأصنام)، فحاولوا تضعيفها ولو بتضعيف هذا الإسناد الذي هو على شرط الشيخين عندهم! ففي كتاب لأحد النواصب المعاصرين من أهل دمشق، قال في أوراق له زعمها بحثاً ودراسات حديثية وعنوانها: من فضائل وأخبار معاوية - (ج 1 / ص 116) قال - تعليقاً على قول أحمد أو الخلال (تكلم به رجل من الشيعة) - قال: (يعني وَضَعه! على أن الأعمش مدلس، ولم يصرّح بالسماع!، وأهل العلم يُعِلُّون بمثل هذا، ولا سيما عند النكارة!)

الجواب :

138 ولعل مغيرة يقصد إكثاره من أحاديث أبي هريرة وتساهله مع مثل هذه الأحاديث، وقد كان أهل الكوفة يتورعون من الإكثار من الحديث عن المتأخرين ويتهمون صغار الصحابة كأبي هريرة بالتدليس والإرسال ونحو ذلك (اتهمه شعبة بالتدليس، فقال : كان أبو هريرة يدلس.

1- أما قوله (يعني وضعه) فهذا تفسير منه لكلمة الخلال، وكلمة الخلال لا دليل عليها، فهم يبنون الباطل على الباطل، تشابهت قلوبهم!! ثم من هو الذي وضعه؟!! ومن هو ذلك الرجل والإسناد سني صرف؟ وهل كل شيعي لا بد أن يكون كاذباً؟ وهل كل سني لابد أن يكون صادقاً؟ بل هل كل مسلم صادق؟ وهل كل كافر كاذب؟ ألا تعقلون؟ إلى متى بيع الكلام؟.

2- وأما كلامه على أحاديث الأعمش وأنه مدلس وقد عنعن، فأحاديث الأعمش بالعنعنة في كل الكتب الستة، من البخاري إلى ابن ماجة، فضعفوها إن كنتم صادقين، أو صححوها واتركوا هذه الإزدواجية، وكذلك الزهري كان يدلس وأحاديثه نصف الكتب الحديثية فضعفوها إن كنتم صادقين، وإلا صححوها واتركوا الإزدواجية، وكذا سفيان بن عيينة والثوري وأبو إسحاق السبيعي وكل هؤلاء مدلسون وأحاديثهم تملأ الصحيحين فأخرجوها وانظروا هل يبقى لكم سبعون حديثاً أم لا؟! هؤلاء متلاعبون، فيضعفون الصحيح متى شاءوا ويصححون الضعيف متى شاءوا، وكأن معاوية هو واضع علم المصطلح عندهم، فما كان له فيجب تصحيحه ولو كان موضوعاً (وكل الأحاديث في فضله موضوعة وهاهم يصححون كثيراً منها) وما كان ضده فيجب تضعيفه أو تأويله (وهاهم يردون المتواتر في ذمه إما بتكلف التضعيف كما يفعل هذا الرجل الناصبي الدمشقي، أو بالتأويل كما يفعل قسم آخر من النواصب، أو بترتيب الأجر على الموبقات كما يفعل الفريقان في موبقات معاوية) والأمران في ابن تيمية ومن يقلده، وزاد ابن تيمية بترتيب الإثم على الواجبات الشرعية إذا فعلها من لا يحبه كما يفعل مع الإمام علي والحسين وأمثالهم ممن يحبهم الله ورسوله. فهؤلاء النواصب معاندون، ولا يثنون على أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم إلا من باب الدفاع عن معاوية فقط! فلا يظن أحدهم أن ثناءهم على بعض كبار الصحابة كان بريئاً، وإنما هو لاستقطاب الجماهير وحشد أكبر قدر منهم إذا جاء الأمر عند معاوية! وأذكر أنني في بداية الطلب كنت أذم بغي معاوية فقط مع ثنائي - يومها — وبغلو عن أبي بكر

وعمر وعثمان، فلما أتى هؤلاء النواصب للدفاع عن معاوية بدؤوا ردودهم بالدفاع عن الأنبياء والمرسلين وأمهات المؤمنين والمهاجرين والأنصار ! ثم دافعوا عن معاوية؟ فعرفت عندها أن أصل الدفاع عن الصحابة إنما كان للدفاع عن معاوية، وأن الشيعة الأولى لم يكونوا في وارد التفتيش عن أخطاء أبي بكر وعمر وعائشة حتى اضطرهم النواصب إلى ذلك من كثرة ما يربط هؤلاء النواصب بين هؤلاء ومعاوية، ولذلك تجد هؤلاء النواصب لا يبالون من اتهام بعض أهل بدر بالنفاق كما فعلوا مع معتب بن قشير، ولا يبالون في اتهام بعض أهل بيعة الرضوان بالنفاق كعبد الرحمن بن عديس، ولا اتهام أهل بدر بالضعف في الحديث والجهالة والأعرابية كما فعلوا مع مدلاج بن عمرو السلمي والربيع بن مسعود القاريء وغيرهم من السابقين إلى الإسلام، فقد ضعفوهم في كتبهم الأولى في الجرح والتعديل، إذن فالدفاع عن الصحابة لعبة أموية لأجل تبرئة معاوية واتهام علي فقط، بل حتى لعن الإمام علي على المنابر لا يراه هؤلاء ويكتمونه عن أتباعهم، إنما يفتحون أعينهم على من يمس معاوية بعدل وإنصاف أما من ظلم الصالحين ولعنهم وقتلهم فلا يلتفتون إليه بل يحبون ذلك سراً ويتداولونه في مجالسهم ويتواصون به، كما يتواصون بمنهاج السنة والعواصم من القواصم وأمثالها من الكتب الأموية المعادية لأهل البيت بذكاء والمثنية على بني أمية بغباء! ومن اكتشف ذلك الغباء في الثناء فيمكنه أن يكتشف ذلك الدس في الخفاء، وكل محاسب على قدر عقله وإدراكه، فليعدّ له غداً عذراً مقبولاً على ألا يكون عذره (إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) فهذا العذر قد أخبرهم الله أنه غير مقبول، فليعدوا من الآن أعذاراً صحيحة، ويمكنهم أن يفتحوا معاهد علمية تبحث في الأعذار المقبولة عند الله، وليحاولوا أن يفهموا أنه من المحتمل على الأقل أن الله لا يتابع معاوية في مظالمه ولا ابن تيمية في عقائده! ولذلك فليفتشوا عن بدائل إذا أرادوا النجاة غداً، مع أنني أعرف أن الفتنة قد بلغت ببعض هؤلاء أنهم يفضلون نصرة معاوية حتى لو رأوه في النار، ولسان حالهم يقول (نار مع معاوية ومن معه من أهل السنة والجماعة ولا جنة مع علي ومن معه من أهل

البدعة والضلالة) ! لقد بلغت بهم الفتنة أنهم يقدمون الألقاب المذهبية على الحقائق الإيمانية، فالسنة عندهم ما قال أحمد وابن تيمية أنه سنة، والبدعة عندهم ما قالوا أنه بدعة، ولا تعويل عندهم على ما جعله الله ورسوله من الهدى مادام أن هذا الهدى لم يقبله ابن تيمية ولا التيار السلفي المغالي، فهذه فتنة عظيمة وقد توعد الله المؤمنين بالتمحيص وهذا منه (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟) وليس هناك فتنة أعظم ولا أقبح من بغضهم الله ورسوله إذا حاما حول ذم معاوية! لأنه بهذا يصبح معاوية هو الإله الأعظم، وهذه الفتنة لم يجرؤ إبليس أن يعلمها شياطينه! فالذي أعرفه أن إبليس أمر أتباعه بعبادة الصالحين وليس الظالمين، كما أن من ادعى الألوهية من البشر لم يزعموا أن هذا هو دين الأنبياء، ولكن النواصب جمعوا بين أمرين لم يجرؤا على الجمع بينهما لا الأبالسة ولا الفراعنة.

3- وأما كلامه عن النكارة: فالنكارة ليس موجودة إلا في قلب كل ناصبي، فالنكارة ترجع إلى النفس، ونفوسهم لا تقبل أن يكون معاوية داعية إلى النار رغم تصحيحهم للحديث، ولا أن يكون باغياً رغم تصحيحهم للحديث، ولا تقبل أن يكون معاوية آثماً ولو تاجر بالخمر والأصنام وقتل الصالحين ولعن البدريين واستأثر بالفيء وحرم الأنصار.. كل هذه الأمور لا تستقر في نفوس أن يكون معاوية آثماً فيها وإنما مأجور، ويسمونها منكرة، وعلى هذا فكل ذم لمعاوية هو عندهم منكر ولو نزل به جبريل ولقنهم أياها محمد، وبهذا نعقل كثيراً مما لم نكن نعقله من مكابرات خصوم الأنبياء من الكفار والمنافقين فحاربوا النبوات بمثل هذه العقول وليس بعقول أخرى، رغم تنوع الآيات وفلوج الحجج.

ثم قال الناصبي:

ونظيره –إن لم يكن أصله– ما تفرد بذكره ابن جرير في تهذيب الآثار (ص241 مسند علي) من طريق الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: كنت مع مسروق بالسلسلة، فمرت سفينة فيها أصنام ذهب وفضة، بعث بها معاوية إلى الهند تُباع!

قلت: وهذا ليس أحسن حالا من سابقه، وتفرُّدُ ابن جرير بهذا السياق بهذا السند منكر جدا[139]، وأخشى أن يكون مدسوساً[140]، فلم أقف عليه بتمامه في مكان آخر رغم التوسع[141]، بل لم يورده الرافضة في كتبهم[142]!

الجواب:

1– في كلامه على تفرد الطبري: كأن الرجل يضعف الطبري كله! قال المهلهل بن ربيعة: (أكليب كله؟ أيموت كله؟) ؟! فهذا الناصبي يقول (تفرد به ابن جرير! وهذه الكلمة (تفرد) من الألفاظ المحببة عند أهل الحديث، ولها وجهان حق وباطل، وهي من مبهرجتهم المبطنة بتضعيف الكبار إن تجرأ هؤلاء الكبار ورووا ما كتمه المتذهبون كأحمد والبخاري (وعملهما على إعدام الأحاديث التي تتكلم عن الصحابة كمعاوية! وهذه خيانة علمية، فما ذنب الطبري إن كان أميناً في نقل ما وصل إليه؟) فالذنب موجه إلى من كتم هذا

---

139 قد عرفنا النكارة عند النواصب فلا أعيد الكلام فيه..

140 لا يا شيخ!...... تخشى؟ مادام أنك تخشى فخشيتك دليل منفرد على أنه مدسوس! لكن رجاءً لا تخشى أن القرآن الكريم مدسوس حتى لا نتابعك.. دعنا في هذا الوهم المريح، وخذنا على قدر عقولنا!.

141 توسعك ينبيء عن جهلك.. لعلك لم تتجاوز قراءة مجمع الزوائد وكنز العمال، ولو توسعت لعرفت أن هناك مصادر أخرى للخبر قبل الطبري وقبل خشيتك المباركة.

142 بل هذا في كثير من كتب الشيعة، والشيعة يذكرون في مثالب معاوية ما هو أعظم من هذا، ولا نأخذ منهم إلا ما روي عندنا أهل السنة وبسند صحيح وقرائن حافة، وإذا كان النواصب كهذا الرجل لا يقبلون ما رواه أهل السنة فكيف يبحثون في الرواية عند الشيعة؟..

الحديث رغم صحة سنده، وليس من كتبه ونقله، فسلفهم يحرقون ما لا يعجبهم ويفتون بكتم روايته، والخلف يقولون سلفنا لم يروِ هذه الأخبار وإنما تفرد بها فلان! وهكذا يتوزعون الأدوار فيدلي السابق للاحق ببهارج الحجج، ويعطف اللاحق على السابق ويحتج بخيانته على تخوين أهل الأمانة، فيصدق الكاذب ويكذب الصادق ويؤتمن الخائن ويخون الأمين، وهذه قد أخبرنا بها النبي (ص) لو كنا نسمع أو نعقل.

2- أما قوله : (أخشى أن يكون مدسوساً): فهذه الخشية تابعة للمذهب فقط، فالناصبي يرى أن معاوية من أولياء الله، وعلى هذا يبعثرون كل مثالبه وجرائمه يمنة ويسرة، ويجب عليهم أن يتفهموا الآخرين أيضاً إن أدركتهم الخشية المذهبية لتضعيف فضائل أو ترتيب مثالب، وهذه التعصبات هي من محرضات باحثي السنة على الشك فقي المذهب لأن بعض المتحدثين باسمه لا يسيرون على قاعدة واحدة، فمن هنا تأتي خشية معارضيهم من أنهم نواصب في التاريخ مجسمة في العقائد، متعصبون معاندون، ولو أن كل أصحاب مذهب اطردوا في قواعدهم ونتائج مقدماتهم لما خرج فرد منهم من هذا المذهب أو ذاك.

ثم قال الناصبي:

(وقد يكون دخل عليه سياق في سياق[143]، فروى ابن أبي شيبة (34/7) عن أبي معاوية (الضرير)، حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، أنه مر عليه وهو بالسلسلة بتماثيل من صُفْر تُباع. ليس فيه ذكر لمعاوية.

الجواب:

---

143 وقد يكون بعض أنصار معاوية يريدون التشويش والتمويه والتعميه . . ويلبسون الحق بالباطل ليدحضوا به الحق، ثم المشهور عند أهل الحديث دخول إسناد في إسناد، أما دخول السياق في سياق آخر فاقل، لكنه هنا منتفٍ، لحرص أهل الحديث على ألا يمس معاوية شيء ثم للخبر متابعات وشواهد، فعلاقة معاوية مع الأصنام جاءت من أكثر من رواية صحيحة الإسناد، وسيرته لا تشجع على الشك، فلو وجدنا هذا الخبر في حق أبي بكر أو عمر لرددناه أو شككنا فيه على الأقل، أما أن يأتي في رجل مثل معاوية فلا.

في مسألة عدم ذكر معاوية: هنا لا يضر، فالقصة هي نفسها، ولكن أبا معاوية الضرير حرف الرواية وأخفى اسم معاوية، فقد رواه من هو أوثق منه كاملاً من طريق شيخه الأعمش، فأبو معاوية الضرير هو المتهم هنا بإخفاء اسم معاوية، لأن فيه نصب أولاً، ولأن من رواه عن الأعمش في معاوية أكثر وأوثق من صديق هارون الرشيد، ولكن كما قلنا فالنواصب يستخدمون خيانة الخائنين في اتهام الصادقين، وقد ترك لهم سلفهم من المتعصبين تراثاً ضخماً من التعصبات والبتر والتحريف والإخفاء والجرح الظالم والتعديل الكاذب، ولو شئت أن أسرد من الأدلة والشواهد لفعلت حتى يقتنع من وفقه الله للإنصاف، ولا يخلو لي بحث من إضارة إلى بعض هذه الخيانات العلمية التي يغشى بعضها بعضاً، ويدعم بعضها بعضاً، فتأخذ معها كثيراً من مغفلي الصالحين، قال حذيفة في متقدمي الأئمة المضلين: (والله لا آسى عليهم إنما آسى على من يضلونهم من المسلمين)

ثم قال الناصبي:

وروى بحشل الواسطي في تاريخه (37) من طريق حماد بن أبي أسامة، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: (كنت مع مسروق بسلسلة واسط، فمرت سفن فيها هدايا إلى معاوية) .

قال الناصبي : فهذا عكس السابق، وليس فيه ذكر للأصنام ! .

الجواب:

أما كونه عكس السابق، بمعنى أن الأصنام تهدى إلى معاوية وليس تباع من معاوية فهو أعظم، لأنها هنا ستكون دليلاً على عودة معاوية لغرامه القديم كما عاد أصحاب موسى عليه السلام لغرامهم (اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) مع أن أقدامهم لم تذبل بعد من رهوة البحر، ولا يضر إخفاء نوع هذه الهدايا (التي الأصنام) فأبو أسامة كان ذا هوى أموي، فمن السهل عليه أن يبتر الخبر ويحذف منه، فقد وصفه ابن سعد بأنه (صاحب سنة) وإذا قيل في الكوفي (صاحب سنة) فهذا يعني النصب ومعارضة الشيعة بغلو، لأن الكوفة يغلب عليها

التشيع العلوي القديم على تقصير وتذبذب، وإذا قيل في البصري (صاحب سنة) فيعني أنه يشنع على القدرية ويبالغ في ذمهم، وابن سعد صاحب الطبقات كان منحرفاً عن أهل العراق – تبعاً شيخه الواقدي – وفيه نصب يسير أيضاً، لكنه أمين في النقل، أما في أحكامه على الرجال والروايات فليس منصفاً ولكونه بصرياً أيضاً، وأهل البصرة يغلب عليهم النصب.

وأما عدم ذكر معاوية هنا: فبعض الرواة بتر الخبر ، وإلا فما الفائدة في الرواية إذا اقتصرت على القول بأنه (مرت سفن فيها هدايا الى معاوية) ! علماً بأن بعضهم بتر قول مسروق الذي استوفاه البلاذري، وهي الرواية الكاملة، وبعضهم بتر رواية الطبري، وبعضهم بتر المبتور، وبعضهم حرف المحرف، واختصر المختصر، . .الخ، وهذا قد اعتدنا عليه في كل مثلبة في معاوية أنها تتعرض للقضم حتى لا نفهم منها شيئًا ! فهذه الرواية بتروها حتى اصبحنا لا نفهم منها إلا:

- أن معاوية يقبل الهدية !
- وأن السفن تجري في الماء !
- وأن البشر يمكنهم رؤية السفن !
- وأن أبا وائل يمكن أن يكون مع مسروق على طرف النهر !
- وأن الهدايا يمكن للسفن أن تحملها !

والسؤال: هل هذه هي الفوائد التي أرادها رواة الخبر الأول؟

أفلا تتدبرون؟ .

ثم سرد الناصبي عدة عجائب فقال:

(وعلى فرض ثبوته لأبي وائل؛ فلا يُدرى مَن الذي أخبر مسروقاً ماذا بالسفينة؟! ولمن هي؟، وإلى أين تتجه؟ والظن أنه من بقايا المجوس والوثنيين!، فلا يصدَّق على معاوية رضي الله عنه! ولا يَبعد أن يكون المُخْبِر! يقصد الافتراء على معاوية ! وإدخال التشنيع عليه، ومعلوم حال حديث جملة أهل الكوفة، ولا سيما أن مسروقاً كان لا يفتش أحدا على السلسلة، ويقول لمن مر به: إن كان لنا معك شيء فأعطناه. كما عند ابن أبي شيبة (196/3) وبحشل (في تاريخ واسط: 37)، ثم.. ألم يجد معاوية سواحل يُرسل منها الأصنام إلا عبر مسافات داخل العراق؟! والحاصل أن الخبر كذب على معاوية بلا شك.

الجواب:

1- أما قوله (فلا يُدرى مَن الذي أخبر مسروقاً ماذا بالسفينة؟ ولمن هي؟، وإلى أين تتجه؟) : فالعجب من هذا الرجل كيف بلغ به التعصب هذا المبلغ، فأبو وائل ومسروق يخبران عن مشاهدتهما، ففي رواية الطبري التي على شرط الشيخين تقول : (عن أبي وائل ، قال : كنت مع مسروق بالسلسلة ، فمرت عليه سفينة فيها أصنام ذهب وفضة ، بعث بها معاوية إلى الهند تباع ، فقال مسروق : « لو أعلم أنهم يقتلوني لغرقتها ، ولكني أخشى الفتنة ».) اهـ فالذي أخبر مسروقاً وأبا وائل بكل هذه الأمور هو أربع أعين، اثنتان لأبي وائل واثنتان لمسروق (ولم نعلم عن أحدهما أنه كان أعور ولا أعمى) ثم كلاهما من رجال الدولة، فمسروق نفسه لأنه كان من رجال الدولة أيام معاوية وعمل لولاته زياد وابنه عبيد الله، وكان من ولاة تلك الناحية، وهو أعلم بما فيها وما يصدر عنها وما يرد إليها، فقد كان والياً على السلسلة – من حيث مرت تلك السفن- (والسلسلة ناحية بواسط)، ثم مسروق تابعي كبير ثقة عندهم بالإجماع رغم بعض نصبه القديم، وهو من رجال الكتب الستة، وهو تلميذ أم المؤمنين عائشة، وهو شاهد عيان رأى بعينيه ولم يستفهم أحداً، فلماذا يريد منه النواصب أن يسأل عما لا يجهله؟.

2- وأما ترجيحه أن يكون المخبر لمسروق وأبي وائل (من بقايا المجوس والوثنيين) ! : فهنا اخترع الناصبي واسطة بين مسروق وما رأى، ثم أخذ يناقش هذه الواسطة! وهل يوثق به أم لا؟! إذن فقد بقيت هذه الرواية ورطة كبرى أربعة عشر قرناً رغم كل عمليات البتر والإخفاء والتحريف حتى أتى هذا الناصبي وزاد في الإسناد زيادة من عندياته وأخذ يناقشها، وهذه فيها ذم لأبي وائل ومسروق، لأن هذا يعني أن مسروق بن الأجدع التابعي الكبير وأبا وائل التابعي الكبير أيضاً أصبحا ألعوبة بيد المجوس والوثنيين؟ وكل أحاديثهما وآثارهما البالغة بالآلاف والتي قام عليها كثير من الفقه والعقائد والتفاسير.. كل هذه تصبح مصادرها مجوسية أو وثنية ولو من باب الاحتمال، وما احتمل هنا يحتمل هناك، وبما أنهما لم يذكرا الواسطة هنا وزعما الرؤية والمشاهدة فمن المحتمل أن الفعل نفسه حدث في تلك الآلاف من الأحاديث والروايات، فلم يذكرا شيوخهما من الوثنيين والمجوس! وما تطرق إليه الاحتمال بطل الاستدلال، وهنا تكون معظم فضائل أبي بكر وعمر التي رواها أبو وائل ومسروق مأخوذة من الوثنيين ومسروق، فالمؤلف هنا يخترع ما يضره ولا ينفع معاوية، فالمؤلف المسكين من حبه لمعاوية اخترع واسطة غير موجودة، وتلك الواسطة جعلها المؤلف بين عيني مسروق وتلك السفن قسراً! وبين عيني أبي وائل وتلك السفن قسراً أيضاً، ثم جعل الواسطة مجوسية أو وثنية! مع أن المجوس والوثنيين أوثق من هؤلاء النواصب، فليس كل كافرٍ كاذباً، ولا كل مسلم صادقاً، والدليل على هذا يراه كل الناس في واقعهم مع أصدقائهم المسلمين وعمالهم من غير المسلمين، بل هذا المؤلف يكذب ويخترع مع أن مداد قلمه لم يجف في ذم الاختراع والكذب! ولا حول ولا قوة إلا بالله، ماذا فعل معاوية بهذه الأمة؟ وكيف استطاع أن يأطرهم على العمى والصمم؟.

3- وأما قوله (فلا يصدق على معاوية) ! - يعني ذلك الواسطة الوثني أو المجوسي الذي اخترعه-! وكأن الناصبي هنا مستعد لقبول الصدق إن جاءه؟ أظن أنه لو نقل أحد عن رسول الله أنه رأى ذلك لقال هذا الناصبي، ربما

واسطته وثنية أو مجوسية! هؤلاء النواصب أشربوا في قلوبهم معاوية؟ والذي لا يصدق الله ورسوله فيما قالاه في أهل الظلم، فلن يصدق من دونهما، حتى لو جمع بين السنة والنصب كمسروق وأبي وائل فلماذا هذا التعب في البحث عن (صدق مكذوب)؟ فالرجل يبحث عن كذب يأتي به صدق وهذا بحث عن العدم، فالمؤلف يريد أن يجد صدقاً يقول إن القصة باطلة! وهذا لن يحدث، لأنه أن أتى صدق بكذب لم يعد صدقاً!

4- أما قوله (فلا يبعد أن يكون المخبر أدخل الافتراء على معاوية...)! فالناصبي يقصد بهذا (المخبر) الذي اخترعه هو، فالوضع والاختراع لصالح معاوية موجود إلى اليوم لم ينقطع! وكل ناصبي وضاع بالفطرة، وهذا المخبر المختَرَع، إنما اخترعه الناصبي قبل سطرين فأصبح حقيقة قبل سطر وكذاباً في السطر الثالث! - مع أن مسروقاً وأبا وائل يخبران كشهود عيان- ثم أصبح هذا المخبر العدمي محلاً للمناقشة وأنه يريد ويريد! ثم من المفتري مسروق؟ أم أبو وائل؟ أم جرير بن عبد الحميد؟ أم سفيان الثوري؟ أم الطبري؟ أم من؟ .. من كذب أهل الصدق في صدقهم فهو الكاذب، ولو حصل الافتراء في ذم الشياطين فهو أقل إثماً من الافتراء في الثناء عليهم، هذا لو افترضنا أن الصحابة والتابعين قد افتروا على معاوية، فذم معاوية لم يأت في هذه القصة فقط، بل هناك من رواة الصحابة والتابعين من قال في معاوية أنه استسلم ولم يسلم، فهل سيكذبهم هؤلاء الحمقى أم سيخترعون لهم وثنيين ومجوساً يلقنونهم ذم معاوية؟..

5- وأما كلامه على (حديث أهل الكوفة)! فهنا نجد أن الناصبي يعرف أن اختراع ذلك المعدوم لا يجدي، وأنه سيبقى احتمالاً حتى عند النواصب، فاختار الانتقال إلى ذم حديث أهل الكوفة جملة، مع أنهم أصدق أهل الحديث قاطبة، حتى قال أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج (لو حدثتكم عن ثقات أصحابي لم أحدثكم إلا عن نفر قليل من هؤلاء الشيعة – الكوفيين- الحكم بن عتيبة ومنصور بن المعتمر ومسعر بن كدام) ذكر هذا بالأسانيد الصحيحة ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل في ترجمة شعبة ومنصور والحكم ومسعر،

وصدق شعبة فإن أهل الأمصار لم يكونوا يسألون عن الإسناد سؤال الكوفة، ويكفي أن واضع منهج الجرح والتعديل واختبار السماع كان الكوفي عبد الغفار بن القاسم، وشعبة إنما هو تلميذ لأهل الكوفة في هذا العلم، ولولا تشيع أهل الكوفة لنقلوا عنهم هذا العلم.

6- وأما قول الناصبي (ولا سيما أن مسروقاً كان لا يفتش أحدا . . .) ! . . فالمسألة ليس فيها تفتيش، إنما فيها مشاهدة، وهذا الناصبي لا يكاد يفقه شيئاً ويريد أن يوهمنا أو ينقلنا إلى أماكن ليست محل الشاهد والمشاهدة، ثم إخبار أبي وائل ومسروق بأن هذه السفن تحمل أصنام لمعاوية يدل على أن الأمر تكرر حتى عرفا ذلك وأصبح محل معرفة عندهما، وهذا ليس بغريب، ثم في رواية البلاذري أنه سأل أصحاب السفينة عما معهم فأخبروه بالخبر وهم أهل الشأن، ولم يفتروا على معاوية وهو ملك ظالم مشهور، ألا يخافوا العقوبة؟ هل يستطيع أحد المجرمين اليوم لو اكتشفت معه سفينة فيها مخدرات أن يقول إنها للحاكم؟ هذه عقوبته ستكون مهلكة، إذن فلو افترضنا أن أهل مسروقاً وأبا وائل لم يريا الأصنام، وأن أهل السفينة هم أخبروهم بذلك فهل يجرؤون على الكذب على الحاكم؟ لو كان هذا ممكناً لأوقف مسروق تلك السفن وأرسل إلى معاوية مستفسراً، لكن مسروقاً وأبا وائل – وإن كان فيهما نصب – يعرفان معاوية، ويعرفان أن هذه السفن والأصنام له.

7- وأما قوله (ألم يجد معاوية سواحل يُرسل منها الأصنام إلا عبر مسافات داخل العراق؟ !) : فالجواب : بلى، لو كان عنده طائرات حديثة من نوع (جامبو) أو غيرها، لأرسل الأصنام عبر الجو إلى مطار بومباي أو نيودلهي، أو حتى حيدر أباد، ولم يتكلف نقلها عبر نهر الفرات من الرقة إلى الموصل إلى الكوفة إلى واسط إلى البصرة إلى بحر فارس إلى الهند ! فالعراق هي بين الشام والهند، وأقرب الطرق بين الشام والهند لا يأتي إلا عبر العراق، لا سيما وأن الهند القديمة كانت تشمل الهند حالياً مع جنوب باكستان وجنوب إيران، ولو أن معاوية بعث بها عن طريق البحر الأحمر ثم مضيق باب المندب ثم بحر العرب إلى الهند لكان أحمق كهذا الناصبي، ومعاوية نتفق معهم

أنه كان داهية وذكياً، فلم يكن ليأخذ هذا الطريق الطويل، ولن يرسل تلك الأصنام من الشمال مروراً بأرمينيا وأذربيجان وبحر قزوين ثم فارس وخراسان ثم الهند فهذا طريق طويل أيضاً، فأفضل الطرق وأقصرها هو الخط المستقيم – خاصة وأن الحادثة حدثت قبل أن يُخلق البرت آنشتاين بثلاثة عشر قرناً– بل إن انشتاين لم يضع نظرية النسبية الخاصة إلا عام (1905م) ثم طورها في النظرية النسبية العامة عام (1917م) قبل حادثة سفن معاوية التي حدثت قبل سنة 60هـ بل حتى نظرية آنشتاين فيما يخص الأطوال كانت تختص بالفضاء لا بالأرض فيما يظهر للقاريء البسيط، ومعاوية نقل الأصنام عبر الأرض لا عبر الفضاء، فأما الأطوال الأرضية فقد علمنا أن المسافة من الشام إلى الهند مروراً بالعراق هي أقصر بكثير من أن ينقلها عبر البحر الأحمر (بحر القلزم) أو البحر الأسود ثم أرمينيا وأذربيجان وبحر قزوين، مروراً بخراسان، فهذا طريق طويل ولا يسيطر معاوية على كل هذه البلدان، بعكس الطريق عبر العراق فهو طريق آمن وفي أيدي جبابرة دهاة من ولاته كزياد وسمرة بن جندب وغيرهم. . ولو أن هؤلاء النواصب يفهمون لنظروا في الخرائط فهذا أبسط ما يمكن أن يفهم به المسافات! فإن الأرض لم تتغير كثيراً عبر الألف والأربعمائة سنة إلا سنيمترات قليلة، فلا يغير هذا في المسافات حتى يوهمنا هذا الرجل بأن العراق كان وسط أوروبا أو بجوار استراليا من جهة المشرق، أبداً لم يحدث هذا فالجغرافيا في عهد معاوية هي الجغرافيا اليوم باستثناء جفاف يسير في بعض فروع دجلة والفرات، ثم التصدير والاستيراد في الأصنام من الهند وإليها هو المعقول، دون الروم وأفريقيا، فالروم كانت نصرانية، والأقوام الأفريقية كانت وثنية وفقيرة وبعيدة، أما القوميات الهندية والصينية فهي غنية ومعروفة والتجارة مع الهند كانت قائمة من أيام الرومان والفراعنة، ثم إذا تم نقل حادثة وقعت في العراق فلا يعني هذا أنه لم يحدث مثلها في مصر أو أرمينيا، ولكن هذه حادثة عين لا يمنع من وقوع عموم لها في كافة الأطراف.

8- ثم ختم الناصبي بقوله (والحاصل أن الخبر كذب على معاوية بلا شك) وهذا التأكيد من الناصبي لا يفيد، فكفار قريش قالوا عن القرآن وهو قرآن (إفك مبين)، فلم يكتفوا بوصفه بالإفك، بل زعموا أن هذا الإفك (مبين)، وهذا التأكيد الوثني القرشي كهذا التأكيد الناصبي الدمشقي ليس دليلاً كافياً لنفي الحقائق، بل حتى قول المكابرين (لا شك) فهو يدل على أنهم في شك مريب.

وعذراً فقد أطلت في تتبع هذا الناصبي ليعرف من شاء أن النصب مازال يعمل تحت ستار أهل السنة، وأن الواجب التنبه لهم فهم أنصار الظالمين، وكلما انتبه الباحث لهم استطاع تفكيك منظومة الظلم الفكرية، ومعاوية من أكبر أسس هذا الظلم، وقد رأينا في هذه الأيام، كيف أن أنصار هذا الرجل كانوا أنصار حسني مبارك وابن علي، وهذه قنواتهم شاهدة على هذا الامتعاض من تقدم العدالة والحرية، ورأينا فتاواهم التي تجعل الباحثين عن العدالة متآمرين على الإسلام! ورأينا قبل ذلك كيف أن بعضهم أفتى بحرمة الدعاء للمقاومة اللبنانية والفلسطينية، مع أنهم مظلومون من قوة احتلال جبروتية ظالمة وحشية، وأنصار الظالمين ليسوا كلهم ظاهرين، فبعضهم أخفى من دبيب النمل الأسود على الصخرة السوداء في ظلمات الليل.

ثم قال الناصبي:

قال الواقدي: سبى عبد الله بن قيس بن مَخْلد الدِزَقي صقلية، فأصاب أصنام ذهب وفضة مكللة بالجواهر، فبعث بها إلى معاوية، فوجّه بها معاوية إلى البصرة لتُحمَل إلى الهند فتُباع هناك ليُثَمَّن بها[144]. (فتوح البلدان للبلاذري ص278 وينظر الفتوح للواقدي)

---

[144] رواية الواقدي هذه إن صحت فهي تخفف جزءاً من جريمة معاوية، وتكشف لنا أن تلك الأصنام الذهبية المكللة بالجواهر لم تكن من بلاد العرب وإنما أخذها من صقلية وبعث بها إلى الهند، ولولا هذه الرواية لرجحنا أن معاوية يستورد تلك الأصنام الذهبية ويعبدها نكاية بالنبي (ص) كما ذكرنا سابقاً، ولكن إن صحت رواية الواقدي فمعنى هذا أن الأمر يحتمل أنه

الواقدي متروك، ولم يذكر له سنداً، إلا أن في خبره دفعٌ للمعنى الذي يشتهيه القوم، وأن ذلك لو صح ! اجتهادٌ من معاوية لإصابة الأفضل لبيت مال المسلمين، وانظر أمثاَله في علل الخلال بعدَه، وقد قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه (365/1) "كان بين أهل الشام وأهل الكوفة إحن" . اهـ

التعليق:

1- أما قوله بأن الواقدي متروك: فالواقدي إمام في المغازي والسير وهو على الراجح ثقة وإنما ضعفه من لا يعرفه، وقد رويت قصة الأصنام بسند على شرط الشيخين فلم يأخذ به هؤلاء المتناقضون، فلا تحسبوا أن تضعيفهم للواقدي جاء من باب الحرص على العلم، إنما هذه لعبة أهل الأهواء، والواقدي محكم في هذا العلم (التاريخ) إن لم يعارضه من هو أوثق منه وأعلم.

2- وأما قوله (إلا أن في خبره دفعٌ للمعنى الذي يشتهيه القوم،) كذا قال ! والصواب اللغوي (دفعاً) اسم إن مؤخر، إلا أن الأوهام اللغوية قد تقع، وأما من حيث المحتوى، فهذا الناصبي الشاطر يضعف هذا الإسناد ثم يتخذه دليلاً في هدم تلك الرواية السابقة التي هي على شرط الشيخين ! فزعم أن هذا الخبر الذي ليس له إسناد يدفع ذلك الخبر الثابت بالسند الصحيح ! فإن كان لا بد من دفع فالخبر الذي وصلنا بالسند الصحيح أولى بأن يدفع الخبر الذي لا إسناد له وليس العكس ! مع أن هذا الخبر المرسل من الواقدي لا يدفع بل يؤكد ويفسر ذلك الخبر ! فبيع الأصنام والمتاجرة بها ثابت سواء استوردها معاوية من صقلية وباعها إلى الهند ، أو جلبها من مصر أو الجزيرة . .فالمهم هو حدوث الفعل، كالذي يشرب خمراً فإن شرب الخمر يبقى حراماً سواء تم استيراده من بلد أو كانت صناعته في البلد .

اقتصر على بيع الأصنام لا اشترائها، ورواية الواقدي هي كما ذكر بلا إسناد (فتوح البلدان - (ج 1 / ص 278): وقال الواقدي: سبى عبد الله بن قيس بن مخلد الدزقى سقلية فأصاب أصنام ذهب وفضة مكللة بالجواهر، فبعث بها إلى معاوية، فوجه بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند فتباع هناك ليثمن بها .) .

3- وأما قوله (وأن ذلك لو صح! اجتهادٌ من معاوية): إذن ففي النهاية كما توقعنا، سيكون معاوية مأجوراً على المتاجرة بالأصنام، كما جعلوه مأجوراً على المتاجرة بالخمر وتعامله بالربا و قتاله لعلي وقتله لعمار وقتله لحجر وسمه للحسن . . .الخ كل الجرائم والذنوب التي ارتكبها هو مأجور عليها عند هؤلاء النواصب لأنه بزعمهم اجتهد ! ولكن غيره من أهل العبادة ممن يعبد الله مخلصاً كعباد الصوفية والمعتزلة والشيعة لا يقبل منهم الاجتهاد حتى لو اجتهدوا، بينما هو يدعى له الاجتهاد حتى لو لم يجتهد، وهم آثمون إن تاجروا في النبيذ وهو مأجور إن تاجر في الخمر، هم آثمون إن خرجوا على الظالم، لكنه مأجور إن خرج على العادل . . وهكذا، فهؤلاء في النتيجة النهائية: لا يوجبون على معاوية طاعة الله ورسوله، وإنما يوجبون على الله ورسوله اتباع اجتهاد معاوية ، وإلا فليس الله بإله، ولا محمد برسول! أنا جربتهم أكثر من عشرين عاماً فوجدت الخلاصة هي هذه عند كثير منهم، أما بعضهم فلا، وهم لا يقولون هذا صريحاً لكن هذا هو الوجدان العام والشعور العام الذي اكتشفناه بعد طول صحبة وحوار في هذا الموضوع، وكنت أريد أن أفهم هذا العناد للنصوص من أجل معاوية، فلم أجد تفسيراً إلا أنه عقوبة من الله لمن لا يفعّل ما أعطاه الله من نعم وخاصة نعمة العقل والحواس.

4- وأما قوله : (الإصابة الأفضل لبيت مال المسلمين) ! : فكأن مال المسلمين هو للمسلمين! هذا المال مال معاوية لا مال المسلمين، كأنه لا يعرف الحديث ولا أقول التاريخ، فالحديث نفسه قد جاء في وصف ملك معاوية بأنه ملك عضوض، وأن بني أمية سيخذون مال الله دولاً، وأن أول من يبدل سنة النبي (ص) سيكون رجل من بني أمية، وهو معاوية، أما التاريخ فحدث ولا حرج، فهذه من الصفايا التي كان يصطفيها معاوية، حتى في الفتوح كان يصطفي الصفراء والبيضاء وعليها قُتِل الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري بخراسان لأنه رفض أن يصطفي لمعاوية الصفراء والبيضاء، ولو كان في معاوية قليل من دين – فضلاً عما يظن هؤلاء الحمقى بأنه على تدين عظيم- لكسر تلك الأصنام ثم باعها ذهباً، بدلاً من أن يبيعها أصناماً بصممها وصمتها .

5- وأما قوله (وانظر أمثَاله في علل الخلال بعدَه): فكل تلك العلل أو معظمها معلولة مذهبية ناصبية ولي معها بحث آخر. .ويكفي أن جامعها أبو بكر الخلال (311هـ)، وكان حنبلياً ناصبياً يعرف ذلك من قرأ علله، وهو من نقل

أن مذهب أحمد عدم التربيع بعلي في الفضل ! وإنما في الخلافة فقط ! والحنابلة مشهورون بالنصب إلا أنهم أخف من أهل الشام فهم لا يلعنون علياً ولكنهم يخفضون ما أمكنهم تخفضيه من حب علي وفضله إلى أقل حد ممكن، وهذا البخل مع علي من باب حسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقابله كرم كبير في إضفاء الفضائل المكذوبة على معاوية، من باب المحاجة عنه في الحياة الدنيا، مع الدفاع عمن لعنه وأبغضه، والتشنيع على من أحبه وناصره، فهم يحبون علياً من جهة شخصه حباً يابساً كحب الأواني المنزلية، ولكن حبهم لغيره يزيد على محبة الله ورسوله، وهم أيضاً يبغضون علياً من جهة آثاره وأصحابه، هم يريدونه صحابياً جامداً لا يحارب معاوية ولا يحتج بفضله ولا يعزل الظلمة، أنما لو أن علياً أقر معاوية وأكل معه الدنيا وباع الأصنام لفضلوه على أبي بكر وعمر بسهولة، ففضائله تشفع له في هذا، فمشكلتهم مع الإمام علي أنه حارب إمامهم ومنهجه في السياسات والأموال وفقأ عين الفتنة، فهذه لن ينساها هؤلاء النواصب لعلي بن أبي طالب، ولا بد أن يتتبعوه في كل فضيلة له وكل صاحب وكل محب، فما لم يستطيعوا بثه من بغض له بثوه في محبيه وأصحابه، مثل معاوية تماماً في بغضه للنبي (ص) لم يستطع أن يجاهر به فبثه في بغض علي بن أبي طالب ومقاتلته ولعنه على المنابر، فالمنهجان يخرجان من خرق واحد .

6- وأما نقله عن ابن عساكر قوله (كان بين أهل الشام والكوفة إحن) : فابن عساكر أولاً مؤرخ دمشقي (579هـ) وفيه نصب، وقد أنكر عليه حتى النواصب – كالذهبي وابن كثير- توسعه في سرد فضائل موضوعة في فضل معاوية مع عدم التنبيه عليها، فكيف لو أنصفوا تمام الإنصاف؟ ، وأما ما ذكره ابن عساكر فهو صحيح من حيث وجود الإحن بين أهل الشام وأهل الكوفة، لكن رواة الإسناد هم من المعارضة العراقية للمدرسة العراقية، بمعنى هم من الموالين لسلطة أهل الشام، ويكفي أن مسروق كان من عمال معاوية، فالسلطة لها موالون داخل البلدان المعارضة، ويكون ولاؤهم شديداً، لكن الصلاح منع مسروقاً من أن يسوغ عمل معاوية، وأما الإحن التي كانت بين أصحاب علي وأصحاب معاوية فمن الطبيعي أن تكون هناك إحن بين دعاة الجنة ودعاة النار، بل من واجب دعاة الجنة أن يبرؤوا من دعاة النار والمنافحين عنهم، وابتلاء الناس بعضهم ببعض سنة الله في خلق البشر، وإنما الغريب أن يستدل دعاة النار بالنصوص الشرعية على أن الله يحب الظالمين الكاذبين ويبغض العادلين الصادقين، فهذه زيادة

في الفرية على الله، وصدق من قال (لقد ترك لنا معاوية في كل زمن فئة باغية)، وهذه الفتنة بمعاوية ستقود هؤلاء يوماً من الأيام للمس بالنبي (ص) واتهام القرآن، وهذا ابتلاء أيضاً، وابلغ الابتلاء هو الابتلاء بالعصبية، وما أهلك إبليس غيرها، والعصبيات المذهبية اليوم في الفتنة والابتلاء كعصبيات العرب بالقبيلة في عهد النبوة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، سواء كان هؤلاء الظالمون معاوية ومن أطاعه في عصره، أو من عبد منهجه بعد عصره، كهؤلاء النواصب المغترين بالكثرة والمدافعين عن الظلمة ومظالمهم، والحمد لله القائل: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) ؟ [النساء]) .

المبحث السابع: الحاضنة الكبرى لأحاديث دولة معاوية (حاضنة العبث بالمناقب والمثالب):

[مراسيم معاوية الأربعة]

روى المدائني (وهو من أوثق المؤرخين عند أهل الحديث) رواية مهمة تشرح سياسة معاوية التي أنتجت هذه الأحاديث المقابلة أو المعارضة للأحاديث الصحيحة، وسأفردها إن شاء الله بمبحث خاص يشرح شواهدها ودلائلها وقرائنها على الواقع الحديثي. . ولكن هنا سأكتفي بسردها فقط مرقمة الأفكار لخاصة طلبة العلم على أن أفردها لاحقاً بفي رسالة مفردة بما يخدمها ويبين صحتها، وما بين قوسين من عندي لإيضاح الفكرة والأثر والزمن والفاعل.

أولاً: نص رواية المراسيم الأربعة مع التعليق عليها:

والرواية أوردها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة – (11 / 44) قال: روى أبو الحسن على بن محمد بن أبى سيف المدايني[145] في كتاب (الأحداث) قال:

1- كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة (هنا الفاعل وزمن الفعل)

2- أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته (وهنا المرسوم أو الأمر السلطاني)

3- فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته[146]– (هنا التنفيذ)

---

[145] هو المدائني شيخ المؤرخين (224هـ) قال عنه ابن معين (ثقة ثقة ثقة) . .

4- وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم[147] - (هنا تفصيل في الفعل وآثاره) .

5- وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة[148] (مرسوم ثاني)

---

146 هذا الكتاب المرسوم الأول لمعاوية بعد اعتلائه السلطة، وشواهد ذلك أكثر من أن تحصر (راجع تراجم زياد وواليه على البصرة سمرة بن جندب) وسترى دلائل هذا الكتاب . .

147 هذا الواقع من نتائج المرسوم، ودلائله في التاريخ كثيرة جداً . . وسنتوسع فيه في الرسالة المفردة عن هذا المرسوم.

148 هذا الكتاب هو المرسوم الثاني وقد يكون جزءاً من المرسوم الأول، لتعلقه بالإمام علي، ومن آثار هذا المرسوم تضعيف أهل الحديث الشيعي مطلقاً وتوثيقهم الناصبي غالباً كما قال ابن حجر في تهذيب التهذيب - (ج 8 / ص 410) قال : (وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالبا وتوهينهم الشيعة مطلقا ولا سيما أن عليا ورد في حقه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلى منافق)، ثم بعد أن اعترف بهذا الأمر أجاب عليه ابن حجر بجواب عجيب يدل على أنه لم ينتبه لهذا المرسوم وآثاره ! فقال (فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهورا بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة !بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الإخبار) ! قلت: فهاهو مرسوم معاوية يمتد تأثيره إلى أيام ابن حجر ! وإلا فالغالب على الناصبي الكذب، وعلى محب علي الصدق، فابن حجر إذن من ضحايا هذا المرسوم، وهذا يدل على أن اثر مرسوم معاوية موجود إلى أيامنا هذه، فإنه يكفي عندهم كلمة (شيعي) حتى ترد روايته، ولا ينتبهون لكلمة (ناصبي) حتى في من يلعن علياً كمعاوية ومروان وزياد ونحوهم، انظروا تراجمهم في كتب الرجال، فلن تجدوا أحداً يتهمهم بالنصب ! وللعلامة محمد ابن عقيل الشافعي رد مطول على الحافظ ابن حجر تضمن إقراره ابن حجر على استشكاله ومخالفته له في استنتاجه، وسنورده مختصراً بعد هذه الحاضنة التاريخية التي بها نفهم هذا التصالح بين السلفية والنصب، وهذا النفور السلفي من كل محب لأهل البيت، ولعله إلى اليوم لا تقبل السلفية شهادة الشيعة ! حتى لو تيقنوا أن ما يقولونه حق، وهم لا يعرفون من أين أتاهم هذا الاعتقاد ؟ ! .

6- وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته[149] (هذا جزء من المرسوم الثاني على الراجح) .

7- ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجئ أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا[150] (هنا التنفيذ وآثاره) . .

8- ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين [151] ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة[152] فإن هذا أحب إليّ وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله[153] (هذا المرسوم الثالث) .

---

149 وهذا جزء من المرسوم الثاني على الأرجح فهو وما سبقه وما بعده كأنه مرسوم واحد متعلق بعثمان.

150 وهذا تجد دلائله في فضائل عثمان. . فقد رووا في فضائل عثمان رضي الله عنه كثيراً من الأحاديث الموضوعة، ولا استبعد أن تكون أكثر فضائل عثمان راجعة إلى هذا المرسوم الأموي، ويمكن معرفة ذلك من بالتتبع التاريخي للعثمانية، سواء العثمانية السياسية أو العثمانية المذهبية، ومن أبرز العثمانية السياسية ولاة معاوية كالمغيرة وزياد وابن زياد وسمرة بن جندب، وأما العثمانية المذهبية فتعني الفقهاء المتدينون بحب عثمان بغلو، ويدفعهم هذا الحب لوضع الأحاديث فيه أو مشاركة السلطة في اضطهاد شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

151 وهو المرسوم الأخير، فالذي أرجحه أن هذه ثلاثة مراسيم وليست أربعة (كما ظن بعض الباحثين)، فالأول خاص بعلي والثاني بعثمان والثالث بالصحابة، وأما ما يخص معاوية فقبل هذه المراسيم وبعدها . .

152 وآثار هذه واضحة جداً، ومثال ذلك حديث (أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ! وهذا حديث موضوع باعتراف أهل الحديث، بينما الحديث الأصلي كان في حق الإمام علي (أنت مني بمنزلة هارون من

موسى) فهذا متواتر وهو في الصحيحين (وعند تتبع هذا الحديث الموضوع في فضل الشيخين يمكننا أن نجد المستجيب لأمر معاوية، فقد يكون ابن أبي ملكية، وقد يكون تلميذه قزعة بن سويد نسب ذلك لابن أبي ملكية، وقد يكون أحدهم حدث ابن أبي ملكية بهذا الحديث عن ابن عباس فدلسه ابن أبي مليكة لزبيرته وتيميته المعروفة، (انظر ترجمة قزعة بن سويد البصري الباهلي في الميزان) وهو في تاريخ بغداد - (ج 11 / ص 384) من طريق محمد بن جرير الطبري حدثنا بشر بن دحية حدثنا قزعة بن سويد عن ابنأبي مليكة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم الله عليه وسلم قال أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى) ! فقزعة بن سويد هو المتهم به، وهو بصري باهلي، وشيخه زبيري الهوى تيمي النسب ولي فيه بحث، وكذلك الحديث في فضل علي في صحيح مسلم (لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق) روى النواصب عن علي نفسه ما يعارضه فنسبوا إلى الإمام علي قوله : (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقي ولا يبغضهما إلا منافق ردي) رواه الآجري الحنبلي في عقيدته (الشريعة) و اللالكائي الحنبلي في عقيدته (السنة) وابن عساكر وخيثمة بن سليمان وأبي نعيم الأصبهاني وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمير (وهو ناصبي) عن سويد بن غفلة عن علي. . وكذلك لم أجد حديثاً صحيحاً في فضل علي إلا وقد عارضوه بفضيلة أخرى لصحابي آخر !

[153] وكلام معاوية صحيح، فإنك اليوم لا تذكر فضيلة لعلي إلا أتاك هؤلاء بحديث آخر مقابل له، حتى لو لم يكن قصدك تفضيل علي بهذا الحديث، فهؤلاء السلفية المحدثة يقفون حجر عثرة أمام كل منقبة للإمام علي، وهم ينبهون طلابهم عند كل فضيلة من فضائله بقولهم (ولكن هذا لا يعني تفضيله على أبي بكر وعمر) ! أو يكرهون طلابهم في هذه الحديث بقولهم (والروافض يستدلون بهذا الحديث على تفضيل علي وللرد عليهم نقول. .) فيُكرّهون طلابهم في أحاديث النبي (ص) التي تروى في فضائل علي فيبغضونها ويتمنون لو أن النبي (ص) سكت ولم يقلها ! (وهذا نفاق فلينتبهوا، بل الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجعل هذا من نواقض الإسلام العشرة: من أبغض شيئاً مما أتى به رسول الله كفر. .) فهؤلاء العلماء من السلفية المحدثة لا يتركون لطالب العلم أن يستمتع بفضيلة للإمام علي ولا حتى لرسول الله حتى يتبعونه بتحذير من هذا الحديث وألا يفهمه أحد كما أراد رسول الله وإنما كما فهمه سلف المرسوم، ولا يحق لطالب العلم أن يستعظم حديثاً في فضل علي ولا أن يقدره حق قدره. .الخ، فآثار مرسوم معاوية فاعل في الثقافة السلفية إلى اليوم، وهذا المرسوم هو الثالث فيما أرجح ويتعلق بفضائل الصحابة أبي بكر وعمر. . وستجد آثار هذا المرسوم في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فهما مع فضلهما إلا أن أكثر الأحاديث في فضلهما موضوعة من تلك الأيام.

9- فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وأُلقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن[154] وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله (هنا التنفيذ وآثاره) .

10- ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا من قامت عليه البينة انه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه[155] (هنا المرسوم الرابع) .

11- وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتوه بمولاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدمو داره[156] (هذا جزء من المرسوم الرابع) .

---

[154] بل حفظهم لمعاني هذه الأحاديث في فضل الصحابة أكثر من حفظهم لمعاني القرآن الكريم . . والدليل على ذلك أنني لو أذكر آية واحدة من القرآن الكريم فإنه ليس لها وجود في العقلية الجمعية للسلفية المحدثة، وربما أذكر مثالاً عجيباً هنا، وأسأل السلفي : ماذا تقول في أهل بدر ؟ هل كلهم على مستوى عالٍ من الإيمان والنصرة أم كان فيهم متخاذلون؟ كلكم ستقولون : كلهم على قلب رجل واحد في النصرة والحماس وطاعة النبي (ص) . . فنقول : هل أتاكم هذا من الحديث والتاريخ أم من القرآن الكريم؟ ستقولون : لا ندري إلا أن هذه محل إجماع ولا نتوقع شيئاً من القرآن يخالف هذا الاعتقاد، نقول حسناً فاسمعوا القرآن الكريم إذن، وكيف يفرق بين أهل بدر بين مستجيب ومتراخٍ، قال تعالى في سورة الأنفال – وهي سورة بدر– (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) [الأنفال : 5 – 7])

155 هذا المرسوم الرابع لمعاوية وهو يتعلق بالتغيير الاجتماعي . . والمراسيم الثلاثة الأولى خاصة بالحديث في الفضائل والمثالب، وهي أساسية في تغيير مفاهيم العامة، فكل قائل سيقول لهم: وهل أنتم مثل فلان الذي قيل فيه كذا وكذا، بل هذا حاصل إلى اليوم.

156 هذا جزء من المرسوم الرابع . . وقد نعده خامساً مع وجود الفاصل الزمني الكافي، كأن يتم تنفيذ بعض المرسوم الأول قبل وصول المشفوع، وهذا غير معلوم زمنياً ، لذلك جعلناهما واحداً .

12- فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة،حتى إن الرجل من شيعة على عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه[157] فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة (وهنا التنفيذ وآثاره)

13- وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها . (وهنا التنفيذ وآثاره)

14- فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن على عليه السلام[158] فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض (وهنا التنفيذ وآثاره) .

15- ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام [159] (وهذا من آثار مراسيم معاوية في عهد ابنه يزيد، وهذا استطراد من الراوي، فمعاوية مات قبل الحسين) .

---

157 فلذلك كان كثير من فضائل علي التي انفرد بها أهل الكوفة فضائل غريبة على أهل الحديث، ولا يصححون إلا ما بثه أهل المدينة كحديث المنزلة وحديث خيبر وحديث الوعلى استحياء وبتأويل وتحذير من الإيمان بألفاظها كما هي !

158 إذن فهذه المراسيم الأربعة إذن كانت في السنوات الأولى من عهد معاوية، لأن وفاة الحسن كانت سنة 49هـ، أو 50هـ، ومن براهين ذلك مقتل الصحابي حجر بن عدي وأصحابه، لأنهم رفضوا البراءة من علي بن أبي طالب، وملاحقة الصحابي الكبير عمرو بن الحمق الخزاعي وقتله وكان من أصحاب حجر، وقد ابتلي معاوية بالأمراض الكثيرة كاللقوة والدبيلة ولكن لم يعتبر، والظالم قد يحرمه الله من الهداية والتوبة بظلمه، فهذه من سنن الله في خلقه، كما شرحنا بتوسع في كتاب الدبيلة . .

159 هذا استطراد من الراوي.

16- وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضا أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغض من علي عليه السلام و عيبه والطعن فيه والشنآن له حتى إن إنساناً وقف للحجاج، ويقال أنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب[160]، فصاح به أيها الأمير إن أهلي عقونى فسموني علياً !

---

160 جد الأصمعي اسمه علي بن أصمع، قطعه الإمام علي في السرقة قرب صفوان ناحية البصرة، وفي الإصابة ترجمة أصمع - (ج 1 / ص 71) . . وذكر المبرد في الكامل لابنه علي بن أصمع قصة مع علي بن أبي طالب ثم مع الحجاج اهـ هي هذه المذكورة عند المدائني، وتفصيلها (الوافي بالوفيات - (ج 6 / ص 255): وكان جد الأصمعي علي بن أصمع سرق بسفوان فأتوا به علي بن أبي طالب فقال: جيئوني بمن يشهد أنه أخرجها من الرحل، فشهد عليه بذلك فقطع من أشاجعه، فقيل له: يا أمير المؤمنين! ألا قطعته من زنده؟ فقال: يا سبحان الله ! كيف يتوكأ، كيف يصلي، كيف يأكل؟ فلما قدم الحجاج البصرة، أتاه علي بن أصمع، فقال: أيها الأمير ! إن أبوي عقاني فسماني علياً، فسمني أنت ! فقال: ما أحسن ما توسلت به ! قد وليتك سمك البارجاه، وأجريت لك كل يوم دانقين فلوساً، ووالله لئن تعديتهما لأقطعن ما أبقاه عليّ عليك) ! اهـ وقد بقي النصب في سلالة هذا الرجل حتى وصل للأصمعي، ومما قيل في نصب الأصمعي:

ذكر الخطيب بسنده في تاريخ بغداد - (ج 10 / ص 418) . . حدثنا أبو العيناء قال كنا في جنازة الأصمعي سنة خمس عشرة ومائتين فحدثني أبو قلابة الجرمي الشاعر وأنشدني لنفسه:

لعن الله أعظماً حملوها . . . . نحو دار البلى على خشبات

أعظما تبغض النبي . . . . وأهل البيت والطيبين والطيبات !.

ولنصب الأصمعي سبب في وصف الحنابلة له بالسنة ! ففي ترجمة الأصمعي في سير أعلام النبلاء - (ج 10 / ص 176) قال: وقد أثنى أحمد بن حنبل على الاصمعي في السُّنة !) اهـ والنصب يمسك بعضه بأعناق بعض، وهذا الثناء من أحمد من دلائل نصب الأصمعي ونصب أحمد ، فأحمد لم يصف رجلاً بالسنة إلا وعنده شيء من نصب، مع أن أحمد نفسه لا يبغض الإمام علي لكنه يحب معاوية، وهذا شطر لا بأس به من النصب،، وكان الأصمعي من صنائع الرشيد ومقربيه، ولأجله انتقل من البصرة لبغداد، والرشيد ناصبي كبير، وكان الأصمعي متهم بالكذب في اللغة، سئل عنه أحد أقاربه أين هو؟ فقال: جالس في الشمس يكذب على الأعراب ! اهـ ولم أجد ناصبياً إلا متلبساً بشيء من الكذب.

وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا اهـ وهذا من آثار التنفيذ، وهنا انتهت رواية المدائني.

وأضاف ابن الحديد: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه[161]، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم[162].

---

161 هو من ذرية المهلب بن أبي صفرة، اسمه إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وإنما نفطويه لقب، (244- 323هـ)، وفي العبر في خبر من غبر - (ج 1 / ص 125) وفيها - أي سنة 323هـ- مات نفطويه النحوي، أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفه العتكي الواسطي، صاحب التصانيف، روى عن شعيب بن أيوب الصَّريفني وطبقته، وعاش ثمانين سنة، وكان كثير العلم، واسع الرواية، صاحب فنون اهـ ولأجل تصريحه بمثل هذه الأمور اتهمه بعضهم بالتشيع، وهذا غير صحيح، حتى في قليل التشيع لأن البربهاري الحنبلي هو من صلى عليه وفي بغداد! فمن أين يأتي له التشيع؟ إنما قال هذا من قاله ليبطل كلامه عن فضائل الصحابة، وقد أثنوا عليه بالدين والعلم بالتاريخ والحديث والفقه (ففي لسان الميزان - (ج 1 / ص 46): إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه مشهور له تصانيف بقي إلى حدود العشرين وثلاثمائة قال الدارقطني ليس بقوي ومرة لا بأس به وقال الخطيب كان صدوقاً انتهى كلام الذهبي، وزادج ابن حجر (وقال مسلمة كان كثير الرواية للحديث وأيام الناس ولكن غلب عليه الملوك وكان لا يتفرغ للناس وكانت فيه شيعية . . ، وقال ياقوت في معجم الأدباء . .(قال الثعالبي . .كان عالماً بالعربية واللغة والحديث أخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما روى عنه المرزباني وأبو الفرج الأصبهاني وغيرهما قال المرزباني ولد سنة أربع وأربعين ومائتين وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه على حال ما شاهدت عليها أحداً وكان حسن الحفظ للقرآن يبتدئ في مجلسه بشيء منه على قراءة عاصم ثم يقرئ غيره وكان فقيهاً عالماً بمذهب داود رأساً فيه وكان مسنداً في الحديث ثقة صدوقاً لا يتعلق عليه بشيء مما رواه وكان جالس الملوك والوزراء وأتقن الحفظ للسيرة وأيام الناس ووفيات العلماء مع المروة والفتوة والظرف . . قال المرزباني مات في ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحضرت جنازته فتقدم في الصلاة عليه البربهاري كبير الحنابلة) اهـ/ بل يظهر أنه حنبلي العقيدة ظاهري الفروع، ففي سير أعلام النبلاء - (ج 15 / ص 76): وكان ذا سنة ودين وفتوة ومروءة، وحسن خلق، وكيس. .الخ، و في ترجمته في الوافي

قلت – ابن أبي الحديد– ولا يلزم من هذا أن يكون على عليه السلام يسوءه أن يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخير والفضل إلا أن معاوية وبني أمية كانوا يبنون الأمر من هذا على ما يظنونه في على عليه السلام من انه عدو من تقدم عليه ولم يكن الأمر في الحقيقة كما يظنونه ولكنه كان يرى أنه أفضل منهم وأنهم استأثروا عليه بالخلافة من غير تفسيق منه لهم ولا براءة منهم اهـ كلام ابن الحديد .

ثانياً: شواهد المراسيم الأربعة:

وهناك شواهد كثيرة عن هذه المراسيم، بل بعض الشواهد تكرار للنص تقريباً، وسنوردها هنا بلا دراسة للأسانيد، لكثافة هذه الشواهد ولأن التاريخ تاريخ، فإذا تضافرت رواياته على أمر فهو صحيح غالباً، إلا في نوادر ليست محل البحث هنا، إضافة إلى أن بعضهم تقدم الكلام عنه، ومن ذلك:

- الرواية الأولى : من شواهد المراسيم:

بالوفيات – (ج 2 / ص 265): وكان نفطويه يقول بقول الحنابلة إن الاسم هو المسمى وجرت بينه وبين الزجاج مناظرة أنكر عليه الزجاج على ذلك موافقته الحنابلة . .الخ)

[162] وهذا حق، فمن يقرأ فضائل الخلفاء الثلاثة يجد فيها المقابلة والمعارضة، فكيف بفضائل معاوية؟ فمن الذي يقبل شرعاً أو عقلاً أن الشيطان يهرب من عمر بينما القرآن الكريم والسنة النبوية لا تدل على أنه يهرب حتى من الأنبياء، وقد زعموا أن النبي (ص) نفسه أمسك شيطاناً وأنه لولا سليمان عليه السلام لأبقاه حتى يراه المسلمون، فلماذا يصل هذا الشيطان إلى المحراب النبوي ولا يهرب من النبي (ص) بينما يهرب من عمر إن رآه سالكاً فجاً؟ ألم يشهد عمر صلاة الفجر في المسجد النبوي ذلك اليوم؟ إن حب عمر لا يحتاج لمثل هذه الخرافات الأموية، وأمثالها كثير كخوخة أبي بكر فإنها موضوعة لمعارضة حديث سد الأبواب إلا باب علي، وكان أبو بكر يسكن في السنح شمال المدينة، وأما علي فبجوار المسجد النبوي، ولي بحث خاص أسميته (علل المناقب) وجدت فيها أكثر الأحاديث المشهورة اليوم بين أهل الحديث موضوعة أو معلولة .

تاريخ الطبري [جزء 3 – صفحة 218] قال هشام بن محمد عن أبي مخنف عن المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير وفضيل بن خديج والحسين بن عقبة المرادي، قال (أبو مخنف) كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث حجر بن عدي الكندي وأصحابه إن معاوية بن أبي سفيان لما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد: – فذكر وصيته للمغيرة ومنها – :

وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي ولست تاركا إيصاءك بخصلة لا تترحم عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه والإدناء لهم والاستماع منهم فقال المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع فستبلوا فتحمد أو تذم قال بل نحمد إن شاء الله اهـ

التعليق:

فهؤلاء أربعة من التابعين (شيوخ أبي مخنف) يروون هذه القصة والأرجح أنهم أخذوها من بيت المغيرة، فقد كان المطرف بن المغيرة بن شعبة من المعارضة العراقية، وكان صادق الإيمان وقد ثار.. وهذا النص هو ترجمة أخرى للمراسيم.

الرواية الثانية : من شواهد المراسيم الأربعة:

تاريخ الطبري [جزء 3 - صفحة 218] قال أبو مخنف قال الصقعب بن زهير سمعت الشعبي يقول: ما ولينا وال بعده مثله وإن كان لاحقا بصالح من كان قبله من العمال وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا وهو من أحسن شيء سيرة وأشده حبا للعافية غير أنه لا يدع ذم علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال بل إياكم فذمم الله ولعن ثم قام فقال: إن الله عز وجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وأنا أشهد: أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم

فيقول المغيرة يا حجر . . . .الخ

قلت: هذا شاهد على رواية المدائني (المراسيم الأربعة) . .

الرواية الثالثة: من شواهد المراسيم الأربعة

تاريخ الطبري [جزء 3 - صفحة 182] : قال أبو مخنف فحدثني الأسود بن قيس عن مرة بن منقذ بن النعمان قال كنت أنا فيمن ندب معه يومئذ قال لقد كان صعصعه بن صوحان قام بعد معقل بن قيس وقال ابعثني إليهم أيها الأمير فأنا والله لدمائهم مستحل وبحملها مستقل فقال اجلس فإنما أنت خطيب فكان أحفظه ذلك وإنما قال ذلك لأنه بلغه أنه يعيب عثمان بن عفان رضي الله عنه ويكثر ذكر علي ويفضله وقد كان دعاه فقال إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئا من فضل علي علانية فإنك لست بذاكر من فضل علي شيئا أجهله بل أنا أعلم بذلك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا ندفع به هؤلاء

القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاكرا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا به

قلت: وهذا شاهد تطبيقي أيضاً . . فالمغيرة يطبق تلك المراسيم . .

الرواية الرابعة : من شواهد المراسيم الأربعة:

وفي طبقات ابن سعد (ترجمة ابن الحنفية):قال أخبرنا مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي قال أخبرنا عمر بن زياد الهذلي عن الأسود بن قيس حدثه قال: لقيت بخراسان رجلا من عزة قال قلت للأسود ما اسمه قال لا أدري،_ قال ألا عرض عليك خطبة ابن الحنفية؟ قال قلت بلى قال انتهيت إليه وهو في رهط يحدثهم . . فجلست وحدث القوم ساعة ثم قام فقمت معه فلما أن دخل دخلت معه بيته قال قل بحاجتك، قال فحمدت الله وأثنيت عليه وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ثم قلت أما بعد فوالله ما كنتم أقرب قريش إلينا قرابة فنحبكم على قرابتكم ولكن كنتم أقرب قريش إلى نبينا قرابة فلذلك أحببناكم على قرابتكم من نبينا فما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الأعناق وأبطلت الشهادات وشردنا في البلاد وأوذينا . . . . الخ.

قلت: فهذه من شواهد عن مراسيم معاوية الأربعة، فهذا الراوي ينقل الواقع.

وهناك شواهد أخرى كثيرة، شاهد من حديث المغيرة مع حجر بن عدي، وشاهد عرضهم على حجر بن عدي وأصحابه. . فالوقائع التاريخية تشهد لما رواه المدائني، وكذا الشواهد الحديثية في فضائل الخلفاء

السابقين أو فضائل معاوية من حيث وجود تلك المقابلات والمعارضات الحديثية، كل هذه من قرائن تلك المراسيم.

ثالثاً: أثر مراسيم معاوية في الجرح والتعديل

نموذج واحد فقط من آثار تلك المراسيم، بل ربما من آثار المرسوم الأول فقط! وهو تضعيف الشيعي مطلقاً وتوثيق الناصبي غالباً، وهذا الأثر سارت عليه الدولة الأموية وعلماؤها وقضاتها ومحدثوها فأنشأت جيلاً لا يعرف إلا هذا، ثم أصبح ذلك الجيل سلفاً يقتدى به، وبقوا على هذا المنوال بلا مستشكل ولا منكر حتى أتى الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري في القرن التاسع الهجري (مات سنة 852هـ) فاستشكل هذا وتحير في سبب توثيق الاصبي وتضعيف الشيعي، مع أن الناصبي يبغض علياً وبغض علي نفاق بنص الحديث والمنافق كاذب بنص القرآن (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)، كما أن الشيعي يحب علياً وحب علي إيمان بنص الحديث، والمؤمن لا يكذب غالباً فما الذي عكس الموضوع عند أهل الحديث؟ هذا ما استشكله ابن حجر وأحسن في الاستشكال، لكنه لم يعرف الإجابة على هذا الاستشكال، ولو تذكر مرسوم معاوية وأنه السبب لأحسن الإجابة كما أحسن الاستشكال، إلا أنه لم يتذكره وربما لا يعلمه لأن كتاب المدائني (الأحداث) الذي نقل الخبر مفقود، ولعل ابن حجر لم يقرأ شرح ابن أبي الحديد ونقله عن كتاب المدائني، وعلى كل حال، كان يجب على الحافظ ابن حجر أن يجعل النص فوق تطبيق أهل الحديث حتى لو لم يجد المرسوم أو لم يثبت عنده.

وقد أجاب ابن حجر على الاستشكال بجواب عجيب غريب تعقبه عليه العلامة محمد بن عقيل (ت 1350هـ) وهو علامة متجول في اليمن والهند والحجاز، وهو شافعي المذهب كابن حجر، وقد تعقب كلام ابن حجر بكلام طويل، سنختصره، ولكن نورد قبل ذلك اكتشاف ابن حجر لآثار مراسيم معاوية مع جوابه على الاستشكال:

رابعاً: [نص اكتشاف ابن حجر]:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في (تهذيب التهذيب)- ترجمة لمازة بن زبار[163]- :

((وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعة مطلقاً[164] ولا سيما أن علياً ورد في حقه (لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق)[165]، ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البغض ها هنا مقيد بسبب وهو كونه نصر

---

163 لمازة بن زبار (وقيل ابن زياد) بصري ناصبي، كان يبغض علياً ويسبه لأنه قاتل البغاة فقط ! ففي تاريخ الرسل والملوك - (ج 3 / ص 67): حدّثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا سليمان بن صالح، قال: حدثني عبد الله، عن جرير بن حازم، قال: حدّثني الزبير بن الخرّيت، عن أبي لبيد لمازة بن زياد، قال: قلت له: لم تسبّ عليّاً؟ قال: ألا أسبّ رجلاً قتل منا ألفين وخمسمائة، والشمس ها هنا اهـ يقصد معركة الجمل، وكانت الأزد مع عائشة، وهذا البغض من لمازة – إن كان صادقاً بأنه السبب- فهذه عصبية كبغض قريش للنبي (ص) ولحمزة ولعلي لأنهم قتلوا أقاربهم يوم بدر، فماذا يمكن للإمام علي أن يفعل وهو خليفة عدل، وقد قام أهل الجمل بعزل واليه عثمان بن حنيف وقتل مناصريه في البصرة والاستيلاء على بيت المال. .الخ، ثم يدعوهم إلى الجماعة فيأبون؟ ثم يبدؤونه بالقتال؟ . . ولكن النواصب غير صادقين بأن هذا هو السبب وإنما هو النصب فحسب على دنيا زائلة أو لشبهة باطلة، وذكر الطبري أن لمازة هذا من الوافدين على يزيد بن معاوية! وكان يروي أكاذيب مصطنعة في فضل يزيد ! ففي تاريخ الإسلام للذهبي - (ج 2 / ص 338): و روى الزبير بن الخريت، عن أبي لبيد (لمازة) قال: وفدنا إلى يزيد فقالوا: هو يشرب الخمر، فهاجت ريحٌ فألقت خيمته، فإذا هو قد نشر المصحف و هو يقرأ !) اهـ الله أكبر! إذن فيزيد من الأولياء وليس من الفساق! ولذلك يعلق الذهبي على هذا بقوله: (ما يلام الشيعي على بغض هذا الناصبي اليزيدي الذي ينال من علي و يروي مناقب يزيد !) .

164 هذا هو الاكتشاف، وهو أهم ما في هذا النقل، لأنه اعتراف خطير وشجاع من الحافظ ابن حجر، ولا أظن إلا أن غيره قد لاحظ هذا، لكنه لم يجرؤ على التصريح خشية من المذهب، و ربما لولا أن ابن حجر وجد جواباً اقتنع به ما اعترف هذا الاعتراف أيضاً، لأن هذا الاعتراف يدل دلالة واضحة على أنه باستقراء واقع الجرح والتعديل نكتشف انحياز أهل الجرح والتعديل للنواصب ضد الشيعة، ولبني أمية ضد آل البيت، ولمعاوية ضد الإمام علي، هذه هي القاعدة وما خالفها فهو نادر وشاذ، ويجب الاعتراف بهذه القاعدة أولاً حتى نستفيد منها في إعادة قراءة علمية للجرح والتعديل والحديث والعقائد والفقه. .الخ.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[166] ! لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بالعكس، وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالباً، والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم، فقد أحبه من أفرط فيه حتى أدعى أنه نبي أو إله تعالى الله عن أفكهم، والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد في حق الأنصار، وأجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان ذلك علامة نفاق وبالعكس، فكذا يقال في حق علي، وأيضاً فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار، والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن علياً (رض) قتل عثمان أو كان عليه فكان بغضهم له ديانة بزعمهم ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربه في حروب علي)) .اهـ كلام ابن حجر

خامساً: [رد العلامة ابن عقيل على الحافظ ابن حجر مطولاً]

1- اختيار الرد على ابن حجر لأنه أعقل القوم :

قال العلامة محمد بن عقيل الشافعي – وهو أحد الناجين القلائل من التأثر بمرسوم معاوية- قال رداً على قول ابن حجر في كتبه الفرد العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل - (1 / 15): كلام ابن حجر العسقلاني في توثيق الناصبة وجرح الشيعة:

في ذكر ما اعتذروا به – يعني أهل الحديث- عن توثيقهم الناصبي غالباً وتوهينهم الشيعة مطلقاً واحتجاجهم لذلك ثم بيان فساد ذلك وبطلانه فنقول – ابن عقيل-:

---

165 والحديث في صحيح مسلم من حديث علي، وهو في غيره من حديث علي وأم سلمة وابن عمر وأنس وجابر بن عبد الله وغيرهم، وقد وضع عروة ما يقابله في حق حسان بن ثابت رضي الله عنه (وعروة من صنائع معاوية الذين عملوا على وضع الأحاديث المعارضة والمقابلة لفضائل علي، وسيأتي التفصيل فيه) .

166 هذا التخصيص عجيب من ابن حجر ! وهو يبطل أصل الحديث ومراد النبي (ص) منه، وإلا لو كان الأمر كما ظن ابن حجر فإنه من أبغض أبا لهب لأنه عم النبي (ص) فهو منافق، ومن أبغض أبا طالب لأنه نصر النبي (ص) فهو منافق، ومن أبغض أبا سفيان لأن النبي (ص) تزوج ابنته فهذا منافق، . . ومن أبغض حجراً لأن النبي (ص) وطيء عليه فهو منافق . . ليس هذا مراد النبي (ص) من الحديث.

لا نطيل الكتاب بذكر ما تطاول به ابن حزم ولا ما تفلسف به ابن تيمية ولا ما هذي به ابن حجر المكي، مما يدخل في هذه المواضيع لوضوح فساده ونكتفي بنقل كلام العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله لأنه زبدة ما احتجوا به ولأنه مما قد يروج قبل التأمل ثم نرده جملة إن شاء الله تعالى اهـ

التعليق:

قلت: وهؤلاء الثلاثة نواصب (ابن حزم وابن تيمية وابن حجر المكي)، ولكن كل في مرتبة من مراتب النصب، أما ابن تيمية فهو أبلغهم نصباً يبغض علياً خفية ويحب معاوية علانية، فاجتمع له شطرا النصب، وأما ابن حزم فأخف من ذلك فهو يثني على الحسين وحجر بن عدي ويذم بعض أفعال معاوية ويذم ابنه يزيد . .الخ ولا يظهر نصبه إلا عند المفاضلة بين علي وأبي بكر فيبالغ إلى أن يصل لتنقص علي وإنكار ما تواتر من مناقبه لحديث الغدير، وأما ابن حجر المكي فهو صاحب الصواعق المحرقة يحب علياً ويحب معاوية إلا أنه يبغض يزيد بن معاوية ويذمه، وهذا النصب الخفيف هو الذي عليه كثير من السلفية المحدثة حتى انتشرت كتب ابن تيمية ومحب الدين الخطيب ونحوهم فأخذ بعض السلفية في بغض علي وأهل البيت وتنقصهم بذكاء، والثناء على معاوية ويزيد والحجاج وحبهم . .الخ، وهذه من سنن الله في خلقه، فالمعركة الأخيرة ستكون بين محمد (ص) ومعاوية، وهي المعركة الأولى، إلا أن معاوية استخدم التقية بدهاء خفي، فصدقها أتباعه بغفلة ظاهرة، وإظهار السلفية الدفاع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة إنما هي للزينة فقط وللتحريض على موالاة معاوية ويزيد، فلذلك يربطون هذا بهذا، مما يدل على أن دفاعهم عن الصحابة الكبار إنما هو مقدمة للحط من علي وإعلاء شأن معاوية، وطلبة العلم فيهم غفلة فأصبحوا لا يعقلون دفاعاً عن الثلاثة إلا بالحط من أهل البيت ورفع بني أمية، وهذا أسوأ من الحط على الثلاثة، لأن الحط على الثلاثة خطأ واحد أو جريمة واحدة، بينما الحط على أهل البيت والرفع من شأن الظالمين كمعاوية ويزيد والحجاج جريمتان كبيرتان، ومن أثنى على فرعون فلا ينفعه حب موسى عليه السلام، والولاء للنبي (ص) والصالحين من أهل بيته ولو قلوا، أفضل من خلط محبة الرسل والشياطين وإن كثروا .

2- الجواب على توثيقهم الناصبي غالباً :

ثم قال العلامة ابن عقيل :

(وقبل الشروع في نقض كلامه لا بد من تمهيد فنقول – فذكر مقدمات [167] – ثم قال:

---

167 والمقدمة هي قول العلامة ابن عقيل: (قد اختلف كلام أهل الجرح والتعديل في تحديد ما تجرح به عدالة الراوي وفي تعريف الشيعي الرافضي ورجح بعضهم ما وافق مشربه ولم يرجعوا إلى أصل متفق عليه، تعرف هذا مما ننقله من كلامهم فقد ذكر الشيخ ابن حجر العسقلاني في مقدمة (فتح الباري) التشيع في ألفاظ الجرح ثم قال: ((والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي)) .اهـ

ولا يخفى أن معنى كلامه هذا أن جميع محبي علي المتقدمين له على الشيخين روافض وأن محبيه المقدمين له على من سوى الشيخين شيعة وكلا الطائفتين مجروح العدالة وعلى هذا فجملة كبيرة من الصحابة الكرام كالمقداد وزيد بن أرقم، وسلمان (الفارسي)، وأبي ذر. . – وذكر جملة من الصحابة – وبني هاشم كافة وبني المطلب كافة وكثير غيرهم، (كل هؤلاء) روافض – وفق كلام ابن حجر – لتفضيلهم علياً على الشيخين ومحبتهم له ويلحق بهؤلاء من التابعين وتابعي التابعين من أكابر الأئمة وصفوة الأمة من لا يحصى عددهم وفيهم قرناء الكتاب (أهل البيت) وجرح عدالة هؤلاء هو والله قاصمة الظهر ولعل لكلام الشيخ محملاً لم نقف عليه ويبعد كل البعد إرادته لظاهر معنى كلامه هذا لعلمه ودينه وفضله.

ثم ذكر ابن عقيل : تناقض كلام ابن حجر فقال:

وذكر في (لسان الميزان) ما يخالف هذا فقال: (فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من يتكلم في عثمان والزبير وطلحة وطائفة ممن حارب علياً (رض) وتعرض لسبه والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً فهذا ضال مفتري)) .اهـ (قال ابن عقيل) : وعلى أن في قوله ((فالشيعي)) إلى قوله ((وطائفة ممن حارب علياً (رض) وتعرض لسبه)) غموضاً لأن لفظ الطائفة يصدق على الواحد فأكثر فما تفسيره هنا ؟ أهي أم المؤمنين عائشة وحدها ؟ أم من عدا أهل النهروان من الناكثين والقاسطين ؟ وعليه يكون الحسنان وعمار ومن معهم ممن صح عنهم لعن القاسطين غلاة! وقوله ((وتعرض لسبه)) يحتمل عود الضمير في ((تعرض)) إلى فاعل ((حارب)) والضمير في ((لسبه)) يعود على علي (عليه السلام) وعليه يكون لعن وسب الذين يلعنون ويسبون علياً من الغلو، ويحتمل أن يعود الضمير في ((تعرض)) إلى علي (عليه السلام) وعليه يكون الاقتداء بعلي في سب من سبه علي من الغلو ! وكل هذا مخالف للأدلة الصحيحة الصريحة ولهدي وعمل من أمرنا بالتمسك بهم فتأمل! وذكر – ابن حجر – في (تهذيب التهذيب) في ترجمة

قال – ابن حجر – رحمه الله تعالى:

(وقد كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالباً) .اهـ

وأقول – القائل ابن عقيل –:

كلام الشيخ (ابن حجر) هذا وجيه واستشكاله صحيح لأن ذلك الصنيع عنوان الميل والجور والشيخ (ابن حجر) من أهل الإطلاع والحفظ وهو ثقة فيما يرويه فاعترافه هنا دليل واضح وحجة ثابتة على صنيع القوم[168]، وهو مع ذلك علامة فشو النصب وشيوعه وغلبة أهله في تلك الأيام وألف الناس له وميلهم إليه حتى استمرءوا مرعاه الوبيل واعتادوا سماع سب أخي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخف عليهم وقعه مع أنه سب لله جل جلاله وسب لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم تنب عنه أسماعهم ولم تنكره قلوبهم وجمدوا على ذلك

مصدع المعرقب ما لفظه: (قلت إنما قيل له (المعرقب) لأن الحجاج أو بشر بن مروان عرض عليه سب علي فأبى فقطع عرقوبه قال ابن المديني قلت لسفيان: في أي شيء عرقب ؟ قال: في التشيع) .اهـ ثم قال – ابن حجر – ((ذكره الجوزجاني في الضعفاء – يعني المعرقب – فقال زائغ جائر عن الطريق يريد بذلك ما نسب إليه من التشيع والجوزجاني مشهور بالنصب والانحراف فلا يقدح فيه قوله)) .اهـ ثم قال ابن عقيل": ومن هذا تعرف أن التشيع الذي يعرقب المتصف به يكون زائغاً جائراً عن الطريق عند أمثال الجوزجاني هو الامتناع عن سب مولى المؤمنين (عليه السلام) ومما نقلناه يظهر لك الاضطراب في كلامهم، فإليك الكلام في اعتذار العلامة ابن حجر العسقلاني عن النواصب.

168 يعني أهل الحديث. . أو جمهرة أهل الحديث بعد جيلها الأول، فشعبة وعبد الغفار بن القاسم والحكم بن عتيبة ومنصور بن المعتمر والأعمش وجعفر بن سليمان والحسن البصري وأمثالهم رضي الله عنهم لم يكونوا على منهج عبد الرحمن بن مهدي والقطان وسفيان بن عيينة وعلي بن المديني ثم أحمد ومدرسته، فلم يكن شعبة يجرح بالتشيع ولا طبقته من أهل الحديث المتقدمين إلا الواحد بعد الواحد من نواصب تلك الأيام، ثم ازداد الجرح بالتشيع في عهد أحمد ومن بعده، ثم أطبقت السلفية المحدثة على جرح كل شيعي، ومن هنا افترق المذهبان، السلفية العتيقة عن السلفية المحدثة، كما افترق السنة عن الشيعة في أوقات قوة السلفية المحدثة لأنها تأخذ بقية السنة معها لقوتها، فإذا ضعفت لبطت بالأرض حتى تأتيها فرصة سياسية فتخرج من الأرض خروج الضفادع بعد الأمطار، فيعودون لتكفير الشيعة والمعتزلة وأبي حنيفة والأشاعرة. .الخ، تتبعوا تاريخ السلفية المحدثة وقولوا بعد ذلك: كذبت أو صدقت.

واستخفوا به لأنه صار أمراً معتاداً وفاعلوه أهل الرياسة والصولة، أفبعد الاعتراف بتوثيقهم الناصبي غالباً – وهو منافق بشهادة النبي – يجوز لنا التقليد بدون بحث وتدقيق فنقبل ما زعموا صحته ؟ كلا، بل الواجب البحث والتدقيق والاحتراس الشديد وأن لا نغتر بشيء مما رووه بإسناد فيه ناصبي وإن جل رواته عنه وكثر المغترون والمحتجون به والجازمون بصحته اللهم إلا ما شهدت بصحته القرائن أو تواتر أو عضده ما يكسبه قوة أو كان مما يشهد عليهم بالضلال وعلى مذهبهم بالبطلان .

[استطراد ابن عقيل قبل أن يعود للرد على بقية كلام ابن حجر]:

رد قول أبي داود[169] في تصحيح رواية الناصبة

وأما قول أبي داود ((ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً – من الخوارج–)) فهو خطأ بل باطل وقد رده الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فقال في (تهذيب التهذيب) :

((وأما قول أبي داود ((إن الخوارج أصح أهل الأهواء حديثاً)) فليس على إطلاقه فقد حكى ابن أبي حاتم عن القاضي عبدالله بن عقبة المصري – وهو ابن لهيعة – عن بعض الخوارج ممن تاب: إنهم إذا هووا أمراً صيروه حديثاً)) .اهـ

وقال – ابن حجر– في لسان الميزان بعد ذكره ما نقلناه عنه آنفاً عن تهذيب التهذيب ما لفظه:

169 هو صاحب السنن وهو حنبلي وفيه نصب، يروي عن مثل خالد القسري ويوثقه ويطعن في النفس الزكية ويمتنع عن رواية حديث (عمار تقتله الفئة الباغية) فقد رواه أصحاب الكتب السنة إلا أبو داود ! في أمور أخرى يطول شرحها، وليس في أصحاب الكتب الستة ناصبي إلا البخاري وأبو داود، أما البقية؛ مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه فهم أهل سنة معتدلون وليسوا نواصب، ونصب البخاري أبلغ من نصب أبي داود، إلا أن نصب الاثنين خفي لا يعرفه كل أحد، والنصب مراتب، فلا يظن أحد أن نصبهم كنصب الجوزجاني أو ابن تيمية، معاذ الله .

((حدث بهذا عبد الرحمن بن مهدي الامام (عن) ابن لهيعة فهي من قديم حديثه الصحيح انبأنا بذلك ابراهيم بن داود شفاها انبأنا ابراهيم بن علي انبأنا محمد بن محمد كتابة انبأنا أبو الحسن بن أحمد انبأنا أبو نعيم حدثنا أحمد بن اسحق بن عبدالرحمن بن عمر حدثنا ابن مهدي بها (يعني بأن الخوارج إذا هووا أمراً صيروه حديثاً)

قلت – ابن حجر- : وهذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل إذ بدعة الخوارج كانت في صدر الإسلام والصحابة متوافرون ثم في عصر التابعين فمن بعدهم وهؤلاء إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً وأشاعوه فربما سمعه الرجل السني فحدث به ولم يذكر من حدث به تحسيناً للظن به فيحمله عنه غيره ويجيء الذي يحتج بالمقاطيع فيحتج به ويكون أصله ما ذكرت فلا حول ولا قوة إلا بالله)) .اهـ كلام ابن حجر

وأقول – القائل العلامة ابن عقيل- :

أنصف الشيخ (ابن حجر) هنا ولكنه نسي هذا عندما هب للدفاع عن سابقيه فكتب ما نحن بصدد تبين الحق فيه وما لا مرية فيه أن ما زعموا صحته من مرويات النواصب أظهر بطلاناً من المراسيل لأنه قد جاء من رواية منافق بيقين لأنه قد صح أن علياً لا يبغضه إلا منافق والله جل جلاله يقول ﴿ والله يعلم إن المنافقين لكاذبون ﴾ والمرسل إنما فيه احتمال أن يكون فيمن طوى الراوي ذكر اسمه ناصبي وأين هذا من ذاك . . .

ثم قال:

ومن عرف ما اعترف به الشيخ (ابن حجر) من صنيع القوم وعرف ما قلناه لا يبقى عنده شك في أن كثيراً مما صححوه من مرويات النواصب كذب موضوع ومروجيه شركاء واضعيه والمناضل عنهم منهم إذا عملوا جلية الحال وتعمدوا .

3- الجواب على تضعيفهم الشيعي مطلقاً :

ثم قال ابن عقيل :

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى ((وتوهينهم الشيعة مطلقاً)) .اهـ

أقول – ابن عقيل– : استشكاله هنا واضح وجيه إذ كيف يسوغ أن يعد التشيع المحمود المأمور به مما توهن به عدالة المتصف به؟ والصواب إن شاء الله تعالى إن العدالة الكاملة لا تحصل إلا به، فكل ما وهنوه أو جرحوه لمجرد تشيعه الحسن أو كان جارحوه من النواصب أو ممن يتهم في أمر الشيعة المرضية لاختلافه وإياهم في المذهب والعقيدة لا يلتفت المنصف إلى ذلك الجرح ولا يبالي بذلك التوهين بالنسبة لمن حسنت حاله وظهرت عدالته وهذا الحكم بالنسبة إلى عموم الرواية

وأما بالنسبة لخصوص ما يتعلق برواية مناقب أهل البيت الطاهر (عليهم السلام) ومثالب أعدائهم فينبغي أن يتلقى بالقبول جميع مرويات من سوى الوضاعين والمشهورين بالكذب.

لأن رواية الراوي لمناقب الآل (عليهم السلام) ومثالب أعدائهم أمارة قوية دالة على متانة دينه وشدة يقينه ورغبته فيما عند الله تعالى ولذلك عرض نفسه وعرضه بما رواه للبلاء فصنيعه هذا يحمل المنصف على أن يغلب على ظنه صدقه لا سيما فيما له أو لجنسه أصل في الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة أو رواه غير من ذكر ولو من طرق فيها وهن.

ومن المعلوم أن الرواية الصحيحة لا تفيد أكثر من غلبة الظن وهي حاصلة هنا والتهمة منتفية هنا مهما نمقت الشبه ولكن التهمة واضحة جلية في رواية من يروي فضائل أناس تعطى الاقطاعات العظيمة لراوي مناقبهم ومخترعها ويقرب ويشفع من يشيعها ويعدل ويتسابق الراغبون في عرض الحياة الدنيا إلى الرواية عنه تعززاً بها وتزلفاً إلى أهل الشوكة ودمغاً لرءوس الرافضة ونصراً للسنة بزعمهم ويمدح على ذلك وتأويل سيئاته

ولا يلزم مما قلته أن كل ما روي في فضل الآل وشيعتهم (عليهم السلام) وفي ذم عداتهم صحيح ثابت، كلا،، فقد قال الشيخ ابن حجر في (لسان الميزان) ما لفظه:

((وكم قد وضع الرافضة في فضل أهل البيت وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية بل بفضائل الشيخين وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنهما)) .اهـ.

ثم قال الشيخ ابن حجر (ولا سيما أن علياً ورد في حقه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق) .اهـ

وأقول – القائل ابن عقيل- : وورود هذا وما في معناه صحيح ثابت وذلك يقضي بمدح محب علي (عليه السلام) وبذم مبغضه فكيف ساغ عكسهم القضية فوثقوا غالباً مبغض علي (عليه السلام) وهو منافق ووهنوا محبه مطلقاً وهو مؤمن؟ !

والشيخ رحمه الله تعالى من أعلم الناس بما صح في محب علي (عليه السلام) وفي مبغضه فصنيع القوم هنا مما يتحير العاقل المنصف في تأويله.

4- جواب ابن عقيل على علة نصر النبي (ص) :

ثم قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى ((ثم ظهر لي في الجواب عن ذلك أن البعض ها هنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم)) .اهـ

وأقول: ليس الأمر كما ظهر له ودعواه التقييد وذكره السبب مما لا دليل عليه،،

والدعاوى ما لم تقيموا عليها . . . . بينات أبناؤها أدعياء

والصواب إن شاء الله تعالى إن بغض علي (عليه السلام) لا يصدر من مؤمن أبداً لأنه ملازم للنفاق وحبه لا يتم من منافق أبداً لأنه ملازم للإيمان، فتقييد الشيخ (ابن حجر) بغض علي الدال على النفاق بأنه الذي يكون سببه نصره للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطأ وغفلة ظاهرة لأنه يلزم منه إلغاء كلام المعصوم بتخصيصه علياً بهذا لأن البغض لأجل نصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كفر بواح سواء كان المبغض بسببه علياً (عليه السلام) أو غيره مسلماً كان أو كافراً حيواناً أو جماداً

ألا ترى لو أن مكلفاً أبغض الطعم بن عدي أو أبا البختري – الذين ماتا على الشرك – لأجل سعيهما في نقض الصحيفة القاطعة ووصلهما بذلك رحم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورحم بني هاشم ألا يكون ذلك المبغض كافراً لبغضه الكافر من هذه الجهة ؟ ولو أن آخر أبغض كلباً من أجل حراسته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو حماراً من أجل حمله إياه أو الغار من أجل ستره له عن المشركين لكان كافراً بذلك اتفاقاً ؟ فما هي إذا فائدة

تخصيص علي (عليه السلام) بالذكر فيما يعم المسلم والكافر والحيوان والجماد ؟ فتقييد الشيخ إلغاء وإهدار لكلام المعصوم وإبطال له.

والحق إن شاء الله تعالى إن حب علي (عليه السلام) مطلقاً علامة الرسوخ الإيمان في قلب المحب وبغضه علامة وجود النفاق فيه خصوصية فيه كما هي في أخيه النبي (صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهما)

ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾[170] وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (علي مني وأنا من علي[171] الحديث) وما يشابه هذا وقد جاء في الصحيح[172] عن علي (عليه السلام) قوله: (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجملتها في حجر المنافق على أن يحبني ما أحبني وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي: إنه لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق)، ولهذا الحديث وما في معناه طرق عديدة تفيد القطع بثبوته.

فلما ذكرناه نرى أن الشيخ (ابن حجر) غفر الله لنا وله لم يقصد ما هو مؤدى قوله آنفاً ولكنها الغفلة لاستشعاره جلالة من وثق النواصب غالباً ووهن الشيعة مطلقاً وعكس الأمر.

وياليت الشيخ حين أراد الاعتذار عن القوم اعتذر بغير ما ذكره، كما لو أن النفاق أنواع ومراتب: نفاق كفر ونفاق عمل ونفاق حمية وبعضها أهون من بعض وإن كان هذا العذر أوهن من بيت العنكبوت!

5- الجواب على مسألة الطبع البشري

ثم قال الشيخ رحمه الله (لأن من الطبع البشري بغض من وقعت منه إساءة في حق المبغض والحب بالعكس) .اهـ

---

170 في حديث المباهلة..

171 والحديث في صحيح البخاري

172 أول هذا النص ليس في الصحيح، ولا في الكتب الستة، وإنما هو قول مشهور للإمام علي في نهج البلاغة وغيره، ولعل ابن عقيل اختلط عليه أول النص بآخره المرفوع الذي رواه الإمام مسلم في (صحيح مسلم - (ج 1 / ص 86) من طريق زر بن حبيش قال: قال علي : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه و سلم إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق) فهذا الذي هو في الصحيح.

وأقول – ابن عقيل- : ليس هذا من هذا الباب فإن علياً (عليه السلام) لم يسيء إلى أحد من مبغضيه ومن قتله علي من آباء مبغضيه وقراباتهم فإنما قتله الحق ونفذ فيه علي (عليه السلام) أمر الله جل جلاله وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو في قتله لهم محسن مستحق لشكر أولئك الذين أبغضوه، ولو جاز بغضه على ذلك أو عذرناهم في بغضهم له لذلك لكان لمنافقي قريش وأشباههم عذر في بغضهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقتله صناديدهم ولا قائل بذلك، كيف لا، وربنا سبحانه وتعالى يقول ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾، نعم لو وجد في قلب ضعيف الإيمان شيء لا يملكه من نفسه ولا يستطيع دفعه فقد يعذر فيه إذا عمل بخلافه واستغفر ولم يظهر منه شيئاً وحاول دفعه بكل ما في وسعه وهذا شأنه شأن ما يلقيه الشيطان في الأنفس من الوسوسة في الخالق عز شأنه، أما عقد القلب على بغض علي (عليه السلام) وثبوت ذلك البغض فيه فلا يكون مطلقاً إلا في منافق قطعاً ولعنة الله على الكاذبين، وإذا انضم إلى البغض سب أو تنقيص فأمره أشد وصاحبه مارق محاد لله ولرسوله بدون شك فلا يغرنك ما تتابع فيه رجال بدون تحقيق وتمحيص.

6- الجواب على مسألة أثر الدنيا في البغض!

ثم قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى ((وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالباً)) .اهـ

وأقول – ابن عقيل- : لم يظهر لي ما أراد الشيخ بهذه العبارة لأنه إن أراد أن علياً ظلمهم في دنياهم فذلك قول لم يقله أحد يعتد به من قبل الشيخ ولا بعده، وإن أراد أن علياً كبحهم عن الظلم وعن اتخاذهم عباد الله خولاً وما الله دولاً وعن قلبهم الدين ظهرا لبطن عاد الأمر إلى ما ذكرناه آنفاً من أن علياً منفذ لأمر الله تعالى وأمر نبيه (عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم) يجب حبه لذلك ويكون بغضه بسببه من أقوى علامات النفاق والهلاك وعدم التدين،

كيف لا؟ وقد جاء في علي (من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله) أخرجه الطبراني[173] .

وأخرج أحمد في مسنده من عدة طرق أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً . الحديث))[174]، فهل يجوز أن يكون المبغضون المؤذون علياً الذين قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم ما أوردناه وكثيراً مثله عدولاً ثقات أمناء على دين الله تغلب فيهم العدالة والصدق والورع ويعامل أعداؤهم المحبون علياً (عليه السلام) أهل الحق بالتوهين والجرح ؟

في فمي ماء وهل ينـ . . . . طق من في فيه ماء ؟

ثم قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى: ((والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم فقد أحبه من أفرط فيه حتى ادعى أنه نبي أو أنه إله تعالى الله عن افكهم)) .اهـ

---

173 والحديث مروي من طرق أهمها طريق أم سلمة وطريق سلمان الفارسي، أما طريق أم سلمة فحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 9 / ص 32): عن أم سلمة قالت: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله"، قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن / وطريق سلمان الفارسي في المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي - (ج 3 / ص 141): أخبرني أحمد بن عثمان بن يحيى المقري ببغداد ثنا أبو بكر بن أبي العوام الرياحي ثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري ثنا عوف بن أبي عثمان النهدي قال : قال رجل لسلمان ما أشد حبك لعلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من أحب عليا فقد أحبني و من أبغض عليا فقد أبغضني، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، تعليق الحافظ الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم اهـ

174 لم يرد بهذا اللفظ في مسند أحمد، وإنما بلفظ (من آذى علياً فقد آذاني) رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار وابن حبان في صحيحه والعدني والضياء في المختارة وابن سعد والطبراني وغيرهم من طرق عن سعد بن أبي وقاص وعمرو بن شأس وغيرهم.

وأقول: هذه القضية لا تخص علياً وحده فمن أحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتقد أنه إله فهو كافر ضال مثل الذين زعموا أن المسيح أو عزيزاً (عليهما السلام) إله ولا دخول لهذا فيما نحن بصدده ومثل هؤلاء جهال غلاة بعض المتصوفة فيما يعتقدونه في بعض المشائخ والدراويش، ونحن لا نمدح ولا نحب إلا من أحب كما أمره الله من أحبه الله تعالى وأمرنا بحبه.

7- الجواب على مشاركة الأنصار في فضيلة علي:

ثم قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى: (والذي ورد في حق علي من ذلك قد ورد مثله في حق الأنصار)

وأقول – ابن عقيل- : قد اعتاد بعض من كمن في سويداء قلبه بغض مولى المؤمنين علي (عليه السلام) أن يتبع ذكر كل منقبة من مناقب علي لا يستطيع جحدها بما يشوهها أو يوهم مساواة غيره له فيها حسداً من عند أنفسهم ولو بأن يكذبوا ويخترعوا أو ينقلوا ما يعرفون بطلانه أو ضعفه، كَثُرَ هذا حتى صار من ليس مثلهم في مرض القلب يتبعهم في صنيعهم هذا هيبة للانفراد أو احتراساً عن أن ينبز بالرفض أو انقياداً للتقليد أو بلهاً أو غفلة ولعل الحامل للشيخ على ما ذكره هنا بعض هذا.

ثم إني أقول كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث الصحيح (اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار) فقد آووا ونصروا واستُؤثر عليهم، وقتلوا مع النبي ثم مع الوصي ثم مع أهل البيت وادخر الله لهم أجرهم عنده فلا عجب إن شاركوا علياً في هذه المنقبة، ولا يلزم من مشاركتهم له (عليه السلام) في أن بغضهم من علامات النفاق مساواتهم له في الفضل ولا يغض من عالي مقامه كرم الله وجهه مشاركتهم (رضي الله عنهم) له في هذا كما لا ينقص من فضلهم العظيم علو علي (عليه السلام) والحق إن شاء الله أن بغض علي ومثله بغض الأنصار من أقوى علامات النفاق.

الفرق بين ما جاء في علي وما جاء في الأنصار

على أن هنا فرقاً بين علي والأنصار يظهر من لفظ الحديثين الواردين في هذه المنقبة إذ الوارد عن الشارع (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق الأنصار رتب فيه الحكم على الصفة المشتقة من النصر وهي لفظ الأنصار وفيه إيماء إلى

العلة وهي النصر ويدل عليه عدوله إليه عن نحو أبناء قيلة أو الأوس والخزرج مثلاً وهذا هو مسلك من مسالك العلة يسميه الأصوليون بالإيماء، قالوا: ومن الإيماء ترتيب الحكم على وصف مشتق نحو أكرم العلماء فترتيب الإكرام على العلم القائم بالعلماء لو لم يكن لعلية العلم له لكان بعيداً، فكذا يقال في ترتيب الحكم على النصر القائم بالأنصار وأما الوارد في حق الإمام علي (عليه السلام) فقد رتب الشارع فيه الحكم وهو إثبات النفاق للمبغض والإيمان للمحب على ذات علي وباسمه العلم، فلو علم الشارع إمكان تلبس علي بأي صفة تسوغ بغضه ولا يكون مبغضه لأجلها منافقاً لما رتب الحكم بالنفاق على اسمه العلم بدون تقيد، فالسياق دال على أن ذات علي (عليه السلام) قدسية مطهرة لا تنفك عنها صفاتها التي لا يتصور أن يبغضه لواحدة منها إلا المنافق فانتفت دعوة المساواة بين علي والأنصار وظهر الفرق جلياً، قرر هذا شيخنا العلامة السيد أبو بكر بن شهاب الدين جزاه الله أحسن الجزاء وهو واضح وجلي.

وهناك فرق آخر وهو أن الشارع رتب الحكم في بغض الأنصار على الجمع المحلي بالألف واللام ولا يلزم من هذه الصيغة استغراق جميع الأفراد فرداً فرداً لأنها قضية غير مسورة والأنصار عدد كثير وفيهم من ليس محسناً فالحكم بالنفاق إنما يكون على مبغض جمهورهم المحسن المتحقق فيهم وجود تلك العلة الموما إليها، ولا كذلك الأمر في حق أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهذا بين ظاهر.

وقولنا في الأنصار أن الشارع أومأ إلى العلة لتعليق الحكم عليها لا نريد به أن من أبغض ذلك الجمهور لسبب آخر غير النصر لا نحكم بنفاقه كلا بل نقول إنهم لاختصاصهم في نصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومؤازرته وانفرادهم في ذلك بما لم يقم به قبيل آخر ثبتت لهم بذلك منة على كل مؤمن فلذلك كان من البديهي أن بغض جمهورهم الثابتة له تلك المنة الخاصة لا يكون إلا من منافق خبيث الذات مظلمها.

وأما بغضهم لأجل النصر فهو الكفر الصريح كما تقدم آنفاً.

..

8- وجوب التفريق بين الإمام علي والجمادات!

ثم قال ابن عقيل:

ثم قال الشيخ ابن حجر رحمه الله (وأجاب عنه (عن الحديث) العلماء أن بغضهم (أي من أبغض الأنصار) لأجل النصر (لرسول الله) كان علامة نفاقه وبالعكس، فكذا يقال في حق علي (أي أن من أبغضه لأجل نصرته رسول الله فهو منافق وإلا فلا) .اهـ

ونقول – ابن عقيل- : قد أوضحنا فيما تقدم أن البغض لأجل النصر كفر بواح سواء كان المبغض بسببه إنساناً أو حيواناً أو جماداً وإن تقييد الشيخ البغض الذي هو نفاق بذلك غفلة إذ به يهدر كلام المعصوم ويبطله . .

ثم قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى (وأيضاً فأكثر من يوصف بالنصب يكون مشهوراً بصدق اللهجة والتمسك بأمور الديانة بخلاف من يوصف بالرفض فإن غالبهم كاذب ولا يتورع في الأخبار)[175] .اهـ

---

175 والجواب هنا على ابن حجر: أن الحكم على الرجال تابع للثقافة وليس للعلم والبرهان، فالجرح ثقافي والتعديل ثقافي إلا النادر وليس علمياً، وعلى هذا فكل حديث في الجبر أو التجسيم أو النصب لن يراه ابن حجر ضعيفاً، إذ غاية ما يستطيع فعله في مثل هذه الأحاديث في فتح الباري هو تأويل الحديث فقط، والتأويل فرع عن تصحيح الأصل، فابن حجر وغيره من المتأخرين لا يستطيع تضعيف رجال قد وثقهم أهل الحديث السابقون، وأهل الحديث السابقون هم فرقة ثقافية وليست فرقة معيارية، بمعنى لهم ثقافتهم التي يستنكرون بها هذا الحديث ورواته ولو لم يكن منكراً، والتي يقبلون بها هذا الحديث ورواته ولو خالف القرآن الكريم أو العقل، فهم يطمئنون لكل راوٍ يروي ما يتفق مع ثقافتهم ويوثقونه، وينفرون عن كل راوٍ لا تتفق أحاديثهم مع الثقافة السائدة ويضعفونه، والسؤال هو : هل ثقافة أهل الحديث ثقافة قرآنية في مجملها أم ثقافة حديثية؟ وهل هناك فرق بين الثقافتين أم هما متطابقتان؟ وهل نعرف الحديث الصحيح بالقرآن أم نعرف صحة الحديث بالثقافة؟ أم نعرف معنى القرآن بالحديث؟ أم نعرف معنى الحديث بالثقافة المذهبية؟ ومن صنع الثقافة التي كان عليها أهل الحديث؟ هذه أسئلة كبيرة لا يستطيع ابن حجر ولا غيره من أهل الحديث الإجابة عليها ، لأنهم أهملوا علوماً أساسية تساعدهم على فهم الثقافة وفهم الإنسان والمجتمع، ومن أهم تلك العلوم الأساسية تدبر القرآن الكريم ونبذ معيار الكثرة وإن تسلط أهله، والإقبال على معيار البرهان وإن قل أهله، والاهتمام بعلوم العقل والمنطق ودلالات الألفاظ القرآنية من القرآن، وصحة الحديث من حيث المتن من القرآن، وتقييم الشخصيات من القرآن، . .الخ، فهجر العلوم وأمثالها يؤدي قطعاً لخلل في بقية العلوم، ومن فروعها جرح المجروح حقاً وتوثيق الثقة حقاً ، فهذا فرع صغير من ثقافة عامة، ومن جهل أو أهمل

وأقول: وهذه أيضاً هفوة منه رحمه الله وغفلة . . والكذب من صفة المنافق ﴿ والله يعلم أن المنافقين لكاذبون ﴾ وهيهات أن يصح قوله: فأكثر من يوصف بالنصب إلخ، وأنى بهذا في طائفة شأنها الكذب وقد حذرنا نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاغترار بنسكها وأقوالها كما تقدمت الإشارة إليه.

هب أن الشيخ سامحه الله وعفا عنا وعنه عرف صدقاً من بعض أفراد تلك الفرقة البغيضة فأي طائفة من البشر تخلو عن صادق وكاذب أو عمن يصدق أحياناً لغرض ما ومثل هذا لا يلزم منه أن يكون ما عرفناه من فرد أو نحوه أغلبياً في طائفته، وإذ كنا لا نشك في نفاق من دينه بغض صنو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخيه وصديقه الأكبر وأبي ولده وأول مصدق له ومناضل عنه فهل يسوغ لنا أن نحكم بأن المنافق المذموم المارق من الدين المعدود في كلاب النار عدل ثقة مأمون حجة في دين الله ؟ حاشا

وقد تفلسف بعضهم فقال سبب تصديقنا للخوارج أنهم يكفرون بالمعاصي فكأنه جعل اعتقادهم كفر مرتكب الكبيرة مانعاً لهم عنها وهذا لو كان صحيحاً لوجب تصديق جميع الوعيدية المعتقدين خلود مرتكب الكبائر في جهنم سواء كانوا نواصب أو شيعة بدون فرق لأن من المتفق عليه أن الكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كبيرة فتخصيصهم النواصب بالتصديق والشيعة بالتكذيب والتوهين وإن كانوا وعيدية ما نرى له مسوغ غير التعصب.

. .

ولا قيمة عندنا لقول أحد في مقابلة قول الله تعالى أو قول رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل نحن إن شاء الله تعالى كما قال شيخنا العلامة ابن شهاب الدين أحسن الله مجازاته:

مباديء الثقافة الشرعية ثم الإنسانية لا يستطيع الحكم في فرع من الفروع، ولو سألنا ابن حجر كيف عرف أن مروان بن الحكم ثقة؟ وكيف عرف أن الحارث الأعور ضعيف؟ فلن يجد إلا تمسكه بأقوال الرجال، الذين هم يوثقون ثقافياً ويجرحون ثقافياً، ولا يطرد الظلمات إلا النور، وأجد علوم هؤلاء كشموع سوداء، لا تنير حجرة، ولا تريح نفسها من حرارة.

لدى الحق خشن لا نداجي طوائفاً . . . . لديهم دليل الوحي غير مسلم

سراعاً إلى التأويل طبق مرادهم . . . . لدفع صريح الحق بالمتوهم

هل الدين بالقرآن والسنة التي . . . . بها جئت أم أحكامه بالتحكم

ولكن عن التمويه ينكشف الغطا . . . . لدى الحكم الديان يوم التندم

وما ذكر الشيخ ابن حجر آنفاً به الشيعة في قوله بخلاف من يوصف إلخ فهو مما لا يصح على إطلاقه وكيف وفيهم الكثير الطيب من سلالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والعدد الجم من أئمة الهدى من أهل العلم والفضل والزهادة والعبادة والورع والعدالة من الذين أثنى عليهم المخالف والموافق ومع هذا نقول إن الشيعة طائفة من أهل الإسلام فيهم العدل الثقة الأمين وفيهم من ليس كذلك وحب علي (عليه السلام) وإن كان إيماناً لا يعصم المتصف به من الكذب ولكنه علامة صحة الإيمان وهو رأس المال فيبحث عما سواه ثم يحكم بإنصاف.

9-الجواب على إعذار النواصب لعقيدتهم:

ثم يقول الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى ((والأصل فيه أن الناصبة اعتقدوا أن علياً (رض) قتل عثمان أو كان أعان عليه فكان بغضهم له ديانة بزعمهم)) .اهـ

وأقول – ابن عقيل- : يفهم من عباراته هذه الاعتذار للناصبة عاملهم الله بعدله بأن اعتقادهم وتدينهم بما ذكره من بغض (الإمام علي) الذي هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسوغ لهم ذلك، وفساد هذا بديهي لا يشك فيه منصف لأنه لو ساغ أن يكون الاعتقاد والتدين بالباطل مما يعذر الله به أحداً لكان لليهود والنصارى واسع العذر في كفرهم وبغضهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم اعتقدوا كذبه وتدينوا به تبعاً لقول أحبارهم ورهبانهم وبديهي بطلان هذا وذاك.

وأما قول الشيخ ابن حجر رحمه الله ((ثم انضاف إلى ذلك أن منهم من قتلت أقاربهم في حروب علي)) .اهـ

وأقول: وهذا أيضاً لا يصح كونه عذراً لهم لأن الحق قتل آباءهم وقراباتهم وقاتلهم منفذ فيهم حكم الله تعالى فهو مأجور ممدوح على قتله لهم.

فإيراد مثل هذه الأقاويل للاعتذار عمن وثق النواصب غالباً واختارهم أئمة له وأساتذة وسلفاً ووهن الشيعة مطلقاً ولم يرتض آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أئمة له ولا أدلة ولا قادة ورغب عن التعلم منهم والتمسك بهم وزعم أن غيرهم أعلم منهم وأحق بالأمانة في الدين؛ إيراد أمثال ما أوضحناه لما أشرنا إليه من الأغراض مشاغبة ومغالطة لا يعتمد إيرادها ذو قصد حسن، وهفوات العلماء لا يحتج بها المنصفون، ونسأل الله أن يغفر لنا وللشيخ ولصالحي المؤمنين.

وقد انتهى الكلام على ما نقلناه من كلام الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ويكفي من العقد ما أحاط بالجيد اهـ

10- نقد جواب ابن عقيل:

وهكذا استعرضنا زبدة ابن عقيل في تعليقه على كلمة ابن حجر مع اختصار كلام ابن عقيل، وقد رفدنا حجج العلامة ابن عقيل ببعض الروافد في الهامش، ومن الملحوظات على كلام ابن عقيل أنه يتوسع في الخوارج، والأولى أن يقتصر على النواصب لأنهم هم موضع استشكال ابن حجر، وأن يفكك ثقافة ابن حجر، وكيف عرف أن النواصب ثقات والشيعة ضعفاء؟ هل هذا حكم علمي أم حكم مذهبي؟ وهل الأصل في النصب الكذب أم الثقة؟ وكذلك في الشيعة؟ وأي شيعة يقصد؟ واي نواصب يقصد؟ . .الخ فهؤلاء وهؤلاء طبقات، نعم في بقية كتابه ذكر مجموعة من الشيعة المضعفين ظلماً ومنهم صحابة، وجماعة من النواصب الموثقين ظلماً وفي أحاديثهم كذب ظاهر، وقد ذكرنا في كتبنا الأخيرة نماذج من ذلك.

والخلاصة هنا: أن حديث (بموت معاوية على غير ملتي) صحيح الأسانيد، وإنما أسهمت مراسيم معاوية التي سارت عليها الدولة الأموية في غرابة الحديث على الجمهور العام، والناس أعداء ما جهلوا، وأنا شخصياً أتهيب من القطع بصحة متن الحديث، لكن منهجي هنا عام في كل حديث ليس متواتراً، وإنما يفيد عندي هذا الحديث وسائر الآحادالظن الراجح، وهذه أغلب الأحاديث التي نرى صحتها، فنحن لا نقطع بصدورها عن النبي (ص) وإنما نرى صحة الإسناد مع راجحية المتن لقرائن وحواضن وشواهد، ومن هذا الباب حديث الدبيلة وحديث

إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه وغيرها من الأحاديث، فهذه تفيد الظن الراجح لصحة أسانيدها ولقرائن وشواهد وحواضن عامة، ولا أجزم بصدور حديث عن النبي (ص) إلا في مثل حديث : من كذب عليّ متعمداً وحديث المنزلة وحديث عمار وحديث غدير خم ونحوها من الأحاديث التي لا تستطيع إلا الاطمئنان من صدورها عن النبي (ص) اللهم إلا إن كان الشخص مكابراً أو جاهلاً بطرق ثبوت الرواية، وفي هذه الأحاديث كفاية وفيها حواضن لكل ذم لمعاوية ولكل فضيلة للإمام علي.

والظن الراجح حجة على الشخص، إنما الشك بلا ترجيح أو الظن بلا ترجيح هو المنهي عن اتباعه، وعندما نقول إن هذا الحديث يترجح الظن بثبوته قد لا يعجب الشيعي ولا الناصبي، ولكننا نتحدث عن قلوبنا وعقولنا وما ندين الله به، فليست الأمور عندنا أبيض وأسود، صحيح حجة أو ضعيف موضوع، كلا هناك مساحة واسعة للظن والترجيح، وأصحاب العقول يعرفون الفرق بين هذه الأمور حتى في الحياة اليومية والأحداث المعاصرة، ونحن إن شاء الله من هؤلاء الذين يستطيعون رؤية المساحة الواسعة بين الصحيح المطلق والباطل المؤكد، ونرى ما هو أقرب إلى هذا وذاك.

وإنما رجحنا ثبوت هذا الحديث لعدة أسباب داخلية أهمها صحة الإسناد، وعدة قرائن خارجية أهمها الأمر بالإغلاظ على المنافقين في القرآن الكريم، وسيرة معاوية وذويه قبل تظاهرهم بالإسلام وبعده، ولمحاولات السلطة والنواصب عبر التاريخ التشويش على هذه الأحاديث وإلزاقها بالأبرياء، فلو لم يكن لها أصل فيهم لما وضعوها في من هو أفضل منهم، ولاضطراب أهل الحديث (وهم موالون لمعاوية)، مرة بهجر الحديث مطلقاً، ومرة بمحاولات تضعيف الحديث بتكلف، وثالثة بالمعارضات (كتحويله في حق من هو أفضل من معاوية كعلي والعباس) ورابعة في تحريفه من الوعيد بالنار إلى التبشير بالجنة (بقلب النار إلى جنة) مع الاسترخاء عند أهل الحديث سواء في تضعيف الإسناد الذي يتهم الأبرياء (كقول بعضهم: لا تعجبني هذه الأحاديث) أو في نشاطهم في حشد أسانيد الوضاعين التي تحول هذه المثلبة إلى منقبة في معاوية (كما فعل ابن الجوزي وابن عساكر)، مع هجر هؤلاء للأسانيد الصحيحة للفظ الحديث الأصل، الذي هو في ذم معاوية، . . وهكذا، فهذه الشواهد والقرائن الحافة

وصحة الإسناد ترجح الظن بأن الحديث صحيح، وأن ه من دلائل النبوة، إضافة إلى شواهده كحديث الدبيلة (منافقون إلى يوم القيامة) وصدور تنقص النبي (ص) عن معاوية نفسه سواء في قصر المنبر أو نبش قبر حمزة أو تسمية النبي (ص) بابن أبي كبشة، أو تسميته (محمد) بلا لقب النبوة ولا الرسالة، والسخرية من وجود اسم النبي (ص) في الأذان، وشيوع التعيير بصحبة النبي (ص) عند أتباعه كزياد وابنه، فيعيرون الصحابي القديم بصحبة النبي (ص) كما في قولهم (إن محمديكم هذا لدحداح) ! ولعنه أحب الناس إلى النبي (ص) (ولعل المقصود لعن النبي نفسه كما فهمت أم سلمة وغيرها من السلف الحق)، وارتكابه أخمسين كبيرة من أصل سبعين، ووجود علامات النفاق فيه المذكورة في القرآن وصحاح النصوص، حتى أن عبد الله بن أبي لم يجمع من صفات النفاق ما جمعه معاوية، وإصراره على الظلم حتى الموت من العهد للفاسق يزيد والوصية بالفتك بأهل المدينة واختياره القائد الذي ينفذ هذه الاستباحة وهو حي، وتفريغ الدين من الداخل، والاحتجاج على أهل الدين بالدين ليتحول الدين من كونه حامياً للظالمين إلى جعله خادماً للظالمين، وإبطال مباديء القرآن الكبرى من العدل والعقل والشهادة لله وتعظيم الله في النفوس والاعتداد بالبرهان لا الكثرة الجاهلة أو الظالمة، واثر معاوية في الأمة سياسياً وفكرياً وعقائدياً . . . الخ فكل هذه الحواضن والقرائن والشواهد كافية جداً لترجيح الظن بأن الحديث صحيح .

سادساً: أثر مراسيم معاوية في غربة هذا الحديث خاصة

حديث (يموت معاوية على غير ملتي) أو (على غير سنتي) حسب اختلاف اللفظ، سبق التفصيل في المؤثرات التي أثرت في نكارته على العامة رغم صحة إسناده وكثرة شواهده، وسيأتي في الملحق زيادات تضيء على هذا النفور السلفي من الأحاديث في مثالب معاوية، ولكن لا باس أن نختصر هنا ونقول:

من آثار مراسيم معاوية على هذا الحديث ما يلي – وباختصار شديد-:

أولاً: هجرهم للحديث ذي الإسناد الصحيح لأنه في ذم معاوية

رغم روايتهم مئات الأحاديث عن رجال الإسناد الأول فقط، فلماذا لم يرووا هذا الحديث؟ الجواب واضح، لسباب سياسية في المقام الأول ثم أنتجت أسباباً مذهبية، لأن المذهب المضعف له هو ابن السياسة المتضررة منه.

ثانياً: إشهارهم الحديث المعارض له رغم أنه موضوع لأنه في فضل معاوية

حتى روته السلفية المحدثة في عقائدها كالآجري واللالكائي، وتراخت المحدثون من السلفية المحدثة في تضعيفه، بين قولهم بأنه منقطع، مع تخفيف الأحكام على المتهمين بوضعه.

ثالثاً: شراستهم على الحديث الصحيح

أعني الحديث ذي الإسناد الصحيح والقرائن الحافة والشواهد والقرائن.. فهذا تصحيح نسبي وليس تصحيحاً قطعياً لأن منهجنا العام هو التوقي من تصحيح الحديث تصحيحاً مطلقاً، وإنما هو ظن راجح للأسباب السابقة لأنه حديث آحاد، أما السلفية المحدثة فيحتجون بالآحاد في العقائد والأحكام معاً ويقطعون بصحته عملياً، وكتبوا مصنفات بأن (حديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام) فيلزمهم العمل به بلا قرائن ولا شواهد، بينما نحن يلزمنا ترجيحه فقط، ومع ذلك فقد كانوا في غاية الشراسة في تضعيفه بلا مبرر يتفق مع منهجهم في التصحيح والتضعيف، نعم لهم مبرر عقيدة النصب فقط، فهم في هذه الحالة يقدمون العقيدة على الآحاد، وهو محل إنكارهم على الجهمية والمعتزلة، فاسانيد هذا الحديث أصح من جميع الأسانيد التي يثبتون بها ما يسمونه (الصفات) أو (خلق القرآن)، بل ليس هناك إسناد صحيح في الصفات أصلاً، ولا في أن القرآن غير مخلوق، وإنما هو استنتاج ظني من بعض الآيات وبعض الأحاديث، واستنتاجنا لبقاء معاوية على النفاق من الآيات أبلغ،

بل حتى مع ترك الكتاب والسنة جانباً، فالتاريخ وحده كفيل بمعنى هذا الحديث وتحققه من تتبعنا لأقوال معاوية وأفعاله وآثاره على المستويات كافة.

رابعاً: تكثيرهم طرق الحديث الموضوع، وتقليلهم من طرق الحديث الصحيح.

كما رأينا في الممانعة الناصبية والسلفية، فهم يذكرون للحديث الواحد الموضوع عدة طرق، كما فعل ابن الجوزي وابن عساكر، فيقولون (طريق ثالث، طريق رابع..) ومدار تلك الطرق على راوٍ واحد، ولو فلعنا فعلهم لكان حديث (يموت معاوية على غير ملتي) متواتراً !

بينما يقللون من طرق الحديث الصحيح الإسناد، فلا يذكرون إلا بعض طرق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص على مضض وأهملوا أحاديث ابن عمر وجابر بن عبد الله وابن الزبير . .

خامساً: نقلهم الحديث من معاوية إلى الإمام علي والعباس عم النبي (ص)

وكان عروة بن الزبير أول الملتزمين بمراسيم معاوية وتحت إشراف معاوية نفسه بعد استصناعه عروة ومكاشفته إياه، وتاب عروة وبقيت أحاديثه، لكن السلفية المحدثة كتمت حديث عروة لأنه ظاهر الوضع أولاً ويهدم العقيدة السلفية برمتها، وثانياً حتى يحافظوا على ما ورثوه من أحاديث عروة بن الزبير، ثم رووا في مكان آخر طعن الزهري في حديث عروة ولم يربطوا هذا بتوبة الزهري فمعلوماتهم مفككة لا يستفيدون منها في الرد على مخالفيهم، وإنما يحملون مذهب أصم أبكم، لا يحاور ولا يفكر، ولا يستطيع العيش إلا في ظل سلطان ظالم.

والأمل في فجر الحرية :

والباحثون اليوم يعيشون فرحة القرنين، الرابع عشر والخامس عشر الهجري، لنجاح الثورة المباركة للشعب المصري العظيم، فلا فضاء مسدود بعد اليوم، ولا رقابة إعلامية على الآراء الحرة، وإذا نجحت الثورات الحقوقية في العالم العربي فهي كفيلة بالقضاء على هذا الصمم المذهبي، وسيضطر هؤلاء الغلاة للمحاورة واكتشاف أمراض السلف وتجنبها ووضع السلف تحت الكتاب والسنة، ويصبح المعيار هو البرهان والمعلومة الصحيحة، وليس الأوهام والأشخاص والإرهاب الفكري والحصار المعلوماتي الذي فرضته أنظمة معاوية بن أبي سفيان على الشعوب العربية، ومن أصر على صممه فسيأكل نفسه وأولاده، ويكفي الله المؤمنين شر المعوقين للحرية والعدالة، الذين استمروا في هذه الإعاقة ما يقرب من أربعة عشر قرناً، لا يتركون مسلماً يفهم مسلماً، ولا مسلماً يعدل مع أخيه في الإنسانية من بني آدم، وهذه كلها من آثار تلك المراسيم المشئومة.

وأملي في شباب الثورة المصرية أن يتنبهوا فلا يخدعهم أحد عن دينهم، ولا يتم هذا إلا بأمرين: التدبر الدقيق للقرآن الكريم، والوعي التاريخي ثم الوعي التاريخي ببدايات الانحراف الفكري، فالانحراف الفكري هو المقدمة الطبيعية لكل انحراف سياسي، كما أن الانحراف السياسي هو منتج بالطبيعة للانحراف الفكري، ولا يكفي أن يتمسك الشباب بشرعية حقوق الإنسان، فهذه مزاجية الأمم ولعبتها، وإن صدقت الأمم فسيأتيهم من بني قومهم من يقول لهم (قال رسول الله) ! وكذبوا على رسول الله عندما يجعلون النبي (ص) ضد الحرية سواء على المستوى الاعتقادي أو السياسي أو العلمي، إنما هي آثار الخديعة الأموية لمغفلي الفقهاء وحمقى البلطجية، وقد توسعت في الحرية الاعتقادية في كتابي (حرية الاعتقاد في القرآن والسنة) وها أنذا هنا أكشف محوراً من محاور الاستبداد الأولى، الذي أفرز هذا الضنك العقلي والضياع الحقوقي والاضطهاد السياسي، وتذكروا أن علة إرسال الرسل وإنزال الكتب هو تحقق العدالة والقيام بها (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ [الحديد : 25])، وهذا لا يعرفه أحد من فقهاء اليوم فيما أعلم، وإنما يرددون أن الله خلقنا لعبادته – وهي كلمة حق أرادوا بها باطل، فللعبادة معنى غير الذي يذهبون إليه من قصر المعنى على بعض العبادة الشكلية، ولهذا بحث آخر، وتذكروا الجوانب الإنسانية من معالجة الفقر واعلموا أن إهمال معالجة الفقر كفر وتكذيب بالدين (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) [الماعون])، ولو وزعتم استبانة على العالم العربي وسألتم هذه الشعوب المُجَهّلة عن الذي يكذب بالدين؟ لما أجابكم أحد بأنه (الذي يدع اليتم، ولا يحض على طعام المسكين)، فالثورة التثقيفية بهذا الدين على الوجه الحق لا تقل أهمية عن الثورة السياسية بل تفوقها، وتضمن البقاء لأهداف الثورة وتحققها وتمنع من ذبولها وخمولها وانحرافها .

والكلام طويل وإنما وافق تأليف هذا الكتاب نجاح الثورة المصرية المباركة ضد الاستبداد ومنع الحقوق، فكانت تحيتهم علينا حق وواجب، ولأني كنت أكتب هذا الكتاب في كشف حسني مبارك القديم، وهم يثورون على حسني مبارك الجديد، والعالم العربي مليء بهؤلاء المباركين، الذين استخدموا أهل الدين لتطويع الدين لخدمة استبدادهم، وهذه جريمة في الإسلام، جاءت نتيجة التسليم بأن هؤلاء الفقهاء أعلم بأمور الدين، وأن الموضوع تخصص! وغير ذلك من الخدعات الكبرى، وإذا لم ننتبه لهذه الخدعات ونكشفها أولاً بأول، فأنا أخشى أن تتسلل السلفية المحدثة إلى هذه الثورة العظيمة وتعيدها إلى الاستبداد عبر الكذب على الله ورسوله.

الملاحق والتفصيلات:

ملحق (1): ملحق الرواة والأسانيد :

بعض الرواة في الأحاديث السابقة يحتاج إلى توسع، ولا يحتمل التوسع فيهم عند أحاديثهم، فلذلك أحببنا فتح هذه الملاحق هنا، لمزيد من التوسع، مع أن بعض التكرار لابد أن يكون، ولذلك آمل من القاريء الكريم – وكل قاريء هو مشارك للمؤلف وربما أفضل علماً منه- أن يعذر المؤلف عند التكرار، لأن بعض القراء قد يصعب عليهم الربط بين ما سبق ذكره من معلومات عن التراجم وبين الزيادات، لذلك نحن نذكر له الترجمة برمتها، ما سبق ذكره وما لم يسبق (هذا في الأصل)، والاستثناء لا حكم له، وسأذكر الرواة في الإسناد الواحد، واسمي الإسناد بأحد رواته المشهورين المميزين له عن الأسانيد الأخرى، فلا يمكن مثلاً أن أقول (إسناد عبد الله بن عمرو بن العاص) لأنه روي عنه بأكثر من إسناد، وبعض أسانيده لن نتوسع فيها هنا، وإنما أقول (إسناد أبي أمامة بن سهل بن حنيف) مثلاً، لأن أبا أمامة لا يتكرر، وهكذا . .

أولاً: رجال الإسناد الأول (حديث البلاذري):

1- البلاذري (279هـ) نفسه: وهو العلامة المؤرخ الكبير أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، من كبار المؤرخين الثقات، ومن القلائل الذين وثقهم أهل الحديث من المؤرخين، قال الذهبي في (طبقات الحفاظ – (ج 1 / ص 72): أحمد بن يحيي صاحب التاريخ في طبقة أبي داود السجستاني حافظ أخباري علامة.)، وقال في (سير أعلام النبلاء – (ج 13 / ص 162): البلاذري العلامة، الاديب، المصنف، أبو بكر، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري، الكاتب، صاحب " التاريخ الكبير "، سمع: هوذة بن خليفة، وعبد الله بن صالح العجلي، وعفان، وأبا عبيد، وعلي بن المديني، وخلف بن هشام، وشيبان بن فروخ وهشام بن عمار، وعدة، وجالس المتوكل، ونادمه، روى عنه: يحيى بن المنجم، وأحمد بن عمار، وجعفر بن قدامة، ويعقوب بن نعيم قرقارة، وعبد الله بن أبي سعد الوراق، وكان كاتبا بليغا، شاعرا محسنا، وسوس بأخرة لانه شرب البلاذر

للحفظ، وله مدائح في المأمون وغيره، وقد ربط في البيمارستان، وفيه مات، وقيل: كان يكنى أبا الحسن، وقيل: أبا جعفر، توفي بعد السبعين ومئتين، رحمه الله، وكان جده جابر كاتبا للخصيب أمير مصر)، وفي مختصر تاريخ دمشق - (ج 1 / ص 425): كان البلاذري أديبا راوية وله كتب جياد ومدح المأمون وجالس المتوكل وتوفي في أيام المعتمد . .الخ، وقال الصفدي في (الوافي بالوفيات - (ج 3 / ص 104): وكان أحمد بن يحيى بن جابر عالماً فاضلاً شاعراً راوية نسّابة متقناً) وهو من القلائل الذي رضي عنهم السلفيون كما في رسالة (منهج كتابة التاريخ الإسلامي للدكتور محمد بن صامل السلمي، وهي رسالة جامعية في جامعة أم القرى قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان - (ج 1 / ص 135): أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري صاحب التصانيف: سمع من ابن سعد والدولابي وعفان وشيبان بن فروخ وابن المديني وعدد وعنه محمد بن خلف ووكيع القاضي ويعقوب بن نعيم وأحمد بن عمار ويحيى بن النديم وغيره قال ابن عساكر بلغني أنه كان أديباً راوية وأنه مدح المأمون وجالس المتوكل وتوفي في أيام المعتمد وسوس في آخر أيامه وقال النديم في الفهرست وسوس في أيامه فشد في المرستان ومات فيه وكان سبب ذلك أنه شرب البلاذر على غير معرفة فحلقه ما لحقه ولهذا قيل له البلاذري قال وكان شاعراً وله أهاج كثيرة وكان ينقل من الفارسي إلى العربي قال ياقوت في معجم الأدباء ذكره الصواف في ندماء المتوكل وكان جده جابر يخدم الخصيب أمير مصر وكان – أي البلاذري – عالماً فاضلاً نسابة متقناً، ثم ذكر بعض شعره –قال وعاش إلى آخر أيام المعتمد ولا أبعد أن يكون عاش إلى أول أيام المعتضد اهـ قلت: وليس هناك ترجمة له إلا يذكرون منادمته للمتوكل، والمتوكل ناصبي، ولن يقبل منادماً له تشيع، نعم قد يقبل منادمة مؤرخ محايد، وهذا ما يظهر في كتبه، حتى في هذا الحديث نفسه، فقد روى البلاذري ما وصل إليه سواء الصحيح والموضوع، فمن الصحيح روى أن معاوية يموت على غير الملة، ومن الموضوعات روى أن معاوية في الجنة التحديث الذي رواه النواصب لمعارضة الإسناد الصحيح، فالرجل (البلاذري) محايد وثقة في النقل وعلى الباحث أن يحقق الأسانيد التي يوردها .

2- شيخ البلاذري : بكر بن الهيثم الأهوازي[176]: (وقد توبع في الرواية نفسها فلا يضر ولو كان ضعيفاً عند أهل الحديث، ولكن لم أجد له ترجمة، ولكن أرجح أنه ثقة للمعلومات التي جمعتها عنه، فقد أكثر عنه البلاذري أولاً، والبلاذري محدث ومؤرخ كبير موثق، وهو من المؤرخين القلائل الذين يوثقهم السلفيون (راجع ترجمته في كتابة التاريخ الإسلامي للدكتور محمد صامل السلمي، رسالة جامعية بأم القرى)، إذن فشيخ البلاذري بكر بن الهيثم مكثر من الرواية ومعتمد عند البلاذري والواقدي، وروى عنه البلاذري في الأنساب فقط نحو (100 رواية) وأقل من ذلك في فتوح البلدان، وهو من طبقة أحمد وابن معين، يروي عن عبد الرزاق الصنعاني وعبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد وأكثر عنهما جداً وروى كذلك عن محمد بن يوسف الفريابي ويحيى بن الضريس وأبي نعيم الفضل بن دكين وهشام بن يوسف وعبيد الله بن موسى ومحمد بن حسن بن زبالة صاحب تاريخ المدينة، وأبي عامر العقدي وأبي الحكم العدني وعلي بن المديني (وروى عن سفيان بن عيينة أيضاً وهو شيخ ابن المديني وهذا من قرائن صدقه) وعمرو بن عاصم وغيرهم وهذا كما ترى يدل على سعة في الرواية والرحلة، وروايته عن ابن المديني وعن شيخه ابن عيينة يدل على ضبطه وتجنبه التدليس. . / . . وهو أهوازي الموطن –كما نسبه البلاذري في بعض أسانيده- ورواياته مستقيمة، ومن روايات البلاذري عنه يتبين أنه عالم من علماء الأخبار والتاريخ، ولا أدري لماذا اجتنبوا الرواية عنه، وهناك آخر قد يشتبه بهذا اسمه أبو بكر بن الهيثم أنباري وهذا متأخر يروي عن الفربري عن البخاري، ويروي عنه أبو نعيم صاحب الحلية وغيره. . ومن أخبار صاحب الترجمة خارج البلاذري ما ذكره الرافعي صاحب التدوين في أخبار قزوين - (ج 1 / ص 22): قال بكر بن الهيثم: ولي في أول زوال ملك العجم المغيرة بن شعبة الكوفة وجرير بن عبد الله همدان، والبراء بن عازب قزوين سار إليها وفتحها الله على يده، وعن أبي عمر الشيباني، أن البراء افتتح قزوين والري وأبهر وزنجان وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين والنهروان وكان رسوله إلى أهل النهروان اهـ، وقد روى عنه أخباراً أخرى

---

[176] لم يذكر البلاذري نسبه إلا في موضع أو موضعين، أحدهما في (أنساب الأشراف - (ج 1 / ص 206): حدثني بكر بن الهيثم الأهوازي، ثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد) . .

مرسلة غير مسندة. . . / ثم وجدت رواية الواقدي عنه ففي إمتاع الأسماع (7/ 240) : قال الواقدي : حدثني بكر بن الهيثم عن محمد بن يوسف عن سفيان الثوري عن سلمة بن نبيط، عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته بعرفة على جمل أحمر اهـ ولا يستبعد فالواقدي مكثر يروي عن شيوخه وأقرانه وتلامذته، وهذا الإسناد نازل، فالواقدي يروي عن طبقة الثوري عادة، وأما بكر بن الهيثم فبينه وبين طبقة الثوري طبقة يروي عنها كعبد الرزاق ومحمد بن يوسف فكلاهما يرويان عن الثوري وطبقته، ويروي عنهما بكر بن الهيثم وطبقته، والواقدي أعلى إسناداً في أحاديث أهل الحجاز، وإنما فاته أحاديث العراقيين كالثوري فأخذها عن متأخرين، وإلا فالواقدي يستطيع أن يروي عن الثوري نفسه، إلا أن الثوري كان متخفياً أكثر الوقت خاصة بعد ثورة النفس الزكية التي أدركها الواقدي مراهقاً وروى شيئاً من مشاهداته فيها، وقد يكون بكر بن الهيثم من المعمرين، فلا بد أن وفاته تأخرت إلى نحو عام 230هـ حتى أمكن أن يروى عنه البلاذري.

3- شيخ البلاذري الثاني: إسحاق بن أبي إسرائيل (246هـ) زميل بكر بن الهيثم في هذا الإسناد: فهو ثقة وحافظ كبير، وهو بغدادي، وأهل بغداد فيهم انحراف عن أهل البيت، وقد زعم بعض أهل الحديث أن البعض ترك روايته بسبب وقفه في القرآن (وهذا ما رده الذهبي)، أما موقفه فخلاصته أنه يقف مع النص القرآني فيقول (القرآن كلام الله ثم يقف ولا يزيد على ذلك) وكان ينكر على أحمد المبالغة في مسألة خلق القرآن، إذن إن ترك بعضهم الرواية عنه فهو لهذا السبب فقط، وهذه من مساويء بعض أهل الجرح والتعديل، إذ يدخلون المذهبية والمواقف الشخصية في الجرح والتعديل، فيتحول الحكم على الراوي من الحكم العلمي إلى الحكم المذهبي وصورة ذلك في ترجمته فيما نقله الذهبي من الأقوال في ميزان الاعتدال - (ج 1 / ص 182) فكان مما قال: ووثقه يحيى بن معين والدارقطني، وقال صالح جزرة: صدوق، إلا أنه كان يقف في القرآن ولا يقول غير مخلوق، بل يقول: كلام الله وسكت (قلت: هذا محض نص القرآن ولا يمنع التأويل أيضاً)، وقال الساجي: تركوا الأخذ عنه لمكان الوقف! (أي ليس لمكان ضعف، وقد رد الذهبي بأنه قل من تركه) وقال الأزدي: يتكلمون في مذهبه، وقال أبو العباس السراج: سمعت إسحاق ابن أبى إسرائيل يقول: هؤلاء الصبيان يقولون غير مخلوق، ألا قالوا كلام الله وسكتوا !

ويشير إلى دار أحمد بن حنبل رحمه الله (وهذا قد قاله غيره في أحمد كابن الجعد، ويقصدون أن الانشغال بهذا الإصرار رأي صبياني، وأنه يكفي في ذلك القول : القرآن كلام الله وكفى) وقال عبدوس النيسابوري: كان حافظا جدا، لم يكن مثله أحد في الحفظ والورع، واتهم بالوقف، مات إسحاق بن أبى إسرائيل في سنة ست وأربعين ومائتين.) قلت: وهو من طبقة الشافعي من حيث المولد (ولدا عام 150هـ) وهو بهذا أعلى سماعاً من طبقة أحمد سمع حماد بن زيد وطبقته/ وقال الحافظ في تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 100) : إسحاق بن أبي إسرائيل واسمه إبراهيم بن كامجرا أبو يعقوب المروزي نزيل بغداد صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن مات سنة خمس وأربعين وقيل ست وله خمس وتسعون سنة من أكابر العاشرة بخ د س اهـ فالرجل ثقة ولن نعول على آثار الشخصنة في الجرح والتعديل، تلك الشخصنة التي أنزلت رتبته من ثقة إلى صدوق لأجل خصومته مع غلاة الحنابلة في أمر ما أنزل الله به من سلطان (وبعضهم يجعل إسحاق هذا، هو إسحاق الدبري، وهذا ما لم استنتجه، بدلالة ما سبق الحديث وما تبعه، ولترجيح المتخصص في موارد البلاذري وهو الدكتور جاسم المشهداني) .

4- عبد الرزاق بن همام الصنعاني (210هـ): ثقة إمام مشهور، ولبعضهم كلام فيه للمذهب فقط، فقد كان فيه يسير تشيع، من ذم معاوية ورواية الفضائل العظيمة في فضل علي التي يوافقها عليه غيره، وهذه لا يحتملها نواصب أهل الحديث كعادتهم، والرجل محل إجماع عقلاء أهل الحديث، وأحاديثه تملأ الصحيحين، وقد رحل إليه كبارهم كأحمد وابن معين وغيرهم، ولما أزعجوا يحيى بن معين بتشيعه قال (لو ارتد عبد الرزاق ما تركنا حديثه) ! أنجاه الله من النصب بفضل الله أولاً ثم بفضل جعفر بن سليمان الضبعي البصري، وأكثرية البصريين نواصب، والقليل جداً متشيعين، على تفاوات في هذا وهذا . .

5- معمر بن راشد البصري ثم الصنعاني (154هـ): قال الحافظ: تقريب التهذيب : معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئًا وكذا فيما حدث به بالبصرة من كبار السابعة مات سنة أربع وخمسين وهو بن ثمان وخمسين سنة ع اهـ قلت: هذا الحديث

ليس عن ثابت ولا الأعمش ولا هشام بن عروة ولا حدث به في البصرة.. فهو من أصح حديثه.. ومعمر بصري، والبصريون فيهم انحراف عن أهل البيت، لكنه نجا منه على ما يظهر بفضل من الله وتسديد.

6- عبد الله بن طاووس بن كيسان (132هـ): ثقة فاضل عابد – هكذا قال الحافظ في التقريب- وتوفي سنة 132هـ و ذكر الطوسي – على ما نقله ابن حجر- أنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك فطعن فيه الشيعة لصلته وعمله للحكام النواصب، وذكر الحافظ أيضاً عن الطوسي أن ابن طاووس هذا كان كثير الحمل على أهل البيت! فإن صح هذا فالحديث هذا في الذم الشديد لمعاوية أتى من ثقات فيهم انحراف ولو يسير عن أهل البيت، وقد وجدت النص عن الطوسي، وهو ليس من كلامه بل قاله سفيان بن عيينة ونصه في الخلاف للطوسي (67/4): (قال سفيان: أراه – يعني حديث في المواريث- من قبل ابنه عبد الله بن طاووس، فإنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك، وكان يحمل على هؤلاء القوم حملا شديدا – يعني بني هاشم)! فالرجل أموي الهوى أو على الأقل ليس هواه مع الشيعة حتى يتهم بشيء من تبعة هذا الحديث، وقد روى الأصفهاني في الأغاني ما يدل على أن عبد الله بن طاووس لم يكن متحاملاً على أهل البيت في ترجمة النفس الزكية، فقال: (قال أبو زيد (وهو عمر بن شبة) وحدثني يعقوب بن القاسم عن سفيان بن عيينة قال. رأيت عبد الله بن الحسن يأتي بمحمد بن عبد الله وإبراهيم وهما غلامان إلى عبد الله بن طاووس فيقول. حدثهما لعل الله ينفعهما) ولو كان متحاملاً على بني هاشم ما دفع المحض ابنيه للسماع منه، لكن اتصال ابن طاووس مع والده بالأمويين مشهورة في جوانب من القضاء وبيت المال إلا أن ظاهر تراجمهم تدل على تقوى، ومن دلائل العلاقة بين هذا البيت والأمويين ما رواه البلاذري (أنساب الأشراف - (ج 3 / ص 55): حدثني الحرمازي الحسن بن علي عن العتبي قال: دخل سليمان بن عبد الملك على طاووس يعوده فلم يعظمه ولم يجبه بما يجاب به الخلفاء، فعوتب طاووس على ذلك فقال: أحببت أن يعلم أن الناس من يستصغر ما يستعظمه المغرون مما هو فيه)، أيضاً عبد الله بن طاووس روى عن أبيه قصة حجر المدري وضربهم له ليسب علياً (في المستدرك للحاكم وغيره).. وقد اتفق البخاري ومسلم على اعتماد عبد الله بن طاووس عن أبيه في الصحيحين.

7- طاووس بن كيسان (106هـ): قال الحافظ في التقريب: طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم الفارسي يقال اسمه ذكوان وطاوس لقب ثقة فقيه فاضل من الثالثة مات سنة ست ومائة وقيل بعد ذلك ع اهـ وهو رجل صالح، وقد روى قصة حجر بن قيس المدري مع من عرضوا عليه لعن الإمام علي في اليمن، وكيف ضربوه ولعنهم ولم يلعن علياً . .

8- عبد الله بن عمرو بن العاص (نحو 65هـ على خلاف): السهمي القرشي، له صحبة، وقيل اسلم قبل أبيه، والصحابة عند القوم كلهم عدول، والسؤال إنما هو : كيف روى عبد اللهب ن عمرو هذا الحديث وقد كان مع معاوية بصفين؟ هذا ما سنجيب عليه بعد استعراضنا لكل الطرق إليه، وخاصة بعد طريق أبي أمامة بن سهل بن حنيف .

ثانياً: رجال المتابعة للحديث الأول (شريك عن ليث):

1- البلاذري : سبق

2- عبد الله بن صالح (شيخ البلاذري) هو – كما في تقريب التهذيب – عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ثقة من التاسعة لم يثبت أن البخاري أخرج له خ وهو والد أحمد العجلي صاحب الثقات، وهناك عبد الله بن صالح الجهني أبو صالح كاتب الليث المصري قديم (222هـ) يروي عنه بواسطة، أما الذي يروي عنه البلاذري مباشرة فهو العجلي فقد صرح بنسبه في بعض الروايات وأثبتوه في شيوخ البلاذري (قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء – (ج 10 / ص 404): حدث عنه ابنه أحمد العجلي، وأبو حازم بن أبي غرزة، وأحمد ابن يحيى البلاذري في " تاريخه " . . .الخ مات سنة 211هـ وهذا يدل على قدم سماع البلاذري، فهو في سماع البخاري أو أقدم، ومع هذا فقد أهمله أهل الحديث في الجملة ولن يهملوه إلا لغزارة مادته وهم لا يحبون من يروي ما يجهلون، والناس أعداء ما جهلوا، وقد أدركنا هذا في عصرنا هذا، العلم عندهم ما علموا ولو كانوا باطلاً، والباطل عندهم ما جهلوا ولو كان حقاً اهـ

3- يحيى بن آدم الأموي ولاءً (204هـ): ثقة من رجال الجماعة، في تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 587) : يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي أبو زكريا مولى بني أمية ثقة حافظ فاضل من كبار التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين ع

4- شريك بن عبد الله النخعي الكوفي (178هـ) : ثقة في الجملة وهو من رجال مسلم والسنن، وليس شريك بن أبي نمر المدني المدني (نحو 140هـ) فهذا من رجال الشيخين، وشريك بن عبد الله الكوفي قال عنه الحافظ في تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 266): شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط ثم الكوفة أبو عبد الله صدوق يخطىء كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلا فاضلا عابدا شديدا على أهل البدع من الثامنة مات سنة سبع أو ثمان وسبعين خت م 4 . . اهـ فهو على سنيته الشديدة لا يرى أن اعتقاد أن معاوية يموت على غير الإسلام يخالف هذه السنة وهذا حق، وقد توبع من نوح بن دراج الحنفي وغيره كما سيأتي

5- شيخه ليث بن أبي سليم مولى بني أمية (148هـ): والده أبو سليم كان مولى عنبسة بن أبي سفيان، وقيل مولى عتبة بن أبي سفيان وقيل مولى معاوية نفسه (كما في تهذيب الكمال)، ووالده قتله أصحاب شبيب في الجامع بالكوفة، و أما ليث فهو صدوق من رجال مسلم والسنن، إلا أنه اختلط في آخر عمره وترك لهذا السبب ولروايته عن بعض المجهولين، وقد روى عنه هذا الحديث جماعة مختلفو السماع، و ربما قد سخط عليه بعض نواصب أهل الحديث كيحيى القطان لروايته مثل هذه الأحاديث، فبعض حرجه مذهبي لا علمي، وقد كان عندهم كوفياً صاحب سنة، ولا يقولون في الكوفي (صاحب سنة) إلا إذا كان منحرفاً عن الشيعة، ففي تهذيب الكمال للمزي - (ج 24 / ص 287): وقال أبو بكر البرقاني: سألت الدارقطني –عن ليث ابن أبي سليم، فقال: صاحب سنة، يخرج حديثه، ثم قال: إنما أنكروا عليه الجميع بين عطاء وطاووس، ومجاهد حسب.اهـ قلت وأول من أنكر عليه هذا شعبة، وقد جبهه ليث بجواب غليظ زادت من سخط بعض أهل الحديث، ويقول عنه الحافظ في تقريب التهذيب : الليث بن أبي سليم بن زنيم – بالتصغير- صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك من السادسة مات سنة ثمان وأربعين خت م 4 (148هـ) اهـ وبعضهم يجعل وفاته قبل 140هـ، وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء - (ج 6 / ص 179): محدث الكوفة وأحد علمائها الاعيان، على لين في حديثه لنقص

حفظه، مولى آل أبي سفيان بن حرب الاموي . .الخ، قلت: وكان يلزم طاووس ويكتب عنه كتابة فحديثه عنه أضبط من حديثه عن آخرين روى عنهم من المجهولين، وأغلب الظن أن تضعيف من ضعفه من أهل الحديث وخاصة أصحاب الهوى الأموي كالقطان، إنما هو لرواياته مثل هذه الأحاديث، وقد توبع عليه وصح من دونه، يقول أحمد بن حنبل كما في – تهذيب التهذيب – (ج 8 / ص 417)– : ما رأيت يحيى بن سعيد (يعني القطان) أسوأ رأيا منه في ليث بن أبي سليم وابن إسحاق وهمام لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم اهـ فانظروا لماذا ضعف القطان ابن إسحاق وهو عند شيخه شعبة أمير المؤمنين في الحديث؟ هل هذه المبالغة في التضعيف من القطان إلا لأنه ابن إسحاق كشف ما كتمه غيره؟ ! ومع هذا فرواية ليث بن أبي سليم عن طاووس مشهورة (قال أبو حاتم فيما نقله ابنه عنه في ترجمته في تهذيب التهذيب – (ج 8 / ص 418): ليث عن طاوس أحب إلي من سلمة بن وهرام عن طاوس) وفي (ففي المعرفة والتاريخ – (ج 1 / ص 350): حدثنا أبو بكر حدثنا سعيد القداح قال: حدثني أمة الله مولاة طاووس قالت ما رأيت أحداً يكتب عند طاووس إلا ليث بن أبي سليم في الألواح) فهو من الملازمين الكتبة، وقد أوصاه أيوب السختياني بالاعتناء والمحافظة على ما سمعه من طاووس (المعرفة والتاريخ – (ج 1 / ص 384): حدثني أبو بكر بن عبد الملك قال: ثنا عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت أيوب يقول لليث بن أبي سليم: انظر ما سمعت من هذين الرجلين فأشدد يديك به – يعني طاووس ومجاهد – وإياك وجوالقيك – يعني عمرو بن شعيب) اهـ بحروفه، ثم إنما تكثر المناكير في روايته عن المجهولين أما طاووس فليس منهم (ففي تهذيب التهذيب – (ج 8 / ص 418)قال يحيى (بن معين) في ليث: لا بأس به قال وعامة شيوخه لا يعرفون) وقد وصفه الدارقطني بأنه (صاحب سنة) وكذا قال ابن معين، ولا يقوله أهل الحديث إلا في مبالغ في الإثبات أو العثمانية فهو بريء من أدنى تشيع، لا سيما وهو مولى أموي، وتلميذه شريك كذلك، وتلميذ شريك؛ يحيى بن آدم، وكذا شيخه طاووس عمل لبني أمية وعبد الله بن عمرو بن العاص كذا عمل لمعاوية واشترك معه في صفين، فالحديث خرج من شدق الأسد، وهو لا يجالس إلا الشيعة المعتدلة جداً كما في روايته (تاريخ الإسلام للذهبي – (ج 3 / ص 88): وروى ابن شوذب عن ليث قال: أدركت الشيعة الأول بالكوفة وما

يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً، يعني إنما كانوا يتكلمون في عثمان وفي من قاتل علياً) اهـ والروايات الأصح والأكثر أن أكثر شيعة الكوفة كانوا على تفضيل علي مطلقاً .

6- شيخه طاووس بن كيسان (106هـ): سبق في الإسناد الأول وهو ثقة من رجال الجماعة مات سنة (106هـ)، وكان ليث من المختصين بالرواية عنه، وليث أموي الولاء .

7- شيخه عبد الله بن عمرو بن العاص (65هـ) : سبق أيضاً في الإسناد الأول، وكان أموي الهوى ثم تاب أمام الحسين بن علي فيما بعد، وكان يأمر بنصرته .

ثالثاً: رجال المتابعة (2) للإسناد الأول (متابعة نوح بن دراج):

1- محمد بن سليمان الكوفي (320هـ): قلت فيه في كتاب المؤاخاة الكبرى (مخطوط): محمد بن سليمان الكوفي ثم الصنعاني قاضي الإمام الهادي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن في الربع الأخير من القرن الثالث (هاجر إليه مع من هاجر من العراق فبقي وصفه بالكوفي) . . وهو زيدي المذهب، كبير القدر، ثقة في الرواية، رواياته تتفق مع ألفاظ الأحاديث التي يرويها أهل السنة كالنسائي والترمذي وغيرها، ولكنه ينفرد بأحاديث لا نعلم عن صحتها شيئاً، فهي من خصوصيات الرواية في المذهب كما يختص أهل السنة برواية أحاديث لا يرويها الشيعة لا الزيدية ولا الإمامية، ولا الإباضية ولا المعتزلة، إنما القدر المشترك هو محل الحكم على الشخص خاصة إذا رواه من الطريق نفسه الذي رواه أهل السنة، ومحمد بن سليمان هو مصنف كتاب (مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) هكذا عنوان الكتاب، وقد التحق بالإمام الهادي إلى الحق في صعدة، وقد قضى له ولابنه الناصر، وروى كتابه في مناقب أمير المؤمنين بعد انتقاله لليمن، كما يتبين ذلك في بعض أحاديثه التي رواها ابن عساكر في تاريخ

دمشق . . وقد توفي محمد بن سليمان نحو عام 320هـ فهو في طبقة الطبري وابن صاعد وابن أبي حاتم وابن عقدة وغيرهم وله رواية في تاريخ بن عساكر وغيره[177].

2- إسحاق بن محمد بن إسحاق القاضي (نحو 300هـ): لم أجد له ترجمة، ولم يرو عنه محمد بن سليمان إلا ثلاث روايات كلها عن عباد بن يعقوب، ولعله الذي ذكره (الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي - (ج 2 / ص 170) : إسحاق بن محمد بن إسحاق بن يزيد بن كيسان ثقة، متفق عليه، من كبار شيوخ قزوين، ارتحل إلى الري، وأصبهان، والعراق، والحجاز . روى عنه ابنه محمد بن إسحاق، وأبو الحسن القطان، وكبار شيوخ قزوين، ثم أدركه الأحداث، مات سنة تسع عشرة وثلاثمائة، روى عن هارون بن هزاري، ويحيى بن عبدك، وأبي زرعة، وأبي حاتم، وابن واره، ومحمد بن عمار، ويونس بن حبيب، وأسيد بن عاصم، وعلي بن حرب، وسعدان بن نصر، وأقرانهم من كل بلد) . .قلت: وعباد بن يعقوب من هذه الطبقة، وقد لإسحاق هذا أحاديث في فضائل الإمام علي، إضافة إلى أن محمد بن سليمان الكوفي كثير الرواية عن أقرانه وهذا منهم، ولعلهما التقيا بالعراق فمحمد بن سليمان كوفي، وإسحاق بن محمد بن إسحاق رحل إلى العراق ومعظم أحاديثه عراقية، فإن كان هذا وإلا فأنا لا أعرفه،، لكن المتن هنا مستقيم، وقد سبقت شواهده.

---

177 ولتشتت بحوثي وسوء تنظيمي فقد وجدت لي ترجمة له في موضع آخر في الكتاب نفسه قلت فيه: محمد بن سليمان الأسدي الكوفي أحد محدثي الكوفة الكبار في القرن الثالث، وهو من الشيعة الزيدية المكثرين من الرواية،، كانت له مشاركة في بعض ثورات العلويين بالعراق ثم التحق بالإمام الهادي باليمن وقضى له ولابنه الناصر . .وهو أقدم سماعاً من القطيعي، بل هو في طبقة النسائي والطبري وابن خزيمة وابن صاعد . . والمؤسف إهمال أهل الحديث لهذا المحدث، وربما عذرهم هو انتقاله إلى اليمن وربما لو بقي في العراق لاشتهر ورووا عنه كما فعلوا مع معاصره ابن عقدة . .. ومن قرأ كتابه يعرف تجويده لعلم الحديث ووعنايته به وتثبته وسعة روايته. .وهو من أسد خزيمة لا أسد قريش. . كانت وفاته نحو 320هـ تقريباً وله ترجمة في تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، وذكره ابن عساكر في ترجمة علي بن جعفر الرازي نزيل الرملة، فإنه ذكر من شيوخه (أبو القاسم البغوي والخرائطي . . . ومحمد بن سليمان الكوفي أبو جعفر قاضي صعدة باليمن) .

3- عباد بن يعقوب شيخ البخاري في الصحيح (نحو 250هـ): وهو ثقة حافظ، تكلم فيه بعض أهل الحديث للمذهب فقط، وإلا فهو ثقة ومن شيوخ البخاري في الصحيح وروى له الترمذي أيضاً وكثير من أهل الحديث، وهو مكثر جداً واعتنى الشيعة والسنة بأحاديثه.

نوح بن دراج الكوفي (182هـ): واسمه: نوح بن دارج النخعي القاضي الكوفي، (182هـ)، وهو (متروك وقد كذبه ابن معين) هكذا قال الحافظ في التقريب، وليس ما قاله ابن حجر صحيحاً على إطلاقه، فنوح بن دراج من أهل العلم والفقه، وهو يروي عن الأعمش وأبي حنيفة وطبقتهم، قد وثقه أبو زرعة وابن نمير وابن شاهين وابن حبان وغيرهم، فكيف يكون متروكاً؟ ولعل تضعيف من ضعفه من أهل الحديث كان لأمور لا علاقة لها بالحديث كما ورد في ترجمته، أو كان هذا من باب عصبية أهل الحديث على أهل الرأي وخاصة أنه من الأحناف، وشيخه أبو حنيفة يكفره كثير من أهل الحديث ويضعفونه، وقد قالوا فيه ما هو أعظم مما قالوا في تلميذه نوح بن دراج، وقد كان نوح من قضاة الكوفة ثم من قضاة بغداد مع روايته فضائل للإمام علي كالمؤاخاة وغيرها، والذي أرجحه أن غلاة أهل الحديث إنما اتهموه للخصومة بينهم وبين أهل الرأي، وهم لا يكادون يوثقون حنفياً، فهذا أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني كلهم ضعفاء عند أهل الحديث من باب العصبية المذهبية فقط،ثم قد اجتمع في نوح بن دراج الفقه والقضاء والمذهب الحنفي وحب علي بن أبي طالب، وهذه كلها لن يغفرها له أهل الحديث لمن عرفهم عن قرب، فكيف وقد اجتمعت هذه كلها في نوح بن دراج؟ فقد ضعفوا أبا حنيفة نفسه للأسباب نفسها ! وإلا فنوح هذا صدوق، وقد كان قاضي بغداد، ولا أقل من أن يقبل في المتابعات والشواهد .

وقلت في كتاب المؤاخاة الكبرى: (مخطوط) مع تصرف واختصار:

وقد أضاف نوح بن دراج لنفسه ما أسخط أهل الحديث عليه ألا وهو حب علي بن أبي طالب، على ما يظهر من رواياته وأحاديثه، فقد روى حديث عمار تقتله الفئة الباغية من طريقين عن أنس وحذيفة، وحديثاً في المؤاخاة (مؤاخاة النبي مع علي)، وحديثاً ثالثاً في فضل عمار ونحو ذلك. . فالرجل جمع على نفسه صحبة أبي حنيفة وحب علي بن أبي طالب وتولي القضاء، وقد يتساهل أهل الحديث مع خصلة لا الثلاث خصال، نعم لن

نظلم أهل الحديث فقد رووا من مساوئه أنه كان يقضي وهو أعمى. .وأنه أخفى عماه ثلاث سنين! فإن صح فهو طعن تفصيلي وليس جرحاً متفقاً عليه، وهو على كل حال طعن في عمله لا حديثه، والمسألة خلافية، وبعض المفتين عميان ولم يضرهم إذا سألوا الثقة، والخلاف في قضاء الأعمى مشهور، ليس هنا بحثه، فليس بالطعن الكافي لاسيما وأنه فقيه ومن أصحاب أبي حنيفة، وقد يكون احتاج للقضاء أو أنه أصابه عمش لا عمى، أو أنه تأول . .وله ترجمة حافلة في تاريخ بغداد والتهذيبين فيها كثير من الأخبار التي تدل على أنه كان فقيهاً كبيراً . . وقد كان يصحح لابن أبي ليلى الأحكام فيرجع لقوله وأثنى عليه شريك. .وكان والده ضعيف الحال لكن أبناءه ومنهم نوح كلهم ولوا القضاء. . ولنوح ابن اسمه أيوب كان يتوكل عن علي الرضا وأولاده، وكان مذكوراً بالورع والعبادة، والخلاصة في نوح بن دراج أنه فقيه بصير بالقضاء وهذا لا يمنع أن يكون ضعيفاً في ضبط الحديث . . فيؤخذ من أحاديثه ما شهدت له الأصول والقرائن لا فيما ينفرد به، وعلى هذا فحديثه يصلح في الشواهد والمتابعات على منهج أغلب أهل الحديث.

4- ليث بن أبي سليم : سبق.

5- طاووس بن كيسان : سبق.

6-عبد الله بن عمرو بن العاص: سبق.

رابعاً: رجال متابعة جرير عن ليث:

التي رواها أبو نعيم الصبهاني في كتابه أخبار أصبهان - (ج 7 / ص 47) من طريق جرير عن ليث به:

ونصها: حدثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عبد الرحمن بن محمد الجرواءاني، ثنا أبان بن شهاب، ثنا محمد بن حميد، ثنا جرير، عن ليث، عن طاوس، عن عبد الله بن عمرو[178]، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع عليكم رجل من يثرب ! على غير ملتي »، فظننت أنه أبي، وكنت تركته يتهيأ، فاطلع فلان)

هكذا بإخفاء اسم معاوية. .وكانت أصبهان ناصبية، وأهل الحديث جملة يخفون كثيراً من الأسماء، بفتاوى من كبارهم، ولكن معرفة بعض الأسماء يتم بسهولة إذا تم جمع الأسانيد في الحديث.

رجال الإسناد:

1- أحمد بن إسحاق: هو أحمد بن بندار بن إسحاق أبو عبد الله الشعار، ينسب إلى جده في الغالب، وهو من شيوخ الحاكم وأبي نعيم الأصبهاني وطبقتهم، وهوثقة من طبقة الطبراني والدارقطني، وهو من ذكره الذهبي في وفيات (359هـ) في العبر في خبر من غبر - (ج 1 / ص 150) بقوله: وفيها توفي أبو عبد الله، أحمد بن بندار إسحاق الشَّعَّار الفقيه، مسند أصبهان. روى عن إبراهيم بن سعدان، وابن أبي عاصم، وطائفة، وكان ثقة ظاهريّ المذهب / وقال عنه في النبلاء ((ج 16 / ص 61) : الامام الفقيه البارع المحدث، مسند أصبهان، أبو عبد الله، أحمد بن بندار بن إسحاق الاصبهاني الشعار الظاهري. . . وذكر من تلامذته أبو نعيم الأصبهاني) اهـ

2- عبد الرحمن بن محمد الجرواءاني: نسبة إلى موضع بأصبهان، وهو من محدثي اصبهان، وهو مقل، ولم أجد له ترجمة، فهو مستور، تقبل أحاديث في المتابعات والشواهد، لا سيما مع تأخره، وكونه لم يذكر في كتب الضعفاء.

---

[178] وهو عن ابن عمر في الفردوس بمأثور الخطاب - (5 / 484) ابن عمر : يطلع عليكم رجل من أهل يثرب على غير ملتي اهـ وأراه وهماً هنا، لتشابه الاسمين واحتمال التصحيف.

3- أبان بن شهاب: ترجمه أبو أبو الشيخ الأصبهاني ترجمة مختصرة، فقال في: (طبقات المحدثين بأصبهان - (ج 2 / ص 319) : أبان بن شهاب أبي الخصيب وكان أبان يكنى أبا أحمد وكان فاضلا يحدث عن أبي عبد الرحمن المقرىء وغيره) فهو ثقة في الجملة، علماً بأن محدثي الأطراف كخراسان واليمن والمغرب إنما العمدة في معرفتهم أهل أوطانهم.

4- محمد بن حميد الرازي: إمام حافظ، وهو أبرز شيوخ الطبري في تفسيره، وروى عنه كذلك مجموعة كبيرة من الحفاظ، وهو محل اختلاف بين أهل الحديث، توفي سنة 248هـ، قال الذهبي في العبر (كان من أوعية العلم)، وقال في الميزان (كان من بحور العلم) ومن ضعفه زعم أنه يدعي سماعات ونحو ذلك، وأحاديثه في كتب التاريخ والحديث بالآلاف، وهذا في اضعف الأحوال دليل على أن العمل على اعتماده في الشواهد والمتابعات، وقد روى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأمثالهم من الكبار، وكان أحمد يوثقه في جرير بن عبد الحميد وحديثنا هنا من روايته عن جرير بن عبد الحميد (قال أحمد فيما نقله عنه أبنه عبد الله (تهذيب الكمال للمزي - (ج 25 / ص 100) : (أما حديثه عن ابن المبارك وجرير فهو صحيح)، ويظهر أن رواية هذه المثالب في معاوية ونحوها من الأحاديث كانت من أسباب سخط بعض أهل الحديث، ولذلك نجد الجوزجاني يقول (كان رديء المذهب) والجوزجاني ناصبي لا يرضى أن يروي أحد حديثاً في ذم معاوية ولو كان صحيحاً .

والخلاصة أن الرجل حافظ صدوق، ونحن لا ننكر أن كان فيه بعض الضعف، فقد كان فيه زهو، ويحب الثناء وعلو الإسناد، لكن أهل الحديث يغتفرون لبعضهم الوضع في الحديث أصلاً إذا كان على مذهبهم، كما فعلوا مع إسماعيل بن أبي أويس ونعيم بن حماد وأبي الحسن المعمري. . . ومحمد بن حميد الرازي كثير الحديث جداً ويحتاج الفصل فيه إلى دراسة مفردة، ولا أحتج بما انفرد به وإنما نقبله في المتابعات والشواهد، لا سيما

في حديث الشيوخ المتقدمين الذين وثقوه كجرير بن عبد الحميد وابن المبارك، فهما أعلم به ممن لم يعاصره في الغالب.

5- جرير: هو جرير بن عبد الحميد ثقة حافظ من رجال الشيخين بل من رجال الجماعة/ مات سنة 188هـ.

6- ليث: هو ابن أبي سليم، سبق التفصيل فيه..

7- طاووس : هو ابن كيسان سبقت ترجمته..

8- عبد الله بن عمرو بن العاص، سبق.

خامساً: رجال حديث عبد الله بن الحارث الزبيدي

1- العقيلي (322هـ) : صاحب كتاب الضعفاء الكبير، مصنف حنبلي العقيدة مشهور، قال الذهبي (سير أعلام النبلاء - (ج 15 / ص 236) العقيلي : الامام الحافظ الناقد، أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، العقيلي الحجازي، مصنف "كتاب الضعفاء " . .الخ، وقد توسعنا فيه في الأصل بسبب إخفائه اسم معاوية.

2- شيخا العقيلي وهما الحسن بن علي بن خالد الليثي والمروذي: ثقتان عندهم، وقد تابعا بعضهما، فأحدهما هو المروذي (275هـ) كان أخص تلاميذ الإمام أحمد وهو – أعني المروذي (أحمد بن محمد بن الحجاج) وكان من غلاة الحنابلة ممن يخلطون السنة بالنصب، وقد غلا فيه السلفيون كثيراً، ولي فيه بحث خاص، توصلت فيه إلى أنه شبه المجنون بالعقائد، ولعل من جنونه أمره تلميذه العقيلي بإخفاء اسم معاوية، لكن لا علينا هنا، قد علمنا من الطرق الأخرى الأصح والأثبت.

3- شيخهما سعيد بن عفير (226هـ): وهو ثقة من رجال الشيخين، وأكتفي بقول الحافظ ابن حجر هنا بقوله عنه في التقريب: : سعيد بن كثير بن عُفَير . .الأنصاري مولاهم المصري، وقد ينسب إلى جده صدوق عالم

بالأنساب وغيرها ، قال الحاكم يقال إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه وقد رد بن عدي على السعدي في تضعيفه[179] من العاشرة مات سنة ست وعشرين خ م قد س) .

---

[179] السعدي هذا هو الجوزجاني الناصبي المشهور (259هـ)، وكان لنصبه يطعن في العراقيين جملة حتى وصل طعنه في الأعمش وحبيب بن أبي ثابت وقسلمة بن كهيل وغيرهم وهو أول من اشترط تنقية رواياتهم، فإذا رووا في فضل الثلاثة قبل، وإذا رووا في فضل علي ترك، هذا ترجمة مشروعه – ولكن لم ينجح هذا المشروع- فكانت خطته الخفية تقضي بتضعيف كل من روى شيئاً عظيماً في فضائل علي أو ذم معاوية، وربما يفلت منه الشيء بعد الشيء في الثناء القليل عليهم ليس حباً لهم، وإنما للطعن في أهل العراق، فهو قد اضطر مثلاً لرواية حديث ابن عمر (قاتلكم الله يا أهل العراق، تسألون عن دم البعوض وقد قلتلتم ابن رسول الله، سمعت النبي (ص) يقول: هما ريحانتاي من الدنيا) هكذا ذكرته بمعناه فقد رواه النسائي عنه في الخصائص، لكن الجوزجاني إنما يروي هذا للطعن في الشيعة، مع أن قتلة الحسين ليسوا شيعة الحسين، وإنما قبائل الدرهم والدينار، أما شيعته الحق فقد افترقوا قسمين، قسم وهو الأكثر خذله ثم تابوا من ذلك وثاروا باسم التوابين بقيادة الصحابي لسليمان بن صرد الخزاعي، وهم اصحاب عين الوردة عام (65هـ) وقسم وهو الأقل خرج وقاتل معه وقتلوا جميعاً، والنواصب اليوم يشنعون على أهل العراق لخذلانهم أهل البيت مع أن سلفهم كانوا من المباشرين لقتل أهل البيت، وأخفهم من خذلهم عن نية وعقيدة! وهو لم يضعف سعيد بن عفير ويتهمه بالبدعة إلا لروايته مثل هذه الأمور، ففي (الكامل لابن عدي – (ج 3 / ص 411) : (قال السعدي : سعيد بن عفير فيه غير لون من البدع وكان مخلطا غير ثقة قال الشيخ وهذا الذي قال السعدي لا معنى له ولم أسمع أحدا ولا بلغني عن أحد من الناس كلاما في سعيد بن كثير بن عفير وهو عند الناس صدوق ثقة) اهـ المراد، وابن عدي قد احتار في الجوزجاني ولا يعرف ماذا يريد حتى احتمل أنه أراد آخر، وهذا ما نأخذه على أهل الحديث، يتنبهون لأثر التشيع في الرجل ولو كان حقاً ولا يتنبهون لأثر النصب ولا يكون إلا باطلاً، فالجوزجاني من منهجه نحن نعرف يقيناً أنه لا يقول مثل هذا القول في ثقة مجمع عليه إلا إذا وجد في رواياته ما يخالف النصب، كهذا الحديث في ذم معاوية، فلذلك سارع لرميه بأكثر (من نوع من البدع) ! حتى يظهر للناس أن النصب ليس سبب طعنه فيه، وإنما بدع كثيرة! فعندما وجد أن سعيد بن عفير قد روى ما يسوؤه في معاوية سارع إلى إرسال التهم، فأصبح بهذا معاوية معياراً قائماً بذاته، تميل الأحاديث والرويات عن يمينه وشماله لا يصيب معاوية منها شيء ! فلو سجد معاوية للأصنام ورواها عشرات الصحابة والثقات من التابعين لأصبحوا هم ضعفاء مبتدعة بينما معاوية محمي

4- ابن لهيعة (174هـ) شيخ سعيد بن عفير: وهو صدوق حافظ وفيه خلاف وسيأتي موسعاً إلى حد ما في رجال حديث ابن الزبير. . وهو مقبول في المتابعات والشواهد وهذه منها .

5- الحارث بن يزيد الحضرمي (130هـ) شيخ ابن لهيعة: ثقة ثبت، ففي تقريب التهذيب: الحارث بن يزيد الحضرمي أبو عبد الكريم المصري ثقة ثبت عابد من الرابعة مات سنة ثلاثين م د س ق اهـ قلت وقد ذكروا من عبادته أنه كان يصلي في اليوم 600 ركعة، وأظن هذا مبالغة، وقد عقل مقتل عثمان، فمعنى هذا أنه عاش نحو المئة سنة .

6- عكرمة بن أسد الحضرمي (تابعي) شيخ الحضرمي: وكونه تابعياً أمر ظاهر،، لأن تلميذه تابعي صغير، فقد عقل مقتل عثمان (عام 35هـ)، وشيخه صحابي (عبد الله بن الحارث الزبيدي، وهو آخر الصحابة موتاً بمصر، مات سنة 86هـ)، وعلى هذا فعكرمة لا أقل من أن يكون من الطبقة الثانية من التابعين، وهو لم يرو إلا هذا الحديث وهو صحيح الإسناد من غير طريقه، وتكون روايته له من باب الشواهد والمتابعات، فشيخه صحابي وتلميذه ثقة

حماية كاملة! وهذا هو النصب الذي نصرخ بإنكاره من عشرين سنة ولا نجد إلا القليل من الأذكياء والباحثين الجادين، أما البقية فيحتاجون لوقت وصبر طويل، وأكثر السلفية اليوم لا يعرفون هذه المؤثرات ولا النصب ولا النواصب ولا أثر النصب على النفس والعقل والدين، ولذلك نقول هم نواصب بجهل، نصباً خفيفاً بحسن نية، وهذه المسائل تحتاج لثقافة كبيرة ونية صادقة وحرية في البحث وإلمام واسع بالتاريخ في مصادره القديمة وبالجرح والتعديل ومسيره وأحوال رجاله وكيف سار هذا التاريخ وهذا الحديث؛ بل وهذا الدين، فالدين نفسه قد سلكوا به أوديتهم، وجرعوه آراءهم قهراً، وقضموا منه ما لا يعجبهم، وحرموه من الحشم والخدم، ومن هنا تأتي أهمية طلبة العلم الأحرار من أهل السنة قبل غيرهم، أن يحاولوا استعادة ما يمكننا استعادته من هذا الدين، لأن أصحاب مذهبنا لهم الصدارة في اختطاف الدين إلى منازلهم وحمايته داخلها، فلا هم أطعموه وأشربوه الطيب من الأكل والشرب، ولا تركوه ليأكل من خشاش الأرض! فهو أطول سجين في العالم ومع هذا لم يمت! لأنه الله أبتلى به الناس أربعة عشر قرناً، وسيكتب له الخروج من هذا السجن، والوعيد والويل لهؤلاء السجانين وخاصة الآمرون الأوائل، فإثمهم أعظم لن دين الله أغلى من هرة، فلا أمل لعزتنا ونهضتنا ونجاتنا إلا به، وبه يقوم السموات والأرض.

ثبت، ودلائل تزكية رواية التلميذ له أولى من تزكية الصحابي، لأن رواية التلميذ متيقنة، وكان هذا التلميذ آية في العبادة والثقة والصدق، وعلى هذا فلا أقل من أن يقال عن شيخه عكرمة الحضرمي هذا؛ (روى حديثاً معروفاً)، لكن أهل الحديث بعد العقيلي تواطؤوا على القول : (روى حديثاً منكراً) ! وهذا إنكار مذهبي لا علمي، والمذاهب تنكر ما لا تعتقد، ولو أتيت ناصبياً بأقطع الأدلة في مثلبة لمعاوية لما آمن بها، كذا لو أتيت مجسماً بحديث في التنزيه، أو إماميا بدليل في بطلان العصمة ولو كان قرآنياً، . . .الخ وهذه النفس الإنسانية إن لم يضبطها المسلم بالشرع أصبح هواها ديناً، ولذلك كان (نهي النفس عن الهوى) من أعظم أسباب دخول الجنة، وكان المذهب السلفي بنصبه الخفيف قد استقر في عهد العقيلي، فلذلك تورط علماء تلك المرحلة في كثير من الأحاديث المتبقية في فضائل الإمام علي أو في ذم معاوية، فعملوا على إخفاء مثالب معاوية وتضعيف رجال فضائل علي، والعقيلي في هذا يتبع التيار الحديثي العام الذي أدركه بعد المتوكل، وقد نجا المؤرخون كالبلاذري من تسلط عيون السلطة الدينية لأن اهتمامه في التاريخ بالدرجة الأولى، أما لو كان البلاذري محدثاً لأجبروه على إخفاء الاسم أو ترك رواية الحديث بالكلية، وهذا البتر والتحريف والإخفاء بدأ قديماً لكن الأقدمين انشغلوا بإخفاء الأعظم، فلما أصبح ذلك الأعظم ضعيفاً أو مؤولاً أو غريباً، اكتشفوا الأمور الصغرى، ونحن إلى اليوم في عمليات إخفاء وتحريف واقتراحات ! ولو أننا أرحنا أنفسنا وقلنا الدين دين الله والكلام كلام رسوله وهما أعلم بما يقولان، ولم يكلفانا إلا بالاتباع، لم يكلفونا بالاعتذار عن الله ورسوله فيما لا يريدان الاعتذار منه، (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52) [النور/47-52] إذن فعكرمة بن أسد الحضرمي لم يذكر في الضعفاء عند المتقدمين، وأول من ذكره العقيلي فيما أعلم، وأنكر عليه هذا الحديث فقط، بزعم العقيلي أنه لم يتابع، والحديث

مشهور وصحيح السند من غير طريقه، ولكن العقيلي إما أنه لا يعرف تلك الأسانيد عن عبد الله بن عمرو، وهذا قلة علم منه، أو أنه يعرفها فيكون كاذباً في دعواه، وقد قلده الذهبي في الميزان فلم يزيد على قوله (أتى بخبر منكر) وبتره كالعقيلي، ثم أتى الحافظ ابن حجر ونقل كلام الذهبي واقره ولم يزد على ذلك، وهذا تواطؤ عجيب، ولعل العذر للذهبي وابن حجر أنهما قلدا العقيلي، لكن كان الواجب عليهما أن يبحثا عن لفظ الحديث ويقولان: هذا الحديث ذكره كاملاً البلاذري ونصر بن مزاحم وغيرهم (وصرحوا بالاسم وهو معاوية) ورواه أحمد وغيره من أهل الحديث (مع إخفاء اسم الرجل) ثم يحكمان بأن الحق مع من ذكر الاسم لأن إخفاء الاسم يبطل فائدة الحديث، والنبي (ص) لا يقول إلا حقاً، ويجب أن يؤخذ تحذيره أكثر مما نأخذ تحذير العلماء من واصل بن عطاء والجهم بن صفوان، وليس من العدل أن يحفظوا تحذيرهم من دعاة العدل ويخفون تحذير النبي من الدعاة إلى النار، وتحذير النبي (ص) من معاوية أو الإخبار عنه بأنه يموت على غير الملة هو نوع ابتلاء (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟) وأما لماذا لم يقتله النبي (ص) فلا قتل على جرم مستقبلي، وقد أوصاهم بقتله في حديث آخر صحيح (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) وهذا يدل أنه لن يرقى المنبر إلا وقد استحق القتل، إذن فهؤلاء المستعجلون يحتاجون لثقافة قرآنية عن معنى الابتلاء والتمحيص، وهي غاية الله الأولى من خلق هذا الكون، هؤلاء المستعجلون ينطقون بألسنة الراحلين ويفعلون أفعال المخلدين، والعجلة منهج أموي في الفكر، لكنهم متأنون في المكر، ولو أنهم وأتباعهم يتعلمون كما يمكرون لرأوا معاوية في جهنم ! .

7- عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي (86هـ) - شيخ عكرمة بن أسد- صحابي، وهو آخر الصحابة موتاً بمصر، وكانت أسرته مقربة من أهل البيت، فلذلك اجترأ على ما جبن عنه غيره، قال الحافظ (تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 299) : عبد الله بن الحارث بن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها همزة الزبيدي بضم الزاي صحابي أبو الحارث سكن مصر وهو آخر من مات بها من الصحابة سنة خمس أو ست أو سبع أو ثمان وثمانين والثاني أصح د ت ق) ومن ترجمته في معرفة الصحابة لأبي نعيم ومن أحاديثه نستفيد أنه قديم الإسلام، بل ذكره بعضهم في أهل بدر، ويدل عليه قولهم إنه مات بعدما شاخ وعمي.

وفي ترجمتي لعمه محمية بن جزء الزبيدي في كتابي – المخطوط – المؤاخاة الكبرى، ذكرت ما يلي باختصار: الطبقات الكبرى [جزء 7 – صفحة 497] محمية بن جزء بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد بن مذحج وكان حليفا لبني سهم وأسلم محمية بمكة قديما وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية وأول مشاهده المريسيع وهي غزوة بلمصطلق واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمس وسهمان المسلمين يومئذ واستعمله على الأخماس بعد ذلك ثم تحول إلى مصر فنزلها، / أقول هنا، فمحمية الزبيدي من السابقين، وله قرب ما بالنبي (ص) فهو أخو بعض أمهات المؤمنين من أمهن، وكذلك هو أخو أسماء بنت عميس لأمها، وقد ولاه النبي (ص) الخمس يوم المريسيع وقيل يوم بدر، ويظهر من الروايات أنه ولاه الأخماس سنين، قال ابن عبد البر: واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس وأمره أن يصدق عن قوم بني هاشم في مهور نسائهم منهم الفضل بن العباس وهاجر لمصر) قلت: وكان معه بنو أخيه، ومنهم عبد الله بن الحارث بن جزء هذا، وكانوا بيت فضل وصلاح وعبادة، وروى البصريون عن عبد الله بن الحارث هذا . . وأظن أنه من أسباب توبة عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد كان عبد الله مع أبيه عمرو بن العاص بمصر، سكنها بعد استيلاء عمرو عليها، وكأن عبد الله بن الحارث الزبيدي اتصل بعبد الله بن عمرو لما يعرف فيه من عبادة وصلاح فقد يكون ذكرّه بهذا الحديث من باب السؤال، كما ذكر الإمام علي الزبير يوم الجمل بحديث (تقاتل علياً وأنت له ظالم- وهو صحيح الإسناد وقد صححه الألباني)، فكأن عبد الله بن عمرو شكر وتاب وبث ذلك الحديث الذي من المحتمل جداً أن يكون عبد الله بن الحارث سمعه أيضاً، لكنه أحب أن ينقله عن عبد الله بن عمرو من باب أقامة الحجة فقد كان في دولة بني أمية، وقد لا يصدقونه أو يشنون به، ولهذا الحديث بين الرجلين قصة، إلا أن رواية عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عمرو هذا الحديث دون غيره فيه دلالة على إقامة حجة ما، ومن أحاديث عبد الله بن الحارث الزبيدي الحسنة مات رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين –(ج 15 / ص 375) : أخبرنا أبو جعفر البغدادي، ثنا يحيى بن عثمان بن صالح، ثنا حسان بن غالب، ثنا ابن لهيعة، عن أبي زرعة عمرو بن جابر، عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول : « سيكون بعدي سلاطين الفتن

على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحدا شيئًا إلا أخذوا من دينه مثله » / ومن أحاديثه العجيبة ما رواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه معرفة الصحابة - (ج 11 / ص 366): حدثنا محمد بن عيسى المؤدب، ثنا عمير بن مرداس، ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم أبو يحيى السلمي، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن سليمان بن زياد الحضرمي، عن عبد الله بن الحارث بن جز الزبيدي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وددت أن بيني وبين أهل الحجاز حجابا » من شدة ما كانوا يجادلونه اهـ

8- عن عبد الله بن عمرو بن العاص: صحابي، وسبق وسيأتي التعريف به وبتوبته على يد الحسين بن علي ولعل عبد الله بن الحارث الزبيدي هو المتسبب في توبته بتذكيره بهذا الحديث.

تراجم إسناد أبي أمامة بن سهل بن حنيف:

وهو أحد الأسانيد التي روت حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وسيقتصر التوسع هنا على تراجم أبي أمامة وعثمان بن حكيم وعبد الله بن نمير، أما من سواهم كعبد الله بن عمرو أو الرواة عن ابن نمير كأحمد بن حنبل وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم فهم مشهورون وقد سبقوا:

أحمد بن حنبل : مشهور

أبو بكر بن أبي شيبة: مشهور

ترجمة عبد الله بن نمير (199هـ):

شيخ أحمد، وهو كوفي سني! وإذا أطلق أهل الحديث (سني) على رجل من أهل الكوفة، فهذا يعني أن فيه نوعاً من النصب،مثلما نجدهم اليوم إن وجدوا ناصبياً في اليمن جعلوه من أهل السنة، وكذا إن وجدوا مجسماً في المغرب أو ناشفاً في السودان أو جامياً في بريدة أو وهابياً في مكة. .الخ .

وعبد الله بن نمير كوفي، ووصفوه بأنه من أهل السنة، وإذا وجدتم أهل الحديث يقولون عن رجل بأنه من أهل السنة فاعلموا أنه ضد عقيدة أهل بلده، فليس من العادة أن يقولوا عن البصري كان صاحب سنة إلا إذا كان مغالياً في محاربة القدرية، ولا عن الكوفي صاحب سنة إلا إذا كان ناصبياً، ولا عن شامي صاحب سنة إلا إذا كان ضد الغيلانية والقدرية ومندداً بثورة يزيد الناقص. .الخ، واليوم السني في لبنان هو من كان ضد حزب الله حتى لو كان مع إسرائيل، فهذه هي معايير السلفية المحدثة، فهم مهوسون بالخصومة مع المسلم، ولا يرون مع عداوته عداوة أخرى تستحق الالتفات.

وهذه مقتطفات من ترجمة عبد الله بن نمير، ففي تقريب التهذيب - (ج 1 / ص 327): عبد الله بن نمير بنون مصغر الهمداني أبو هشام الكوفي ثقة صاحب حديث من أهل السنة من كبار التاسعة مات سنة تسع وتسعين وله أربع وثمانون ع.

وخلاصة الأقوال فيه في (تهذيب التهذيب - (ج 6 / ص 52) : قال أبو نعيم سئل سفيان عن أبي خالد الأحمر فقال نعم الرجل عبد الله بن نمير! وقال عثمان الدارمي قلت ليحيى بن معين بن إدريس أحب إليك في الأعمش أو بن نمير فقال كلاهما ثقة وقال أبو حاتم كان مستقيم الأمر! قال ابنه محمد وغيره مات سنة تسع وتسعين ومائة وقيل إنه ولد في سنة 115 قلت وذكره بن حبان في الثقات وقال العجلي ثقة صالح الحديث صاحب سنة! وقال بن سعد كان ثقة كثير الحديث صدوق) اهـ

قلت: لو قالوا (كان زائغاً) لكان هذا أوثق من قولهم (كان سنياً مستقيم الأمر) ! فالمبتدع يرى مشاركه في البدعة مستقيماً، وآل نمير عبد الله وابنه محمد من سنة أهل الكوفة، ويحبون أحاديث ابن عمر وأبي هريرة، ويهجرون أحاديث صحابة الكوفة كعلي وعمار حذيفة شيئًا ! مع أن صحابة الكوفة أعلم وأفضل بإجماع، فهذه الخطوة الكبيرة نحو أحاديث ابن عمر وأبي هريرة مع هجر حديث صحابة الكوفة تدل على شيء، وكان ابن نمير الأب في عهد الرشيد وشدة الخصومة السياسية مع آل علي، فلحق علياً ما لحقه، مثلما يدفع الإمام علي وأهل البيت اليوم خصومة السياسة العربية مع السياسة الإيرانية، والعلماء يسيرون خلف ساستهم، ولو أمرهم الساسة بتصنيف المصنفات في مثالب أهل البيت لفعلوا، بل قد فعلوا بلا أمر تحت ستار (الرد على الرافضة) !

ترجمة عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف (مات قبل 140هـ)[180]

وهو الراوي عن أبي أمامة، ولعله هو محرف لفظة (معاوية) إلى (الحكم) أو (رجل غيره) أو نحو ذلك، وكان هذا من مناصري عكرمة مولى ابن عباس ففي مختصر تاريخ دمشق - (ج 5 / ص 319) قال عثمان بن حكيم: كنت جالساً مع أبي أمامة بن سهل بن حنيف، إذ جاء عكرمة فقال: يا أبا أمامة، أذكرك الله، هل سمعت ابن عباس يقول: ما حدثكم عني عكرمة فصدقوه، فإنه لم يكذب عليّ؟ وفي رواية: فإنه لم يكذب على الله؟ فقال أبو

---

180 وعلى الضد أخوه حكيم بن حكيم طعن فيه بعضهم رغم استقامة رواياته،/ قال الحافظ (صدوق)) واخوهم الثالث، حبيب قتل يوم الحرة) / ووالدهما حكيم بن عباد بن حنيف روى عن ابن عباس خبراً، / وجدهم عباد بن حنيف من اصحاب مسجد الضرار.[180] وتحتاج الأسرة لبحث موسع.:

أمامة: نعم اهـ وعكرمة قد ثبت أن ابن عباس وآل عبد الله بن عباس كانوا يتهمونه وأحاديثه في الجملة تدل على نصب.

ومن رواياته المنكرة الظاهر، ويمكن تأويلها بما يزيل النكارة، ما جاء في أمالي أبي إسحاق لإبراهيم بن عبد الصمد - (ج 1 / ص 52): حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا مروان بن معاوية، عن عثمان بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : لا ينبغي أن يصلى على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم) اهـ وكأن هذا رد على الصلاة على آل محمد، و الحديث في فضل الصلاة على النبي لإسماعيل بن إسحاق - (ج 1 / ص 74):حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال : ثنا عبد الرحمن بن زياد، حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال : « لا تصلوا صلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار »/ وهو في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (ج 4 / ص 25): بسنده إلى أبي نعيم (الفضل بن دكين)، نا سفيان (ابن عيينة كما سيأتي)، عن عثمان بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : « لا تنبغي الصلاة من أحد على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم » / وهو في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (ج 4 / ص 26): بسنده عن سفيان بن عيينة، عن عثمان بن حكيم، عن عكرمة : « أن ابن عباس كره أن يصلي أحد على غير النبي صلى الله عليه وسلم » وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم صل على آل أبي أوفى »، وقالت امرأة جابر بن عبد الله لرسول الله : « صل علي وعلى زوجي) .

وقد روي عنه الضد، ففي الكنى والأسماء للدولابي - (ج 4 / ص 488): وأخبرني أحمد بن شعيب، قال : أنبأ هاشم بن القاسم قال : حدثنا عيسى، عن عثمان بن حكيم، عن خالد بن سلمة، أن عبد الحميد بن

عبد الرحمن، دعا موسى بن طلحة حين أعرس على ابنته فقال : يا أبا عيسى كيف بلغك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال موسى : أنا سألت زيد بن خارجة عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال زيد : أنا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كيف الصلاة عليك ؟ قال : « صلوا واجتهدوا ثم قولوا : اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

توجيه رواية عثمان بن حكيم:

إن سلم عثمان بن حكيم من تحريف الخبر فيكون المراد أن الصلاة على النبي تشمل آله، وأنه لا يجوز انفكاك هذا عن هذا، أعني إذا قال أحد (لا تصلوا إلا على رسول الله) فإنما يريد أخرج غير أهل البيت، أما أهل البيت فهم مع النبي (ص) لا يفترقان، فإذا ذكر هو فقد ذكروا معه[181].

واخوه حكيم بن حكيم أصلح حالاً منه[182].

---

181 إلا أن يكون عكرمة قد أراد شيئاً، فاتهامه أنه من الخوارج يظهر لي أن مراد بعضهم النصب، وقد كان يتابع بعض الخوارج حقيقة، لكن أرى فيه نصباً روائياً، لا أدري هل الخوارج يتفقون مع هذه الروايات والرؤى أم لا . . فالأمر للبحث، فهو من يروي مثالب علي وأهل البيت من المقربين لابن عباس، مثل قصة الزنادقة وترك الصلاة على الآل وكان يطلب المباهلة أن آية التطهير نزلت في النساء الخ

182 من روايات أخيه حكيم بن حكيم (قال ابن حجر (صدوق) وأكثرهم لا يحتجون به، وهو من رجال السنن الأربع) : ففي السيرة النبوية لابن كثير - (ج 4 / ص 69) قال ابن إسحاق: حدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبى جعفر محمد بن على، أنه قال: لما نزلت " براءة " على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ؟ فقال: " لا

ترجمة أبي أمامة بن سهل بن حنيف:

واسمه أسعد، وهو الراوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ترجموا له في كل كتب التراجم الرجالية، بل قيل له صحبة، وترجمته في الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (ج 1 / ص 27) : أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري أبو أمامة وهو مشهور بكنيته ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعامين وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له وسماه باسم جده أبي أمه أبي أمامة سعد بن زرارة وكناه بكنيته وهو أحد الجلة من العلماء من كبار التابعين بالمدينة ولم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ولا صحبه إنما ذكرناه لإدراكه النبي صلى الله عليه وسلم بمولده وهو شرطنا وأبوه سهل بن حنيف من كبار الصحابة من أهل بدر وسيأتي ذكره في بابه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وتوفي أبو أمامة بن سهل بن حنيف سنة مائة وهو ابن نيف وتسعين سنة.

يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى "/ السيرة النبوية لابن كثير - (ج 3 / ص 95) : . . في البكاء على حمزة "/ وفي السيرة النبوية لابن كثير - (ج 3 / ص 591) . .فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبى جعفر محمد بن على، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا/ وذكر عنه الواقدي رواية فيها في وصية معاوية : (الجزء المتمم لطبقات ابن سعد - (ج 1 / ص 64): قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز الأنصاري، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، أن معاوية حين حضر دعا ابنه يزيد فأوصاه بتقوى الله! وفيها : . . .، وعبد الله بن الزبير . . فارفق به وصل رحمه يصلح لك أمره . .») فالوصية بابن الزبير خلاف المشهور عن معاوية . .

زاد ابن حجر في الإصابة في معرفة الصحابة – (ج 1 / ص 62) وقال ابن الكلبي تراضى الناس أن يصلي بهم وعثمان محصور، اهـ ومن حديث الجرح والتعديل هو ثقة بلا خلاف، بل قال أبو حاتم (هو أجل من ذلك) . .وأقوالهم فيه قليلة لأنه عندهم كصغار الصحابة الذين لا يسأل عنهم، إلا أن اتفاق الناس عليه في الصلاة أيام حصر عثمان، يدل على أنه أقرب إلى المعارضة، فإن أصحاب عثمان كانوا في حصار مع عثمان، ولم يكن يجرؤ أحد منهم للخروج للصلاة، وأما بقية أهل المدينة فكانوا بين ساخط ومحاصر، كما أن والده سهل بن بن حنيف صحابي كبير بدري من أنصار علي، وقد كان الأنصار بأجمعهم على السخط من عثمان وولاته وسياساته باستثناء زيد بن ثابت تقريباً .

ثامناً: تراجم إسناد جابر بن عبد الله

ترجمة نصر بن مزاحم (213هـ)[183]:

نصر بن مزاحم العطار المنقري الكوفي سكن بغداد، مصنف قديم، صدوق في الجملة وقد وثقه ابن حبان (وتوثيقه للمشهورين معتمد) ووثقه ابن أبي الحديد وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهم، وهو محدث كبير مكثر من الرواية، يدلنا على ذلك كثرة شيوخه والرواة عنه إلا أن تشيعه قد أدى إلى نفور كثير من أهل الحديث عنه .

ويقول عبد السلام بن هارون في مقدمة تحقيقه لكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص 9 (والمؤرخون يختلفون في توثيق نصر شأنهم في كل راو من الشيعة) ثم يقول: (ومهما يكن فإن الناظر في كتابه هذا يلمس هدوء المؤرخ الذي لا تستفزه العصبية إلي هواه إلا في القليل الذي لا يستطيع منه إفلاتاً . . .)، وقال عنه ياقوت الحموي: (كان عارفاً بالتاريخ والأخبار)، وقال عنه ابن أبي الحديد: (ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدخال وهو من رجال أصحاب الحديث) .

---

[183] وثقه ابن حبان وسكت عنه البخاري في الكبير مع تشدده في الشيعة . .

ذكر من ضعفه من أهل الحديث ورد ذلك: وقد ضعفه العقيلي وأبو حاتم والجوزجاني، وغيرهم ولكن للمذهب كما سيأتي بيانه، وكل هؤلاء فيهم عصبية مذهبية وتقليد التالي للسابق، أما الجوزجاني فناصبي خالص، ولكن أبا حاتم من كبار أهل الحديث وهو أكثر علماً وإنصافاً ولذا يلزم إيراد قوله حتى يتبين ما إن كان متمذهباً هنا أم كان متجرداً، ففي الجرح والتعديل - (ج 8 / ص 468) نصر بن مزاحم العطار المنقرى أبو الفضل سكن بغداد روى عن شعبة روى عنه عبد السلام وابن الرماح سمعت أبى يقول ذلك، قال أبو محمد (ابن أبي حاتم): . . . سألت أبى – أبا حاتم- عنه (أي عن نصر) فقال: واهي الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه؛ كان شبه عريف! مات قبل دخولنا الكوفة اهـ

فقوله (كان شبه عريف) هو سبب تضعيفه، ويعني به نصرته للإمام محمد بن إبراهيم طباطبا العلوي الهاشمي في ثورته (المشهورة بثورة أبي السرايا) وكان ابن طبا طبا هو إمام الثورة، وكان قد ولى نصر بن مزاحم أمر السوق، مع أن أهل الحديث قد رووا عن شرطة زياد وابنه ومعاوية وابنه ومروان وذريته وعمرو بن حريث وعبد الرحمن بن سمرة والحجاج وغيرهم، وهذا مفصل في كتابنا مدارس المدن الإسلامية (لم يطبع) .

إذن فأبو حاتم يرى أن قوله (كان شبه عريف) كافياً في تضعيف نصر بن مزاحم! وما يراه دلالة على ضعفه قد نراه دلالة على توثيقه، فإذا وثق فيه رجل صالح من أهل البيت كمحمد بن إبراهيم العلوي فولاه على السوق (سنة 200هـ تقريباً) وترك كثيراً من علماء أهل الكوفة فهذا يدل على تقدمه، وإذا كان هؤلاء يجعلون من تولية سفهاء بني أمية لبعض العلماء دلالة على الثقة بهم، كما فعلوا مع الزهري، فمن حقنا أن نرى أن تولية صالحي أهل البيت لبعض العلماء قرينة على تعديلهم، فالزهري ولاه سفهاء بني أمية ونصر بن مزاحم ولاه صالحو أهل البيت، ورواية نصر بن مزاحم هنا مقبولة، لسبباب غير ثقة نصر بن مزاحم، فلو أن نصر بن مزاحم انفرد بهذا الحديث لشككنا فيه اطراداً مع شكنا في كل الأفراد من الأحاديث، ولو انفرد بهذا الحديث لما أخذنا به ولا نعتمد على نصر ولا على غيره منفرداً في الغالب، ولا نرى الاحتجاج إلا بالرواية التي تحفها القرائن والشواهد، وفي الجهة الأخرى لا يجوز ترك الاستشهاد برواياته لمجرد المذهب وهو ما فعلناه هنا، ثم هذا الحديث له شواهد، ثم هؤلاء القوم من

النواصب يحتجون بروايات أكذب الإخباريين منفردة كما يفعلون مع سيف بن عمر الذي لم يتابع على أكثر منكراته لا من ضعيف ولا من ثقة أما نصر هذا فلا يلتفتون إلى رواياته مع أنه أوثق من سيف بن عمر بمرات عديدة وكلاهما تميميان لكن نصر بن مزاحم من محبي الإمام علي وسيف بن عمر ناصبي من محبي معاوية! هذا هو الفرق الوحيد المبرر لمواقف المتأثرين بالنصب في هذا العصر، والنصب هو المسيطر على الجرح والتعديل اليوم على وجه الجملة أيضاً[184].

وقد عمل كثير من علماء الحديث لولاة بني أمية وظلمتهم، ومن هؤلاء الشرطة الذين عملوا للظالمين: أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص (عملا لمعاوية) وسعد بن عبيدة وأبو إسحاق السبيعي وأبو عثمان النهدي (عملوا شرطة لولاة بني أمية على العراق واشترك بعضهم في قتال الحسين)، وخالد بن معدان صاحب شرطة يزيد بن معاوية. . وغيرهم كثير، فهؤلاء كانوا من شرطة بني أمية وعمالهم، ومع ذلك وثقوهم رغم أن الشرطي والوالي يتناول ظلم الناس بعكس صاحب السوق الذي يراقب الغش ويمنع الاحتكار، لا سيما إذا كان من عمال أهل

---

184 ونصر بن مزاحم قد أكثر عنه يحيى بن سليمان الجعفي شيخ البخاري، ونقل ابن عساكر وابن العديم كثيراً من مروياته من طريق يحيى بن سليمان هذا، وقد روى له الطبري في التفسير في علم أهل البيت، وفي التاريخ في أخبار كثيرة، وروى له محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه العرش،/ وابن مردويه في أماليه / وأبو يعلى فيما رواه البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة . . في فضل علي، وابن أبي حاتم في التفسير / والطبراني في الأوسط (أكثر من حديث) / والدارقطني في سننه/ وأبو نعيم في معرفة الصحابة في ترجمة أبي مهند الأنصاري في فضل القرض، وضحاك الأنصاري في فضل علي يوم خيبر (وحديث من دخل النخل فهو آمن) وفي الحلية حديث علي: (هيهات يا بن أم ظليم)/ والبيهقي في شعب الإيمان، وقبله الحاكم في علوم الحديث- في الحديث المسلل بكلمة (عدهن في يدي) وهو في الصلوات على محمد وآل محمد / والخطيب في الفقه والمتفقه في الفقه قبل التجارة/ وابن عبد البر في الاستيعاب وغيره / وابن عساكر في فضل زيد بن علي/ وابن كثير في التفسير (رواية ابن أبي حاتم)، . . . ومن أحاديثه أيضاً: حديث عائشة اقتلوا نعثلاً فقد كفر، وحديث علي قسيم النار، والذي جاء بالصدق محمد والذي صدق به علي وغيرها (ولا أقول إن أصحاب هذه المصادر رووا عنه مباشرة إلا الجعفي، وهناك فرق بين : روى عنه، وروى له، يدركها طالب العلم) .

بيت النبوة، وكان ابن طباطبا من أعدل الناس، ثم هؤلاء الشرطة والولاة الذين عملوا لبني أمية لا نضعفهم بعملهم لهؤلاء الظلمة، إلا بعد بحث وتبين، مع أن مجرد الركون إلى الذين ظلموا جرح، وقد يكونوا من الثقات؛ لكن لماذا إن عمل أحد الرواة (عريفاً) لرجل عادل من أهل البيت يصبح مجروحاً، بينما إن عمل قاتلاً لرجل ظالم مثل يزيد و ابن زياد يبقى ثقة؟ لماذا ؟ السبب واضح لأن تيار أهل الحديث (من السلفية المحدثة) هو إنتاج سلطة مع قليل من التعديل والتحسين والخير والإنصاف.

إذن فهذا التضعيف المذهبي غير مقبول علمياً حتى عند أكثر أهل الحديث المتقدمين فكم من الرواة المبدّعين أخذ عنهم أصحاب الصحاح، وتوثيق ابن أبي الحديد المعتزلي وأبو الفرج الأصفهاني لنصر بن مزاحم لم يكن بدعة، فقد وثقه بعض المتعصبين من أهل الحديث كابن حبان، وكذلك وثقه ياقوت الحموي مع نصبه، بل لا نستبعد توثيق وعبد السلام هارون المعاصر لأنه درس نصر بن مزاحم دراسة وافية، كل هؤلاء مع اختلاف أهوائهم وأزمانهم أولى عندي بالقبول من تضعيفات طيف واحد من المتعصبين من أهل الحديث كالجوزجاني والعقيلي بل والذهبي، والعلم الحديث يقول هكذا، والبحث يقول هكذا، وإن رفضنا توثيق هؤلاء فرفض تضعيف أولئك أولى، لأن التعصب فيهم ظاهر، نعم هناك معتدلون إلى حد مقبول مثل شعبة وابن معين وابن المبارك، ثم بدرجة أقل أحمد بن حنبل وابن سعد وابن راهويه، ثم ابن المديني، أما الجوزجاني فمجنون، وإنما أقول إلى (حد مقبول) في مثل شعبة على إمامته، لأن التعصب والجهل لا يسلم منهما بشر، وأنا شخصياً أجد في روايات نصر مناكير ولكني أجد تلك المناكير في أحاديث أحمد بن حنبل والبخاري أيضاً (وانظروا تحريفات أحمد في ملحق هذا الكتاب)، ثم المناكير التي رواها نصر بن مزاحم لا أستطيع أن أتهمه بها، لاحتمال أن تكون من قبل شيوخه، فقد أكثر عن بعض المجهولين، وهو متقدم ولم يرو عنهم إلا هو، ولا نستطيع الحكم إن كان الخلل منه أو منهم، بعكس الإمام أحمد فهو متاخر وقد تحققنا من أن المناكير منه شخصياً، لأن المصادر التي استقى منها مطبوعة كمصنف عبد الرزاق، ولأن من غيره ممن روى عن تلك المصادر قد رواها على الصواب وفق المطبوع من تلك المصادر فانحصرت التهمة في أحمد، ويدعم ذلك تشريعه لأهل مذهبه إخفاء الأحاديث التي تخالف العقدية المذهبية، فالرجل واضح نظرية

وتطبيقاً ويعترف بذلك ولا ينكره، فأين تهمة نصر بن مزاحم (علمياً) من تهمة أحمد، وأكرر (عليماً) أما التضعيف للمذهب والتوثيق للمذهب فكل يجيده، إنما نريد جمع أمة محمد (ص) على منهج علمي عقلاني منصف يرتضيه الجميعن ولا ريب أن سبر مرويات الراوي وعرضها على الأصول المقطوع بمعياريتها من قرآن أو عقل أو مباديء عامة أو تجربة مستفادة أو علم متحقق. . أولى من الأقوال المنقولة عن أهل الحديث التي لا تصلح أن تكون معياراً في أي جامعة من جامعات الدنيا، مع ما علمناه يقيناً من تعصب تلك الأقوال تجريحاً وتعديلاً في الجملة.

توثيق نادر لنصر بن مزاحم:

عثرت على توثيق عزيزي لنصر بن مزاحم المنقري، وهو قول أبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين - (ج 1 / ص 134) وهو يستعرض روايات خروج علي بن محمد أحد العلويين فقال:

(فاعتمدت على رواية . . رواية نصر بن مزاحم، إذ كان ثبتاً في الحديث والنقل) اهـ وتوثيق الأصفهاني عندي أولى من تضعيف غيره لأنه معتدل غير متعصب وصاحب تاريخ واطلاع عريض وسعة في الرواية مع عقل حمال وحب لأهل البيت (وهذا سبب الحملة عليه من نواصب العصر)، ولو ظفر عبد السلام هارون بهذا التوثيق وأضاف له توثيق ابن حبان لكان أفضل .

ترجمة جعفر بن زياد الأحمر (177هـ):

شيخ نصر بن مزاحم، وهو أبو عبد الله جعفر بن زياد الأحمر، وله ابن اسمه علي محدث، وكذلك حفيده حسين بن علي بن جعفر بن زياد الأحمر، وقريبه ابن أخيه علي بن الجعد بن زياد الأحمر (وهو غير علي بن الجعد بن عبيد صاحب المسند) وهذا تفصيل في ترجمته:

هو ثقة عند المتقدمين (قبل تمكن المذهبية من الجرح والتعديل): بل إن بعض المتلبسين بالمذهب قد وثقوه، ففي الجرح والتعديل - (ج 2 / ص 480) : جعفر بن زياد الاحمر روى عن بيان ومغيرة ومنصور والاعمش

روى عنه وكيع وقبيصة ومالك بن إسماعيل سمعت ابى يقول ذلك، حدثنا عبد الرحمن أنا عبد الله بن احمد [بن محمد - 2] بن حنبل فيما كتب إلى قال قلت لأبي: جعفر الأحمر ثقة ؟ فقال: [هو - 3] صالح الحديث، حدثنا عبد الرحمن أنا ابن أبي خيثمة فيما كتب إلى قال سمعت يحيى بن معين يقول: جعفر بن زياد الاحمر ثقة، حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبا زرعة يقول: جعفر الأحمر صدوق اهـ

التعليق:

هذا ما ذكره ابن أبي حاتم، من توثيق أحمد وابن معين وأبي زرعة، ولم يزد على ذلك. .فالزيادات المتأخرة المتأثرة بطريق الجوزجاني لا تعتمد لما عرفنا من نصب الجوزجاني ومن تبعه أو كان على طريقه، كما لم نذكر من وثقه من الآخرين أيضاً كيعقوب بن سفيان وأبي داوود والنسائي وأمثالهم. .

والخلاصة في جعفر الأحمر:

أن جعفر بن زياد الأحمر وهو من تيار أهل الحديث ضد تيار أهل الرأي وضد الإرجاء وضد النبيذ . .الخ (ولذلك له روايات في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد في استتابة أبي حنيفة، وروايات في الموضوعات الأخرى . .)، وقد سخطوا عليه للتشيع وللسياسة، فقد سجنه أبو جعفر المنصور دهراً، وقيل هو الذي حرض الحسن بن صالح بن حي على ترك التجميع مع السلطة.

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى - (ج 6 / ص 383): جعفر بن زياد الأحمر مولى مزاحم بن زفر من تيم الرباب، سمعت أبا نعيم قال: مات جعفر بالكوفة سنة سبع وسبعين ومائة في خلافة هارون.

وفي تهذيب التهذيب - (ج 2 / ص 79) ل ت س لأبي داود في المسائل والترمذي والنسائي جعفر بن زياد الأحمر أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن روى عن عبد الله بن عطاء والأعمش ومغيرة بن مقسم ويزيد بن أبي زياد وإسماعيل بن أبي خالد ويحيى بن سعيد الأنصاري وعطاء بن السائب وخلق وعنه بن إسحاق وابن عيينة وشاذان وأبو غسان وموسى بن داود ووكيع وإسحاق بن منصور السلولي وعبد الرحمن بن مهدي وعدة قال أحمد صالح الحديث وقال جماعة عن ابن معين ثقة وقال عثمان الدارمي سئل يحيى عنه فقال بيده لم يثبته ولم يضعفه فقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن يحيى كان من الشيعة وقال بن عمار ليس عندهم بحجة كان رجلا صالحا كوفيا يتشيع وقال الجوزجاني مائل عن الطريق وقال يعقوب بن سفيان ثقة وقال أبو زرعة صدوق وقال أبو داود صدوق شيعي حدث عنه بن مهدي وقال النسائي ليس به بأس وقال حسين بن علي بن جعفر الأحمر كان جدي من رؤساء الشيعة وقال مطين وغيره مات سنة 167 قلت وقال يعقوب الفسوي كوفي ثقة وقال بن عدي هو صالح شيعي وقال الأزدي مائل عن القصد فيه تحامل وشيعية غالية وحديثه مستقيم وقال الخطيب قول الجوزجاني فيه مائل عن الطريق يعني في مذهبه وما نسب إليه من التشيع وقال عثمان بن أبي شيبة صدوق ثقة وقال العجلي كوفي ثقة وقال بن حبان في الضعفاء كثير الرواية عن الضعفاء وإذا روى عن الثقات تفرد عنهم بأشياء في القلب منها شيء وقال الدارقطني يعتبر به وقال العقيلي يقال هو الذي حمل الحسن بن صالح على ترك صلاة الجمعة قال له الحسن أصلي معهم ثم اعيدها فقال له يراك إنسان فيقتدي بك.

وفي ميزان الاعتدال - (ج 1 / ص 407) : جعفر بن زياد [ت، س] الاحمر الكوفى، عن بيان بن بشر، وعطاء بن السائب، وجماعة، وعنه ابن مهدى، ويحيى بن بشر الحريري، وثقه ابن معين، وقال احمد: صالح الحديث، وقال أبو داود: صدوق شيعي، وقال الجوزجانى: مائل عن الطريق، وقال عثمان الدارمي: سئل ابن

معين عنه فقال بيده، ولم يثبته، وقال ابن عدى: هو صالح شيعي، قال الخطيب: يروى عنه ابن عيينة، ووكيع، وأبو غسان النهدي، ذهب إلى خراسان فبلغ المنصور عنه أمر يتعلق بالدولة، فقبض عليه مدة ثم أطلقه، قال حفيده حسين بن على: كان جدى من رؤساء الشيعة بخراسان، فكتب فيه أبو جعفر، فأشخص إليه في ساجور مع جماعة من الشيعة فحبسهم في المطبق دهرا، وقال مطين: مات سنة سبع وستين ومائة.

وهناك زيادات في الضعفاء الكبير للعقيلي – (ج 2 / ص 53) : . . حدثني حسين بن عبد الله الذارع قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا محمد بن يحيى الأزدي أو إبراهيم الحلبي قال : حدثنا ابن داود عبد الله بن داود الحزيبي قال : سمعت جعفرا الأحمر يقول : ما جمعت منذ ولي عيسى بن موسى ويقال : إن جعفرا الأحمر هو الذي حمل الحسن بن صالح على ترك الجمعة، فقال الحسن : إني أعيد فقال : لعل إنسأنا يراك فيقتدي بك اهـ

ومن أولاده : كما في الجرح والتعديل – (ج 6 / ص 178) : على بن جعفر بن زياد الاحمر التميمي أبو الحسن روى عن على ابن مسهر واحمد بن بشير وعبد الرحيم بن سليمان وحفص بن غياث وابن إدريس روى عنه أبى قال أنا على بن جعفر بن زياد الاحمر وكان ثقة صدوقا .

ترجمة شيخه محارب بن دثار" (116هـ):

وهو ثقة من رجال الجماعة[185]، وقد تصحف إلى (محارب بن زياد) وهو تصحيف، وليس هناك راو اسمه محارب بن زياد يروي عن جابر أو يروي عنه ليث، بل ليس هناك راو عند أهل الحديث بهذا الاسم، فهو

---

[185] تقريب التهذيب – (ج 1 / ص 521) محارب بضم أوله وكسر الراء بن دثار بكسر المهملة وتخفيف المثلثة السدوسي الكوفي القاضي ثقة إمام زاهد من الرابعة مات سنة ست عشرة ع، وقد تصحف إلى محارب بن زياد، و قد روى أهل الحديث كثيراً من أحاديث ليث عن محارب وصححوها ومنها في (الأدب المفرد للبخاري – (ج 1 / ص 226) : حدثنا

تصحيف واضح، فمحارب بن دثار هو (المحارب الوحيد) ! الذي يروي عن جابر وطبقته ويروي عنه ليث وطبقته، وقد عمل قاضياً لبني أمية في الكوفة، وترجمته في تهذيب التهذيب - (ج 10 / ص 45) : ع الستة، محارب بن دثار بن كردوس بن قرواش بن جعونة بن سلمة بن صخر بن ثعلبة بن سدوس السدوسي أبو دثار ويقال أبو مطرف ويقال أبو كردوس ويقال أبو النضر الكوفي القاضي وقيل أنه ذهلي روى عن ابن عمر وعبد الله بن يزيد الخطمي وجابر وعبيد بن البراء بن عازب والأسود بن يزيد النخعي وعبد الله وسليمان ابني بريدة وصلة بن زفر وعمران بن حطان وغيرهم // وعنه عطاء بن السائب وأبو إسحاق الشيباني والأعمش وشريك وسعيد بن مسروق وعاصم بن كليب ويونس بن أبي إسحاق وأبو سنان ضرار بن مرة وزبيد بن الحارث اليامي وشعبة وزائدة وقيس بن الربيع ومسعر ومعروف بن واصل ومحمد بن قيس الأسدي والسفيأنان وغيرهم // قال أحمد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ويعقوب بن سفيان والنسائي ثقة زاد أبو حاتم صدوق وزاد أبو زرعة مأمون وذكره بن حبان في الثقات وقال سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه كان أهل الجاهلية إذا كان في الرجل ست خصال سودوه الحلم والصبر والسخاء والشجاعة والبيان والتواضع ولا يكملن في الإسلام الا بالعفاف وقد كملن في هذا الرجل يعني محارب بن دثار قال بن سعد وغيره مات في ولاية خالد بن عبد الله وقال بن قانع مات سنة ست عشرة ومائة قلت وقال خليفة مات في آخر ولاية خالد وعزل خالد سنة عشرين وقال الثوري ما يخيل إلي إني رأيت زاهدا أفضل من محارب وقال بن سعد كان من المرجئة الأولى الذين يرجئون عليا وعثمان ولا يشهدون فيهما بشيء وله أحاديث ولا يحتجون به وقال عبد الله بن إدريس عن أبيه

الحسن بن الربيع قال حدثنا بن إدريس عن ليث عن محارب بن دثار عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : اللهم أصلح لي سمعي وبصري واجعلهما الوارثين مني وانصرني على من ظلمني وأرني منه ثأري، قال الشيخ الألباني : صحيح) .

رأيت الحكم وحمادا في مجلس قضاء محارب قال الذهبي وفي إدراك بن عيينة له نظر فلعله أرسل عنه شيئا وهو حجة مطلقا وقال ابن حبان كان من أفرس الناس وقال العجلي كوفي تابعي ثقة وقال يعقوب بن سفيان والدارقطني ثقة اهـ

وقد ترجم له ابن عساكر ترجمة مفيدة تتناول بعض أخباره وقضائه وعقائده، وكان ممن يغلو في أبي بكر وعمر، فليس فيه تشيع بالمعنى المذموم عند أهل الحديث. .

جابر بن عبد الله الأنصاري (78هـ) :

صحابي مشهور، شهد العقبة وخلفه أبوه على أهله في بدر وأحد ثم شهد الخندق وما بعدها، وقد قيل أنه شهد بدراً وهذا ضعيف، وهو من فضلاء الصحابة، وشهد مع علي حروبه، وهو من خواص الإمام علي، وأدركه الباقر وقال فيه الحديث، وقد وجد عنتاً في العهد الأموي، وشهد الأنصار يذبحون يوم الحرة، وعمي في آخر عمره، وكان من العارفين بأحوال معاوية، وهو من المكثرين في الحديث إلا أن راويته أبو الزبير يدلس وكان فيه أموية فلذلك يجب ألا تعتمد كل أحاديثه من طريق أبي الزبير إلا ما دلت الشواهد والقرائن على صحته، وقد نسب الأمويون لأصحاب علي أحاديث كثيرة تخدم مذهبهم، لذلك وجب التنبيه (وسيأتي في آثار معاوية على الحديث في كتاب: معاوية قراءة في المناقب والمثالب شيء من هذه الآثار)/ يقول ابن العماد الحنبلي (شذرات الذهب - (1 / 84): جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام الأنصاري السلمي وهو آخر من مات من أهل العقبة عن أربع وتسعين سنة وهو من أهل بيعة الرضوان وأهل السوابق والسبق في الإسلام وكان كثير العلم وأبوه عبد الله بن عمرو ابن حرام مناقبه عديدة)، وقال ابن عبد البر (الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 65):شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير ولم يشهد الأولى ذكره بعضهم في البدريين ولا يصح لأنه قد روى عنه أنه قال لم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي وذكر البخاري أنه شهد بدراً وكان ينقل لأصحابه الماء

يومئذ ثم شهد بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان عشرة غزوة ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم، وقال ابن الكلبي شهد أحداً وشهد صفين مع علي رضي الله عنه وروى أبو الزبير عن جابر قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه إحدى وعشرين غزوة شهدت منها معه تسع عشرة غزوة. وكان من المكثرين الحفاظ للسنن وكف بصره في آخر عمره.. .الخ) / وذكر ابن حجر ما يدل على أنه شهد ليلة الجمل التي أراد فيها أبو سفيان وحزبه اغتيال النبي (ص) في عقبة تبوك، وكأن جابر بن عبد الله شارك في اكتشاف القوم، فلذلك استغفر له النبي (ص) خمساً وعشرين مرة (ففي الإصابة في تمييز الصحابة - (1 / 434) عن جابر قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة الجمل خمسا وعشرين مرة أخرجه أحمد وغيره من طريق حماد بن سلمة عن أبي الزبير عنه).

رجال حديث عبد الله بن عمر:

1- نصر بن مزاحم (سبق)

2- جعفر بن زياد الأحمر (سبق)

3- ليث بن أبي سليم (148هـ)، وقد سبق، وهو صدوق أخذوا عليه الاختلاط في آخر عمره، وهذا الطعن له خلفية مذهبية فيما أرى. .وقد توسعت في ترجمته في متابعات حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (فلينظر هناك). فهو قد روى الحديث نفسه عن طاووس عن عبد الله بن عمرو، ولكن هنا وقفة علمية، فروايته الحديث من طريقين؛ يدل على اهتمامه بهذا الحديث، فقد رواه من طريقين، الأول عن مجاهد عن ابن عمر، والثاني عن طاووس عن عبد الله بن عمرو، فلعل ما نسبوا إليه من الضعف كان لهذا السبب، وكأن لليث مرحلتين، وهذا يمكن معرفته من الرواة عنه، أو من دراسة حياته دراسة وافية، فالرجل من موالي بني أمية في الأصل، وقد يكون في شبيبته روى تلك الأخبار في الجبر والنصب

والتجسيم، ثم اعتدل، أو العكس، أو أنه مجرد راوية، فكل تيار يجد عنده ما يريد من تلك الأحاديث، وعلى كل حال فنحن هنا نأخذ أحاديثه في المتابعات والشواهد، ولا نعتمد على حديث انفرد به.

4- مجاهد بن جبر (نحو 104هـ): تقريب التهذيب : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون ع

5- عبد الله بن عمر:

رجال حديث عبد الله بن الزبير:

لم نعرف من إسناد هذا الحديث إلا ابن لهيعة وابن الزبير..

وابن لهيعة سبق في إسناد أبي نعيم مختصراً (من حديث الزبيدي)، وعبد الله ابن لهيعة (174هـ): وهو صدوق حافظ وفيه خلاف بسبب ما قيل من احتراق كتبه وما نتج عن ذلك من سوء حفظه، وفيه كلام طويل الذيل، وأظن أن شيئاً من تضعيفه راجع لروايته مثل هذا الحديث، وأكتفي هنا بقول الحافظ قال: في تقريب التهذيب : (عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أبو عبد الرحمن المصري القاضي صدوق من السابعة خلط بعد احتراق كتبه ورواية بن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما وله في مسلم بعض شيء مقرون مات سنة أربع وسبعين وقد ناف على الثمانين م د ت ق) اهـ قلت إذن فهو يصلح في المتابعات والشواهد، ولذلك روى له مسلم مقروناً، و روى أحاديثه بعض أهل السنن والمسانيد، وكان علامة مصر وفقيهها، وأقل مراتب حديثه في المتابعات والشواهد هي الحسن.

وأما عبد الله بن الزبير بن العوام فله صحبة عامة وهو مشهور لا يحتاج إلى تعريف.

ملحق (2) تحريفات أحمد بن حنبل

سبق أن ذكرنا تحريفات النواصب والسلفية المحدثة، ولكن لأن البعض قد لا يصدق بأن الإمام أحمد يحرف الحديث إذا تناول بني أمية أو معاوية فمن الواجب أن نذكر مزيداً من الشواهد على ذلك، مع أن تحريفات أحمد كثيرة جداً، إلا أن هذه الأمثلة التي سنذكرها مجرد نماذج، ويمكن للباحث أن يبحث عن كل ما يخص بني أمية ومعاوية وسيجد أحمد بن حنبل رحمه الله – وهو من رؤوس السلفية المحدثة- يتصرف في الأحاديث بالبتر والإخفاء والتضعيف وكل أنواع الممانعة السلفية.

والإمام أحمد رحمه الله معروف عن خواص من طلبة العلم بتحريف الأحاديث التي تتناول معاوية.

مثال أول:

أحمد بتر حديث (لا أشبع الله بطنه) فإنه قد روى أول الحديث وبتر هذا الذم لمعاوية، وهو يتفق مع منهجه في وجوب طمس كل حديث يسيء إلى معاوية، حتى ولو كان القائل رسول الله، فالمذهب أعمى.

فالحديث رواه الناس قبل أحمد كأبي داود الطيالسي (204هـ) في مسنده المعروف، مسند الطيالسي - (1 / 359): قال حدثنا هشام وأبو عوانة عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث إلى معاوية ليكتب له، فقال انه يأكل، ثم بعث إليه! فقال انه يأكل! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا أشبع الله بطنه اهـ ورواه الناس بعد أحمد كمسلم (261هـ) في صحيحه بالإسناد نفسه ففي صحيح مسلم - (8 / 27): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِىُّ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لاِبْنِ الْمُثَنَّى - قَالاَ حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِى حَمْزَةَ الْقَصَّابِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ - قَالَ - فَجَاءَ فَحَطَأَنِى حَطْأَةً وَقَالَ « اذْهَبْ وَادْعُ لِى مُعَاوِيَةَ ». قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ - قَالَ - ثُمَّ قَالَ لِىَ « اذْهَبْ وَادْعُ لِى مُعَاوِيَةَ ».

قَالَ فَجِئْتُ فَقُلْتُ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ « لاَ أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ » وفي صحيح مسلم - (8 / 27): حَدَّثَنِى إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَاخْتَبَأْتُ مِنْهُ. فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ / ولكن أحمد الذي كان بينهما (ت 241هـ) عندما رواه حذف كلمة (لا اشبع الله بطنه) ففي مسند أحمد بن حنبل - (1 / 291): ثنا عفان ثنا أبو عوانة قال أنا أبو حمزة قال : سمعت ابن عباس يقول كنت غلاما أسعى مع الصبيان قال فالتفت فإذا نبي الله صلى الله عليه وسلم خلفي مقبلا فقلت ما جاء نبي الله صلى الله عليه و سلم إلا إلي قال فسعيت حتى اختبئ وراء باب دار، قال فلم أشعر حتى تناولني قال فأخذ بقفاي فحطأني حطأة قال اذهب فادع لي معاوية وكان كاتبه قال فسعيت فقلت أجب نبي الله صلى الله عليه و سلم فإنه على حاجة اهـ ! هكذا فقط ! فانقلب الحديث من كونه في ذم معاوية إلى حديث في فضله ! فهاهو النبي (ص) يحتاج معاوية ويبعث إليه ! / وقد رواه أحمد عن شيخ آخر بالإسناد نفسه وأصر على حذف الجملة الأخيرة ففي مسند أحمد بن حنبل - (1 / 335): ثنا بكر بن عيسى أبو بشر الراسبي ثنا أبو عوانة عن أبي حمزة قال سمعت ابن عباس يقول : كنت غلاما أسعى مع الغلمان فالتفت فإذا أنا بنبي الله صلى الله عليه وسلم خلفي مقبلا فقلت ما جاء نبي الله صلى الله عليه و سلم الا إلي قال فسعيت حتى أختبئ وراء باب دار قال فلم أشعر حتى تناولني فأخذ بقفاي فحطأني حطأة فقال اذهب فادع لي معاوية قال وكان كاتبه فسعيت فأتيت معاوية فقلت أجب نبي الله صلى الله عليه و سلم فإنه على حاجة اهـ هكذا فقط دون أن يذكر أن معاوية تعلل بالأكل واستهان بالطلب النبوي، ودون دعاء النبي (ص) عليه بالاعتذار في كل مرة بالأكل. . فانتقل الحديث من مثالب معاوية إلى مناقبه، وأضاف أحمد كلمة (وكان كاتبه) على الاختصاص ! وزاد الذهبي تحريفاً فقال في (سير أعلام النبلاء - (3 / 123): أبو عوانة: عن أبي حمزة، عن ابن عباس، قال: كنت

ألعب مع الغلمان، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: " ادع لي معاوية " وكان يكتب الوحي، رواه أحمد في " مسنده ") اهـ فزيادة (كان يكتب الوحي) ليست عند أحمد وإنما من تبرعات الذهبي لمعاوية! – وقد رواها موسى بن إسماعيل التبوذكي وانفرد بها عن سائر الرواة كما في دلائل البيهقي– وما أكثر ما يتبرع له أهل الحديث! واللاحق يزيد في كذب السابق.. وهكذا انقلب معاوية من داعية إلى النار إلى أكبر دعاة الجنة! لأن مثالبه أخذت في التناقص قرناً بعد قرن بفضل الإخفاء والبتر، ولأن مناقبه أخذت تتزايد بفضل الوضع والزيادات والخصومة مع الشيعة، إنه المذهب يعمي ويصم.

مثال ثانٍ على تحريف أحمد:

وكذلك فعل أحمد رحمه الله في حديث أبغض الأحياء إلى الله ثلاثة (بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف)، فرواه أحمد بالإسناد نفسه ولكنه حذف لفظة (بني أمية) فأصبح الحديث في مسنده (أبغض الأحياء إلى الله بنو ثقيف وبنو حنيفة) !

ففي مسند أبي يعلى . محقق – (13 / 342): حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي قال : حدثني حجاج بن محمد حدثنا شعبة عن أبي حمزة جارهم عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مطرف : عن أبي برزة قال : كان أبغض الأحياء إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة اهـ قل محققه سليم السد: سنده حسن / والحديث في مسند الروياني 307 – (1 / 247): حَدَّثَنا ابْنُ إِسْحَاقَ، أنا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، حَدَّثَنا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ جَارِهِمْ قَالَ : سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ هِلالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، قَالَ : كَانَ أَبْغَضَ الأَحْيَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَنُو حَنِيفَةَ، وَثَقِيفٌ، وَبَنُو أُمَيَّةَ / لكنه في مسند أحمد بن حنبل – (4 / 420): ثنا حجاج أنا شعبة عن أبي حمزة

جارهم قال سمعت حميد بن هلال يحدث عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة قال : كان ابغض الناس أو ابغض الأحياء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ثقيف وبنو حنيفة اهـ فأين ذهبت بنو أمية؟ لقد أكلتها السلفية المحدثة، وللأمانة لا أتهم هنا أحمد ولا عبد الله بن أحمد وإنما ورثة المسند، فلعل التحريف حصل فيما بعد، فإن الحاكم رواه في المستدرك من طريق أحمد بالسند نفسه كاملاً وفيه بنو أمية (المستدرك 405 – (4 / 480): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالَوَيْهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ : سَمِعْتُ حُمَيْدَ بْنَ هِلَالٍ، يُحَدِّثُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ : كَانَ أَبْغَضَ الْأَحْيَاءِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنُو أُمَيَّةَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ، وَثَقِيفٌ، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.) وهذا طريق غير طريق القطيعي عن عبد الله (الذي روي منه المسند) .

مثال ثالث:

حديث عبادة بن الصامت مع معاوية (وإخفائه اسم معاوية)

والحديث رواه الحاكم (401/3، 402) والشاشي (172/3) والبزار (164/7) من طرق عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن عبادة بن الصامت فذكروا قصة بقر عبادة لروايا الخمر التي كانت تباع لمعاوية ! ! ثم تسيير عبادة إلى عثمان في المدينة ودخوله على عثمان ثم تحديثه بحديث (سيكون عليكم أمراء يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا تضلوا –وفي لفظ فلا تعتلوا– بربكم فلا طاعة لمن عصى الله ووالله إن معاوية –وفي لفظ فلاناً– لمن أولئك) فما راجعه عثمان بحرف.

أقول: والحديث رواه أحمد في المسند (415/8) فحذف أول الحديث – قصة بقر روايا الخمر– وحذف آخره (قول عبادة: والله إن معاوية لمنهم) !

وقد صرح أحمد بالحذف –حذف قصة الخمر– عندما قال –فذكر الحديث– ! ! فهو يلمح إلى أن الحديث معروف عند أهل الحديث لكنه تورع من إيراد هذا، وبهذا البتر وأمثاله نسي الناس مثالب معاوية وجهلوها .

مثال رابع:

حديث أبي برزة الأسلمي (مسند أحمد بن حنبل – (ج 4 / ص 421)

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا عبد الله بن محمد وسمعته انا من عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال أخبرني رب هذه الدار أبو هلال قال سمعت أبا برزة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول

(لا يزال حواري تلوح عظامه ... زوى الحرب عنه أن يجن فيقبرا) فقال النبي صلى الله عليه و سلم انظروا من هما ؟ قال فقالوا فلان وفلان قال فقال النبي صلى الله عليه و سلم اللهم أركسهما ركساً ودعهما إلى النار دعاً)

وفلان وفلان هما معاوية وعمرو بن العاص ففي سير أعلام النبلاء – (ج 3 / ص 132)

ابن فضيل: حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن سليمان بن عمرو بن الاحوص، عن أبي برزة، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فسمع صوت غناء، فقال: انظروا ما هذا ؟ فصعدت فنظرت، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت فأخبرته، فقال: " اللهم اركسهما في الفتنة ركسا، ودعهما في النار دعا " .

قال الذهبي: هذا مما أنكر على يزيد .

قلت: يزيد بن أبي زياد صدوق وهو من رجال مسلم وقد توبع، وليس الموضوع هنا، كما ليس موضوعنا إثبات متابعات الحديث وشواهده، إنما الموضوع أن أحمد وربما شاركه غيره حذف اسم معاوية وعمرو بن العاص إلى (فلان وفلان)، وأحمد قد رواه من طريق يزيد بن أبي زياد لكنه حذف الاسمين.

والأمثلة كثيرة جداً . .

وقد وجدت لأحمد بن حنبل عشرات المواضع من هذا الصنف من التصرف في متن الحديث، ولولا خشية الطول لسردناها، وهو يفعل ذلك بلا حسيب ولا رقيب من أهل الحديث، ومن يجرؤ على ذلك؟ لقد أصبح هو المعيار، ولا معيار عليه.

فعظمة أحمد وجلالته وورعه وعبادته جعل الناس لا يتحققون في مروياته وما يفعل فيها، وكذلك كبار السلفية المحدثة كالبخاري وأبي داود، لهم في التحريف والإخفاء والانتقاء عمليات واسعة ومخيفة، بل لم أجد رمزاً معظماً من رموز السلفية المحدثة إلا وله تصرفات في الرواية إما إخفاءً أو بتراً أو تحريفاً أو تأويلاً أو زيادة أو طعن في ثقة أو الإشادة بمتهم (خذوا الرموز المعظمة، البخاري، أحمد، ابن تيمية، محمد بن عبد الوهاب،

. .الخ) مع أن مذاهبهم مختلفة في عدة مسائل لكنهم يلتقون في حب البغاة كمعاوية ونحوه[186]، وهذا الحب هو عقوبة من الله، لأنه لا يحب أحد معاوية إلا اضطره هذا الحديث لرد بعض السنة وكراهية بعض الحديث والغش والتحريف. .الخ.

لا يراقبهم أحد !

والعجيب أنه لا يراقبهم أحد في الرواية، لأنهم قادة ومتبوعون، وتشبه قصة الناس معهم كقصة ذلك الضيف الذي جفاه حاتم الطائي ولم يكرمه، ثم ندم حاتم الطائي ولحق به متلثماً وسبقه إلى بعض الطريق وسأله كيف وجدت حاتماً؟ فقال: نعم الرجل! أكرمني ورفدني! فحسر حاتم عن وجهه وقال: أنا حاتم لم أكرمك ولم أرفدك فلماذا تقول هذا؟ فقال الضيف: وهل سيصدقني أحد إن قلت أن حاتم الطائي بخيل؟

القصة رويتها بالمعنى، وأهل الحديث يفعلون هذا مع الكبار كأحمد والبخاري، فدفاعهم عنهم هو دفاع عن أنفسهم حتى لا تتهمهم العامة بالكذب على العلماء والبدعة . .الخ، فالحافظ ابن حجر مثلاً في شرحه

---

186 وطلبة العلم من هذا التيار لا يعرفون أن البخاري معارض لأحمد في العقيدة وأنه صنف ضده كتاب خلق أفعال العباد (فاقرءوا الكتاب)، ولم يرو البخاري عن أحمد حديثاً واحداً، وروى عن أقرانه ممن يقول بمسألة اللفظ كإبراهيم بن المنذر الحزامي أو من أجاب في المحنة كعلي بن المديني وأكثر عن هؤلاء، فهو على مذهب ابن كلاب كما قرر الحافظ ابن حجر، ولا يعرف هؤلاء أن التيار الحنبلي بقيادة الذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم تركوا حديث البخاري وبدعوه ونهوا عن تشييع جنازته . .الخ، والبخاري يبدع القائلين باللفظ في كتابه خلق أفعال العباد، وهم يبدعونه لعدم قوله بها، ثم أحمد يرى التبرك والتمسح بالقبور وهذا عند محمد بن عبد الوهاب كفر أكبر ينقل عن الملة. . الخ، فلا يجتمعون إلا في حب معاوية، حتى الانحراف عن علي لم يجتمعوا عليه فالإمام أحمد يعظم علي بن أبي طالب وليس منحرفاً عنه كابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، فهؤلاء تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، فالذي يجمعهم في مذهب هو حب معاوية فقط.

صحيح البخاري كان قد وقف على ما يكفي لطرح الثقة بالبخاري وفق منهج أهل الحديث الذي يستخدمونه في تضعيف المعارضين، إلا أن هيبة البخاري جعله يتعسف في الاعتذار عن أسانيده وتقطيعه للحديث وتحريفه للنصوص وكل ما يتوقعه القاريء، وهذا التيار إلى اليوم لا يحاسب علماءه على تحريفهم لدين الله واهتمامهم بالصغائر وعزوفهم عن كبار الأمور كالعدل والحرية وحقوق الإنسان، ونقد أخطاء تراثهم وتعصبات سلفهم وخروجهم عن العقل، فعندما يصور لهم شيوخهم أن غير المسلمين هم في مؤامرة دائمة على المسلمين دون تفريق بين السياسات والشعوب، أو أن الشيعة كلهم يكيدون للإسلام ويتحالفون مع الصهاينة ضد المسلمين وأنهم متآمرون مع أمريكا على العالم الإسلامي، وأن الثورة المصرية أو التونسية مؤامرة من أعداء الإسلام، وأن الصوفية مشركون وهم مطية الاستعمار. .الخ لا يستطيع أن يأتيهم رجل رشيد ويقول لهم : اتقوا الله، لا يدفعكم الهوى لبخس الناس أشياءهم، فأهل تونس ومصر ثورتهم ذاتية وضد الظلم والفساد، والصوفية والشيعة مسلمون مثلهم مثل أهل السنة، فيهم الصادق والكاذب مثلنا، فيهم الخائن والأمين مثلنا، فيهم العالم والجاهل، المجتهد والمتعصب، . .الخ، وهناك بعض القنوات متخصصة في تغيير العقلية السنية وتوحيش النفس السنية، لتنسى الجوع والمرض والوظيفة وتبقى متعلقة بأمل معركة قادمة! فأصبحنا نجد من العامة الذين لا يحسنون قراءة كلمة قد ملأت نفوسهم هذه القنوات بالأوهام والتعميم وكثير من الكذب، فأصبحوا مشوهين عقلياً ونفسياً بسبب هذه القنوات، لا يرون الإنسان إنسانا ! ولا العدو عدواً ولا الصديق صديقاً ولا الرحم رحماً . .الخ، يذكّرونك بآيات تعرف معناها ولا تحفظها ! ولو أنصف المنصف لرأى هذا بأم عينيه في الفريقين، لكن سكرة التعصب لا تترك عقلاً ولا قلباً ولا سمعاً ولا بصراً[187].

---

[187] قد يقول البعض: ولماذا لا تنقد الشيعة والصوفية فعندهم الأمراض نفسها ؟ والجواب لو يكون عند الشيعة والصوفية عشرة

وقد قلت أكثر من مرة إن طلبة العلم لا يبحثون ولا يقارنون، وإنما يقلدون ويتحامقون[188]، مع أن البحث العلمي لا يجامل كبيراً ولا صغيراً، فالبحث العلمي الجاد يكشف لنا هؤلاء السلف لنضعهم في موضعهم الصحيح دون غلو ولا إجحاف.

نعم أحمد بن حنبل رحمه الله وسامحه له مكانته الكبيرة في قلبي لكن الحق مر، وهو من قلائل غلاة السلفية الذين أتألم عند نقدهم، ولكن مرارة الحق هي التي تخرج العلم وهي التي تعيد السنة إلى القرآن الكريم ليسيرا في طريق واحد لا يتضادان ولا يتناقضان، وهذا منعطف يحتاج للتمهل والهدوء والبحث ومراقبة الله في قول الحقيقة مهما كانت محرجة، لأن مصلحة العلم فوق مصلحة الأشخاص، ولا ترتقي الأمم الأشخاص وإنما بالمعلومات الصحيحة.

عبد الله بن عمرو بن العاص كيف روى الحديث وقد قاتل مع معاوية؟

عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه على المشهور، لكن لا يعرف له هجرة قبل أبيه، فهو وأبوه من أصحاب الصحبة العامة لا الشرعية، وكان أفضل من أبيه بالإجماع، إلا أنه أطاع أباه عمرو بن العاص في أمرين متضادين، في المعارضة السياسية لعثمان بن عفان، والمعارضة العسكرية للإمام علي بن أبي طالب، وقد ندم

أضعاف هذه الأمراض، فالأولى أن يهتم كل مذهب بإصلاح مذهبه، لأن التراشق عن بعد لا يزيد الغلو إلا غلواً، وأناشد عقلاء كل مذهب أن يكثروا من النقد الذاتي ويتوقفوا عن القصف الخارجي، أو على الأقل أن يساووا بين هذا وهذا، وأقل ما نطمع فيه ألا يخلو نقد الآخر من نقد الذات، حتى يرجع الناس إلى عقولهم نفوسهم وحواسهم وإنصافهم. . لا يجوز أن تدفعنا السياسات المتخاصمة للتنكر للمعرفة وإنكار الضرورات، فهذه انتكاسة في الإنسانية.

188 ويحرصون على الإصلاح أكثر من المعرفة والمعلومة، فيظهرون المتضادين متفقين من أجل تشييد المذهب وإظهار اتفاق العلماء حتى يقطعوا الطريق أمام أي محاولة بحث.

على هذين الأمرين، وكان ندمه على شهوده صفين مع أبيه أشهر، بل صح أنه تاب على يد الحسين بن علي بعد أن رفع عنه الحسين تلك الشبهة في أمر النبي (ص) له بطاعة أبيه، بحديث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وكان في آخر عمره يلعن معاوية ويأمر بنصرة الحسين، وكان قبل ذلك يقر بأن معاوية يأمر الناس بقتل أنفسهم وأكل أموالهم بينهم بالباطل (في صحيح مسلم)، وقد لقي من معاوية عنتاً بعد وفاة والده عمرو بن العاص، فحاول معاوية أن يأخذ منه الوهط (بستانه بالطائف) فدافع عن بستانه بالسيف وذكر الحديث المشهور (من قتل دون ماله فهو شهيد)، فالعلاقة بينه وبين معاوية ساءت بعد وفاة والده، وخاصة منذ عام 50هـ فلذلك لا نستغرب أن يحسم أمره في نهاية عمره ببث ما كانت الدنيا قد أخذته منه بكتمان مثل هذا الحديث.

وهنا وهم كبير يقع فيه كثير من الناس، هم يظنون بأن الصحابي يلتزم حرفياً بالتوجيه النبوي، وهذا ليس على إطلاقه، فقد يروي الصحابي حديثاً لكن حبه للدنيا وربما قلة فقهه يدعوه إلى مخالفة هذا الحديث، بل إن عبد الله بن عمرو بن العاص رأى رأس عمار بين يدي معاوية بعينيه، وتذكر الحديث (تقتل عماراً الفئة الباغية) إلا أن هذا لم يدفعه إلى مفارقة معاوية، بل استمر معه وولي له مصر بعد أبيه سنتين على المشهور، وقيل أن معاوية أراد توليته الكوفة في أول عهده لكنه عزله بعد أيام، إذن فلا يظن بعض المغفلين أن أي رجل من الصحابة ينفذ ما يعلم أنه حق، فقد تأخذه الدنيا إلى مكان آخر، وق اعترف عبد الله بن عمرو بن العاص بذلك، فهو جمع بين التأول بحديث (أطع أباك) وحبه للدنيا، وكان عبد الله بن عمرو يحج بثلاثمائة من مواليه وغلمانه، فالرجل سلطان، إلا أنه كان عابداً، واليوم نرى ذلك في بعض السلاطين والعلماء، قد يكون أحدهم عابداً لكنه سلطان في تصرفاته وخدمه وأمواله ورفاهيته. .الخ.

وعلى كل حال:

فإن هذا الحديث ليس الحديث الوحيد الذين جبه به عبد الله بن عمرو بن العاص معاوية وسلطانه، فقد جبهه يوم صفين بحديث عمار (تقتله الفئة الباغية)[189]،

ويوم الوهط بحديث (من قتل دون ماله فهو شهيد)[190]،

وأقر بأن معاوية يأمر بقتل الناس وأكل أموالهم بالباطل[191] .

---

189 مسند أحمد بن حنبل – (2 / 164): ثنا يزيد أنبأنا العوام حدثني أسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد العنزي قال : بينما أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما أنا قتلته فقال عبد الله بن عمرو ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول تقتله الفئة الباغية قال معاوية فما بالك معنا قال ان أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه فأنا معكم ولست أقاتل اهـ قال الأرناؤوط: سنده حسن.

190 في صحيح مسلم – (ج 1 / ص 124) من طرق عن عبدالرزاق أخبرنا ابن جريج قال أخبرني سليمان الأحول أن ثابتا مولى عمر بن عبدالرحمن أخبره أنه لما كان بين عبدالله بن عمرو وبين عنبسة بن أبي سفيان ما كان تيسروا للقتال فركب خالد بن العاص إلى عبدالله بن عمرو فوعظه خالد فقال عبدالله بن عمرو أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قتل دون ماله فهو شهيد اهـ وقد رواه أحمد في المسند من طريقين عن ابن جريج به اهـ قلت: وكان عنبسة بن أبي سفيان والي معاوية على الطائف أراد أن يأخذ أرض عبد الله بن عمرو بن العاص المسماة الوهط وكانت بالطائف (وهذه سياسة معاوية لتجفيف آل عمرو بن العاص بعد أن سمّ معاوية أباه عمرو بن العاص وعزل ابنه عن مصر خشية من أن ينافسوا معاوية أو ابنه يزيد فيما بعد، فلم يتمتع عمرو بن العصا وأسرته بمصر إلا خمس سنين أو أقل) .

وأمر بنصرة الحسين (كما في ففي تاريخ الطبري - (ج 3 / ص 252): قال هشام، عن عوانة بن الحكم، عن لبطة بن الفرزدق بن غالب، عن أبيه)[192]، وقبل ذلك تاب على يدي الحسين كما روى البزار وابن الأعرابي والطبراني من طرق عن عباد بن يعقوب الأسدي قال : نا علي بن هاشم بن البريد قال : حدثني أبي قال : نا إسماعيل بن رجاء، عن أبيه[193]، ولهذا الإسناد متابعة ستأتي.

---

191 في صحيح مسلم - (ج 6 / ص 18): (. . . فَقُلْتُ لَهُ هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) قَالَ فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَطِعْهُ فِى طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِى مَعْصِيَةِ اللَّهِ) اهـ فهذا إقرار من عبد الله بن عمرو بن العاص بهذه الموبقات، وإلا لدافع عن معاوية أو أرشد السائل إلى التثبت، لا سيما وأن عبد الله بن عمرو كان داخل سلطة معاوية، إذ كان بجوار أبيه أيام ولايته وعمل لمعاوية على مصر سنتين، فهذه شهادة من داخل البيت.

192 هشام: هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي المؤرخ النسابة المشهور (204هـ) وشيخه هو عوانة بن الحكم صاحب أخبار بني أمية (141هـ)، ولبطة بن الفرزدق قتل بالبصرة (145هـ) مع إبراهيم أخي النفس الزكية (قاله الذهبي وابن حزم وهو في كتب التاريخ)، والفرزدق همام بن غالب الشاعر المشهور، وقد روي الحديث بسند صحيح عن لبطة من غير طريق عوانة، فروي من طريق سفيان بن عيينة وغيره عن لبطة (في أخبار مكة للفاكهي وآثار الصحابة لعبد الرزاق، وتاريخ دمشق وتاريخ حلب وأنساب الأشراف (من طرق) والأصفهاني في المقاتل، وحديث يحيى بن معين وغيرهما من المصادر، بينة مختصر للخبر ومطول له) .

193 وهذا لفظ الطبراني: (كنت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة فيها أبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، إذ مر الحسين بن علي فسلم، فرد عليه القوم، وسكت عبد الله بن عمرو، ثم رفع ابن عمرو صوته بعد ما سكت القوم، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم، فقال : ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء ؟ قالوا : بلى قال : هو هذا المقفى، والله ما كلمته كلمة، ولا كلمني كلمة منذ ليالي صفين، ووالله لأن يرضى عني أحب إلي من أن يكون لي مثل أحد !

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء - (ج 3 / ص 293):

فقال له أبو سعيد الخدري : ألا تغدو إليه ؟ (كذا وعند ابن الأعرابي: ألا تعتذر إليه ولعله أصوب) قال : بلى فتواعدا أن يغدوا إليه (عند ابن الأعرابي: يعتذر إليه) وغدوت معهما ، فاستأذن أبو سعيد : فأذن له، فدخلنا ، فاستأذن لابن عمرو، فلم يزل به حتى أذن له الحسين، فدخل، فلما رآه أبو سعيد زحل له، وهو جالس إلى جنب الحسين فمده الحسين إليه، فقام ابن عمرو فلم يجلس فلما رأى ذلك خلى عن أبي سعيد فأزحل له فجلس بينهما فقص أبو سعيد القصة، فقال : أكذلك يا ابن عمرو ؟ أتعلم أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء ؟ قال : إي ورب الكعبة، إنك لأحب أهل الأرض إلى أهل السماء ! قال : فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين ؟ والله لأبي خير مني ! قال : أجل، ولكن عمرا شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : إن عبد الله يقوم الليل، ويصوم النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صل، ونم، وصم، وأفطر، وأطع عمرا » فلما كان يوم صفين أقسم علي، والله ما كثرت لهم سوادا ، ولا اخترطت لهم سيفا ، ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال له الحسين : أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؟ ! قال : بلى ! قال : فكأنه قبل منه اهـ

يعني كأن الحسين قبل من عبد الله بن عمرو، ثم ذكر الطبراني أنه قد تفرد به عباد بن يعقوب وهذا غير صحيح فقد توبع .

ففي معجم ابن الأعرابي - (ج 5 / ص 155): نا علي بن سهل، نا داود بن عمرو الضبي، نا علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه . . بنحوه، وتوبع من طريق أخرى عند ابن عساكر ففي : تاريخ دمشق - (ج 31 / ص 275) . . . قالا أنا أبو القاسم عيسى بن علي نا عبد الله بن محمد البغوي نا داود بن رشيد نا علي بن هاشم عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه. . بنحوه، وقد رواه مختصراً ابن أبي شيبة في المصنف وابن سعد في الطبقات الكبرى (وهذا مفصل عندي في مبحث صغير في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص)، وقال الهيثمي عن إسناد البزار (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 9 / ص 105) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد وهو ثقة) فالإسناد صحيح إن شاء الله، وهو يدل على توبة عبد الله بن عمرو بن العاص توبة صحيحة إن شاء الله، وعلى هذا فهو من القلائل الذين تابوا من الدعوة إلى النار، وقد بقي بعد الحسين سنوات، ولم يفعل هذا معاوية ولا أبوه، أما معاوية فظاهر، وأما أبوه عمرو بن العاص فلما جاءه الموت قال إني تبت الآن ! .

أبو سلمة المنقري: حدثنا معاوية بن عبد الكريم، عن مروان الاصفر، حدثني الفرزدق، قال: لما خرج الحسين، لقيت عبد الله بن عمرو، فقلت: إن هذا قد خرج، فما ترى ؟ قال: أرى أن تخرج معه، فإنك إن أردت دنيا، أصبتها، وإن أردت آخرة، أصبتها، فرحلت نحوه، فلما كنت في بعض الطريق، بلغني (2) قتله، فرجعت إلى عبد الله، وقلت: أين ما ذكرت ؟ قال: كان رأيا رأيته.

قلت (القائل الذهبي) : هذا يدل على تصويب عبد الله بن عمرو للحسين في مسيره، وهو رأي ابن الزبير وجماعة من الصحابة شهدوا الحرة اهـ.

وكان عبد الله بن عمرو يلعن معاوية (في حديث الطبري السابق)،

في أحاديث وروايات أخرى تدل على أن عبد الله بن عمرو بن العاص وإن كان مع معاوية في أول الأمر إلا أنه استيقظ في آخر أمره وتاب، بل حتى وهو معه في صفين كان متمايزاً عن حزب معاوية حتى أطلق عليه معاوية (المجنون) .

وكان آل عمرو بن العاص يرون أنفسهم أنداداً لمعاوية وآله وأنه لولاهم لما ملك معاوية، فمن هذا الباب نجد قتاله مع معاوية كان لمصلحة دنيوية أو قلة فقه، أو هما معاً، وكان يعارض أباه في ذلك لكنه أطاعه في آخر الأمر، بل أطاعه في أمرين متضادين، في الثورة على عثمان وقتال علي، وكان يصرح بالندم على الأمرين (وهذا

له بجثه)[194]، والنفس البشرية معقدة تستطيع أن تقنع نفسها بمعارضة النصوص القطعية واتباع الشهوات والأحزاب والدول. .الخ.

إذن فلا نستغرب أن يحدث عبد الله بن عمرو بن العاص أحاديث في ذم معاوية لأن هذا الحديث ليس الوحيد ولأن المصالح قد تتقارب فيسكت أو تتباعد فيتحدث بالمثالب، وليس عبد الله بن عمرو وحده في هذا السياق، فقد كان أبو هريرة إذا بعث له معاوية المال سكت عن نشر الأحاديث المزعجة لمعاوية سواء كانت مثالب خاصة أم عامة، وإذا تأخر عنه في دفع الأموال تكلم ببعض تلك المثالب، وهذا ثبت عنه بسند صحيح[195]، فلا يظن الشباب الطيب أن كل الصحابة في تقواهم ومبدئيتهم. . كلا. .

---

194 كان عمرو بن العاص من أكبر المحرضين على الثورة على عثمان، حتى أنه لما بلغه قتله قال مفتخراً: (أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة أدميتها)! فهو يرى أنه رأس الثورة على عثمان عن طريق التحريض، إذ حرض عليه الناس من المدينة إلى وادي القرى إلى فلسطين (حيث استقر)، وكان معه بنوه عبد الله ومحمد على هذا الرأي إلا أن محمداً هو أدفع الرجلين وأتبعهما لرأي أبيه، وقد صرح عبد الله بن عمرو بأنه نادم على دوره في مقتل عثمان كندمه على قتال علي، وهذا يدل على أن معاوية ساق معه أنصاراً متضادين (من أنصار عثمان إلى المحرضين على عثمان) وأن السلطة هي الهدف، وهذا معروف للأذكياء، لكن الحمقى من طبيعتهم تصديق الكاذب وتكذيب الصادق.

195 سير أعلام النبلاء - (4 / 34): يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ: عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا أَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ سَكَتَ، فَإِذَا أَمْسَكَ عَنْهُ تَكَلَّمَ اهـ إذن فهؤلاء الصحابة ليسوا على مرتبة واحدة من قول الحق وإن كان مراً، وليسوا كلهم لا تأخذه في الله لومة لائم، بل فيهم من يقبل بالرشوة ليسكت عن هذا الحديث أو ذاك، فأبو هريرة رحمه الله وسامحه كان يسكت عن قول الحق وعن نشر الحديث خوفاً وطمعاً، أما الطمع فهو يسكت لأجل المال، وأما الخوف فقد اعترف بأنه أخفى نصف حديثه خشية أن يقطع معاوية بلعومه (أي يقتله)، ففي صحيح البخاري - (1 / 41): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ اهـ إذن فهو يسكت عن الحديث الذي يعرفه وربما هذا

استطراد: نصيحة الصحابة للتابعين:

وهذا قد اعترف به الصحابة أنفسهم للتابعين، فروى البزار عن ابن عباس: (يقول أحدهم أبي صحب رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان مع رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" وَلَنَعْل خَلِقٌ خيرٌ من أبيه)، قال الهيثمي[196]: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وروى الطبراني في المعجم الكبير (20/ 258) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده إلى عبد الرحمن بن ميسرة قال: مر بالمقداد بن الأسود رجل فقال: لقد أفلحت هاتان العينان رأتا رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم"!

فاجتمع المقداد غضباً وقال: يا أيها الناس لا تتمنوا أمراً قد غيبه الله، فكم ممن قد رآه ولم ينتفع برؤيته) اهـ

وقال عمار بن ياسر للتابعين: (والله لأنتم أشد حباً لرسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" ممن رآه أو من عامة من رآه) رواه الطبراني والبزار[197]، وقال الهيثمي[198] رواه البزار والطبراني وفيه عبد الله بن داود الحراني ولم أعرفه وبقية إسناد البزار حديثهم حسن[199].

الحديث (يموت معاوية على غير ملتي) من أشهر تلك الأحاديث التي يخشى أنه لو حدث بها سيقطع معاوية بلعومه، ولذلك نجد كل الصحابة الذين رووا هذا الحديث إنما رووه بعد موت معاوية فإنهم كلهم عاشوا بعده، عبد الله بن عمرو (65هـ) وابن عمر (74هـ) وجابر بن عبد الله (87هـ) وعبد الله بن الزبير (74هـ) . .الخ، وقد حدث به أبو ذر بسياق آخر فهم معاوية بقتله لولا مكانة أبي ذر وسابقته فأمر به إلى عثمان ونفاه عثمان إلى الربذة وعزله عن التابعين فلذلك لم يشتهر عنه هذا الحديث كما اشتهر عن الذين تأخرت وفاتهم بعد معاوية.

[196] مجمع الزوائد (118/1).

[197] بعضهم جعل أبا اليقظان رجلاً آخر من الصحابة غير معروف الاسم، وهذا الرأي رغم ضعفه لا يضر، و التصريح باسم عمار بن ياسر جاء في بعض المصادر كما في البزار (260/4) حدثنا إبراهيم بن سعيد قال نا عبد الله بن داود الحراني أخو عبد الغفار نا عبد الله بن لهيعة عن أبي عشانة قال سمعت أبا اليقظان عمار بن ياسر يقول فذكره. .

[198] مجمع الزوائد (69/10).

إذن فكبار الصحابة وعلماؤهم قد بينوا لكم بطلان هذه العقيدة وضلالتها، وكأنهم يعرفون أن بعض الطلقاء سيستغلونها وينشرونها وتكون لها أسوأ الآثار على المسلمين،

إذن فالظن بأن كل الصحابة أقول بالحق ممن بعدهم وهم كبير أتى من السلطة نفسها، نعم كانت صفوة من الصحابة (أقلية) على هذا النحو، أما الأكثرية فقد يكون التابعون خير منهم، وقد يكون الشباب الطيب اليوم أقول بالحق منهم، وأثبت في النوائب، وتصوروا أنفسكم وأنتم تقاتلون يوم أحد مع النبي (ص) فهل ستفرون؟ وكذلك يوم حنين هل ستفرون؟ كلا حتى لو قُتلتم. . إذن فأنتم أصدق إيماناً من كثير من الصحابة الذين تبالغون فيهم، نعم أقلية الصحابة أفضل الجميع، أما هذه المبالغة في كل صحابي فليس لها أساس شرعي ولا تاريخي وإنما أسستها السلطات الظالمة الجاهلة، والجاهلون من اتبع الناس للرواية ومن أصدفها عن الكتاب، فلا تتبعوا سنن الكفار الذين يفرقون بين الله ورسوله حتى يجدوا بينهما سبيلاً لأهوائهم كما في قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) [النساء])، فإذا جئناكم بآية فلا تعارضوها بحديث حتى لو صححه من صححه، فالمصححون ما يخالف القرآن ليسوا

---

199 ولهذا الطريق متابعة عند ابن سعد في الطبقات الكبرى - (7 / 503): قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عُشَّانَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْيَقْظَانِ صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَبْشِرُوا، فَوَاللَّهِ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ تَرَوْهُ مِنْ عَامَّةِ مَنْ رَآهُ. / ولهذا الطريق متابعة قوية عن شيخ ابن لهيعة، ففي الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (2 / 73): ومن حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن أبي عشانة أنه سمع أبا اليقظان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أبشروا فوالله لأنتم أشد حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تروه من عامة من رآه اهـ

بأهل أن يقال لهم أهل علم، هم أتباع سلطة من حيث عرفوا أو من حيث هم يجهلون، والظن بأن الصحابة كتلة واحدة صالحة وهم كبير ألقاه لكم المذهب السلفي لأجل تبرئة معاوية وأمثاله من الطلقاء واعتماد سنتهم والاحتجاج بحديثهم، وهذا المذهب السلفي المحدث مثلما لم يكن عليه القرآن ولا السنة الحق، فليس عليه أيضاً صفوة الصحابة وعلماؤهم بل عباراتهم تؤكد أن التابعين أفضل من أكثر الصحابة، وهذا الرأي المغالي في الصحابة جملة إنما انصبّ على عقائدنا من معاوية ودولته ووعاظه. . فلا تغتروا بذلك فإذا نطق كتاب الله فلا تستمعوا لغيره [200]، ولا يغركم هؤلاء بتصوير التاريخ بخلاف الواقع.

عبد الله بن عمر كان موالياً ليزيد بن معاوية فلماذا يروي الحديث؟

الجواب على رواية ابن عمر للحديث أسهل من الجواب على رواية عبد الله بن عمرو بن العاص، فابن عمر لم يقاتل مع معاوية أصلاً، وإنما اعتزل وندم على ترك القتال مع علي، وأدركته التوبة كما أدركت عبد الله بن عمرو بن العاص (هذا في ترجيحي والعلم عند الله) .

---

200 مثل قوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)﴾ [التوبة]، وهذا الفرار الجماعي لن يفعله شباب السلفية ولا شباب الشيعة اليوم لو قاتلوا مع ابن دلان أو حسن نصر الله، فكيف يفعله الصحابة مع محمد (ص)؟ والجواب: لأن الصحابة في القرآن غير الصحابة في عقولنا، نحن نظن كل الصحابة مثل الثابتين في أحد وحنين، وننسى أن الثابتين كانوا أقلية، افهموا تاريخ الصحابة من القرآن قبل معرفة تاريخهم من روايات أهل الحديث والتاريخ، فالقرآن نزل ممن لا يخشى الناس ولا يجاملهم، بينما البشر بشر، والإنسان خلق ظلوماً جهولاً جزوعاً منوعاً عجلاً ضعيفاً، فإذا أردتم أن تكونوا ربانيين –كما أمركم الله– فانظروا إلى الأمور بهداية من القرآن الكريم ثم مما يشبه ذلك مما وجدتموه في الرواية، شيوخكم يخدعونكم بكلمة (السنة) فالسنة الحق لا تختلف ولا تعارض القرآن الكريم، فإذا وجدتم (سنة) لها طريق غير طريق القرآن فاعلموا أنها (سنة السلطة) وليست سنة النبي (ص) .

وأظن أن ابن عمر لم ينسَ خطبة معاوية في ذم عمر بن الخطاب وابن عمر، في تلك الخطبة المشهورة التي فضل فيها معاوية نفسه وابنه يزيد على ولي نعمته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد صرح معاوية بأنه وابنه يزيد أولى بالأمر من عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر والحديث مشهور وقد رواه البخاري في صحيحه، وقد خرجناه في كتابنا (بحث في حقيقة إسلام معاوية)[201] .

نعم ابن عمر كان له موقف مؤيد لبيعة يزيد بن معاوية ولكن ليس عن حب ليزيد وإنما خوفاً من القتال، فقد امتنع عن البيعة ليزيد ولياً للعهد، إلا أن موقفه كان سلبياً من المعارضة أيام يزيد، ربما خوفاً من الدولة وهذا يدرك البشر، وابن عمر هو صاحب المنهج المشهور (نحن مع من غلب)[202] ! ولذلك كان يصلي خلف المختار وخلف الحجاج على ما بينهما من تضاد ويقبل عطاياهما[203]، وابن عمر في الجملة يرى العزلة في مجمل الأمر، فاعتزل القضاء

---

201 ولا بأس من التذكير بالنص وهو (خطب معاوية، فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الامر، فليطلع إلي قرنه، فنحن أحق بذلك منه ومن أبيه، يعرض بابن عمر. .الخ) والخبر في صحيح البخاري وغيره، ومعناه خطير لا يعرفه أكثر متعصبة معاوية، فمعاوية يرى أنه وابنه يزيد أولى بالخلافة من عمر بن الخطاب نفسه! وقد أهان معاوية بهذا الكلام ابن عمر وأباه رضي الله عنهما، فإذا كان يزيد أولى منهما بالخلافة فهذا يكشف عن رأي معاوية في عمر أصلاً! وأنه لا يراه مساوياً ليزيد ولا كفئاً له، ولو قلنا هذا في المقارنة بين علي وعمر لاتهمنا هؤلاء بالتشيع، فما بالهم لا يتهمون معاوية بالنصب أو الرفض! وقد فضل نفسه وابنه الفاسق يزيد بن معاوية على عمر بن الخطاب وابن عمر في الخلافة ! لا سيما وأن هذا في صحيح البخاري؟!

202 الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 149): قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا حميد بن مهران الكندي قال: أخبرنا سيف المازني قال: كان بن عمر يقول: لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب اهـ.

203 الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 150): قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن نافع قال: كان المختار يبعث بالمال إلى ابن عمر فيقبله ويقول: لا أسأل أحدا شيئا ولا أرد ما رزقني الله / الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 149): قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسرائيل وأخبرنا الفضل ابن دكين قال: حدثنا زهير بن معاوية جميعا عن جابر عن نافع قال: كان ابن عمر يصلي مع الحجاج بمكة فلما أخر الصلاة ترك أن يشهدها معه

في عهد عثمان[204] وولاية الشام في عهد علي، وكان منكفئاً على نفسه بالعبادة والتنعم بالسبايا، فكان لا يفطر في رمضان إلا على بطن أمة من إمائه[205]، ولم يكن يحرص على العلم وإنما كان يحرص على العبادة (الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 145): قال: أخبرنا يزيد بن هارون وروح بن عبادة قالا: أخبرنا عمران ابن حدير عن أبي مجلز عن ابن عمر قال: أيها الناس إليكم عني فإني قد كنت مع من هو أعلم مني ولو علمت أني أبقى فيكم حتى تقضوا إلي لتعلمت لكم).

وقد ذكرنا في مبحث (حقيقة إسلام معاوية) أن معاوية كان يحلف على المنبر النبوي أنه سيقتل ابن عمر، وأنه هدده غير مرة، ولن يهدده لأنه يطمع في السلطة وإنما لروايته مثل هذه الأحاديث، بل قد جاء هذا صريحاً في بعض تهديدات معاوية وذكرناه في البحث المذكور آنفاً.

ولابن عمر كثير من المواقف في مخالفة معاوية[206]، فلا يستغرب أن يصدر منه هذا الحديث.

وخرج منها / الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 157): قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن مينا أن عبد العزيز بن مروان بعث إلى ابن عمر بمال في الفتنة فقبله اهـ

[204] الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 146): قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا أبو سنان عن يزيد بن موهب أن عثمان قال لعبد الله بن عمر: اقض بين الناس، فقال: لا أقضي بين اثنين ولا أؤم اثنين. قال فقال عثمان: أتقضيني؟ قال: لا.. الحديث.

205 سير أعلام النبلاء - (ج 3 / ص 223) : ... كان ابن عمر يفطر أول شئ على الوطئ / وكان يفخر بقوة جماعه فكان يقول (سير أعلام النبلاء - (ج 3 / ص 223) قال ابن عمر: لقد أعطيت من الجماع شيئا ما أعلم أحدا أعطيه. .الخ).

206 ومن الجديد الذي لم يسبق لنا ذكره في كتاب: ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسير ابن أبي حاتم - (ج 4 / ص 355): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، بِالْكُوفَةِ، ثنا عَمْرُو بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ عَطِيَّةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ:"دَعَانِي مُعَاوِيَةُ، فَقَالَ: بَايِعْ لابْنِ أَخِيكَ، فَقُلْتُ: يَا مُعَاوِيَةُ: " وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى، وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا "، فَأَسْكَتُّهُ عَنِّي". اهـ وكان معاوية قد دعاه لبيعة يزيد، فاتهمه ابن عمر بمخالفة الإجماع، وأن إجماع الأمة خلاف ما يرى، ورجح تحقق الوعيد فيه.

ملحق الإضاءات والزيادات التفصيلية:

أثناء البحث كنت أتوسع في التعليق على حديث أو أستطرد في فكرة أو نحو ذلك، ثم رأيت أن بعض هذه الأفكار والاستطرادات قد تشتت القاريء، فهممت بحذفها، ثم رأيت أن فيها إضاءات وتفصيلات قد يستفيد منها بعض القراء، بل إنني من خلال التواصل مع القراء لبعض كتبي السابقة يقول لي بعضهم إن الفكرة الفلانية التي ذكرتها في الهامش أهم من الكتاب، وكم من قاريء استفاد من فكرة استطرادية أكثر مما كنت أظنها مفيدة، ولذلك فقد آثرت جمع تلك الزيادات والاستطرادات في هذا الملحق هنا، فلعلها تسهم في إيضاح وبيان وشرح وتفصيل بعض الأفكار الأخرى التي تضمنها الكتاب.

وليعذرني القاريء في ترك الإشارة إلى الموضع الأصلي لكل زيادة من هذه الزيادات، وسأتركها هكذا بخامتها الأولى، مع اختيار عنوان جديد لكل فكرة أو زيادة، كما يعذرني إن وجد شيئاً من التكرار في بعض الأفكار، فقد تتكرر أفكار في سياقات مختلفة.

(1) رموز المذاهب

السلفية المحدثة تذم المذاهب الأخرى عندما تدافع عن رموزها، وكل مذهب معه مجموعة من الرموز حسنة وسيئة ومتوسطة، والمذهب يدافع عن الرموز جميعاً، فغلاة الشيعة يدافعون عن الأئمة و المختار وأبي لؤلؤة المجوسي؛ أقصد غلاة الشيعة لا معتدليهم، وكذلك غلاة السنة يدافعون عن أبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد؛ أقصد غلاتهم لا معتدليهم، والواجب التفصيل بين رمز فاضل؛ كان الفضل سبب الدفاع عنه، ورمز فاسد كان العناد المذهبي سبباً في الدفاع عنه، ومعاوية من هذا الصنف من الرموز، إذ لم ينا الدفاع عنه إلا بعد جيل الصحابة، فكان قبول الأحاديث الموضوعة في فضله لأجل كبت الشيعة والمعتزلة فقط، وكان الغلو فيه للسبب نفسه فقط، اللهم إلا إن يعتقد مغفل شيئاً من هذا.

ومن رموز العامة التي تشكلت من أيام العهد الأموية معاوية بن أبي سفيان، وهذا الرمز مع فساده الظاهر للناس، إلا أن هناك عوامل ساعدت على تجميل هذا الفاسد وتسويغه، فالمنابر كلها كانت بين يديه؛ تدعو له وتعرض صفاته وفضائله وحمايته للمسلمين وأنه ظل الله في الأرض . .الخ.

تصوروا لو أن العلم اليوم هو علم الرواية فقط – وأنه ليس هناك قنوات ولا صحف- لوصلت لنا صورة حسني مبارك والقذافي وصدام حسين وأمثالهم من الجبارين في أبهى صورة وبأسانيد صحيحة من روايات وزراء الأوقاف وهيئات كبار العلماء الثقات! ومن يجرؤ على تضعيفهم؟[207]

إذن فليستيقظ من أراد الاستيقاظ!

إذن فعلم العامة هو علم الحديث، لا يعرفون غيره، لا العلم بالقرآن ولا المنطق ولا حتى الفقه، وما توهم الناس من علوم الفقه والتفسير إنما هذه فروع الحديث، فالتفسير بالحديث والفقه بالحديثوسلوك الناس ومعلوماتهم وفكرهم ليس على قرآن ولا منطق ولا تراكم معرفي إنساني، إنما هو الحديث، وقصة الحديث قصة طويلة، ولا يعرف مضادة أكثر الحديث للقرآن الكريم وللإسلام إلا من عرف القرآن أولاً ثم عرف الحديث عن عمق، متوناً ورجالاً وأصحاب جرح وتعديل. .الخ.

---

207 وهناك من يشبههم في وطني ولكن لا أستطيع التصريح بمن أراه على شاكلتهم فاعذروني، بل حتى حسني مبارك والقذافي وصدام وابن علي ما زال هناك اليوم من يرى بعض حسناتهم، وينسى القتل وتعذيب السجون وأكل أموال الناس بالباطل، تماماً كما يرى غزو معاوية لقيسارية وتنقيط الحجاج للمصحف، وينسى كل جرائمهم، لأن معايير هؤلاء الناس المحبين للظلمة أو المغرورين بهم على الأقل ليست معايير قرآنية ولا عقلية ولا حضارية إنسانية، وإنما معايير مزاجية أو خصومية، فالمعيار لا يرى في حبيبه شيناً ولا يرى في خصمه حسنة، هذا هو الواقع السائد بين بني الإنسان، والإنسان ظلوم جهول، والجهول صيغة مبالغة من الجهل، فهذه حقيقة الإنسان إن لم يعلم نفسه بالوحي والعقل والحس. .الخ، وأنا شخصياً ممن كنت مغروراً ببعض هؤلاء في زمن الفضائيات وربما مازلت مغروراً بأمثالهم، فالإنسان ضعيف إن لم يحدد معاييره من القرآن الكريم.

ففي الحديث زيف كثير وكذب على رسول الله (ص) لا يدركه هل الحديث، والكذب على رسول الله مستمر إلى اليوم، فهم يسمعون رسول الله كل يوم يتحدث على ألسنة الوعاظ في كل خطبة، (ونسوا هنالك القرآن الكريم)، والناس لأنهم يحبون رسول الله، فهم يصبرون إن سمعوا كثيراً من الحديث على بعض ما يخالف عقولهم وما فطر الله عليه نفوسهم من التساؤلات والإشكالات التي تحتاج إلى أجوبة، وأهل الحديث يروضون العامة، بهجر القرآن والتحذير من فهمه وتدبره، ويذمون العقل على المنابر وفي الدروس (مع مدح الله له) وجعلوا هذا من الدين الصحيح، فأصبح الناس – وحتى لا يفقدوا الجنة– يخالفون عقولهم ويتجرعون هذا الدين الحديثي والروائي لأنهم لا يعرفون آخرين غير أهل الحديث يتحدثون باسم الدين، فالآخرون كالمعتزلة مثلاً قد تم عزلهم، فاستحوذ أهل الحديث على العامة واستحوذ السلطان على أهل الحديث.

ثم ليس عند أكثر العامة من أدوات النقد ما تستطيع أن تشك في المتن، وهم يجهلون منهج أهل الحديث وكونه منهج مذهبي يوثق في الجملة من هو على شاكلتهم ولو كان وضاعاً كإسماعيل بن أبي أويس، ويجرحون من فارق معتقداتهم ولو كان ثقة كعمرو بن عبيد . .

من هنا تصرف أهل الحديث في الحديث بما يوافق مذهبهم ويكبت خصومهم! وفي موضوعنا نجدهم يحاصرون الأحاديث التي في ذم معاوية مع تمطيط الأحاديث التي وضعت في فضله، لأنها عقيدة عامة شعبية محببة للعامة، والعامة مادة أهل الحديث والسلطان، بل أهل الحديث غالبيتهم من العامة ومؤثرون فيها ومتأثرون منا ، وعازلون لها عن حركات الثورة وتحرير الإنسان من المظالم، وعازلون لها أيضاً عن حركات التفكير والفلسفة، ليبقى العامة في عهدة السلطان، وليكافيء علماء العامة على هذا العطاء الجزيل، فضمر العقل وانتعشت الرواية والتطرف والتصنيف والكراهية.

وتجاوب ذلك الوسط العلمي (الحديثي) مع السلطات الظالمة أمر لا يستغرب فنحن نراهم اليوم ضد كل تطور، ومع كل ظالم، وضد كرامة الإنسان وحريته وحقوقه، والشواهد حاضرة في الأذهان لا تحتاج إلى بيان، وفي الثورات المعاصرة بمصر وليبيا خير شاهد ، والجميع رأى بأم عينيه أن هذا السلفية المحدثة مع الظالم بحجة الخشية

من الفتنة وشق العصا والخروج على الإمام! والمتقدمون لم يكونوا إلا كعلماء اليوم - القليل جداً من يجعل الله فقط أمام عينيه- مع غياب الجانب الحقوقي.

ثم هناك اليأس من الكلام عن الظلم، لأن الظلم كان كبيراً وواسعاً بحيث أصبح أفضل الفقهاء من ينشغل بنفسه ويعتزل الحياة، وقد صحت الآثار بأن أكثر الصحابة وصالحي التابعين في العهد الأموي لم يكونوا يستطيعون حمل بني أمية على الصلاة في مواقيتها (وتوسع فيها ابن رجب في شرحه لصحيح البخاري – باب مواقيت الصلاة)، فكيف يستطيعون أن يحملوهم على العدل أو الامتناع عن لعن الصالحين على منابر الإسلام، وكانت الأغلبية القبلية وأصحاب الدنيا معهم خوفاً وطمعاً (والأكثرية عبر التاريخ وفي الأمم السابقة تكون مع الظلم وليس مع العدل)[208] والكلام كثير في هذه الموضوعات، وغيابها عن ذاكرة أهل الحديث أوقعهم في اهتزاز المعايير، إذ انشغلوا بما يستطيعون من ذم العباد الصالحين من الفرق الإسلامية وسكتوا عن ذم الظالمين من أهل السلطة ورموزهم قديماً وحديثاً.

---

[208] ثم يجب أن يعرف كل سلفي، أن السلفية أو حتى أهل السنة ليسوا السنة نفسها ولا الحق نفسه، كما أن المسلمين ليسوا الإسلام نفسه، والنقد يجب أن يتوجه إلى الأشخاص لأنهم هم الذي أشادوا هذه المباني من العقائد والأفكار التي ليس عليها دليل، بل كثير منها مضادة للنصوص الشرعية عند التأمل والهدوء في المناقشة، وكذلك الشيعة ليسوا التشيع نفسه، فالتشيع لآل محمد صلوات الله عليهم لا ينكر وجوبه أحد، لكن ليس معنى هذا أنني إن رددت على شيعي أو ناقشت فكرة شيعية أنني أصبحت من أعداء آل محمد، كلا، وكتبي هذه لا يفهم منها أحد أنها انتصار لمذهب على مذهب، مذهبي الإسلام والحق أينما أجده، ثم سأرضي المذاهب كلها بمثال واقعي، وهو أننا عندما نذم المسلمين في تخلفهم لا يعني هذا أننا نذم الإسلام، بل تجد الناقد للمسلمين قد يكون الأكثر إخلاصاً لدينه، بل معظم منتقدي المسلمين هم من هذا الصنف، إذن فإذا عقلنا هذا فما الذي يمنع أن نعقل أن الناقد للواقع السني أو الشيعي قد يكون الأكثر اتباعاً وإخلاصاً؟

وكثير من المنتسبين للسنة أو الشيعة قد يجهلون كثيراً من السنة المحمدية والتشيع العلوي، وإن تسموا بهذا أو ذاك، مثلما أكثر المسلمين يجهلون كثيراً من عدل الإسلام وهديه وإن كانوا مسلمين.

إذن يجب على الباحثين من المهتمين بالدراسات الإسلامية خاصة؛ أن يدرسوا علم الحديث بدقة، ليكشفوا أهل الحديث، وربما ليكتشفوا أنفسهم، قبل أن يكتشفوا المذاهب الأخرى، لأن أجهل الناس بأهل الحديث هم أهل الحديث أنفسهم.

ولهم الشيء وضده، نصرة سنة ومحاربة أخرى، ففي موضوع معاوية مثلاً، لهم جهود في إبقاء بعض السنة في ذم الظالم، ولكن لهم جهوداً مضادة في مدح الظالم، فضاع الموقف بين ذم الظالم ومدحه! فأين السنة؟

والدليل على ضياع ذلك القسم من السنة القرآن الكريم، فقارنوا موضوعات القرآن الكريم مع موضوعات السنة، وستجدون أنه ليس هناك حديث في العقل والتدبر والتفكير والنظر ..مع كثافتها في القرآن الكريم، وكذلك ستجدون ضموراً شديداً في أحاديث العدل والصدق والشهادة لله والابتلاء ..الخ مع كثافتها في القرآن الكريم، وعندما تراقبون سبب هذا الضمور في أحاديث العدل والعقل وذم كنز الذهب والفضة ..الخ فستجدون أن السبب في ذلك هو إزعاجها للنظام إما فكرياً أو عملياً.

إذن فمعاوية أصبح من الرموز التي ضخمها أهل الحديث، ولا يبالون بالأحاديث في ذمه التي صح منها الكثير، بل بعضها متواتر كحديث الفئة الباغية، بينما نفخوا في أحاديث أخرى في فضله حتى زعموا أنها حسنة، وعند الحيرة هناك حل معقول، وهو أن يتم تقديم المتواتر والصحيح على ما سواه مما زعموا أنه حسن بينما في الواقع أنه موضوع، على على التنزل بأن بعض الأحاديث في فضله حسنة فالحل الشرعي والعقلي والمنطقي هو تقديم المتواتر في ذمه على ذلك الحسن المزعوم.. وهنا يكون عندك جواب بين يدي الله بأنك قدّمت المقطوع بصحته على ما لا تقطع بصحته.

(2) سر التوسع في طرق هذا الحديث:

نحن لا نعبث إذا توسعنا في دراسة هذا الحديث في ذم معاوية وهو حديث (موته على غير دين الإسلام أو على تبديل السنة)، لأن المغرر بهم من أهل السنة طبقات، فمنهم من يقتنع بالإسناد الصحيح، ومنهم من لا يقتنع إلا إذا عضدته الشواهد الكثيرة، وبعضهم – وهو حر- قد لا يقتنع حتى بالمتواتر، ولكن يلزمه أن يطرد في الأحاديث

الأخرى المتواترة، بل من يرد الحديث صحيح الإسناد في ذم معاوية يلزمه أن يطرد في إنكار الحديث صحيح الإسناد في أمور أخرى. . ثم نحن نتوسع في شواهد الحديث ومتابعاته وأسانيده رداً على النواصب ومغفلي أهل الحديث الذين حاولوا محاربة هذا الحديث وكتمانه والتشويش عليه بطرق شتى، فحماية الحديث إذا صح واجب على كل من يحب سنة رسول الله (ص) حقيقة لا ادعاء مهما خالفه الواقع، لأن النصوص هي حكم على الواقع وكاشفة له وليس العكس، ثم لأن الحديث خطير جداً، فإن كان صحيحاً فكيف اتبعت هذه الأمة رجلاً منافقاً كان يخفي نفاقه ومات على غير دين الإسلام أصلاً! فعندئذ ننظر كيف استطاع أن يخفي نفاقه؟ وما هي أساليبه في التضليل؟ وهل بقي في فقهنا وعقائدنا وأحاديثنا أشياء من هذا التضليل؟ ثم كيف نقلوا أحاديثه وفتاواه وعقائده! وكيف ارتضوا برواية موضوعات في فضائله ومزاياه! وإن كان الحديث ضعيفاً أمكن البقاء باطمئنان عند حد البغي والظلم والملك العضوض وفيه كفاية،ة والخلاصة أن معرفة موقع الشخص وأحواله وسياسته ودهائه يكشف لنا كثيراً من البدايات الفكرية والسياسية التي تحولت ربما إلى تيارات عامة أنهكت المسلمين فرقة ونزاعاً . .

(3) الأثر الحنبلي في إتلاف الأحاديث الصحيحة في ذم معاوية:

أوردت بعض هذا في وربما زدت عليه في كتابي الآخر في بحث حديث (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)، ثم وجدت أنني قد اختصرته هنا وأحسنت الاختصار، فقلت:

أورد الخلال أحاديث وفتاوى عدة عن أحمد بن حنبل تجيز لهم التصرف في ألفاظ الأحاديث والروايات التي فيها (طعن على الصحابة)! وهذه إن صحت فهي خيانة في النقل، فكان مما نقله الخلال عن المروذي قوله: أخبرنا أبو بكر المروذي قال :سمعت أبا عبدالله (يعني أحمد بن حنبل) – وقد قيل له- : إن قوما يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله! وقد حكوا عنك أنك قلت: أنا لا أنكر أن يكون صاحب

حديث يكتب هذه الأحاديث يعرفها ! فغضب (يعني أحمد) وأنكره إنكارا شديدا وقال باطل! معاذ الله! أنا لا أنكر هذا؟؟! لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته فكيف في أصحاب محمد؟! وقال: أنا لم أكتب هذه الأحاديث؟!

قلت – المروذي- لأبي عبدالله: فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر؟

قال نعم يستاهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم !!

وقال أبو عبدالله، جاءني عبدالرحمن بن صالح فقلت له تحدث بهذه الأحاديث؟

فجعل يقول قد حدث بها فلان وحدث بها فلان وأنا أرفق به وهو يحتج فرأيته بعد فأعرضت عنه ولم أكلمه اهـ

(وقال المحقق: إسناده صحيح).

نقد هذه الفتاوى المنسوبة لأحمد:

أقول : إن لم يكن المروذي (وهو تلميذ أحمد رقم 1) قد كذب في هذه القصة ففيها عجائب من أخطاء وعقائد أحمد بن حنبل نفسه، وخاصة في منهجه ورؤيته لكتابة الحديث.. وورعه عن جليل الأمور ووقوعه في جليلها الآخر.. وأحمد نحبه ونجله لكن الحق المر يوجب علينا أن نقول كلمة يسيرة في نقد هذه الفتاوى الخطيرة من عدة وجوه باختصار شديد:

أولاً: أحمد يتأثر بأصحابه الخاصين ويؤثرون عليه ويزايدون ... كحال كثير من العلماء اليوم.. ولي بالإمام أحمد ومدرسته اهتمام خاص..وهو رجل عابد تقي ورع .. إلا أن الورع في جانب دون آخر ..كورع

الثوري عن تذوق فاكهة البستان واتهامه عباد الله كالحسن بن صالح بالنفاق! ولأحمد قصص مشابهة..وفي قصة ورع أهل الحديث وتقواهم خلط كبير.. فورعهم ليس في حرمة دم المسلم ولا عرضه .. وإنما في الامتناع عن تذوق فاكهة البستان ..وعن رواية مثالب الظالمين كمعاوية، وعن الطهي في تنور من يعمل عند السلطان.. ينسيهم الورع الدقيق عن التهور العظيم.. وهكذا سارت الدنيا.. ومن هنا قال من قال عن غفلة أهل الحديث ونشافة أذهانهم.

ثانياً: كلامه يعني ترك كتابة التاريخ مطلقاً..لأن مفهومهم للطعن في الصحابة مفهوم واسع جداً.. لا يبقي كتابة غزوة ولا حدثاً من الأحداث.. والتاريخ أحداث فيها المحسن والمسيء والمتوسط..وإذا كتبنا أخبار المحسنين وتركنا أخبار المسيئين فهذه خيانة علمية، وليس على هذا منهج القرآن الكريم في حديثه عن السيرة وقصص الأنبياء وأقوامهم.. وإن كتبنا التعديل وتركنا الجرح اختلت الرواية..فما بقي لهم إلا أن يذكروا الجرح في المخالفين بلا أدنى تعديل، والتعديل في الموافقين بلا أدنى جرح.. وهذه عصبية ظاهرة وغير علمية.

ثالثاً: قد روى أحمد مثالب في صحابة في مسنده وفضائل الصحابة وغيرها.. فقد روى مثلاً طعن عبد الرحمن بن عوف في عثمان بما يفيد أنه نكث شرط البيعة (سيرة الخليفتين) وأن عثمان اعترف بذلك وقال: وأما سنة عمر فلا أطيقها..!..وهذه في أحد العشرة، وليست في أفناء الناس إلا أن يكون أحمد لم يفهم منها طعناً ولا نقداً لعثمان، وهذه مشكلة أخرى تتعلق بالفهم، .... ثم عندما يجرح أحمد كثيراً من الرواة أليس كلاماً في أفناء الناس؟!.. هم يأتون بالقاعدة ولا يلتزمون بها .. فيأتي المقلدون ليحجروا واسعاً.. والقرآن فوق الجميع، وقد صرح ببعض أخطاء الأنبياء فكيف لا تكتب أخطاء الصحابة؟ فكيف بالظلمة منهم كمعاوية؟..

رابعاً: قوله عن نفسه أنه (لم يكتب تلك الأحاديث)؟.. هذا فيه نظر.. والصواب أنه حذف كثيراً من مناسبات الأحاديث الصحيحة التي فيها طعن على بعض الصحابة..وكذلك فعل البخاري وكثير من العقائديين، وهذه خيانة في النقل، فيجب تأدية الحديث كما هو بمناسبته.. لأن المناسبة مفسرة للحديث، أو مسهمة في ذلك.. مثل ذكره لحديث عبادة بن الصامت وحذف مناسبته التي تصرح بأن معاوية كان يتاجر في الخمر.. فهذا الحذف كوّن صورة عند أتباع أحمد عن معاوية تغاير ما يعرفه من يثبت تلك المناسبة.. ثم إذا ذكر أحد معاوية ببيع الخمر، قام عليه الحنابلة بأنه يطعن في الصحابة وأن الزيادة (المناسبة لا تصح) ولو صحت لرواها أحمد، مع أن أحمد أولى بالنقد إذ بتر الحديث لأن الإسناد الذي عند الحاكم والشاشي هو إسناد أحمد إلا أنهم كانوا أكثر دقة – ولا أقول أمانة- في نقل الحديث بجذافيره، وبتره أحمد، فأصبح الذين يتبعون من كان الأكثر دقة مذمومين، وأصبح المتبعون للأجرأ بتراً وخيانة ممدوحين..وهذا قلب لموازين الجرح والتعديل إن كان ولابد من جرح وتعديل.. فكيف إن روى مثل أحمد أو البخاري في نقد بعض الكبار كالعشرة وحذفوا نقد الظلمة كمعاوية وسمرة.. هذا يفتح باباً كبيراً بعنوان (خيانات أهل الحديث) فيتم تحديد معايير الأمانة والخيانة.. ثم ينظر في هذه الأمة هل تميل لأهل الأمانة أم لأهل الخيانة؟ وما أثر هذا على فكر الأمة وتشكيلاتها المعرفية .. وهل هذا من أسباب تخلف الأمة أم رفعتها؟ .

خامساً: قوله بأن من يروي هذه الأحاديث–التي قد تكون صحيحة- يستاهل الرجم جرأة كبيرة على حدود الله.. فمن هو أحمد حتى يزيد على حدود الله ما ليس منها ؟ أليس هذا تشريع لما لم يشرعه الله؟ ولماذا هذا التورع عند أحمد في الصغائر والإفتاء بالعظائم؟..هذه هي السلفية المحدثة المتلبسة بالبدع الحقيقية،

السلفية المحدثة التي نحرص على نقدها وبيان أخطائها وتجاوزاتها نصحاً للأمة وتصحيحاً لما شوهوه من أحكام الدين. . وكل سلف يزيد على الشرع ما ليس منه فهو أهل للذم والرد والبيان . . وإظهار الشهادة لله.

(4) لماذا نفور السلفية وأهل الحديث من الأحاديث في ذم معاوية؟

لماذا ينفر السلفيون من مثل هذه الأحاديث ويقبلون ما هو أقل منها إذا اتجهت في الثناء على معاوية؟ السبب واضح - وقد كررناه في كثير من الكتب – وهو أن المنظومة الحديثية في أغلبها إنتاج سياسي أموي، وأستطيع أن أذكر شواهد هذا بمئات الشواهد والدلائل، ولذلك لا يرتضون مثل هذه الأحاديث حتى لو صحت - راجع منهج أحمد في كتاب السنة للخلال[209]- ثم مال الذي يخيفهم من تصحيحها ؟

نعم لو انفرد هذا الإسناد بطعن في صحابي من المهاجرين الأولين وصالحي الأنصار لقلنا لعل وهماً قد وقع، وأن فضائل ذاك الصحابي أثبت من هذا الإسناد – مع أن هذا الإسناد صحيح بذاته ولكن بشرط أن تكون هناك فرص للترجيح، كسابقة ذلك الصحابي، أو حسن سيرته[210] أو عدم ثبوت أحاديث أخرى فيه تشهد لهذا

---

[209] وهو من ملاحق البحث الأول (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) والعهد الحنبلي كاد أن يقضي على كل الأحاديث الصحيحة في ذم معاوية.

[210] وليس من كان طليقاً ثم تمّ تألفه على الإسلام، أو كان باغياً ظالماً، أو كان رأساً في دعاة النار، أو كان مؤسساً للملك العضوض، أو كان راداً للسنة الثابتة والقضاء النبوي علانية، أو كان مستهزئاً بالحديث النبوي في الحوض وغيره، أو كان لاعناً من يحبه الله ورسوله، أو كان ملعوناً من الله ورسوله والصالحين من أمته، أو كان قاتلاً ألوف النفوس التي حرم الله بغير حق، وهو كان واضعاً الجوائز لمن يأتي برؤوس البدريين، أو كان آمراً بالطواف بتلك الرؤوس على البلدان، أو كان مؤسساً للقمع السياسي والأثرة المالية، أو كان أخطر على هذه الأمة من الدجال، أو كان خادعاً لنصف الأمة، أو كان مزرياً على نصفها الآخر، . .الخ، مما سيأتي مفصلاً في كتاب معاوية وأنا أعي كل كلمة قلتها هنا، وأضعافها لم أقله، فإن عجزت عن إثبات واحدة منها فعندئذ تكون المطالبة بالإثبات (وربما في هذين الكتابين الصغيرين، هذا الكتاب، وكتاب إذا رأيتم

الحديث، ونحو ذلك، أما إن صحت أحاديث أخرى، ووجدنا كل تلك العمليات العجيبة، من محاولة كتمانه إلى كون رواته ثقات لا يتهمون على معاوية، إلى محاولات النواصب قلبه من النار إلى الجنة، أو محاولات قلبه من ذم معاوية إلى ذم علي والعباس، إلى . . . إلى . . .الخ فهذه قصة أخرى جداً تكشف لنا صحة الحديث يقيناً .

والحديث أيضاً لربما سنرفضه لو صدر في حق رجل مسكين لم يحكم الأمة الإسلامية ويوصل حجته[211]، فلعلنا نقول لعل ذلك المسكين حُمّل هذه الأحاديث لضعفه، كما استطاعت قريش حصر النفاق في الأنصار، وتحويل كبير المنافقين من أبي عامر الفاسق حليف أبي سفيان إلى عبد الله بن أبي بن سلول (من الخزرج حلفاء النبي وأبيه وجده) !

وأيضاً كنا سنشك فيه ربما، لو لم نجد معاوية يتتبع الصحابة ويهددهم بقطع الأعناق إن هم حدّثوا ؟ يا ترى ما هي تلك الأحاديث الخطيرة التي ينهى عن روايتها ؟ لا سيما وأننا وجدنا أن الذين يتتبعهم هم من روى هذه الأحاديث، وكلهم أفضل منه بإجماع النواصب فضلاً عن أهل السنة ! ولكن استطاع معاوية وحزبه ودولته أن يزرعوا في أذهان العامة أن الطعن في معاوية لا يغتفر ! فلذلك ورثت العامة هذا التحفظ، بينما لو ناقشوا الأمر مسألة مسألة لما وجدوا مسوغاً لهذا التخوف الكبير من ذمه، فلماذا التحفظ والخوف من أن نقع في البدعة إذا اتهمناه بما صح عندنا من النصوص في ذمه أو من الروايات في سوء سيرته؟ ! هل له أحكام خاصة؟ ألم يتهم بعض أهل الحديث كباراً من الصحابة بالنفاق مثل : معتب بن قشير ونحوه؟ إذن فلماذا لم يحفظوا لهم حق الصحبة؟ إذن فهذا التخوف الزائد في معاوية فقط إنما هو مذهبي لا شرعي، هو نتيجة لوصول الظالم إلى الحكم وليس نتيجة لمحبة النبي (ص) للظالمين وثنائه على الفاسقين ! كلا . . هذا لم يحدث .

معاوية على منبري فاقتلوه) قد كشف الكثير مما لم يكن متوقعاً عند أكثر أهل الحديث المعاصرين، وهذا الكثير قليل جداً فيما هو آتٍ) .

211 فلو أتيح لعبد الله بن أبي أو مسيلمة الكذاب أن يحكم ويوصل حجته كما أوصلها معاوية لكانت فضائلهما في صحيح البخاري – كتاب المناقب،

وهنا يجب النصيحة والحذر، فمن رد النص الثابت بالمذهب المتبوع فقد وقع في المحظور من حيث يريد الهروب منه، نعم يمكن للسلفي أن يقول: معاوية مسلم ظالم (أو باغٍ)، بحيث يريد الإسلام الواسع النظري الذي مات عليه المنافقون وليس الدين الحق الذي مات عليه الصالحون، ولا أقل من أن يقوم السلفي بالحكم على معاوية بالبغي والظلم مع صحة الإسلام مع الاعتراف أن فيه أكثر من شعبة من شعب النفاق الكبيرة، للجمع بين عموم الحكم بالإسلام وخصوص الأحاديث التي يؤمن بصحتها، وإلا فسيؤدي تمسكه بظني العموم إلى رفض قطعي الخصوص، وبالمنهج نفسه يمكن تبرئة إبليس بل الثناء عليه لكونه من الملائكة، فالتمسك بالعموم تمسكاً أعمى يؤدي لرفض الخصوص، هل الدين إلا في التخصيص؟

إذن فلا مكان للخوف من ذم من ثبتت عليه النصوص وذمه البدريون، إنما الخوف من اتهام وظلم بعض الناس للصالحين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وأولى من هذا ظلم بعض الناس للصالحين من أهل بيت النبوة فهذا أعظم خطراً وإثماً ومجازفة، أيضاً من يحتج بأن الصحابة لم يتهموا معاوية غير صحيح، وهذا من التضليل المذهبي – وهو أسوأ وأخفى مكراً من التضليل الإعلامي المعاصر– وهذا التضليل المذهبي بين نقل كاذب أو تأويل باطل، فقد كان على ذم معاوية أكثر الصحابة الكبار من أهل بدر ومن يقاربهم في الفضيلة والزمن (وقد كنت قبل أن أبحث هذا الأمر أظن ما يظنه هؤلاء المغرر بهم، ولكن بعدما توسعت في كتابي عن معاوية تبين لي أن أكثر الصحابة والتابعين على ذم معاوية لا مدحه فصدمتني هذه النتيجة، بل الراجح عن عمر ذمه وأنه أراد عزله لكنه قتل قبل أن ينفذ ما بثه لبعض الناس)، والأشهر أن الصحابة الكبار وخاصة من أدرك عهد عثمان وعلي من أهل بدر كانوا يرون معاوية كأكثر الطلقاء والمؤلفة؛ استسلموا ولم يسلموا، وقد ثبت هذا عن عمار وسبعين من أهل بدر كان رأيهم رأيه وكان يقودهم في جهاد معاوية وذمه ويقسم على أنه لم يسلم وإنما استسلم، وكان عبادة بن الصامت يحلف أنه من ولاة السوء الذين حذر منهم النبي (ص)، ولهذا الرأي العام من الصحابة شاهد في كتاب الله (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فهذه الآية تتناول كفار قريش بالأولوية، لأنهم من قامت عليهم الحجة بوجود النبي (ص) بين أظهرهم عشر سنوات من الدعوة الجهرية، وهي تتناول أهل بطاح مكة

من كفار قريش قبل أهل ظواهرها، وتتناول قريشاً قبل سائر العرب، وتتناول العرب قبل سائر الناس، هذا إن لم تكن خاصة في كفار قريش، وقد كرر الله هذا المعنى في القرآن الكريم من العهد المكي (اقرأ سورة الكافرون) وهي في بداية العهد المكي، واقرأ (في أوائل سورة يس) وهي نهاية العهد المكي، إلى بداية المدني (في أول البقرة) إلى نهاية العهد المدني في سورة التوبة، وستجدد كلامي لولا أن هؤلاء وصلوا للسلطة وبثوا عشرة آلاف قاص والناس فيهم سذاجة، ومن لم يتغابى تحامى، لكن ما سر هذا التكرار في القرآن الكريم بأن الكفار لن يؤمنوا إلا من آمن، وخاصة أكثرهم، كأن الله يريد منا أن ننتبه إذا حكم هؤلاء وألا نغتر بإسلامهم الظاهر ولا دعاواهم في الصحبة والفضيلة، وأن ننظر إلى أعمالهم الدالة على أنهم كما قال عمار بن ياسر (والله ما أسلم هؤلاء ولكن استسلموا حتى وجودوا على الحق أعوأنا)، والغريب أنه مع هذه الآيات الكريمة ومع الأحاديث الشريفة الصحيحة ومع أكثرية السلف الأول من أهل بدر والرضوان وصالحي التابعين في ذم معاوية وتكفير بعضهم له، إلا أن غلاة السلفية أو نواصب السلفية استطاعوا أن يقنعوا السذج من العامة وطلبة العلم بأن معاوية رجل صالح! وضربوا بتلك الآيات الكريمة الحاضنة، وتلك النصوص الحديثية المحضونة، وتلك الروايات المتواترة الشاهدة، ضربوا بهذا كله في الحوائط الأربعة، واتبعوا القليل من المظنون والبعيد من التعسف في الاعتذار . . والله لو تهيأ لعبد الله بن أبي مدافعون كما توفر لمعاوية لأصبح من المبشرين بالجنة ولكان عدد أحاديثه في المسانيد بالمئات.

فالنواصب وغلاة السلفية المتأثرين بهم غفلة أو غلواً نراهم يتبعون المتشابه من القرآن على الصريح منه أو شبه الصريح، وعلى اتباع الأحاديث الضعيفة دون الصحيحة والمتواترة وعلى اتباع آراء بعض صغار التابعين وتابعيهم وترك آراء كبار الصحابة وكبار التابعين. .الخ، وعلى اعتماد تصحيح المتأخرين وإهمال أقوال إسحاق بن راهويه والنسائي وأمثالهم، إلى أن أصبح السلف المتأخرون من المقلدين والجهلة هم الحكم على النصوص الشرعية والمتواتر من التاريخ، فأصاب السنة المحمدية والتاريخ من الغربة ما ترون اليوم، فأزهد الناس في السنة المحمدية هم المنادون بها نظرياً، وهنا تكتمل المحنة ويتجلى التمحيص فينجوا الذين كتب الله لهم الحسنى ويخسر هنالك الظالمون.

(5) لماذا عمليات البتر والإخفاء لاسم معاوية؟ !:

الجواب: أظن مما سبق أنه قد تبين بعض الجواب على هذا السؤال. .

ويمكن إضافة ملحوظة وهي: أنه بعد أن حصل انقلاب المتوكل أصبح أهل الحديث عقائديين في مجملهم، ورأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وسامحه، فعملوا على إخفاء مثالب معاوية بطرق شتى، مرة بإخفاء اسمه أصلاً (فيقولون: فطلع رجل ! أو فطلع غيره) فيخفون اسم معاوية ويبطلون فائدة الحديث كلية، وكأن النبي (ص) يقول ما لا فائدة فيه، ويضيع تحذير النبي (ص) وسط النزاع المذهبي . . ومن أهل الحديث النواصب من يقوم بعملية أشنع وهي قلب الحديث إلى الضد، فيغيرون قوله (يموت على غير ملتي، أو رجل من أهل النار) إلى (رجل من أهل الجنة. . فطلع معاوية) فأضافوا معاوية إلى العشرة المبشرين بالجنة فأصبحوا أحد عشر، وحرموا أهل بدر والرضوان والمهاجرين والأنصار من هذه الفضيلة، وكأن دين الإسلام دين عبثي، وكأن الله جل شأنه إله مزاجي، يمنح الظالم الجنة، ويحكم على الصالح بالنار لهفوة، وهذه الأفكار المزاجية مبثوثة للأسف عند أهل الحديث وهي من آثار بني أمية، ولو تنبه أهل الحديث لأثر السياسة والمذهب وتبدل الأهواء لما لحقهم أحد، لكن أكثر متقدميهم غير أكثر متأخريهم، وأكثر أهل الحديث قبل المتوكل غير أهل الحديث بعده، وأهل السنة قبل الوهابية غير أهل السنة بعدها، والمسلمون قبل أحداث سبتمبر غير المسلمين بعدها، وموقف علماء السعودية مثلاً من الاستعانة بالكفار قبل أزمة الخليج الثانية غير هم بعدها، وهكذا . . لا بد أن يفهم طلبة العلم هذه التحولات في المواقف حتى يستطيعوا أن يلجوا في العلم بمعناه الحق، بدلاً من الجمع بين المتناقضات وتسميتها علماً . .

إذن فالفكر الذي نشرته الدولة الأموية – وأكثر أهل العلم اليوم يظنون أنهم كانوا منشغلين بالحكم ولم ينشروا علماً ولم يستأصلوا أهل العلم– هذا الفكر هو الذي نشر الحمق في هذه الأمة؛ ووجد له حملة، لسلامة نياتهم وغفلتهم وسهولة حمله بين الطوائف، وقبل اضطراب المتأخرين في معاوية خذوا تصوراتهم عن الله نفسه، ستجدون الأثر الأموي واضحاً، فهم يجعلون الله هازلاً، يدخل من يشاء الجنة بالمزاج، ويدخل من شاء النار بالمزاج، فيروون « إن الله عز وجل يوم خلق آدم قبض من صلبه قبضتين، فوقع كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله، فقال : هؤلاء

أصحاب اليمين ولا أبالي، وهؤلاء أصحاب الجنة ولا أبالي، وهؤلاء أصحاب الشمال ولا أبالي، وهؤلاء أصحاب النار ولا أبالي، ثم أعادهم في صلب آدم فهم يتناسلون الآن »)[212] وهذه رووها عن كثير من الصحابة ظلماً . . وإنما رواها قصاصهم فتخطفها أهل الحديث وملئوا بها أسماع الناس وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم؛ وكأن الله ليس القائل:

- (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) [القارعة/6-9] / وكأنه ليس القائل (. .وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) [الأعراف) / وكأنه ليس القائل (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29) [الجاثية] وكأنه ليس القائل (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54) [يس])

وغيرها كثير جداً، من الآيات التي تبين أن الأمر ليس حكم معاوية وعبد الملك. . وإنما هو حكم الله الملك العدل، الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة، فالأمر إذن ليس مزاجية ولا لعباً، وإنما هو العدل، لكن بني أمية صوروا الله كأنه معاوية أو عبد الملك قد يقتل بلا ذنب ويعفو عن قاتل.

بل يروون أحاديث أخرى تجعل عدل الله محل سخرية نعوذ بالله من ذلك، مثل ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ولا ذنب لمسلم فيه، إنما في أحد الرواة وأرجح أنه ابن أبي موسى، والحديث كما في (جامع الأصول من أحاديث الرسول - (ج 1 / ص 6844) : عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يموتُ رجل مسلم إلا أدخل الله

[212] ولهذه الرواية طرق كثيرة تدل على انتشار القصاص في أرجاء الأرض، فقد نسبوها لأبي ذر (وفي الإسناد إليه نواصب)، وأبي الدرداء (وفي إسناده شاميون نواصب) وأبي بكر (وفي الإسناد إليه من هؤلاء) وابن عباس (وفي إسناده من هؤلاء) وأبي موسى (وهو نفسه فيه كلام، غفلة أو نصب) وأبي سعيد الخدري (وفي الإسناد بصريون شاميو الهوى) وأنس بن مالك (وكان معهم ثم تاب، وفي الإسناد هؤلاء) وعبد الرحمن بن قتادة (وفي الإسناد إليه من هؤلاء) . .الخ وعن التابعين كأبي مسلم الخولاني وأبي قلابة وهم من هؤلاء . .

مكانه النارَ يهوديا، أو نصرانيا، . . . وفي رواية « إذا كان يومُ القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول : هذا فَكَاكُك من النار » .وفي أخرى قال : « يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضعُها على اليهود والنصارى) اهـ باختصار وهو في صحيح مسلم! فسبحان الله العظيم، كأن الله لم يقل (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) [النساء/123]) فهذه الآية و الآيات السابقة وسترى أن الأمر ليس مزاجية .

بينما يستبعدون عدل الله في حق من حارب النبي (ص) 23 سنة وقتل من أهل بدر العشرات ولعن علي بن أبي طالب وأهل بيته على المنابر، وقتل حجر بن عدي وأصحابه لأنهم لم يلعنوا علياً ولم يتبرؤوا منه. . . الخ فإذا أتى حديث يترجم أعمال معاوية هذه إلى عقوبة دنيوية بالحرمان من الهداية أو الإخبار عن عقوبة أخروية يأتي هؤلاء ويتهمون الله في عدله! بأن الرجل أسلم وكتب الوحي وجاهد في الله حق جهاده ونشر الإسلام. .وغير ذلك من الرجم بالغيب أو افتراء المناقب. . أليس الله بأعلم بالمهتدين؟

(6) معاوية يطارد من يروي في مثالبه:

وهذه من المسائل التي يجب أن تكون حاضرة في عقل الباحث عن البحث في مثالب معاوية، أو مثالب غيره ممن أساء السيرة، فلا يظن الباحث أن أهل الحديث والرواية كانوا أحراراً في نقل الأحاديث التي سمعوها ووعوها، كلا. . فالأحاديث التي في ذم معاوية لا تصل إلا بصعوبة بالغة نتيجة خشية رواتها من بطش معاوية ثم من بطش البلطجية االفكرية[213] التي نشأت مع دولة معاوية، هذه البلطجية الفكرية كانت تصم كل من يروي مثل هذه الأحاديث بالبدعة والضلالة، فالبلطجية الفكرية اكتسبت المذهب الرسمي بفعل الدولة الأموية وأتاحت لها الدولة العباسية الحرية الكاملة في تبديع الناس وتضليلهم والإفتاء بقتلهم.

---

[213] البلطجية، لفظ تركي، مأخوذ من البلطا (وهي العصا)، وتعني الفوضويين التي تستعين بهم القوى لكبت خصومها، وهذا الوصف استفدناه من الثورة المصرية الحديثة، ووجدته أبلغ تعبير عن هذه السلطة المذهبية العامية التي نشأت مع عهد معاوية، من إقصاء المخالفين وقمعهم فكرياً وجسدياً .

وقد بدأ هذا الحصار على مثالب معاوية من أيام معاوية نفسه، وربما من عهد عثمان؛ لأن معاوية كان الحاكم الفعلي في الست سنوات الأخيرة من حكم عثمان، واستمر الحصار بعد معاوية إلى نهاية الدولة الأموية، ثم نتيجة معارضة العلويين لحكم بني العباس ارتأى أبو جعفر المنصور الإبقاء على هذه البلطجية الفكرية لمجابهة العلويين، ولأن العامة مازلت مع هذه البلطجية، فاستمر حصار مثالب معاوية وتكرس في عهد الرشيد والأمين ثم أفرج عنها أيام المأمون ثم عاد الحصار أسوأ من كل وقت مضى أيام المتوكل الذي طالت خلافته (232- 247هـ) وضعفت الدولة وتخلت عن الفكر بعد ذلك من حيث الجملة، فقادت السلفية المحدثة دفة الحديث والجرح والتعديل إلى اليوم.

ومن دلائل الحصار للأحاديث أيام معاوية ما رواه نصر بن مزاحم (في كتابه صفين ص220)[214] عن تليد بن سليمان (صدوق في الجملة)[215] حدثني الأعمش (ثقة من رجال الجماعة) عن علي بن الأقمر (ثقة من رجال الجماعة[216]) قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا لو مررنا برجل قد شهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعاينه فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله حدثنا ما شهدت وما رأيت؟!

قال: إن هذا أرسل إليَّ -يعني معاوية- فقال: لئن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك! فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت: وددت أن أحد سيف في جنبك على عنقي، فقال: والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك! وأيم الله ما يمنعني أن أحدثكم ما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال فيه!

رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أرسل إليه يدعوه - وكان يكتب بين يديه- فجاء الرسول فقال: (لا أشبع الله بطنه) فهل ترونه يشبع؟! قال: وخرج من فج فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (اللهم

---

214 نصر بن مزاحم . . صدوق فيه تفصيل وقد سبق.

215 أفردت تليد بن سليمان بترجمة، وهذا خلاصة الرأي فيه.

216 في تقريب التهذيب: علي بن الأقمر بن عمرو الهمداني الوادعي أبو الوازع كوفي ثقة من الرابعة ع اهـ

العن القائد والسائق والراكب)، قلنا: أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: نعم وإلا فصمتا أذناي كما عميت عيناي اهـ.

قلت: الإسناد حسن والمتن له شواهد كثيرة.. [يراجع حديث سفينة والبراء بن عازب وعاصم الليثي والمهاجر بن قنفذ وسفينة] إذن فهذه الأحاديث وأمثالها هي التي يطاردها معاوية وأصحابها ويهددهم بالقتل .. ومنها هذا الحديث في كتابنا هذا، وهو حديث يموت على غير ملتي: فمن رواته عبد الله بن عمر.

شاهد تهديد معاوية لابن عمر:

ولأن نصر بن مزاحم قد لا يوافقنا هؤلاء على توثيقه مع أنه رجل صالح ثقة إلا أننا ننقل شواهد هنا على تهديد معاوية بقتل ابن عمر، ولتهديد معاوية بقتل ابن عمر شواهد، ففي الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 4 / ص 183) : قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن أيوب عن نافع قال: لما قدم معاوية المدينة حلف على منبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليقتلن ابن عمر. فلما دنا من مكة تلقاه الناس وتلقاه عبد الله بن صفوان فيمن تلقاه فقال: إيهن ما جئتنا به، جئتنا لتقتل عبد الله بن عمر! قال: ومن يقول هذا ومن يقول هذا ومن يقول هذا؟ ثلاثا.

(إسناد آخر)" قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم (هو ابن علية) عن ابن عون عن نافع قال: لما قدم معاوية المدينة حلف على منبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليقتلن ابن عمر قال: فجعل أهلنا يقدمون علينا، وجاء عبد الله بن صفوان إلى ابن عمر فدخلا بيتا وكنت على باب البيت، فجعل عبد الله بن صفوان يقول: أفتتركه حتى يقتلك؟ والله لو لم يكن إلا أنا وأهل بيتي لقاتلته دونك. قال: فقال ابن عمر: أفلا أصبر في حرم الله؟ قال وسمعت نجيه تلك الليلة مرتين فلما دنا معاوية تلقاه الناس وتلقاه عبد الله بن صفوان فقال: إيهن ما جئتنا به، لتقتل عبد الله بن عمر! قال: والله لا أقتله اهـ

فمعاوية يهدد ابن عمر وغيره، وقد تكرر تهديده لابن عمر بالقتل، مرة لإرغامه على كتم الحديث وأخرى لإرغامه على بيعة يزيد ولياً للعهد أو أن القصتين هما واحدة اختلفت ألفاظها.

ولمعاوية تاريخ حافل بمحاربة الأحاديث التي يراها مخالفة لمصالحه، كما في قصص كثيرة له مع عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو ورواة حديث عمار ورواة الأثرة من الأنصار. .الخ، حتى حلف بعض الصحابة البدريين كعبادة بن الصامت وأبي أيوب على هجر معاوية، يمكن مراجعتها في مواضعها من هذا الكتاب.

تهديده أبا هريرة إذا لم يسكت:

رغم أن أبا هريرة كان من الراكنين ولو نسبياً إلى معاوية، إلا أنه كان يفارقه أحيانًا ويبث مثل هذه الأحاديث، وكان يشتري معاوية سكوت أبي هريرة (سير أعلام النبلاء – (4 / 34): يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ: عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا أَعْطَاهُ مُعَاوِيَةُ سَكَتَ، فَإِذَا أَمْسَكَ عَنْهُ تَكَلَّمَ)، وهذا السند صحيح على شرط الشيخين، وفيه دليل على أن معاوية كان يرشي الصحابة من أجل السكوت عن مثل هذه الأحاديث، فإذا تجاوز ذلك الصحابي فمعاوية جاهز لقتله بأي طريقه، ولذلك يقول أبو هريرة (ولو حدثتكم بالوعاء الثاني لقطع مني هذا البلعوم) ! وهو في صحيح البخاري، وواضح أن أبا هريرة لا يقصد أن القاتل سيكون أحد الخلفاء الأربعة، وقد حدث بهذا الحديث في عهد معاوية.

وقد استعرضنا في كتب سابقة تهديدات أخرى لصحابة وتابعين آخرين، حتى أن بعضهم كان يشترط ألا يحدث بهذا الحديث (ما عاش معاوية)[217]، فمعاوية يمنع نشر الحديث الصحيح ويضخ الأحاديث المعارضة عبر وعاظه وقصاصه على منابر الإسلام حتى تمكن من تفريغ الإسلام من الداخل، وقلب الحرارة الكامنة في الإسلام ضد الظلم والظالمين إلى الحرارة ضد أهل البدع والأهواء والخارجين على الجماعة وشق العصا ! وقد نجح إلى حد كبير للأسف، لأنه لم يجد أمامه إلا القليل من الصالحين، وهاهو أبو هريرة يسكت عن نصف الحديث لدراهم معدودة !

إذن فيجب على الباحث أن يكون واعياً بالتاريخ، فلا يغفل عن الظروف التي تم فيها رواية الحديث وتدوينه، وغلا سيكون ضحية للبلطجية الفكرية.

(7) العامل السياسي هو الأول في غربة هذه الأحاديث :

---

217 راجع البحثين: (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه) وحديث الدبيلة. .

إذن فمن دواعي غربة هذه الأحاديث أن معاوية كان يلاحق الصحابة الذين يروون في ذمه أو ذم سيرته، ولأجل تحديث ابن عمر وأبي سعيد وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري ببعض مثالب معاوية، جاءتهم التهديدات من معاوية بالقتل (توسعنا فيه في بحث: معاوية يطارد الصحابة الذين يروون في مثالبه) وهذه المطاردات للصحابة الذين يروون في مثالبه تزامنت مع جهاز قصصي كامل أنشأه معاوية للرواية في فضائله وتحسين عقائده، وكان هذا الجهاز يضم (عشرة آلاف قاص) ! وقد تم عزل معاوية للقصاص والمذكرين السابقين، والعمل على تغيير ثقافة المجتمع، ونجح معاوية نجاحاً كبيراً، وتم تحويل الإسلام من دين حيوي يناصر المظلومين إلى دين سلبي يناصر الظالمين، وهذه نقلة نوعية ونجاح كبير حققه معاوية، ومن دلائل نجاحه أن هذا الأثر موجود إلى اليوم، فكل متعصب لمعاوية هو من أبعد الناس عن حقوق الإنسان ومن أجرأ الناس على الحرمات، والتاريخ شاهد، ويمكن قراءة تاريخ الحنابلة والتيمية والوهابية فهم من أقرب المذاهب إلى مذهب معاوية.

ومن هذا أتى رجحان فضل معاوية عند العامة على ذمه في النصوص الشرعية، (وللبراء بن عازب في هذا شهادة) وعلى بقايا أهل السنة النبوية ألا يسمحوا للسنة الأموية بمحاصرة السنة النبوية وقمعها وتبديع أصحابها.. وجهاد أهل السنة النبوية في هذا الباب أفضل الجهاد، لأن سنة معاوية اليوم هي الغالبة بالكثرة والسلطات والأموال والمنابر والقنوات والكتب.. وللأسف أن سنة معاوية من القرون الأولى هي التي تملي على سنة رسول الله – على ضعف أهلها – ما يجب عليها أن تفعل ! فلا حرية لسنة رسول الله (ص) إلا ما أفلتت به من سنة معاوية.

الخاتمة

وأخيراً بعد هذا البحث الطويل والمتعب والمتشعب، آمل أن أكون قد وفيت البحث حقه، وليعذرني القراء الكرام إن وجدوا بعض العيوب والنواقص، وكذلك سيجدون بعض الأخطاء الطباعية وغيرها، فليعذروني لأنني ما تركت الكتاب حتى مللته، وكنت بين خيارين، إما أن أؤجله لمراجعة شاملة، أو أعتبر هذه الطبعة طبعة تجريبية؛ أو حتى مسودة للعرض على القراء، واستطيع أن ألتقط فيها الأنفاس، وأشرع في بحث آخر، فإن كثرة البحوث

التي أعد بها القراء قد كثرت، وخروجها ولو مع أخطاء وقصور خير من إبقائها إلى وقت مراجعة قد يخترمنا دونها ريب المنون.

وليعلم الجميع أن التجديد السني لا يتم إلا بمثل هذا التجرد في البحث، وليس التجديد السني هو ما نراه من انتقال من غلو إلى غلو أدنى، ومن جهل مركب إلى جهل شبيه، فالخوف من العامة يجب أن ينتهي، والخشية من تصنيفات الناس تتنافى مع الخشية من الله وحده، ولا أدعي لنفسي الخشية الكاملة من الله، وإنما نحاول أن نقترب إلى الحقيقة ما أمكن، وأن نحدث في الوسط السني المحلي (السعودي) تجديد حقيقي، يهدف للحقيقة أولاً مجردة، ويهدف أيضاً إلى فتح جسور الثقة مع بقية المسلمين، وأننا (آحاد أهل السنة الأحرار) لا نحامي عن الظالمين، ولا نجعل الشرع خادماً لمن حاد الله ورسوله كما فعل بعض سلفنا، وأننا مع السلف إذا أصابوا، وضدهم إذا تعصبوا وتمذهبوا وتحزبوا وخربوا . . . كلا، فالمعرفة أولى بالعشق منهم، على أننا لا نسلم بشرعية اتباع السلف، إنما الاتباع للنصوص الشرعية المتيقنة أو المحفوفة بالقرائن العاضدة، وليس على الفرد إلا أن ما استطاع.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك من كل زلل ونتوب إليك من كل ذنب.

والحمد لله والصلاة على رسوله وآله، ورضي الله عن صحابته من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان، ونعوذ بالله من سلوك سبيل المجرمين، والمنافحة عن الراكنين إلى الظالمين.

انتهيت من كتابة هذا البحث يوم الأحد 26/ 2/ 1432هـ

في خامس يوم من الثورة الشعبية بمصر.

وانتهيت من مراجعته الأولى بعد شهر تماماً في يوم الثلاثاء 26/ 3/ 1432هـ

وتم خلال الشهر، نجاح الثورة المصرية وسقوط مبارك (في 9/ 3/ 1432هـ)

والثورات العربية متواصلة.

ثم أنهيت مراجعته الثانية على شفا أول يوم جمعة غضب في وطني المملكة العربية السعودية

أي يوم الخميس 5/ 4/ 1432هـ – 10/ 3/ 2011م

حسن بن فرحان المالكي

الرياض– حي طويق.

كلام الغلاف الأخير:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْ ءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَ لاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَ لاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ! وَ لاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ! وَ لاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْ ءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ! وَ لاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَ لَيْسَا مَعَهُمْ، لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنِ اجْتَمَعَا ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ،

كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ) .